

# تيسير العلي القدير

لاختصار  
تفسير ابن كثير

اقتصر د عليه عليه وآله وأصح رواياته  
محمد نسيب الرفاعي

المجلد الثالث

مكتبة المعارف  
الرياض

حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

---

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتفه ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٣٣٩٧٩

الرياض - المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِمَقْصُودِهِ وَعَقْلِهِ عَلَيْهِ وَاخْتَارَ أَمْحُ رَوَايَاتِهِ  
مُحَمَّدُ نَسِيبُ الرَّفَاعِيِّ

(١٧) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ مَكِّيَّةٌ  
وَأَيَّانَهَا الْخِزْيَانَةُ عَشْرَةٌ وَمِائَةٌ

إِلَّا الْآيَاتِ ٢٦ ، ٣٢ ، ٥٧ ، وَمِنْ آيَةِ ٧٣ - ٨٠ فَمَدَنِيَّةٌ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى  
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْبَصِيرُ ﴿١﴾

يَجِدُ تَعَالَى نَفْسَهُ . وَبَعْضُهُمْ شَأْنَهُ ، تَقْدِيرُهُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاهُ ، فَلَا  
إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ ﴿ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ ﴿ لَيْلًا ﴾ أَي فِي  
الْجَيْلِ ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ وَهُوَ مَسْجِدُ مَكَّةَ ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ  
الَّذِي بِالْقُدْسِ . مَعْدِنُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ لَدُنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَلِهَذَا جُمِعُوا لَهُ هُنَاكَ  
فَأَمَّهُمْ فِي مَحَلَّتِهِمْ وَدَارِهِمْ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ وَالرَّئِيسُ الْمَقْدَمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ  
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ أَي فِي الزَّرْعِ  
وَالْحِمَارِ ﴿ لِنُرِيَهُ ﴾ أَي مُحَمَّدًا ﴿ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ أَي الْعِظَامِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ  
آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ وَسَنَذَكُرُ مِنْ ذَلِكَ - مَا يَسْرُهُ اللَّهُ - كَمَا وَدِدْتُ بِهِ السَّنَةَ مَنْ  
الْأَحَادِيثِ عَنْهُ ﷺ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أَي السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ  
مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ ، مُصَدِّقُهُمْ وَمُكذِّبُهُمْ ، الْبَصِيرُ بِهِمْ فَيُعْطِي كُلَّ مَنْهُمْ مَا يَسْتَحِقُّهُ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

### ذكر الأحاديث المتبصرة في الإسراء :

في صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ١ [ أتيتُ بالبراق وهو دابة <sup>(١)</sup> ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه. قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء. قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الحائلة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث إليه قال قد بعث إليه فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل : ﴿ ورفقناه مكاناً علياً ﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل قد بعث إليه قال قد بعث إليه فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي ، تغيرت فمسا

(١) قلت : ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى رواية البخاري وفيه شريك بن عبد الله بن أبي نمر وهو ليس بالقوي ووهاه ابن حزم فإنه اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه وقال مسلم : فزاد ونقص وقدم وأخر . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة هذا السياق وهو أصح من سياق شريك ولذا ضربنا صفحاً عن الأخذ برواية شريك وأثبتنا بدلا عنها رواية مسلم كما هو أعلم .

أحد من خلق الله يستطيع أن يعتما من حننها ، فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى عليه السلام فقال ما فرض ربك علي أمثك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمثك لا يطيقون ذلك . فإني قد بلوت بني اسرائيل وخيرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عمل أمي فحفظتني نعماً فرجعت الى موسى فقلت حفظتني نعماً قال فإن أمثك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد أنهم خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بمسنة فلم يعملها كتبت له حنة فإن عملها كتبت له عشرأ . ومن هم بسنة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه [ .

وفي رواية الإمام أحمد عن قتادة يحدث عن انس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه ... فذكر الحديث إلى ان قال عليه السلام : ٢ ... [ ثم رفعت الى سدره المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان القبلة فقال هذه سدره المنتهى ، قال وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات - قال - ثم رفع الى البيت المعمور ] وفي رواية قتادة عن أبي هريرة ٣ : [ ... قال - قلت قد سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم فنذت فتأدى مناد قد أمضيت فريضتي وخففت عن عيادي ] وأخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة بنحوه .

وفي رواية البخاري في كتاب الصلاة : ٤ [ ... ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدره المنتهى فنشبهها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها جبال الأولو وإذا ترابها المسك ] . وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال ٥ [ سألت رسول الله عليه السلام هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنتي أراه » ] وعن محمد بن بشار بسنده الى عبدالله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر ٦ [ لو رأيت رسول الله عليه السلام لسأته ، فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت فقال « رأيت نوراً » ] وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها ، على مذهب من زعم أنه عليه السلام رأى الله عز وجل يعني قوله : ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآية على رؤيته جبريل أصح . وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو

الحق . وقوله تعالى ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن أبي مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية .

وفي صحيح مسلم : قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حنيفة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله ﷺ : ٧ [ ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام ] .

روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول . ٨ [ لما كذبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ، قميت في الحجر فجلست في بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه ] أخرجاه في الصحيحين .

وقال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : ٩ [ فتجهز ، - أو كلمة نحوها - ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة ؟ فقال أبو بكر : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم قال فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخير السماء ، قال أبو سلمة : فيها ستمي أبو بكر الصديق ] .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ١٠ [ « لما كان ليلة أسري بي ، فأصبحت بمكة فظنعت وعرفت ان الناس مكذبني » فقعد معتزلاً حزينا ، فمرّ به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء : هل كان من شيء ؟ فقال له رسول الله ﷺ « نعم » قال : وما هو ؟ قال : « أني أسري في الليلة » قال إلى أين ؟ قال : « إلى بيت المقدس » قال : ثم أصبحت بين ظهرائنا ؟ قال : « نعم » قال فلم ير أن يكذبه مخافة أن يمحذ الحديث إن دعا قومه إليه فقال : أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثني ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم » فقال : يا معشر بني كعب بن لؤي ، قال فانفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال : حدث قومك بما حدثني ، فقال رسول الله ﷺ « إني أسري في الليلة » فقالوا : إلى أين . قال : « إلى بيت المقدس » قالوا : ثم أصبحت بين ظهرائنا قال : « نعم » قال فمن بين مصفق ومن بين واضح يده على رأسه متعجباً للكذب . قالوا : وتستطيع أن تتعت لنا المسجد ؟ وفيهم من سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ؛ فقال رسول الله ﷺ : « فما زلت

أنعت حتى التبس علي بعض النعت « - قال : « فجبنيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل - أو عقال - فنعته وأنا أنظر إليه قال وكان مع هذا نعت لم أحفظه فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب فيه « ] وأخرجه النسائي من حديث عوف ابن أبي جميلة وهو الأعرابي أحد الأئمة الثقات ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل بن عوف .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
 ١١ [ « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها . فكربت كركباً ما كربت مثله قط ، فرفعه الله إلي أنظر إليه ، ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، وإذا موسى قائم يصلي ، وإذا هو رجل جعل كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس شيئاً به عمرو بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم قائم يصلي أقرب الناس شيئاً به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأتمتهم ، فلما فرغت قال قائل :  
 « يا محمد هذا مالك خازن جهنم فالتفت إليه فبدأني بالسلام » ] .

﴿ فصل ﴾ : وإذا حصل الوقوف على مجروح هذه الأحاديث <sup>(١)</sup> يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ، وإن اختلفت عبارات الرواة ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت اسرأت متعددة ، فقد أبعده وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب . وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا الملك ، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جداً ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ؛ ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته ، ونقله الناس على التعدد والتكرار .

روى موسى بن عقبة عن الزهري : كان الإسماء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عمرو وقال السدي : ستة عشر شهراً . والحق أنه عليه الصلاة والسلام أسرى به بقظة لا متاماً من

(١) قلت : لقد أورد الحافظ ابن كثير أحاديث مختلفة الدرجات صحة وضعفاً ولكن انتبهنا لك يا أخي القارىء المسلم ما صح منها كما هو مبين في محله ، مما يؤكد لك أن الإسماء والمذراج كان حقيفة لا خيالاً ويقظة لا تناماً وبجسمه وروحه ساء والله الخد على توقيفه .



مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق . فلما انتهى إلى باب المسجد ، ربط الدابة عند الباب ودخله . فصل في قبلته تحية المسجد ركعتين . ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها . فصعد فيه إلى السماء الدنيا . ثم إلى بقية السموات السبع ، فلتقاه من كل سماء مقربوها . وعلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ثم تجاوز منزلتيهما ﷺ وعليهما وعلى سائر الأنبياء ، حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقدام أي أقدام القدر بما هو كائن ، ورأى سدره المنتهى وغشيتها من أمر الله تعالى عظيمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة . وغشيتها الملائكة . ورأى هناك جبريل على صورته وله صفة جناح ، ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور . وإبراهيم باني الكعبة الأرضية مستد ظهره إليه . لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خفضها إلى خمس رحمةً منه . ولطفاً بعباده وفي هذا اعتناءً عظيمٌ بشرف الصلاة وعظمتها .

ثم هبط إلى بيت المقدس . وهبط معه الأنبياء فصل بهم فيه لما حانت الصلاة . ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء . والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يجبره بهم . وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لما فرغ من الذي أريد به . اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة . وذلك عن إشارة من جبريل عليه السلام له في ذلك .

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس . والله سبحانه وتعالى أعلم . ثم اختلف الناس : هل كان الإسراء بيدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط ؟ على قولين : فالأكثر من العلماء على أنه أسري بيدنه وروحه يقظة لا مناماً ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعده يقظة . لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح - ثم وقع الإسراء والمعراج يقظة وحقيقة بعد ذلك - والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴿ فالتبجح إنما يكون عند

الأمور العظام ، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظماً ، ولما بادرت كفار قريش إل تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال تعالى : ﴿ أسرى بعده ليلاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به . رواه البخاري . وقال تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طمى ﴾ والبصر من آلات الذوات لا الروح ، وأيضاً ، فإنه حمل على البراق وهو ذئبة بيضاء يرافقه لما لمعان ، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح . لأن الروح لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه ، والله تعالى أعلم .

#### فائدة حسنة جليلة :

روى الخافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة عن طريق محمد بن عمر الواقدي عن محمد بن كعب القرظي ما خلاصته : لما استدعى هرقل أبا سفيان وسأله عن رسول الله ﷺ وجهه أن يحقر أمره وقال : أيها الملك ألا أخبرك خيراً تعرف أنه قد كذب ؟ قال وما هو ؟ قال قلت إنه يزعم انه خرج من أرضاً أرض الحرم ، في ليلة فحاء مسجدكم هذا مسجد ايلياء . ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح قال وبطريق ايلياء عند رأس القيصر ، فقال بطريق ايلياء قد علمت تلك الليلة قال ، فنظر إليه القيصر وقال : وما علمك بهذا ؟ قال : إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبي فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضروا . كلهم فعالجته . فقلنا فلم نستطع أن نحركه كأنما تزاوول به جبالاً . فدعوت إليه النجاجة فنظروا إليه فقالوا : إن هذا الباب سقط عليه النجاف والبيان ، ولا نستطيع ان نحركه حتى نصبح . فنتظر من أين أتى . قال فرجعت وتركت البابين مفتوحين . فلما أصبحت غدوت عليهما ، فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مشقوب وإذافيه أثر مربوط الدابة ، قال فقلت لأصحابي ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي . وقد صلى الليلة في مسجدنا ... وذكر تمام الحديث .

#### فائدة : قال الخافظ أبو الخطاب عمر بن دحية : وقد تواترت الروايات في حديث

الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد ، وابن عباس ، وشداد بن أوس . وأبي بن كعب ، وعبد الرحمن بن قرظ . وأبي حبة وأبي ليلي الأنصاريين . وعبد الله بن عمر وجابر وحذيفة وبريدة

وأبي أيوب وأبي أمامة ، وسمرة بن جندب وأبي الحمراء ، وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين . فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ﴿ يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝ (٢) ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ (٣) ﴾

كثيراً ما يقرون تعالى بين ذكر موسى ومحمد عليهما من الله الصلاة والسلام وبين ذكر النوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الإسراء : ﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ ﴾ يعني النوراة ﴿ وجعلناه ﴾ أي الكتاب ﴿ هدى ﴾ أي هادياً ﴿ لبني إسرائيل أن لا تتخذوا ﴾ أي لئلا تتخذوا ﴿ من دوني وكيلاً ﴾ أي ولياً ولا نصيراً ولا معبوداً من دوني ، لأنه تعالى أنزل على أنبيائه جميعاً أن يعبدوه وحده لا شريك له .

ثم قال تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ تقديره أي يا ذرية من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ إنما سمي عبداً شكوراً لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله . قاله الطبراني عن سعد بن مسعود الثقفي الامام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ ان الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها ] وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي . وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : [ أنا ميد ولد آدم يوم القيامة - بطوله وفيه - : : فأتون نوحاً فيقولون : يا نوح إنك أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً فأشفع لنا إلى ربك . وذكر الحديث بكامله .

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّةً ثَيْنٍ وَلَتتَلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ۝ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا

مَفْعُولاً • (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ  
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا • (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ  
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا  
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمْتُمْ نَفِيرًا • (٧) عَسَى  
رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ  
حَصِيرًا • (٨)

يخبر تعالى أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب ، أي تقدم إليهم وأخبرهم في  
التوراة أنهم سبفسدون في الأرض مَرَّتَيْنِ ويعلون علواً كبيراً أي يتجبرون ويطغون  
ويضجرون على الناس وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ أي أولى الإفسادتين  
﴿ بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد ﴾ أي سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي قوة  
وعدة ﴿ فجاسروا خلال الديار ﴾ أي تملكوا بلادكم وسلخوا خلال بيوتكم أي بينها  
ووسطها ﴿ وكان وعداً مفعولاً ﴾ أي كان وعد هذا اليوم واقعاً لا محالة وكان لا محيد عنه .  
وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم ؟  
فمن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده ، سلط عليهم أولاً ، ثم أدبوا  
عليه بعد ذلك وقتل داود جالوت ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾  
الآية وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل منجاريب وجنوده وعنه وعن غيره أنه  
بمختصر ملك بابل وقد وردت في هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها .  
وقد قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يجوزنا الله ولا  
رسوله إليهم ، واقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا ، سلط الله عليهم عدوهم  
فاستباح بيضتهم وأذهب وقهرهم جزاء وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد فإنهم كانوا قد  
تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ  
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ أي فعلها كما قال سبحانه : ﴿ ... وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ﴾ وقوله تعالى :  
﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ أي الكرة الآخرة أي أفسدتم الكرة الثانية وجاء أعداؤكم :  
﴿ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ أي يهينوكم ويقهروكم ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ﴾ أي بيت المقدس

﴿ كما دخلوه أول مرة ﴾ أي التي جاسوا فيها خلال الديار ﴿ ولينبروا ﴾ أي يدمروا ويخربوا ﴿ ما علوا ﴾ أي ما ظهروا عليه ﴿ تنبراً ﴾ عسى ربكم أن يرحمكم ﴿ أي فيصرفهم عنكم ، ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ أي متى عدتم إلى الإفساد ﴿ عدنا ﴾ إلى الإدالة عليكم في الدنيا مع ما ندره لكم في الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ أي مستقراً ومحصراً وسجناً لا يحيد لهم عنه وقال قتادة : قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحي محمد ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يديهم وهم صاغرون (١).

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿ (١٠) ﴾

مدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ ، وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ، ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجراً كبيراً أي يوم القيامة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أي يبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذاباً أليماً . أي يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ فيبشرهم بعذاب أليم ﴾ .

﴿ وَيَذَعُ الْإِنْسَانَ بِالْثَّرِّ دُعَاةُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (١١) ﴾

يخبر تعالى عن عجلة الانسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله

(١) قلت : ولقد عاد بنو إسرائيل في زماننا هذا إلى إفسادهم ، ولكن في هذه المرة لم يكن أمامهم أمة تنتمي الله تعالى وتحكم فيها حكومة وأمة وأفراداً بما أنزل الله في جميع شؤونها بل رأى اليهود أمامهم غداة كنهان السبل ضابوهم غلبة تنكرة وما ذلك إلا لأن الله تعالى نظر إلى هذه الأمة التي تدعى أنها أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإذا بها أبعد ما تكون عن دين محمد وتعاليم محمد : فقبتها وسلط عليها من هم أقدر الأمم وأجس الشعوب لتعتبر وتعود إلى منطلقاتها الأولى يوم نادى رسولها محمد صلى الله عليه وسلم بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، فان عادت إلى ذلك المنطلق ، أعاد الله فاستنبتها ومجدها وحزرها ... لا من اليهود نحسب ، بل من كل سلطة وراء اليهود ... !!! وجعلها كما كانت خير أمة أخرجت للناس .

بالشر أي بالموت والحلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه هلك بدعائه كما قال تعالى ﴿ ولو يجعل الله للناس الشر ﴾ وكذا فسره ابن عباس وغيره وقد تقدم في الحديث : ١٤ [ لا تدعوا على أنفسكم . ولا على أموالكم ان توافقوا من الله ساعة إجابة ينسجيب فيها ] وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجبه ولهذا قال تعالى : ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ .

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ (١٢)

بمَنُّ تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل ، ويتشروا في النهار للمعاش والأعمال والأسفار ، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والاجازات وغير ذلك ، ولهذا قال : ﴿ لتبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ أي في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك : ﴿ ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نهاراً واحداً لما عرف شيء من ذلك كما قال تعالى : ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تكون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ قال ظلمة الليل وسدف النهار قاله عبد الله بن كثير وقال مجاهد : الشمس آية النهار والقمر آية الليل .

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ (١٣) ﴿ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ (١٤)

يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ وطائره هو ما طار عنه من عمله : كما قال ابن عباس ومجاهد

وغيرهما من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه وكما يقول تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ ومكتوب في قوله تعالى : ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ أي يجمع له عمله في كتاب يعطاه يوم القيامة إما يمينه ان كان سعيداً ، أو بشماله ان كان شقيماً ، منشوراً أي مفتوحاً يقرأه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره ، ولهذا قال تعالى : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حبيباً ﴾ أي إنك تعلم أنك لم تغلظ ولم يكتب عليك إلا ما عملت ، لأنك ذكرت جميع ما كان منك ، ولا ينسى أحد شيئاً مما كان منه ، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأُمير . وقوله تعالى : ﴿ ألزمتنا طائره في عنقه ﴾ انما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له في الحمد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا يحيد له عنه . قال معمر ، وتلا الحسن البصري : ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ، ووتكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً ، اقرأ كتابك ... الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك . هذا من أحسن كلام الحسن ، رحمه الله .

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ  
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ  
رَسُولاً ﴾ (١٥)

يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق ، واقتضى أثر النبوة ، فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ﴿ ومن ضل ﴾ أي عن الحق ، وزاغ عن سبيل الرشاد فإنما يحني على نفسه ، والربال عليها ، ثم قال تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا يحمل أحد ذنب أحد ، كما قال تعالى : ﴿ وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ﴾ ولا ينافيه قوله تعالى : ﴿ ولينحملن أثقالهم وإنما مع أثقالهم ﴾ فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم ، وإثم آخر بسبب ما أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ، ولا يحمل عنهم شيئاً . وهذا من عدل الله ورحمته بعباده وكذا قوله تعالى :

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ إخبار عن عدله تعالى ، وأنه « لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه ، كقوله تعالى : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مآ نزل الله من شيء . إن أنتم إلا في ضلالٍ كبير ﴾ .

(١) قلت : الحمد لله الذي قال « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ولم يقل حتى نبعث نبياً رسولاً ؟ لأنه يمكن أن يكون رسول غير نبي ، وإليك البيان : لا شك مطعماً في حتم النبوة بعد محمد صل الله عليه وسلم ، وكذلك الرسالة المبينة على نبوة ، والمعنى أنه لم يعد نبي أو رسول نبي ، بعد محمد صل الله عليه وسلم . والمعروف أن النبوة هي تبليغ رجل من البشر بواسطة جبريل عليه السلام بأن الله اختاره نبياً وكلفه بشرع خاص به أما الرسول فهو النبي المكلف بشرع لنفسه ولقومه أو للناس كافة . فإذا قلنا قد انقضى زمن النبوات والرسالات بمحمد صل الله عليه وسلم ؛ هل يعني ذلك أنه انقضى أيضاً زمن التبليغ ؟ الجواب : لا ، فالتبليغ قائم من ينقطع حتى يوم القيامة ، والمبطلون الحقيقيون هم الذين وصلوا بشرع محمد صل الله عليه وسلم كاملاً تماماً إلى انقضاء ، أو يحدون لأمة أمر دينها على ما كان في زمن محمد صل الله عليه وسلم فخرج بذلك تبليغ غير شرع محمد صل الله عليه وسلم أو العمل به إذ كل شرع وكل عمل وكل هدي لا يستند إلى شرع وعمل وهدي محمد صل الله عليه وسلم فهو رد ... فإذا فهم هذا تبين أن كل من حمل هذه الشريعة المحمدية ، إلى أقوام ثم تبليغهم من قبل ... وبلغوهم إليها فهم حجة عليهم يوم القيامة ... بل وعمل كل من يسمعون بالدعوة أو يبلغونها ... فإذا علم أن الداعين هم حجة على المدعوين ... تبين واضحاً معنى قوله تعالى : « حتى نبعث رسولا » إذا فالرسول المعنى في هذه الآية هو الرسول النبي ، والرسول غير النبي ، إذ كل من حمل رسالة محمد صل الله عليه وسلم ليبلغوها فهم رسل إليهم ، وسعدون إن لم يتبعوهم . وكذلك شأن الذين يرسلهم الأنبياء والرسول إلى أقوام آخرين ... أو من يرسلهم شريعة النبي ويبلغها لمن تصبهم إن في حياة النبي أو بعدها داخلون تحت معنى الآية المتقدمة كحوار بني عيسى عليه السلام وكالمغناة الذين كانوا يبلغون دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وقسرين ساعدة الأيادي وغيرهم . ولنضرب لك مثلاً موضعاً وهو : لو أنك يا أخي القاريء المسلم ذهبت إلى أقوام لم يبلغوا الإسلام فقلت أنت تبليغهم الرسالة فمنهم من ارتدك ؛ ومنهم من عصاك وبقي على كفره ووثنيته ، فإذا قام يوم الحساب وقضى الله تعالى على من لم يتبعك منهم بالظاب فدانوا عن أنفسهم وقالوا : يا ربنا ثم فرس إلينا رسولاً يبلغنا الدعوة وأنت قلت يا رب في كتابك : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وأنت ثم تبعث لنا رسولاً فإذا قال لهم : كذبت بل أرسلت إليكم فلاحاً وسماكاً واستغفركم شأهاً عليهم بأنك بلغتهم فشهدت بما قمت من التبليغ ، ألا تكون أنت حجة عليهم ... ؟ ثم إذا عذبهم الله ، إلا يكون ذلك عدلاً ؟ أجل ... إنه العدل بعينه ... وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وانقضت حجبتهم وقامت حجة الله عليهم ... بإلهام الله لك بالذهاب إليهم ودموتهم إلى الإسلام وقد ذهبت وبلغت وقامت بك حجة الله ، إذا فأنت الرسول الذي بك أمن الطائون منهم من العذاب والرسول الذي بك حق العذاب على العصاة فأنت ولا شك رسول الدعوة إليهم . وكذلك إذا وصلهم كتاب يشرح لهم الإسلام فهو رسول لهم ، أو سمعوا بالتدبير عن الإسلام والعقيدة الإسلامية ، فكل ذلك تقوم به الحجة . إذن ... فأنت رسول ... والكتاب رسول ... وصوت المذيع رسول ... بمعنى مبلغ الرسالة والله تعالى أعلم .



وأما ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ١٥ [ « اختصمت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال : « وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحداً وأنه ينشئ للنار خلقاً فيلقون فيها فتضول هل من مزيد ؟ ثلاثاً ] وذكر تمام الحديث فهذا إنما جاء في الجنة لأنها ، دار فضل : وأما النار فإنها دار عدل لا يدخلها أحد إلا بعد الإعذار إليه وقيام الحججة عليه . وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا : لعله انقلب على الراوي بدليل ما أخرجه في الصحيحين . واللفظ للبخاري من حديث عبد الرزاق بن معمر عن هشام عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : تحاجت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال : ١٦ [ ... فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع فيها قدمه فتقول : قط قط . فهناك تمتلئ . ويتروى بعضها إلى بعض . ولا يظلم الله من خلقه أحداً . وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً ... ]

وهناك مسألة اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى قديماً وحديثاً فيها وهي: الولدان الذين ماتوا صغاراً وآبائهم كفار : ماذا حكمهم ؟ وكذا المجنون والأصم والشيخ الحرف ومن مات في الفترة ولم تبلغه الدعوة فقد ورد في شأنهم أحاديث تذكرها بعون الله وتوفيقه ثم نذكر ملخصاً من كلام الأئمة في ذلك والله المستعان .

روى الإمام أحمد عن الأسود بن سريع أن رسول الله ﷺ قال : ١٧ [ أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول : رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالمر ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أناني لك رسول ، فيأخذ مواليهم لطبيعتهم فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ] . وبالاستناد عن قتادة إلى أبي هريرة مثله غير أنه قال في آخره ١٨ ( « ... فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها » [ روى الحافظ أبو يعلى الموصلي عن البراء بن عازب قال : ١٩ [ سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين قال : هم مع آبائهم وسئل عن أولاد المشركين فقال : « هم مع آبائهم » فقل يا رسول الله ما يعملون ؟ قال : « الله أعلم بهم » ] .

روى هشام بن عمار بسنده إلى معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ : ٢٠ [ « يؤتى يوم القيامة بالمسوخ عقلاً وبالهاك في الفترة . وبالهاك صغيراً ، فيقول المسوخ : يا رب لو أتيتني عقلاً ما كان من آتيتني عقلاً بأسعد مني » وذكر في المالك في الفترة والصغير

نحو ذلك فيقول الرب عز وجل إني آمركم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون نعم ، فيقول : إذهبوا فادخلوا النار قال : ولو دخلوها ما ضرهم ، فتخرج عليهم قوابص فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء ، فيرجعون سراعاً ، ثم يأمرهم الثانية ، فيرجعون كذلك ، فيقول الرب عز وجل قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون ، وعلى علمي خلقتكم ، وإلى علمي تصيرون ، ضميهم ، فتأخذهم النار . [

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال :  
 ٢١ [ كل مولود يولد على الفطرة : فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ] وفي رواية قالوا : ٢٢ [ يا رسول الله ، أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ] .

روى الإمام أحمد عن موسى بن داوود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما أعلم - شك موسى - قال ٢٣ [ ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام ] وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل انه قال :  
 ٢٤ [ إني خلقت عبادي حنفاء ] وفي رواية : ( مسلمين ) .

روى الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخاري من حديث عوف الأعرابي بسنده إلى سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٥ [ كل مولود يولد على الفطرة فناداه الناس : يا رسول الله ، وأولاد المشركين ؟ قال « وأولاد المشركين » ]  
 روى الطبراني عن سمرة قال : ٢٦ [ سألت رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال « هم خدم أهل الجنة » ] .

روى أحمد عن خنساء بنت معاوية عن نبي صويم قالت : حدثني عمي قال قلت :  
 ٢٧ [ يا رسول الله من في الجنة ؟ قال : النبي في الجنة ، والشهد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والوثيد في الجنة ] .

فمن العلماء من ذهب إلى الوقوف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري ٢٨ [ انه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل : هذا إبراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين ، قالوا : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : « نعم وأولاد المشركين » ] ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام « هم مع آباؤهم ومنهم من ذهب أنهم يتمتعون يوم القيامة في العرصات ،

(١٧- الاسراء - ج ١٥) : كَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ أَشْرَفَ الرُّسُلِ ، فَصَارَ وَأُولَىٰ بِالْعُقُوبَةِ مِمَّنْ سَبَقَهُمْ ١٩

فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ومن عصى دخل النار داخراً وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة . هذا القول يجمع بين الأدلة كلها ، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض ، وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد ، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد . ولعلم أن الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء في أنهم من أهل الجنة ، وهذا هو المشهور وهو الذي تقطع به إن شاء الله عز وجل .

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١٦)

اختلف القراء في قراءة قوله تعالى : ﴿ أَمَرْنَا ﴾ فالمشهور قراءة التخفيف والمعنى : أمرناهم بالطاعات فعملوا الفواحش ، فاستحقوا العقوبة رواه ابن جريج عن ابن عباس .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (١٧)

يقول تعالى منذراً كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ بأنه قد أهلك أمماً من المكذبين للرسول من بعد نوح ودل هذا على ان القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام كما قاله ابن عباس ومعناه أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق فمقربكم أولى وأحرى . وقوله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ أي هو عالم بجميع أعمالهم : خيرها وشرها لا يخفى عليه خافية سبحانه وتعالى .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ

الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ  
مَشْكُورًا ﴿١٩﴾

يغير تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل عليه ، بل إنما يحصل لمن أراد الله و ما يشاء وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات ، فانه قال عز وجل ﴿ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم ﴾ أي في الدار الآخرة ﴿ يصلها ﴾ أي يدخلها حتى تغمره ﴿ مذموماً ﴾ من سوء تصرفه وصنيعه ، إذ اختار الفاني على الباقي ﴿ مدحوراً ﴾ مقصياً حقيراً مهاناً .

روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :  
٢٩ [ الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، وطا يجمع من لا عقل له ]  
وقوله تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة ﴾ أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور ﴿ وسمى لها سعيها ﴾ أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ ﴿ وهو مؤمن ﴾ أي قلبه مؤمن أي مصدق بالشواب والجزاء ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ .

﴿ كَلَّا نُمِدُّ هُوًّا لَهُ وَهُوَ لَاءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ  
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (٢٠) أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ  
وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى : ﴿ كَلَّا ﴾ أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة نلدهم فيما فيه ﴿ من عطاء ربك ﴾ أي يعطي كلاً ما يستحقه من السعادة والشقاوة ﴿ وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ أي ممنوعاً ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ في الغنى والفقير والحسن والقيبح ، ومن يموت صغيراً ومن يعمر حتى يشيخ وما بين ذلك ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ أي لتفاوتهم في الدار الآخرة ، فمن يكون في درجات جهنم وأغلاها ومن يكون في الدرجات العلى ونعيمها وسرورها ثم أهل الدرجات يتفاوتون كما أهل الدرجات يتفاوتون : فإن الجنة مائة درجة ، وما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وفي الصحيحين ٣٠ : [ ان أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء ] ولهذا قال تعالى :

﴿ وللآخرة أكبر درجاتٍ وأكبر تفضيلاً ﴾ .

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾ (٢٢)

المراد المكلفون من الأمة فيقول تعالى : لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربك شريكاً له ﴿ فتقع مذموماً ﴾ أي على إشتراكك به ﴿ مخذولاً ﴾ لأن الرب تعالى لا ينسرك بل يكللك إلى الذي عبت معه ، وهو لا يملك لك ضراً ولا نفعاً ، لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وقد روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ٣١ [ من أصابته فاقة فأنزها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزها بالله أرسل الله له بالغي إما عاجلاً ، وإما غني عاجلاً ] .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤)

يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له ، فإن القضاء ما هنا بمعنى الأمر ولهذا قرن بعبادته برّ الوالدين ، فقال سبحانه : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ أي وأمر بالوالدين إحساناً كقوله تعالى : ﴿ أنواشكر لي ولوالديك إلى المصير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ﴾ أي لا تسعها قولاً سيئاً حتى التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء ﴿ ولا تنهرهما ﴾ أي لا تفعل قبيحاً معهما ، ولا تنفض يدك عليهما ، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح ، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال عز من قائل : ﴿ وقل لهما قولاً كريماً ﴾ أي ليناً حسناً طيباً بتأدب وتوقير وتعظيم ، ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ أي تواضع لهما بفعلك ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ أي ارحمهما في كبرهما وعند وفاتهما قال ابن عباس : ثم انزل الله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ .

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث المروي عن أنس وغيره من طرق : ٣٢ [ ان النبي ﷺ صعد المنبر ثم قال : آمين آمين آمين ، قيل يا رسول الله علام ما أمنت ؟ قال : أنا في جبريل فقال : يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم ينفّر له ، قل : آمين ، فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل ادرك والديه أو أحدهما فلم يدخله الجنة ، قل آمين ، فقلت آمين ] .

روى الإمام أحمد عن أبي أسيل وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال : ٣٣ [ بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يا رسول هل بقي علي من بر أبي شيء بعد موتها أبرهما به ؟ قال : نعم خصال أربع : الصلاة عليهما ، والاستخفاف لهما وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقيهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلها ، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتها ] ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل به .

• روى الإمام أحمد عن معاوية بن جهم : ٣٤ [ جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أردت الغزو وجنتك استشيرك فقال : هل لك من أم ؟ قال نعم قال : فآزرهما فان الجنة عند رجلها ، ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول . ] ورواه عن المقدم بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال ٣٥ [ إن الله يوصيكم بآبائكم ان الله يوصيكم بأمهاتكم ان الله يوصيكم بأمهاتكم . ان الله يوصيكم بأمهاتكم ، ان الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب ] . واخرجه ابن ماجه .

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴿ ٢٥ ﴾

قال سعيد بن جبیر : هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبيه لا يريد إلا الخير بذلك أي في نيته وقلبه لا يريد إلا الخير ، فقال تعالى ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ أي للذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ، ويصيرون الذنب ثم يتوبون قاله سعيد بن المسيب . وقال عبد الرزاق عن عبيد بن عمير قال : كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا . قال ابن جرير : هو النائب من الذنب ، الرجوع من المعصية إلى الطاعة ، وهذا الذي قاله هو الصواب ، لأن الأواب مشتق من الأوب وهو الرجوع قال تعالى :

﴿ إن لنا إليهم ﴾ وفي الحديث الصحيح [ إن رسول الله ﷺ كان إذا رجع من سفر قال : ٣٦ [أيون تايون عايون لربنا حامدون] .

﴿ وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٢٦) ﴿ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (٢٧) ﴿ وَإِنَّمَا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ (٢٨) ﴿

لما ذكر الله تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام وفي الحديث : ٣٧ [ أمك وأباك ثم أدناك أدناك ] وفي رواية : ( ثم الأقرب فالأقرب ) وفي الحديث ٣٨ [ من أحب أن ييسر له في رزقه ويسأله في أجله فليصل رحمه ] .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تبذر تبذيراً ﴾ لما أمر بالأنفاق ، نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطاً كما قال عز من قائل : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ ثم قال منقراً من التبذير والسرف : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ أي أشباههم في ذلك في التبذير والسرف وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال سبحانه : ﴿ وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ أي جحوداً لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته قال ابن مسعود : التبذير الأنفاق في غير حق وكذا قال ابن عباس . وقال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً .

وقوله تعالى : ﴿ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ﴾ الآية أي إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شيء . وأعرضت عنهم لغفد النفقة ﴿ فقل لهم قولاً ميسوراً ﴾ أي عدهم وعداً بسهولة ولين ، إذا جاء رزق الله فنصلكم إن شاء الله كما فر ذلك مجاهد وعكرمة وغير واحد .

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢٩) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (٣٠) ﴿

يأمر تعالى بالاقتصاد في العيش ويذم البخل، وينهي عن السرف : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ أي لا تكن بجيلاً لا تعطي أحداً شيئاً ﴿ ولا تبسطها كالبيط ﴾ أي ولا تسرف في الإنفاق . فعطي فوق طاقتك ، فتعقد إن بخلت ملوماً بلوموتك وبذموتك وحتى بسطت يدك فوق طاقتك ، قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهي الدابة التي عجزت عن السير فوقفت ضعفاً وعجزاً . فانها تسمى الحسير ، وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ يقول : ٣٩ [ مثل البخل والمنفق كمثل رجلين عليهما جتان من حديد من تديهما إلى تراقيهما . فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو فرقت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسمها فلا تنسع ] هذا لفظ البخاري في الزكاة .

وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول الله ﷺ : ٤٠ [ أنفقي هكذا وهكذا وهكذا ولا توعي فيوعي الله عليك ولا توكي فيوكي الله عليك ] وفي لفظ ( ولا تعصي فيحصي الله عليك ) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤١ [ ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً . ويقول الآخر اللهم أعط ممكاً تلفاً ] وروى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : ٤٢ [ ما نقص مال من صدقه . وما زاد الله عبداً نفق إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه الله .

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٣ : [ ما عان من اقتصد ] وقوله تعالى : ﴿ إن ربك يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ إخبار أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء ، فيعني من يشاء ، ويفقر من يشاء بحسب حكته . ولهذا قال جل وعلا : ﴿ إنه كان عياده خبيراً بصيراً ﴾ أي بمن يستحق الغنى ، ويستحق الفقر . كما جاء في الحديث : ٤٤ [ إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ] وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً ، والفقر عقوبة . عياداً بالله من هذا وهذا .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ

إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (٣١)



هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده لأنه نهي عن قتل الأولاد كما أوصى الآباء بالأولاد في الميراث ، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لثلاً تكثرت عياله ، فنهى الله عن ذلك وقال جل وعلا : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾ أي مخافة أن تفترقوا في ثاني الحال ، ولهذا قدم الاحتياط برزقهم فقال جل جلاله : ﴿ ونحن نرزقهم وإياكم ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴾ أي ذنباً عظيماً . وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قلت : ٤٥ [ يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن يجعل لله نداً وهو خلقك » قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت : ثم أي قال : « أن تزاني بحليلة جارك » ]

### ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢٢)

يقول تعالى ذاهياً عباده عن الزنى وعن مقارنته ومخالطة أسبابه ودواعيه ... ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ﴾ أي ذنباً عظيماً ﴿ وساء سبيلاً ﴾ أي وبس طريقاً ومسلكاً . وقد قال الإمام أحمد عن أبي أمامة : ٤٦ [ إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنى فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه ، فقال : « أدنه » فدنا منه قريباً . فقال : « إرجس » فجلس فقال « أتجبه لأمتك » قال : لا والله جعلني الله فداك قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » . قال أفتجبه لابتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » . قال « أفتجبه لأختك ؟ » قال لا والله جعلني الله فداك قال « ولا الناس يحبونه لأخواتهم .. » قال « أفتجبه لعمتك » ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لعماتهم » ، قال « أفتجبه لخالتك » قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » قال فوضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه ، وأحصن فرجه » قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء . ]

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (٢٣)

سبحان الله عن قتل النفس بغير حق شرعي كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : ٤٧ [ لا يخل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس . والزاني المحصن . والتارك لدينه المفارق للجماعة ] . وفي السنن : ٤٨ [ لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم . ] وقوله تعالى : ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ﴾ أي سلطنة على القاتل . فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله فوراً . وإن شاء عفا عنه على الدية . وإن شاء عفا عنه مجاناً ، كما ثبت ذلك بالسنة وقوله تعالى : ﴿ فلا يسرف في القتل ﴾ قالوا : معناه فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثله به أو يقتصر من غير القاتل . وقوله تعالى : ﴿ إنه كان منصوراً ﴾ أي أن الولي منصور على القاتل شرعاً وغالباً وقدرأ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَثْوًى لِّكُلِّ شَيْءٍ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ (٢٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ مِيزَانًا بِالْقِطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ (٢٥) ﴾

بقول تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ﴾ أي لا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بالعبطة ﴿ ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ﴾ وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر : ٤٩ [ يا أبا ذر إنني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين . ولا تولين مال يتيم ] وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ أي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها فإن العهد والعقد كل منهما يُسأل صاحبه عنه ﴿ إن العهد كان مسؤولاً ﴾ أي عنه . وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلمتم ﴾ أي من غير تظنيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴿ وزنوا بالقسط ﴾ قرئ بضم القاف وكسرها . كالقسط وهو الميزان وقوله تعالى : ﴿ المستقيم ﴾ أي الذي لا انحراف فيه ولا اضطراب ﴿ ذلك خير ﴾ أي لكم في معاشكم ومعادكم . ولهذا قال : ﴿ وأحسن تأويلاً ﴾ أي مآلاً ومثلاً في آخرتكم .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٢٦)

﴿ ولا تقف ﴾ أي لا تقل ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ أي لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم ، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله وقوله تعالى : ﴿ كل أولئك ﴾ أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿ كان عنه مسؤولاً ﴾ أي سيأل العبد عنها يوم القيامة ، وتساءل عنه وعمّا عمل فيها .

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ  
وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٢٧) ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ  
مَكْرُوهًا ﴾ (٢٨)

ينهي الله تعالى عباده عن التجبر والتبختر في المشية ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ أي مشي الجبارين ﴿ إنك لن تخرق الأرض ﴾ أي لن تقطع الأرض بمشيتك وقوله تعالى : ﴿ وإن تبلغ الجبال طولاً ﴾ أي بفضرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازي فاعل ذلك بتفيض قصاده وفي الحديث : ٥٠ [ من تواضع لله رفعه الله ، فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير حتى هو أبغض إليهم من الكلب والخنزير ] .

نظر الحسن إلى رجل هو الأهم ويريد المنصور وعليه جباب غر متضود بعضها فوق بعض وهو يمشي ويتبختر فقال له الحسن : أف أف شامخ بأنته ، ثاني عطفه مصعّر خده ... أي أحيمن ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة : غير المأخوذ بأمر الله فيها . ولا المؤدي حق الله منها .. فسمعه ابن الأهم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلي ونب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض وإن تبلغ الجبال طولاً ﴾ .

ورأى ابن عمر رجلاً يخطر في مشيته فقال : إن للشياطين إنخواناً ، وقوله تعالى : ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ﴾ أي كل هذا الذي ذكرناه من قوله تعالى :

﴿ وقضى ربك ان لا تعبدوا إلاَّ إياه ﴾ إلى قوله ﴿ ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ فسبته ...  
أي فقيحه مكروه عند الله ، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله .

﴿ ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ  
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (٣٩)

يقول تعالى : هذا الذي أمرناك به من الأخلاق العالية ، وسبناك عن الصفات الرذيلة ،  
بما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس ، ﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً  
مدحوراً ﴾ المراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ فإنه صلوات الله وسلامه  
عليه معصوم .

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ  
لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ (٤٠)

يقول تعالى راداً على المشركين الكاذبين الزاعمين أن الملائكة بنات الله . ألا لعنهم الله  
فقد جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً . ثم ادعوا أنهم بناته . ثم عبدوهم  
فأخطأوا في المقامات الثلاث خطأ عظيماً ، فقال تعالى منكرأ عليهم : ﴿ أفأصفاكم ربكم  
بالبنين ﴾ أي خصصكم بالذكور ﴿ واتخذ من الملائكة إناثاً ﴾ أي واختار لضمه على  
زعمكم البنات . ثم شدد الإنكار عليهم فقال سبحانه : ﴿ إنكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾  
أي في زعمكم ان لله ولداً ثم جعلكم ولده الاناث التي تأنفون أن يكن لكم وربما قتلتموهن  
بالوأد . فذلك إذا قسمة ضيزي ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر  
الجبال هدأً أن دعوا للرحمن ولداً . وما بنىي للرحمن أن يتخذ ولداً ... ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ  
إِلَّا نُفُورًا ﴾ (٤١)

هذه الآية كما قال تعالى : ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ أي  
صرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يذكرون ما فيه من الحجج والبيانات والمواعظ فينجزوا

عامةً فيه من الشرك والظلم والإفك ﴿ وما يزيدهم ﴾ أي الظالمين منهم ﴿ إلاّ نفوراً ﴾ أي عن الحق وبعداً منه .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَإِنتَفَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ (٤٢) ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٤٣)

يقول تعالى : قل يا محمد هؤلاء الذين يقولون أن مع الله آلهة يعبدونها من دونه لتضربهم إليه وتشفع لديه .. ليس الأمر كما تقولون ... إنما المعبودون الذين تعبدونهم . هم أنفسهم يعبدون الله ويتقربون إليه . ويتفون إليه الوسيلة فاعبدوه أنتم وحده كما يعبد من تدعونهم من دونه . ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه ، فإنه سبحانه لا يحب ذلك ولا يرضاه . وقد نهي عنه على السنة جميع رسله وأنبياؤه . ثم نزه نفسه الكريمة فقال عز من قائل : ﴿ سبحانه عما يقولون ﴾ أي هؤلاء المشركون المعتدون ﴿ علواً كبيراً ﴾ أي تعالياً كبيراً بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

﴿ تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا غُفُورًا ﴾ (٤٤)

يقول تعالى : تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن من المخلوقات وتزمره وتعظمه وتكبره عما يقول المشركون ، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

روى الطبراني عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ قال لما رجع ليلة أسري به : ٥١ [ سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا ، سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى ] .

وقوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ﴾ أي كل مخلوق يسبح بحمد الله ،

﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ لأنه بخلاف لغاتكم ، وهذا عام في الحيوانات والحماذات والنباتات وهذا أشهر القولين ؛ كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود انه قال : ٥٢ [ كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . ] وفي حديث أبي ذر : ٥٣ [ أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسُمع لمن تسبيح كحنين النحل ... ] وفي سنن النسائي عن عبدالله بن عمر قال : ٥٤ : [ سئ رسول الله ﷺ عن قتل الضفادع ، وقال : « نقيقتها تسبيح » وروى الامام أحمد عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ في الحديث الذي يذكر فيه وصية نوح لولديه ... إلى أن قال عليه السلام : ٥٥ ... [ وأمر كما سبحانه الله وبحمده ، فلأنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ] قال عكرمة : الاسطوانة تسبيح ، والشجرة تسبيح وقال بعض السلف صرير الباب تسبيحه ، خريير الماء تسبيحه وقال الثوري الطعام يسبح . وقال آخرون : إنما يسبح من كان فيه روح ، يعنون من حيوان ونبات (١) ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾ أي انه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره ، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء في الصحيحين : ٥٦ [ « ان الله ليحلي لاظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴾ ) ومن أفلح عما هو فيه من كفر وعصيان ، ورجع إلى الله وتاب إليه تاب عليه . كما قال تعالى : ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ وقال ما هنا : ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾ .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ (٤٥) ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ (٤٦) ﴿

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ : واذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن ، جعلنا بينك وبينهم حجاباً مستوراً أي حائلاً ساتراً عن الأبصار فلا تراه ، وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى . ومال إلى ترجمحه ابن جرير رحمه الله وقال قتادة وابن زيد هو الأكنة على قلوبهم وهي جمع كنان الذي يغشي القلب ولهذا قال تعالى ﴿ وجعلنا على

(١) قلت : قوله تعالى : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » عام يشمل ذي الروح وغير ذي الروح .

قلوبهم أكثنته أن يفقهوه ﴿ أي لثلا يفهموا القرآن ﴾ وفي آذاتهم وقرأ ﴿ وهو الثقل الذي يمنهم من سماع القرآن سماعاً يفهمهم ويبتدون به وذلك جزاء إعراضهم عنه وكفرهم به وقوله تعالى : ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ﴾ أي إذا قلت في تلاوتك : لا إله الا الله ﴿ ولتوا ﴾ أي أدبروا راجعين ﴿ على أديبارهم نفوراً ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشعزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ وقد أبى الله الا أن يعلي هذه الكلمة الطيبة ، ويظهرها على من ناوأها . إنها كلمة من خاصم بها فليج ، ومن قاتل بها نصر .

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ  
تَجَوَّىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (٤٧)  
أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (٤٨) ﴿

يخبر تعالى بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته ﷺ سراً من قومهم بما قالوا من أنه رجل مسحور ، من السحر المشهور ، فمنهم من قال : شاعر ، ومنهم من قال : كاهن ، ومنهم من قال : مجنون ، ومنهم من قال : ساحر . ولهذا قال تعالى : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ أي فلا يبتدون إلى الحق ولا يجلدون إليه مخلصاً . قال محمد بن اسحق في السيرة ما خلاصته : أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا يستمعوا من رسول الله وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل واحد مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فبعثتهم الطريق... تلاوموا وتكرّر هذا منهم ثلاثاً ثم أتى الأخنس أبا سفيان في بيته ، فقال اخبرني يا أبا حنظلة عن رأيتك فيما سمعت من محمد . قال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها فقال الأخنس وأنا والذي حلفت به . ثم خرج الأخنس حتى أتى أبا جهل فقال : يا أبا الحكم ما رأيتك فيما سمعت من محمد ؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجأنا على الركب وكنا كغرمي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الرحي من السماء فمضى ندرك هذه... ؟ والله لا تؤمن به أبداً ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنس وتركه .



﴿ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا ؕ إِنَّا لَنَبْعُوثُوهَا خَلْقًا  
 جَدِيدًا ﴾ (٤٩) ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ (٥٠) ﴿ أَوْ خَلْقًا  
 مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمُ أَوَّلَ  
 مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ  
 يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ (٥١) ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ  
 إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٥٢) ﴿

يخبر تعالى عن الكفار المستعدين وقوم المعاد والمستكرين حدوثه بقولهم : ﴿ أنذا  
 كنا عظاماً ورفاتاً ﴾ أي تراباً وغباراً ﴿ أنذا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ أي يوم القيامة بعد  
 البلاء والعدم ؟ ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً ﴾ إذ هما أشد امتناعاً من العظام والرفات  
 ﴿ أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ﴾ قال ابن عباس : هو الموت والمعنى انه لو امتحلت  
 بعد الموت لا إلى عظام ورفات فحسب بل لو امتحلت إلى حجارة أو حديد لأحياكم الله  
 حتى لو أنكم صرتم موتاً بذاته لجلعكم أحياء إذا شاء ومنى شاء فإنه لا يمنع عليه شيء  
 إذا أراده . وقوله تعالى : ﴿ فيقولون من يعيدنا ﴾ أي من يعيدنا إذا كنا حجارة  
 أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً ﴿ قل الذي فطركم أول مرة ﴾ أي الذي خلقكم ولم  
 تكونوا شيئاً مذكوراً ثم صرتم بشراً تنتشرون، فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي  
 حال ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فينغضون  
 إليك رؤوسهم ﴾ أي يحركونها استهزاء وهذا الذي تعرفه العرب من لغاتها .

وقوله تعالى : ﴿ ويقولون متى هو ﴾ إنخبار عنهم بالاستعداد منهم لوقوع ذلك ،  
 كما قال تعالى : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل عسى  
 أن يكون قريباً ﴾ أي احذروا ذلك فإنه قريب إليكم سيأتيكم لا محالة ، وقوله تعالى :  
 ﴿ يوم يدعوكم ﴾ أي الرب تبارك وتعالى إذا أمركم بالخروج من الأرض فإنه لا يخالف  
 ولا يمنع بل كما قال تعالى : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ أي انما هو أمر واحد  
 فلذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ﴿ فتستجيرون بحمده ﴾ أي تقومون  
 كلكم إجابة لأمره وطاعة لإرادته ، وله الحمد في كل حال . وقد جاء في الحديث :



٥٧ [ ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ، كأنني بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون لا إله إلا الله ] وفي رواية يقولون : ٥٨ [ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ] وقوله تعالى : ﴿ وَتَنْظُرُونَ ﴾ أي يوم القيامة من قبوركم ﴿ إِنْ لَشِمَّ ﴾ أي في المدار الدنيا ﴿ إِلَّا غَلَبَا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ .

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ  
بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (٥٣)

بأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباده المؤمنين ألا يتكلموا إلا بالكلام الحسن والكلمة الطيبة وإلا نزع الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ، وأوقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ، إذ أن عداوته ظاهرة من لدن آدم ولهذا سمى ان يشير المسلم إلى أخيه المسلم بالسلاح فإن الشيطان ينزع (١) في يده أي فر بما أصابه بها . روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار ] أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْتَحِمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأُ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا  
أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (٥٤) ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ  
زَبُورًا ﴾ (٥٥)

يقول تعالى : ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ أيها الناس أي أعلم بمن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ﴿ إن يشأ يرتحمكم ﴾ بأن يوفقكم إلى طاعته والإنابة إليه ، ﴿ أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك ﴾ يا محمد ﴿ عليهم وكيلاً ﴾ أي إنما أرسلناك تذكيراً ، فمن

(١) النزغ : وسوسة الشيطان . نزغته : طعنه بيد أو رجع . حركة أدنى حركة .

أطاعك دخل الجنة . ومن عصاك دخل النار . ﴿ وربك أعلم بمن في السموات والأرض ﴾ أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية . ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ كما قال تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ لا تفضلوا بين الأنبياء ﴾ [ فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشبه والعصية لا بمقتضى الدليل ، فإذا دلّ الدليل على شيء . وجب اتباعه . ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ وفي الشورى في قوله تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم ، ثم بعده إبراهيم ثم موسى ، ثم عيسى عليهم السلام على المشهور . وقد بطلناه بدلائله في غير هذا الموضع ، والله الموفق وقوله تعالى : ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ تنبيه على فضله وشرفه . والزبور الكتاب الذي نزل على داود ﷺ

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (٥٦) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (٥٧) ﴿

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ ادعوا الذين زعتم من دونه ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿ ف ﴾ إنهم ﴿ لا يملكون كشف الضر عنكم ﴾ أي بالكلية ، ﴿ ولا تحويلاً ﴾ أي ولا يحولونه إلى غيركم ، والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر . وقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ قال قتادة عن ابن مسعود قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نقرأ من الجن ، فأسلم الجنون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فنزلت هذه الآية ... وقيل : الملائكة والعرزير والمسيح ، وقيل الشمس والقمر ، والصحيح الذي اختار ابن جرير قول ابن مسعود ، لقوله تعالى :

﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ وهذا لا يعبر به عن الماضي ، فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة ... وقال : الوسيلة هي القرية. قال قتادة : ولهذا قال تعالى : ﴿ أئبهم أقرب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء ؛ فبالخوف ينكف عن المناهي ، وبالرجاء يكثّر من الطاعات . وقوله تعالى : ﴿ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ أي ينهي أن يحذر منه ، ويخاف وقوعه وحصوله ، عباداً بالله منه .

﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (٥٨)

هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ : انه ما من قرية كفرت إلا سيهلكها الله بأن يبئد أهلها جميعهم ، أو يعذبهم عذاباً شديداً ﴿ أما يقتل أو ابتلاء بما يشاء ، وذلك بسبب خطاياهم . كما قال تعالى : ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ .

﴿ وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُزِيلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلَؤُونَ وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّارَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُزِيلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخَويفًا ﴾ (٥٩)

روى الامام أحمد عن ابن عباس ، قال : ٦١ [ قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهاباً ، ونؤمن بك . قال « وتفعلون » قالوا : نعم . قال : فدعا فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهاباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم ابواب التوبة والرحمة ، فقال : « بل باب التوبة والرحمة » .

وروى الحافظ ابو يعلى عن ام عطاء مولاة الزبير بن العوام حديثاً أطول وبنفس المآل إنما قالت اخيراً بروايتها عن الزبير عنه ﷺ : ٦٢ [ ... « والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتكم ولو شئت لكان ، ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم

وبين أن يكللكم إلى ما اخترتم لأنفسكم ففضلوا عن باب الرحمة ، فلا يؤمن منكم أحد ، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ، ونزلت : ﴿ وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ [ والمعنى إن الله تعالى لم يرسل الآيات التي طلبها المشركون من قريش إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها ، وجرت سنته تعالى فيهم وفي أشغالهم . أنهم لا يؤخرون إن كذبوا بها بعد نزولها كما قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ وقال تعالى عن ثمود حين سألوها آية ناقة تخرج من صخرة عينها فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوا ... ، فلما ظلّموا بها أي كفروا بمن خلقها وأخرجها ، وكذبوا رسوله وعقروها ، فقال : ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾ أي دالة على من خلقها وأنه الواحد الأحد ، وصدق رسوله الذي أجيب دعاؤه فيها ﴿ فظلموا بها ﴾ أي كفروا بها ومنعوا شربها وقتلوا فأبادهم الله عن آخرهم وانتقم منهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

وقوله تعالى : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ قال قتادة : إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلمهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ، ذكر لنا ان الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه ، فقال : يا أيها الناس إن ربكم يستعجبكم فأعتبروه . وهكذا روي أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرات ، فقال عمر : أحدثتم والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ (٦٠) ﴿

بمعرض تعالى رسوله ﷺ على تبليغ رسالته ، ويخبره بأنه قد عصمه من الناس فالكل في قبضته وذلك بقوله ﴿ وإذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس ﴾ : أي عصمك منهم . وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ الآية قال البخاري عن ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ﴿ والشجرة الملعونة

في القرآن ﴿ شجرة الزقوم ، وكذا رواه احمد وعبد الرزاق ، وغيرهما عن سفيان بن عيينه به . وكذا العوفي عن ابن عباس ، وقد رجح أناس من المسلمين عن دينهم بعدما كانوا على الحق لأنه لم تتحمل قلوبهم وعقولهم معجزة الاسراء فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، وجعل الله ذلك ثباتاً وبقيناً لآخرين ولهذا قال : ﴿ إلا فتنة ﴾ أي اختباراً وامتحاناً ، وكل من فسر ﴿ الرؤيا التي أرىناك ﴾ ليلة الاسراء ﴿ والشجرة الملعونة ﴾ بشجرة الزقوم ولهذا اختار ابن جرير ان المراد بذلك ليلة الإسراء وان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم قال : لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أي في الرؤيا والشجرة وقوله تعالى ، ﴿ وتنفوهم ﴾ أي الكفار بالوعيد والعذاب والتكاليف ﴿ فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ أي تمادياً في الكفر والفضلال وذلك من خذلان الله لهم .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ هَـ أَنَسَجِدُ لِمَنْ خَلَقَ طِيناً ۝ (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ۝ (٦٢) ﴾

يذكر تعالى عداوة ابليس لعنه الله لآدم وذريته ، وأنها قديمة منذ خلق آدم وامتناع ابليس عن السجود له تكبراً واحتقاراً ﴿ أسجد لمن خلقت طيناً ﴾ كما قال تعالى : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ وقال أيضاً متجرباً على الرب والرب يعلم وينظر : ﴿ قال أراءتلك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلاً ﴾ أي لئن أنظرتني لأضلن ذريته إلا قليلاً منهم .

﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً ۝ (٦٣) وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ۝ (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ۝ (٦٥) ﴾

لما سأل إبليس النظرة قال تعالى : ﴿ اذهب ﴾ فقد أنظرتك كما قال تعالى : ﴿ فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ ثم أوعده ومن تبعه من ذرية آدم جهنم قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ﴾ أي على أعمالكم ﴿ جزاء موفوراً ﴾ أي لا ينقص لكم منه شيء .

وقوله تعالى : ﴿ واستغزوا من استطعت منهم بصوتك ﴾ قال ابن عباس : كل داع إلى معصية الله عز وجل واختاره ابن جرير ، وقيل هو الغناء والنهر .

وقوله تعالى : ﴿ وأجلب عليهم بحيلك ورجلك ﴾ أي كل راكب وماش في معصية الله ، واحمل عليهم يخنو ذلك خيالهم ورجلتهم وتسلط عليهم بكل ما تقدر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزراً ﴾ أي تسرقهم إلى المعاصي سوقاً .

وقوله تعالى : ﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾ أما مشاركة الأموال فهو ما حرمه من أنعامهم من البحائر والسوابب وما أمرهم به من إنفاق الأموال في معاصي الله تعالى ، وكل مال جمع من خبيث وأنفق في حرام . أما الأولاد : فكل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو يادخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو بقتله ، أو وأده أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بفعله فقد دخل في مشاركة إبليس . فكل ما عصى الله فيه أوبه أو أطع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة . فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ وعلى آله قال ٦٣ : [ لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً ] .

وقوله تعالى : ﴿ وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول إذا حصص الحق يوم يقضي بالحق : ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ إخبار بتأييده تعالى لعباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى : ﴿ وكفى بربك وكيلاً ﴾ أي حافظاً ومؤيداً ونصيراً .

﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ

فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً • (٦٦) ﴿



بِسَحَرٍ نَعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴿ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ لَا تَعْبُدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا ﴾ أَي نَاصِرًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَنْكُمْ وَيُنْقِذُكُمْ مِنْهُ .

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَعْبُدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ (٦٩)

يقول تبارك وتعالى : أم أنتم أيها المعرضون عنا بعدما اعترقتم بتوحيدنا في البحر وخرجتم إلى البر أن يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفاً من الريح يقصف الصواري ويفرق المراكب ﴿ فيغرقكم بما كفرتم ﴾ أي بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى . وقوله جل وعلا : ﴿ ثم لا تعبدوا لكم علينا به تبياً ﴾ أي نصيراً يأخذ بشاركم بعدكم ولا تخافوا احداً يتبعنا بشيء من ذلك .

﴿ وَالْقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠)

يخبر تعالى عن تشریفه لبني آدم وتكرمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ أي يمشي منتصباً على رجله ويأكل بيديه وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بضمه ، وجعل له سماً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله ويستفهم به ، ويفرق بين الأشياء ، ويعرف خواصها نفعاً وضرراً في الأمور الدينية والدنيوية وحملناهم في البر على الدواب من الخيل والبغال وفي البحر على السفن الكبار والصغار ، ورزقناهم من الطيبات من زروع وثمار ولحوم وألبان ، والمناظر الحسنة ، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع مما يصنعون لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من الجهات الأخرى ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات . وقد استدلل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة .



روى الحافظ ابو القاسم الطبراني عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : ٦٤ [ ان الملائكة قالت : يا ربنا أعطيت نبي آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كمن فكانت ]

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ  
فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ قَتِيلًا • (٧١) وَمَنْ كَانَ  
فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا • (٧٢)

يخبر تعالى وتبارك عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم قبل نبيهم ولكن المراد هنا بالإمام هو كتاب الأعمال. ولهذا قال تعالى هنا : ﴿ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقرأون كتابهم ﴾ أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرأه ويحب قراءته . كقوله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابه - إلى قوله تعالى - وأما من أوتي كتابه بشماله ... كما قال تعالى : ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته ، فإنه لا بد أن يكون شاهداً على أمته بأعمالها . كقوله تعالى : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً . ﴾

وقوله تعالى : ﴿ ولا يظلمون قتيلاً ﴾ القتل هو الخبط المستطيل في شق النواة وقد روى الحافظ ابو بكر اليزار حديثاً في هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه ٦٥ [ عن النبي ﷺ في قول الله تعالى : ﴿ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ﴾ قال : ﴿ يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له في جسمه ويبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم أننا بهذا ، وبارك لنا في هذا فيأتيهم فيقول لهم : أباؤوا فإن لكل رجل منكم مثل هذا ، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا ، اللهم

لا تأتينا به ، فيأتيهم ، فيقولون : اللهم اخزه ، فيقول : أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا ] ثم قال الزار لا يروي إلا من هذا الوجه . وقوله تعالى : ﴿ ومن كان في هذه أعمى ﴾ قال ابن عباس وغيره ﴿ ومن كان في هذه ﴾ أي في الحياة الدنيا ﴿ أعمى ﴾ أي عن حجة الله وآياته ﴿ فهو في الآخرة أعمى ﴾ أي كذلك يكون ﴿ وأضل سبيلاً ﴾ أي أضل مما كان في الدنيا عياداً بالله من ذلك .

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلاً ﴾ (٧٣) ﴿ وَتَوَلَّى أَنْ تَبْتَسِكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴾ (٧٤) ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ (٧٥)

يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه ، وتبنيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره ، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومزيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه، وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها ﷺ تسليماً كبيراً إلى يوم الدين .

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٧٦) ﴿ سَنَةٌ مِّنْ قَدْرُ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ (٧٧)

نزلت في كفار قريش لما هموا بإخراج رسول الله ﷺ من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف ، حتى جمعهم الله وإياه بيدرس على غير ميعاد ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل اشرافهم وسبى ذراريهم. ولهذا قال تعالى : ﴿ سنة من قد أرسلنا ﴾ الآية أي هكذا عادتنا في الدين كفروا برسولنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتيهم العذاب ولولا أنه ﷺ رسول الرحمة بلأدهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ الآية

﴿ أقيم الصلوة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ﴾

إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴿ (٧٨) ﴾ ومن الليل فتعجذ به نافلة  
لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴿ (٧٩) ﴾

يقول تبارك وتعالى لرسوله ﷺ أمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها :  
﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ قال ابن عباس : دلوكها زوالها وقال ابن عمر وابن  
مسعود والحسن والضحاك وغيرهما واختاره ابن جرير ، وبما استشهد عليه ما رواه  
ابن حنبل عن جابر بن عبد الله قال : ٦٦ [ دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من  
أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي ﷺ فقال : « أخرج  
يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس » ] .

ثم رواه عن سهل بن بكر عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن  
جابر عن رسول الله ﷺ نحوه <sup>(١)</sup> فعل هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات  
الخمس ، فمن قوله تعالى : ﴿ لدلوك الشمس إلى غسق الليل ﴾ وهو ظلامه أخذ منه الظهر  
والعصر والمغرب والعشاء .

وقوله تعالى : ﴿ وقرآن الفجر ﴾ يعني صلاة الفجر ، وقد توارثت السنة بتفاصيل  
هذه الأوقات مما تلقاه أهل الإسلام خلفاً عن سلف وقرناً بعد قرن ، كما هو مقرر في  
مواضعه ، والله الحمد . ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ روى البخاري عن أبي هريرة  
رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ٦٧ [ فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد  
خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ]  
يقول أبو هريرة : أقرأوا إن شئتم : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ [  
وفي لفظ في الصحيحين عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال : ٦٨ [ يتعاقبون فيكم  
ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويستمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيخرج  
الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فبقلوبهم أتيناهم  
وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون ] وقوله تعالى : ﴿ ومن الليل فتعجذ به نافلة

(١) قلت : الرواية الأولى فيها رجل لم يسم وفي الرواية الثانية الذي يرويه عن جابر بن نبيح العنزي فلعن الرجل  
الذي لم يسم في الرواية الأولى هو نبيح العنزي والله أعلم .

لك ﷻ أمر له بقيام الليل وبعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : ٦٩ [ أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال « صلاة الليل » ]  
وفذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فإن التهجد ما كان بعد نوم . قاله علقمة والأسود والنخعي وغير واحد ، وهو المعروف في لغة العرب وقوله تعالى : ﴿ عسى أن يعثبك ربك مقاماً محموداً ﴾ أي إفعل هذا الذي أمرتك به لتقيحك يوم القيامة ، مقاماً محموداً ، بحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى .

قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ، ليرحمهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

( قلت ) : لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد ، أو يساويه فيها أحد :

فهو أول من تنشق عنه الأرض ، ويعدت ركباً إلى المحشر ، وله اللواء الذي آدم فن دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر وارداً منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق . وذلك بعدما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ، فكل يقول : لست لها ، حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول : « أنا لها أنا لها » ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول الأنبياء يقضي بين أمته ، وأولهم إجازة على الصراط بأمنه ، وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم .

وفي حديث الصور : إن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته ، وهو أول داخل إليها ، وأمنه قبل الأمم كلهم ، ويشفع في درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم ، وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة لا تليق إلا له ، وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ، ولا يشفع أحد مثله . ولا يساويه في ذلك ، ولنذكر الآن بعض الأحاديث الواردة في المقام المحمود والله المستعان .

روى البخاري عن ابن عمر يقول : ٧٠ [ إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يعثه الله مقاماً محموداً ] ورواه حمزة بن عبدالله عن أبيه عن النبي ﷺ .

روى البخاري عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال : ٧١ | من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة . وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته : حلت له شفاعتي يوم القيامة [ إنفرد به دون مسلم .

روى الإمام أحمد عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : ٧٢ : [ اذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وشطيهم وصاحب شفاعتهم غير فخر ] أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه قال الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ٧٣ [ أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة . ثم قال . « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد . . . يسمعهم الداعي وينذهم البصر . وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون . ولا يحتملون . فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه مما قد بلغكم . ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام . . . فيعتذر ثم يأتون نوحاً فيأبراهم فموسى فعيسى وكلهم يعتذر بسبب ذنب يعتقد أنه اقترفه فيستجيب ربه وكلهم يقول : نفسي نفسي . . . ثم يأتون محمداً ﷺ . . . فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه . ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتي تحت العرش . فأقع ساجداً لربي عز وجل . ثم يفتح الله عليّ وبلهسي من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي ؛ فيقال : يا محمد ارفع رأسك . وسل تعطه . واسئع تشفع فأرفع رأسي فأقول : أممي يا رب . أممي يا رب . أممي يا رب فيقال لي : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة . وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال : والذي نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى [ أخرجاه في الصحيحين .

وروى رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٧٤ [ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة . وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة . وأول شافع ، وأول مشفع ] .

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ  
وَأَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ  
وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا ﴿ (٨١) ﴾

قال قتادة ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق ﴾ يعني المدينة ﴿ وأخرجني مخرج صدق ﴾ يعني مكة قال الإمام أحمد عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله تعالى ﴿ وقل رب ادخليني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً ﴾ قال الحسن في تفسيرها : وعده ربه ليتزعم ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له وملك الروم وعز الروم وليجعلنه له . قال قتادة فيها : ان نبي الله ﷺ علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا سلطاناً نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولغرائض الله ، ولإقامة دين الله ، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم . واختار ابن جرير قول الحسن و قتادة ، وهو الأرجح لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه . ولهذا يقول تعالى : ﴿ ... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ وفي الحديث : ٧٥ [ إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ] أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع .

وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ... ﴾ تهديد ووعيد لكفار قريش ، فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مزية فيه ، وهو ما أنزل من القرآن والإيمان والعلم النافع . وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك ، فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ روى البخاري عن ابن مسعود قال : ٧٦ [ دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾ ] وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي وعبد الرزاق .

﴿ وَتَنْزِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا

يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٨٢) ﴿

يغير تعالى عن كتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ الذي لا يأتيه الباطل ، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك وتناق وشرك وزيف وميل . فالقرآن يشفي من ذلك كله ، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقته واتبعه ، أما الكافر الظالم نفسه بكفره فلا يزيده سماعه للقرآن إلا بعداً وكفراً ، والآفة من الكافر لا من القرآن . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۙ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۙ ﴾ أي لا ينفع به ولا يحفظه ولا يعبه فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين .

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَتَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ ۙ ﴾ (٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۙ ﴾ (٨٤)

يغير تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو ، إلا من عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء ، فإنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية ، وورزق ونصر أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه قال مجاهد : بَعُدَ عَنَّا وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا ﴾ ﴿ وَ ﴾ بأنه ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ وهو المصائب والنواب ﴿ كَانَ يَتُوسَّأُ ﴾ أي قنط أن يحصل له خير بعد ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ فَرَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَتُوسَّسُ كُفْرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ أي على دينه وطريقته وهذه الآية - والله أعلم - تهديد للمشركين ووعد لهم كقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ ولهذا قال جل وعلا : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ أي منكم وسيجزى كل عامل بعمله فإنه لا تخفى عليه خافية .

﴿ وَيَسْتَلُونكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۙ ﴾ (٨٥)

روى الإمام أحمد بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ٧٧ [ كنت أُمشي مع رسول الله ﷺ في حِث في المدينة ، وهو متوكئ ، على عسيب فمر بقوم من اليهود . فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح . وقال بعضهم : لا تسألوه . قال : فاسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد ما الروح ؟ فما زلت متوكلتُ على العسيب . قال فظننت أنه يوحى إلي فقال : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ قال : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم لا تسألوه [ . وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به وهذا ... يقتضي فيما يظهر باديء الرأي أن هذه الآية مدنية ، وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة . مع أن السورة كلها مكية والدليل على ذلك ما روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : ٧٨ [ قالت قریش لليهود : أعطنا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه . فنزلت : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ قالوا : أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة . ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً . قال : وأنزل الله : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ﴾ وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية . أو أنزل عليه النوحى بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدمة .

روى محمد بن اسحق عن بعض أصحابه . عن عطاء بن يسار قال : ٧٩ [ نزلت بمكة : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا : يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ أفعبئتنا أم عنيت قومك . فقال : « كلاً قد عنيت » فقالوا إنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها نبيان كل شيء . فقال رسول الله ﷺ : هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انفعتم . وأنزل الله تعالى : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال . أحدها : أنها هي أرواح بني آدم التي في أجسادهم . وقيل المراد بالروح ههنا جبريل . وقيل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر المخلوقات كلها . وقيل المراد طائفة من الملائكة على صور بني آدم . وقيل : طائفة بروا الملائكة ولا تراهم . فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم<sup>(١)</sup> أما قوله

(١) فيسابيرو - والله أعلم - أن المراد بالروح ههنا ... الروح التي في الجسد أما الروح إطلاقاً فلهذا مدان عدة، منها: الروح التي في الجسد، والروح هو جبريل . والروح هي كلمة « كن » ويطلق المراد منها بحسب موقعها، وكان هذه المعاني وردت في القرآن . إذاً كونها ذلك عظيم اسمه الروح أو هم قبيل من الملائكة ليس من دليل صحيح ثبت فيما أعلم والله تعالى أعلم .



تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ أي إن الروح من شأنه وما استأثر بعلمه دونكم . ولهذا قال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ أي وما أظلمكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى .

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَيْلًا ﴾ (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿ (٨٧) قُل لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿ (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿ (٨٩) ﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ . فيما أوحاه إليه من القرآن العظيم المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد قال ابن مسعود رضي الله عنه . بطرق الناس أربع حمراء - يعني في آخر الزمان - من قبل الشام فلا يبقى في مصحف رجل ولا في قلبه آية . ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمع الإنس والجن واففقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك لأن هذا الأمر لا يستطع . وكيف يشبه كلام المخوفين كلام الخالق الذي ليس كمثل شيء . وقوله تعالى : ﴿ ولقد صرّفنا للناس ﴾ الآية ... أي بيّننا لهم الحجج والبراهين القاطعة وبسطنا فهم الحق . ومع هذا فابى أكثر الناس إلا جحوداً للحق ورذاً للضوابط .

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن تَحْتِهَا عَيْنٌ فَتَنْبُجُ الْأَنْهَارَ خِلَافَ مَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زُعمت عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ

تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلٰئِكَةِ قَيْلًا ۝ (٩٢) أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتٌ مِّنْ  
ذُرْفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَٰكِن نُّؤْمِنُ بِرُؤْيَيْكَ حَتَّىٰ نُنَزَّلَ عَلَيْنَا

كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝ (٩٣)

روى ابن جرير عن ابن عباس ما ملخصه : ٨٠ [دعا أكابر قريش محمداً ﷺ فجاهم سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء ، وكان عليهم حربياً يجب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا : يا محمد إنا قد بعنا إليك لتعذر فيك وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفوت الأحلام وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقي من قبيح إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك بها يأتيك رئيساً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسون التابع من الجن الرئي - فربما كان ذلك بذلك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ، فقال رسول الله ﷺ « ما لي ما تقولون ، ما جئتمكم بما جئتمكم به ، أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » أو كما قال رسول الله ﷺ تسليماً .

ثم طلبوا منه وسألوه أن يسأل ربه - على سبيل العناد والكفر - فليسير عنا هذه الجبال ، وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آياتنا ... فتسألهم عما تقول حق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألتك وصدقك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول .

ثم سأله أن يسأل ربه ان يبعث ملكاً يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويعنيك بها عما تراك تبغي ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما تلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن

كنت رسولاً كما تزعم . وكان يجيبهم ﷺ في كل مرة ما أجايبهم في المرة الأولى ، قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك ، فقالوا يا محمد : أما علم ربك إننا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب ، فيقدم إليك ويطلبك ما تراجعنا به ويغيرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يملك هذا رجل بالجمامة يقال له الرحمن وإننا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، فلما قالوا ذلك ، قام رسول الله ﷺ عنهم . وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ؛ فقال : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل منهم ، ثم سألوك أموراً أكبر فوابها مترلتك من الله فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلساً ، ثم ترقى فيه وأنا انظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة مشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك لظنت أني لا أصدقك ، ثم انصرف رسول الله ﷺ حزيباً أسفاً لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مبادئهم إياه .

وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له ، لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيبوا إليه ، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفراً وعناداً .

وقوله تعالى : ﴿ حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ ينبوع : العين الجارية ، فقد سألوه أن يجري لهم عيناً معينة في أرض الحجاز ههنا وههنا ، وذلك سهل على الله تعالى يسير ، لو شاء لفعله ، ولأجايبهم إلى جميع ما سألوها ، ولكن علم أنهم لا يهتدون بكفوله تعالى : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أو نسط السماء كما زعمت ﴾ أي عجل لنا العذاب الذي تعدنا به يوم القيامة من انشقاق السماء وتبلي أطرافها فأسقطها الآن قطعاً كما قال قوم شعيب له : ﴿ أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين ﴾ فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم وأما نبي الرحمة فسأل إنظارهم وتأجيلهم لعلم الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد ولا يشرك به شيئاً ، وكذلك وقع فإن من هؤلاء الذين كفروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية

الذي تقدم ذكره ... أسلم إسلاماً تاماً وأتاب إلى الله عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ : أي من ذهب في قراءة ابن مسعود وقال ابن عباس وغيره نحوه ﴿ أو ترقى في السماء ﴾ أي تصعد في السماء في سلم ونحن نلحق إليك ﴿ ولن تؤمن لرقيك حتى نُنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴾ أي مكتوب فيه إلى كل واحد منهم هذا كتاب من الله إلى فلان بن فلان تصيح موضوعة عند رأسه ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ أي سبحانه أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه ، بل هو الفعال لما يشاء وما أنا إلا رسول اليكم أبلغكم الرسالة وأنصح لكم وقد فعلت ذلك . وأمركم فيما سألتهموه إلى الله عز وجل .

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿ (٩٥) ﴾

يقول تعالى : ﴿ وما منع الناس ﴾ أي أكثرهم ﴿ أن يؤمنوا ﴾ ويتابعوا الرسل إلا استعجابهم من بعثة البشر رسلاً كما قال تعالى : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ والآيات في هذا كثيرة . ثم قال تعالى منبهاً على لطفه ورحمته بعباده أنه بعث إليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه ويخاطبوه . ولو بعث رسولاً ملكاً لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ منه كما قال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ ولهذا قال ها هنا : ﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ أي من جنسهم . ولما كنتم أنتم بشراً بعثنا فيكم رسلاً منكم لطفاً ورحمةً .

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ ﴿ (٩٦) ﴾

يقول تعالى : مرشداً ليه عليه السلام إلى الحججة البالغة على قومه في صدق ما جاءهم به : انه أي الله شاهد عليّ وعليكم ، عالم بما جتكم به ، فلو كنت كاذباً عليه لانتقم مني

أشد الانتقام كما قال تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنه كان عباده خبيراً بصيراً ﴾ أي عمياً بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية ممن يستحق الشقاء والإضلال والإزاعة <sup>(١)</sup> ، ولهذا قال سبحانه :

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمياً وَبُكْماً وَضُماً فَأُولَٰئِكَ جَهَنَّمَ كَلَّمْنَا وَزِدْنَاهُمْ سَعيراً ﴾ (٩٧) ﴿

يغير تعالى عن تصرفه في خلقه ، وتفوذ حكمه ، وأنه لا معقب لحكمه ، فمن يهده فلامضلاً له ، ومن يضلّل فلن تجد له أولياء من دونه أي يهدونهم. وقوله تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك يقول : ٨١ [ قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال « الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم » ] وأخرجاه في الصحيحين . وقوله تعالى : ﴿ عمياً ﴾ أي لا يبصرون ﴿ وبكماً ﴾ يعني لا ينطقون ، ﴿ وضماً ﴾ لا يسمعون جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكمأ وعمياً وضماً عن الحق ، فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه ﴿ مأواهم ﴾ أي مصيرهم ﴿ جهنم كلما خبت ﴾ أي طفت ﴿ زدناهم ﴾ سعيراً ﴿ أي طباً ووهجاً وجرماً ، كما قال سبحانه : ﴿ فلقوا فلن تزيدكم إلا عذاباً .

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً إنا لمتعوثون خلقاً جديداً ﴾ (٩٨) ﴿ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ لَهُمْ أَجْلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً ﴾ (٩٩) ﴿

(١) قلت : أي علم بسابق علمه من سيزم من خلقه فيستحق الإنعام والإحسان والهداية بتشبيته على الإيمان جزاء ما آمن ، ومن سيكفر منهم فيستحق منه الشقاء والإضلال والإزاعة جزاء ما كفر كما قال تعالى : ﴿ فلا زاغوا أراغ الله قلوبهم ﴾ والحمد لله على التوفيق بنعمة الإيمان .

يقول تعالى : هذا الذي جازيناهم به من البعث على العسى واليكم والصم جزأؤهم الذي يستحقونه لأنهم كذبوا ﴿ بآياتنا ﴾ أي بأدلتنا وحججنا ، واستبعدوا وقوع البعث ﴿ وقالوا إذا كنا عظاماً ورفاتاً ﴾ أي بالية نخرة ﴿ أننا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ أي بعد البلى والهلاك تُعاد مرة ثانية ؟! فبينهم الله تعالى على قدرته على ذلك بأنه خلق السموات والأرض ، وقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك كما قال تعالى : ﴿ خلقت السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ وقال ههنا : ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ أي يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم . وقوله تعالى : ﴿ وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه ﴾ أي جعل لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلاً مضروباً لا بد من انقضائه ، كما قال تعالى : ﴿ وما نزعناه إلا لأجل معدود ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فأبى الظالمون ﴾ أي بعد قيام الحججة عليهم ﴿ إلا كفوراً ﴾ أي تمادياً في كفرهم .

﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴾ (١٠٠)

يقول تعالى لرسوله ﷺ قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن الله لأمسكنم خشية الإنفاق أي خشية أن تذهبوها فتضفرون مع أنها لا تنفذ أبداً ، لأن هذا من طباعكم ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ وكان الإنسان قنورا ﴾ أي بخيلاً منوعاً ، كما قال تعالى : ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً ﴾ أي لما أعطوا أحداً شيئاً لأن البخل والجزع والهلل صفة للإنسان ، وهذا عام فيه ، إلا من وفقه الله وهداه . كما قال تعالى : ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين ﴾ .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ نَحْوَ آيَاتِ بَيْنَاتٍ فَنَسِيَ بُنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ  
 أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا  
 مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ  
 جِئْنَا بِكُمْ لَقِيفًا ﴿١٠٤﴾

يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته ،  
 وصدقه فيما أخبر به عن أرسله إلى فرعون ، وهي : العصا ، واليد ، والسنين والبحر  
 والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس ﴿ فاستكبروا  
 وكانوا قوماً مجرمين ﴾ أي ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها ، كصروا بها وجحدوا ،  
 واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ، وما تجعت فيهم ، فكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوا  
 منك ما سألوا ، وقالوا لن تؤمن لك حتى تفتجر لنا من الأرض بنوعاً إلى آخرها ...  
 لما استجابوا ولا آمنوا إلاّ أن يشاء الله ، كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد  
 من هذه الآيات : ﴿ إني لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾ قيل بمعنى ساحر والله تعالى أعلم .  
 وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة ، منها ضربه الحجر بالعصا ، وخروج  
 الماء منه ، ومنها تظليلهم بالغمام ، وانزال المن والسلوى ، وغير ذلك مما أوتوه بنو  
 اسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكرها هنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون  
 وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فمخالفتها وعاندوها كتمراً وجموداً .

وقوله تعالى : ﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾  
 أي ما أنزل هذه الآيات التسع إلا رب السموات والأرض حججاً وأدلة على صدق  
 ما جئتك به ﴿ وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً ﴾ أي هالكاً مغلوباً ملعوناً .

وقوله تعالى : ﴿ فأراد أن يستفزهم من الأرض ﴾ أي يغلبهم منها ﴿ فأغرقناه ومن معه  
 جميعاً وقلنا من بعدة لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾ وهذا كقوله تعالى : ﴿ وإن كادوا  
 ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها ولهذا  
 أوردت الله رسوله مكة فدخلها فاتحاً وقهر أهلها ثم أطلقهم حليماً وكرماً ، وكما أوردت الله  
 القوم الذين كانوا يستضعفون من بني اسرائيل مشارق الأرض ومغاربها ، وأوردتهم بلاد  
 فرعون وأمرانهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم  
 لقيفاً ﴾ أي جميعكم أنتم وعدوكم .

﴿ وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (١٠٥) ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾  
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١٠٦) ﴿

يخبر تعالى عن كتابه العزيز أنه بالحق نزل أي متضمناً للحق كما قال تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنه بالحق نزلناه وبالحق نزلناه ﴾ أي متضمناً علم الله الذي أراد أن يظلمكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه ، وقوله تعالى : ﴿ وبالحق نزل ﴾ أي ونزل إليك يا محمد محفوظاً عروساً لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل إليك بالحق وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ أي مبشراً لمن أطاع ونذيراً لمن عصى . وقوله تعالى : ﴿ وقرآنًا فرقناه ﴾ أما قراءة التخفيف أي فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا وبالتشديد أي نزلناه أي آية آية مفرداً منجماً على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة مبيناً ومفسراً ولهذا قال سبحانه : ﴿ لتقرأه على الناس ﴾ أي لتبلغه لهم وتتلوه عليهم ﴿ على مكث ﴾ أي مهمل ﴿ ونزلناه تنزيلاً ﴾ أي شيئاً بعد شيء .

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ (١٠٧) ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعَدُ رَبُّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ (١٠٨) ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَنْكَبُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (١٠٩) ﴿

يقول تعالى لبيته محمد ﷺ ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بما جشتم من القرآن العظيم : ﴿ آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ أي سواء آتمتم به أم لم تؤمنوا ، فهو حق أنزله الله ، ونوّه بذكره في كتبه المتقدمة ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ أي من صالح أهل الكتاب العالمين العاملين به . كما نزل ﴿ إذا تلى عليهم ﴾ هذا القرآن ﴿ يخرون للأذقان ﴾ جمع ذقن ﴿ سجداً ﴾ لله سبحانه شكراً على ما أنعم عليهم من إحراكمهم هذا الرسول الكريم الذي أنزل عليه هذا الكتاب ، ولهذا يقولون : ﴿ سبحان





ربنا ﴿ أي تزيهاً وتعظيماً ونوقيراً على قدرته التامة وأنه لا يخلف وعده الذي وعده على ألسنة الأنبياء المتقدمين والمبشرين ببعثة محمد ﷺ ولهذا قال تعالى مخبراً عن قولهم : ﴿ سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويخرون للأذقان يكون ﴾ خضوعاً له عز وجل . وإيماناً بكتابه ورسوله ﷺ ﴿ ويزيدهم خشوعاً ﴾ أي تصديقاً وتسلماً كما قال تعالى : ﴿ والذين اعتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ .

﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ (١١١) ﴿

روى مكحول : ٨٢ [ ان رجلاً من المشركين سمع النبي ﷺ وهو يقول في سجوده : يا رحمن يا رحيم فقال : إنه يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية . ] وكذا روي عن ابن عباس ، رواهما ابن جرير .

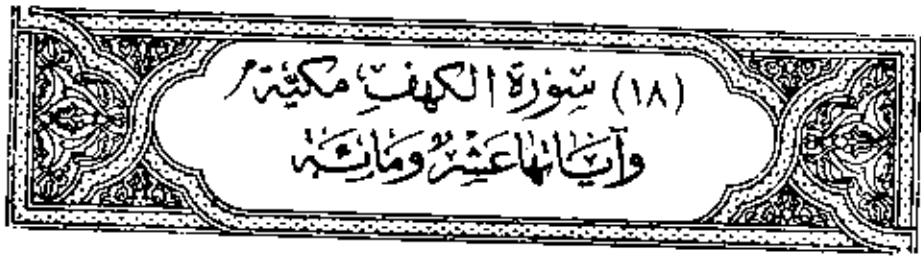
فقوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين . المتكرين صفة الرحمة لله عز وجل المانعين من تسميته بالرحمن لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى كما قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم - إلى قوله تعالى - ﴿ له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ روى الامام أحمد عن ابن عباس قال : ٨٣ [ نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة ، ﴿ ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها ﴾ قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال فقال الله تعالى لبيبه ﷺ : ﴿ ولا تجهر بصلواتك ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن ﴿ ولا تخافت بها ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ أخرجاه في الصحيحين ، وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس ، وزاد :

٨٤ [ فلما هاجر إلى المدينة سقط ذلك ، يفعل أي ذلك شاء ] .

وقوله تعالى : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ﴾ لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى نزهة نفسه عن النقائص فقال سبحانه : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴿ ولم يكن له ولي من الدالّ ﴾ أي ليس بديل فيحتاج إلى ولي أو وزير أو مشير ، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له ، ومدبرها بمشيئته وحده ﴿ وكبزه تكبيراً ﴾ أي عظّمه ، وأجلّه عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً . آخر اختصار سورة الإسراء والله الحمد والمنة .

١٣٨٩/٧/١٩

١٩٦٩/٩/٣٠



إلا الآية /٢٨/ ومن آية ٨٢ - ١٠١ فمدنية نزلت بعد سورة الغاشية

• • •

ذكر ما ورد في فضلها :

روى الإمام أحمد عن البراء يقول : ٨٥ [ قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة ، فجعلت تنفر ، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيت ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « اقرأ فلان فإنها المكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » ] أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذي كان يظلمها هو أسيد بن الحضير كما تقدم في سورة البقرة .

روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : ٨٦ [ من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال ] رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذي : ٨٧ [ من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف ] وقال حسن صحيح .

روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : ٨٨ [ من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال ] ورواه مسلم أيضاً والنسائي من حديث قتادة به ولفظ النسائي : ٨٩ [ من قرأ عشر آيات من الكهف ... ] فذكره .

وأخرج الحاكم في مستدرکه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : ٩٠ [ من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ] ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

• • •

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿ (٢) مَا كُنِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿ (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (٥)

قد تقدم في أول التفسير انه تعالى يحمد نفسه المقدسة ، عند فواتح الأمور وخواتمها ، فإنه المحمود على كل حال ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، ولهذا حمد نفسه على إزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله عليه وسلامه . فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور . حيث جعله كتاباً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيغ بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحاً بيئاً ، نذيراً للكافرين ، بشيراً للمؤمنين . ولهذا قال تعالى : ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ أي ليس معوجاً ولا مائلاً بل ﴿ قِيمًا ﴾ أي مستقيماً ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ﴾ أي لينذر به الدين لم يؤمنوا به عقوبة في الدنيا والآخرة ﴿ ويبشر المؤمنين ﴾ أي الذين صدقوا بإيمانهم بالعمل الصالح ﴿ أن لهم أجراً حسناً ﴾ أي مثوبة من عند الله ﴿ ما كُنِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ دائماً لا زوال له .

وقوله تعالى : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ المعبُوثون بهذه الآية كل من قال هذا من أي أمة من الأمم وان كان نزولها من أجل المشركين العرب لما قالوا نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله ﴿ ما لهم به من علم ﴾ بهذا الافتراء والإفك ﴿ ولا لآبائهم ﴾ أي لأسلافهم ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ أي ليس لها مستند سوى قولهم ، ولا دليل عليها إلا كذبهم . ولهذا قال جل وعلا : ﴿ إن يقولون إلا كذباً ﴾ وقد ذكر

محمد بن اسحق سبب نزول هذه الآية الكريمة فقال - ما ملخصه - عن ابن عباس قال : ٩١ [ بعث قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إل أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته فإنهم أهل الكتاب ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله : فقالوا سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإلا فرجل متقول فقولوا فيه رأيكم : سلوه عن فتية : ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم . فإنهم قد كان لهم حديث عجيب : وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه . وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه . فعاد النضر وعقبة حتى قدما على قريش فأخبراهم بما قال أحبار اليهود فجاءت قريش وسألت النبي ﷺ عن ذلك فقال لهم ﷺ : « أخبركم غداً عما سألتهم عنه » ولم يستثن<sup>(١)</sup> فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبريل بالوحي حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها . لا يخبرنا بشيء عما سأناه عنه . وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف : فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل :

﴿ ويسألونك عن الروح ... ﴾ الآية [ .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا  
الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (٦) ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ  
أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٧) ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ (٨) ﴿

يأتي الله تعالى نبيه ﷺ في حزنه على المشركين تركهم الإيمان وبعدهم عنه ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ يقول لا تهلك نفسك أسفاً وحزناً . أي لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلتضه ومن ضل فلإنما يضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم حسرات . وقوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على

الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴿ أي أنه جعل الدنيا داراً فانية مزينة بزينة زائلة وإنما جعلها دار اختيار لا دار قرار فقال تعالى : ﴿ وإنا بلعنا ما علينا صعباً جزأً ﴾ أي وإنا لمصبروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار ، لا ينبت صعيدها ولا يتضع به . والصعيد الخرز أي البلقع الذي ليس فيه شجر ولا نبات . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أولم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الخرز فتخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ .

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (٩) ﴿ إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (١٠) ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (١١) ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ (١٢) ﴿

هذا إخبار مجمل من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف ، فقال سبحانه : ﴿ أم حسبت ﴾ يعني يا محمد ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ﴾ أي ليس امرهم عجباً في قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرته تعالى أعجب من أخبار أصحاب الكهف . وأما الكهف فهو الغار في الجبل وهو الذي لحا إليه هؤلاء الفتية المذكورون وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس : هو وادي قريب من أيلة قال الضحاك : أما الكهف فهو الغار والرقيم اسم الوادي وقال سعيد بن جبير : الرقيم نوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف . وقال ابن جرير : الرقيم فعل بمعنى مرقوم كما يقال للمقتول قتيل واختاره والرقيم الكتاب وقوله تعالى : ﴿ إذ أوىء الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فرّوا بدينهم من قومهم لئلا يفتوهم عنه ، فهربوا منهم فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم ، فقالوا حين دخلوا : ﴿ ربنا آتنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ أي هب لنا رحمة تسرنا عن قومنا ﴿ وهَيِّءْ لَنَا

من أمرنا رشداً ﴿ أي اجعل عاقبتنا رشداً . كما جاء في الحديث : ٩٢ [ وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً ] وقوله تعالى : ﴿ فضرنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ﴾ أي ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف سنين عديدة ﴿ ثم بعثناهم ﴾ أي من رقدتهم تلك ﴿ لنعلم أي الحزبين ﴾ أي المختلفين فيهم ﴿ احصى لما لبثوا أمداً ﴾ أي أحصى عدداً لما لبثوا في الكهف أي غاية ما لبثوا فيه .

﴿ فَمَنْ نَقَصْ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاكُمْ هُدًى ﴾ (١٣) ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ (١٤) ﴿ هُوَ لَاءَ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (١٥) ﴿ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾ (١٦) ﴿

وهنا شرع في تفصيل قصة أصحاب الكهف وشرحها ، فذكر تعالى أنهم فتية أي شباب ، وهم أقبل للحق من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً ، وأما المشايخ من قريش ، فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل . وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً ، فأمنوا بربهم أي اعترفوا له بالوحدانية ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ﴿ وزدناهم هدى ﴾ وقد استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص . ولهذا قال تعالى : ﴿ وزدناهم هدى ﴾ كما قال تعالى : ﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ﴾ وكما قال سبحانه : ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك وقد قبل أنهم كانوا على دين النصرانية ، والظاهر أنهم سبقوا زمن المسيح عليه الصلاة والسلام لاعتناء اليهود بحفظ خبرهم وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشاً بعثوا إلى اجبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم

أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ . فبعثوا اليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء ، وعن خبر ذي القرنين . وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴾ يقول تعالى : وصبرناهم على مخالفة قومهم ، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة ، فقد ذكر غير واحد من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم ، وقد فارقوا قومهم الذين كانوا يعبدون الاعنام والطواغيت ويذبحون لها ، وكان لهم ملك جبار يأمر الناس بذلك . ولما خرج الناس يوماً في بعض أعيادهم خرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم من السجود والذبح لغير الله تعالى عرفوا أن هذا لا ينبغي إلا لله خالق السموات والأرض فانحاز كل من الفتية عنهم . فكان أول من جلس وحده أحدهم تحت ظل شجرة ، ثم أتى إليه الآخر فالآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ٩٣ [ الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ] وخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعاً . وقد جعل كل واحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفاً منهم ، ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم : تعلمون والله يا قوم . أنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره . فقال آخر : أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل ، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما : وقال كل واحد منهم ذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة ، فصاروا بدأ واحدة وإخواناً صديقاً فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه . فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم . فاستحضرهم فسأهم فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله جل وعلا : ﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً ﴾ أي باطلاً وكذباً وبيئاتاً ﴿ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ﴾ أي هلاً أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ أي لا أظلم ممن يفترى على الله الكذب ، فغضب عليهم الملك ، وأمر بتزيع لباس الزينة عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم . وهددهم إن لم يعودوا إلى دين قومهم ، ثم أجلهم لينظروا في أمرهم



لعلهم يرجعون . وكان هذا من لطف الله بهم لأنهم توصلوا بهذا التأجيل إلى الهرب والفرار بدينهم من الفتنة . وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن بين الناس . كما جاء في الحديث : ٩٤ [ يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن ] ولا تشرع العزلة فيما عدا ذلك . فلما وقع عزمهم على الهرب واختار الله لهم ذلك بقوله جل وعلا : ﴿ وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ أي فارقتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقتهم أيضاً بأديانكم ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي يرحمكم ويستركم من قومكم ﴿ وَيَهَيِّءْ لَكُمْ مَسْرَماً ﴾ الذي أنتم فيه ﴿ مَرْفَقاً ﴾ أي أمراً ترتفقون به . فعند ذلك هربوا إلى الكهف فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم . وتطلبهم الملك ولكن عسى الله عليه خيرهم كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى الغار وعسى الله عنهما المشركين فلم يهندوا إليهما لذلك قال رسول الله ﷺ للصديق : ٩٥ [ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ] . ولا شك أن قصة غار حراء أجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف .



وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَتِفَيْهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ  
وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ  
آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُورَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً  
مُرْشِداً ﴿١٧﴾

فهذا فيه دليل على أن هذا الكهف كان من جهة الشمال (١) ، لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عن ذات اليمين ﴿ أي يتقلص الضياء عنه ﴾ وذلك إنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل هذا المكان ولذلك قال عز وجل : ﴿ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق ، فدل على صحة ما قلناه ، وقد أخبر الله

(١) أي هو في الجهة الشمالية لكن بابه متجه نحو الجنوب ، وعلى هذا فيكون يمينه غرباً وشماله شرقاً فإذا أشرفت الشمس دخلت أشعتها إلى الكهف وملأت الجهة الغربية وإذا غربت دخلت أشعتها إلى الكهف وملأت الجهة الشرقية منه وذلك لأن باب الكهف متجه إلى الجنوب .

تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبيره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض ، إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً فقيل في آيلة وقيل ببلاد الروم ، وقيل : ببلاد البلقاء<sup>(١)</sup> والله أعلم بأي بلاد الله هو ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه فقد قال ﷺ : [ ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ، ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به ] .

وقوله تعالى : ﴿ وهم في فجوةٍ منه ﴾ أي في متسع منه داخلاً بحيث لا تصيبهم ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء ، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم ثم قال سبحانه : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ أي هو الذي أرشد هؤلاء إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداه الله اهتدى ، ومن أضله فلا هادي له .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّمْتُ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾ (١٨)

لما ضرب الله عليهم بالنوم ، شاء سبحانه أن تبقى أعينهم مفتحة وهم رقود ولذا قال تعالى : ﴿ وتحسبهم آياتاً وهم رقود ﴾ وقوله جلا وعلا : ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ قال ابن عباس : لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض ، وقوله تعالى : ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ الوصيد : الباب الموصل أي ريف كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب وكان جلوسه بفناء الباب من الخارج ٩٧ [ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ] ، كما ورد في الصحيح ٩٨ [ ولا صورة ولا جنب ولا كافر ] كما ورد في الحديث الحسن ، وشملت بركتهم كلبهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحيحة الأخبار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن وقوله تعالى : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً وللمت منهم رعباً ﴾ أي أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم وذعر منهم ، لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يدٌ لأمس . حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقضي رقتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم ، لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة .

(١) آيلة : الغصه . بلاد الروم : هي الأنضول اليوم . البلقاء : بلاد الأردن .

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾

يقول تعالى : كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم ، لم يفقدوا من أحوالهم وهياتهم شيئاً وذلك بعد ثلاثمائة وتسع سنين ، ولهذا تساءلوا بينهم : ﴿ كم لبثتم ﴾ أي رقدتم ؟ ﴿ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار ، واستيقاظهم كان في آخر النهار ولهذا استدركوا فقالوا : ﴿ أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ أي الله أعلم بأمركم ، وكانه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم ، وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا : ﴿ فابعثوا أحداً منكم بورقكم هذه ﴾ أي فضتكم هذه ، وذلك أنهم لما أووا إلى الغار استصبحوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها ﴿ إلى المدينة ﴾ التي خرجوا منها ﴿ فلينظر أيها أزكى طعاماً ﴾ أي أطيب طعاماً ﴿ وليتلطّف ﴾ أي في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه ﴿ ولا يشعروا ﴾ أي ولا يعلمن ﴿ بكم أحداً ﴾ إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم ﴿ أي إن علموا مكافكم ﴾ أو يعيدوكم في ملتهم ﴿ يعنون أصحاب دقيانوس ، فلا يزالون يعذبونهم إلى أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا ، فإن واقتسموهم على العمود في الدين الكافر فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال : ﴿ ولن تفلحوا إذا أبداً ﴾ .

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمُ

بَيْنَانًا رَبِّهِمْ أَعْلَمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَابُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مِّنْجِدًا • (٢١) ﴿٢١﴾

يقول تعالى : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ﴾ أي أطلعنا عليهم الناس ﴿ ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ ذكر غير واحد من السلف : انه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث والقيامة ، ومنهم من قال تبعث الأرواح دون الاجساد ، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ، ولما ذهب أحدهم ليشترى طعاماً دخل البلدة فأنكرها فرأى البلد غير البلد والأهل غير الأهل فظن به مساً وما به مسن شيء ، إنما تبدل الناس قرناً بعد قرن وأمة بعد أمة . ثم رأى ان يتعجل بالخروج من البلدة ، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه من النققة : فلما رأى تقوده أنكرها وانكر ضربها فدفعها إلى جاره : وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون : لعل هذا وجد كترأ فألوه عن أمره ومن أين له هذه النقود فقال أنا من أهل هذه البلدة وعهدي بها عشية أمس وفيها دقيانوس . فسيروه إلى الجنون ، فحملوه إلى ملكهم فسأله عن شأنه فأخبره بأمره وهو منحير في حاله وما هو فيه فقام ملك البلد وأهلها .. حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم : دعوني اتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي فدخل ، فيقال أنهم لا يدرون كيف ذهب فيه : واخفى الله عليهم خبرهم ، ويقال بل دخلوا عليهم ورأوهم ، وسلم عليهم الملك واعتصمهم وكان مسلماً فيما قيل : ففرحوا به وآسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه : وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل والله أعلم <sup>(١)</sup> .

وكان اطلاع أهل ذلك الزمان على حقيقة أهل الكهف حجة للمسلمين منهم وحجة على منكري البعث وأهل الشرك منهم . وقوله تعالى : ﴿ إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ أي في أمر القيامة فمن مثبت لها ومنكر ﴿ فقالوا ﴾ أي المسلمون <sup>(٢)</sup> منهم ﴿ ابتوا عليهم

(١) قلت : أرجح الرواية الثانية القائلة : بل دخلوا عليهم ورأوهم ... الخ وهذا مطابق لقوله تعالى : « وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها » . وإلا فكيف يقول الله : « وكذلك أعثرنا عليهم » . ويتم مراد الله وحكمته من بعث أهل الكهف . وتنبئ وتظهر الحجة والدلالة على قدرة الله على البعث فتقوم الحجة البالغة على الذين كانوا ينكرون البعث من أهل ذلك الزمان ويعلمون ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها كما قال الله تعالى ... ؟

(٢) قلت : جملة : « أي المسلمون منهم » ليس من كلام المفسر رحمه الله ، بل من كلامي لأن هذا يوافق شريعة الاسلام التي لا تقول ببناء المساجد على القبور بل قولهم : « ابتوا عليهم بينائاً » هو الموافق لشريعة الإسلام لذلك استجبت ان اصحاب هذا القول مسلمون .

بنياناً ربهم اعلم بهم ﴿ أي سدوا عليهم باب كهنتهم وذروهم على حالهم ﴾ قال الذين غلبوا على أمرهم ﴿ أي أصحاب الكلمة والنقود : ﴿ لتخذن عليهم مسجداً ﴾ وليس هذا القول محموداً لأنه يخالف لقوله ﷺ : ٩٩ [ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ] يحذر ما فعلوا هـ وملة الإسلام ملة واحدة عقائدها هي هي من لدن آدم إلى نبينا عليهم الصلاة والسلام ،<sup>(١)</sup>

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٢٢)

حكى الله تعالى ثلاثة أقوال عن عدة أهل الكهف فدل على أنه لا قاتل بقول رابع ولما ضعفت القولين الأولين بقوله عز وجل ﴿ رجماً بالغيب ﴾ أي قولاً بلا علم ، ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله تعالى : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر ، وقوله تعالى : ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ﴾ ارشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى . إذا لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم ، لكن إذا اطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا . وقوله تعالى : ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ أي من الناس . قال قتادة : قال ابن عباس أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل كانوا سبعة . أما اسمائهم فليس هناك من قول صحيح بذلك ، فإن غالب ما في الأمر اخبار متلقاة من أهل الكتاب ولا يترتب على معرفة اسمائهم كبير فائدة وقد قال تعالى : ﴿ فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ﴾ أي سهلاً هيناً ﴿ ولا تستفت فيهم منهم أحداً ﴾ أي فلنهم لا علم لهم بذلك والذي عندهم فهو لا يستند إلى كلام معصوم وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك ولا مرية فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال .

﴿ وَلَا تَقُولنَّ لِنَسِئِهِ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٢٣) ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ (٢٤)

هذا إرشاد منه تعالى لرسوله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى علام الغيوب . وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف ( غداً أجيكم ) فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً وقد ذكرناه ملخصاً في أول السورة ... وقوله تعالى : ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ أي إذا نسيت ان تقول إن شاء الله لشيء ستفعله في المستقبل . فقل إن شاء الله عندما تذكره قاله ابو العالية والحسن البصري وعن ابن عباس قال : في الرجل يحلف له أن يثني ولو إلى سنة وقوله تعالى : ﴿ وقل عسى ان يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً ﴾ أي إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه ، وتوجه إليه في ان يوفقك للصواب وللرشد في ذلك والله أعلم .

﴿ وَابْتُهِوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ (٢٥)  
 قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ  
 وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ  
 أَحَدًا ﴿ (٢٦) ﴾

يغير تعالى رسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقدار لبثهم ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي ثلاثمائة بالشمسية ، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالشمسية إلى الشمسية ثلاث سنين ، فلهذا قال تعالى ﴿ ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ أي إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا ﴿ الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض ﴾ أي لا يعلم ذلك إلا هو ومن أطلعه عليه من خلقه . وهذا الذي قلناه قاله غير واحد من علماء التفسير كجاهد وغير واحد من السلف والخلف .

وقوله تعالى : ﴿ أبصر به واسمع ﴾ أي ما أبصره وأسمعه يعني لا أحد أبصر من الله ولا أسمع وقوله تعالى : ﴿ ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ أي انه تعالى له الخلق والأمر لا معقب لحكمه ، وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى الله وتقدس .

﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (٢٧) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿ (٢٨) ﴿

بأمر تعالى رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه للناس ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل وقوله تعالى : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ أي ملجأ قال ابن جرير : يقول الله إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من الله ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويألونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء . روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال : ١٠٠ [ كتاب مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : أطرده هؤلاء لا يهتدون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ انفراد بإخراجه دون البخاري .

روى الحافظ أبو بكر البزار عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : ١٠١ [ جاء رسول الله ﷺ ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف ، فسكت ، فقال رسول الله ﷺ : وهذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم . » ]

روى الطبراني عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال ١٠٢ [ نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض آياته ﴾ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ الآية فخرج يلتمسهم ، فوجد قوماً يذكرون الله تعالى ، منهم نائر الرأس وجاف الجلد وقو الثوب

الواحد ، فلما رأهم جلس معهم وقال : « الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أصبر نفسي معهم » [

وقوله تعالى : ﴿ ولا تعدّ عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ قال ابن عباس ولا تجاوزهم إلى غيرهم ، يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة ﴿ ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿ وكان أمره فرطاً ﴾ أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ، ولا تكن مطيعاً له ولا محباً له ولا محباً لطريقته ، ولا تغبط بما هو فيه .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (٢٩) ﴿

يقول تعالى لرسوله ﷺ : وقل يا محمد للناس ، هذا الذي جتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا ﴾ أي أرسدنا ﴿ للظالمين ﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿ ناراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ أي سورها قال ابن جريج : قال ابن عباس أي حائط من نار . وقوله تعالى : ﴿ وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ﴾ قال ابن عباس : المهل : الماء الغليظ مثل دردي الزيت - أي عكر الزيت - وهو أسود متين غليظ حار ولهذا قال سبحانه : ﴿ يشوي الوجوه ﴾ من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه . وقوله تعالى : ﴿ بئس الشراب ﴾ أي بئس هذا الشراب كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وساءت مرتفقاً ﴾ أي وساءت النار منزلاً ومقبلاً ومجتمعاً وموضماً للارتفاق كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ إنها ساءت مستقراً ومقاماً ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ



مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا • (٢٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ  
الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خضْرًا  
مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ  
وَحَسْبَتْ مُرْتَقًا • (٢١)

لما ذكر تعالى حال الاشقياء ، ثنى بذكر المعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين  
فيما جاءوا ، وعملوا بما أمرهم به من الأعمال الصالحة ، فلهم جنات عدن والعدن  
الإقامة ﴿ تجري من تحتهم الأنهار ﴾ أي من تحت غرفهم ومنازلهم ﴿ يحلون ﴾ أي من  
الحلية ﴿ فيها من أسود من ذهب ﴾ وقال في المكان الآخر ﴿ ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير ﴾  
وفصله ما هنا فقال سبحانه : ﴿ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق ﴾ فالسندس  
لباس رفيع رقيق كالقمصان وما جرى مجراها وأما الاستبرق فغليظ الديباج وفيه برقي .  
وقوله تعالى : ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ أي المتكآت والأرائك جمع أريكة  
وهي السرير تحت الحيلة <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ نعم الثواب وحسب مرتقاً ﴾ أي نعمت  
الجنة ثواباً على أعمالهم وحسب متراً ومقبلاً ومقاماً .



وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ  
أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا • (٢٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ  
أَتَتْ أُمَّهُنَّ لَمْ يَأْكُلَا مِنْهُنَّ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهَا نَهْرًا • (٢٣) وَكَانَ  
لَهُ ثَمَرَةٌ فَقَالَ إِيصَابِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ  
نَهْرًا • (٢٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ

(١) قلت : ما يزين بالثياب والبشور للعروس وهو ما يسمى في زماننا (بالقرنة / وما يسمى أيضاً / بالقياس /)  
إذا كان طويلاً وله متكآت وساند .

هذِهِ أَبَدًا ﴿٢٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُيِّدْتُ إِلَى رَبِّي  
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المتكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين ، واقتخارهم عليهم بأموالهم وأحبابهم ، فغضب لهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين ، أي بتائين من أعناب محفوفتين بالنخيل ، المحدقة في جنباتها وفي خلالهما الزروع ، وكل ذلك شمر في غاية الجودة ولهذا قال تعالى : ﴿ كلتا الجنتين أتت أكلها ﴾ أي أخرجت ثمرها ﴿ ولم تظلم منه شيئاً ﴾ أي ولم تنقص منه شيئاً ﴿ وفجرنا خلالهما نهراً ﴾ أي والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا ﴿ وكان له نمر ﴾ أي ثمار ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره ﴾ أي يخاصمه ويجادله مفتخراً عليه : ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾ أي أكثر خدماً وحشماً وولداً .

وقوله تعالى : ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾ أي بكفره وتمرده وتكبره وتجبيره وإنكاره المعاد ﴿ قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴾ وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار الجارية في أرجائها ظن أنها لا تفضى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف ، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله ، واعجاباه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة ، ولهذا قال ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أي كائنة ﴿ ولئن رددت إلى ربِّي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكون لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربِّي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا .

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ

تُرَابٍ نَّمٌّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ (٢٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا

أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿ (٢٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ

اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿ (٢٩)

فَقَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنْ

السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴿٤١﴾

يخبر تعالى عما وعظه به صاحبه المؤمن زاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز ﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب ﴾ وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه كما قال تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ أي كيف تمجدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جليلة لا ينكرها أحد ويعلمها من نفسه فإن كل أحد من المخلوقات يعلم أنه كان عدماً ، ولا يستند وجوده إلى شيء من المخلوقات لأنها مثله فعلم إسناد إجماده إلى خالقه ، وهو الله لا إله الا هو خالق كل شيء ، ولهذا قال المؤمن ﴿ لكننا هو الله ربي ﴾ أي لكن أنا لا أقول بمقاتلك بل اعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿ ولا أشرك بربي أحداً ﴾ بل هو المعبود وحده لا شريك له .

ثم قال : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً ﴾ أي هلا إذا اعجتك حين دخلتها ، ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة الا بالله .

وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له : ١٠٣ [ ألا أدلتك على أكثر من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله ]

وقوله تعالى : ﴿ فمضى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ﴾ أي في الدار الآخرة ﴿ ويرسل عليها ﴾ أي على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفتى ﴿ حساباً من السماء ﴾ أي مطراً عظيماً يقطع زرعها وأشجارها ولهذا قال : ﴿ فتصبح صعيداً زلقاً ﴾ أي بقلعاً تراباً أملس لا تثبت فيها قدم وقوله تعالى : ﴿ أو يصبح ماؤها غوراً ﴾ أي غائراً في الأرض كما قال تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ﴾ أي جار وسائح . والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه .

وَإِحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾  
هَذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالى : ﴿ وأحيط بشركه ﴾ بأمواله وثماره ، والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما يخوفه به المؤمن من إرسال الحبان على جنته التي اغتر بها وألفته عن الله عز وجل ﴿ فأصبح بقلب كفيه على ما أنفق فيها ﴾ أي يصفق كفيه متأسفاً مثلها على الأموال التي أذهبها عليها ﴿ ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً . ولم تكن له فتنة ﴾ أي عشيرة أو ولد ﴿ ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً . هنالك الولاية لله الحق ﴾ أي هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب ، كقوله تعالى : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفونا بما كنا به مشركين ﴾ ومنهم من كسر الواو من الولاية ، أي هنالك الحكم لله الحق ، ومنهم من خفض القاف من الحق على أنه صفة لله عز وجل ، ولهذا قال تعالى : ﴿ هو خير ثواباً ﴾ أي جزاء ﴿ وخير عقبا ﴾ أي الأعمال التي تكون لله عز وجل خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير .

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾

يقول تعالى : ﴿ واضرب لهم ﴾ يا محمد ﴿ مثل الحياة الدنيا ﴾ في زوالها وفنائها ، وانقضائها ﴿ كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾ أي ما فيها من الحب ، فشبَّ وحسُن . ثم بعد ما علاه الزهر والنضرة ﴿ فأصبح هشيماً ﴾ يابساً ﴿ تذروه الرياح ﴾ أي تفرقه هنا وهناك ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدرًا ﴾ أي هو قادر في كل الأحوال . وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل ، كما قال تعالى في سورة بونس : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ﴾ الآية ... وفي الحديث : ١٠٤ [ الدنيا خضرة حلوة ] . وقوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾

أي الاقبال عليه تعالى والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم ، والجمع لهم ، والشفقة المفرطة عليهم ولهذا قال عز وجل : ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً ﴾ .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف : الباقيات الصالحات الصلوات الخمس . وروى الإمام أحمد الحارث مولى عثمان رضي الله عنه يقول : ١٠٥ [ جلس عثمان يوماً فجاءه المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مدّ ، فتوضأ ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا ثم قال : « من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصل صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ، ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لعله يبيت يتبرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء ، وهن الحسنات يذهبن السيئات » قالوا هذه الحسنات : فما الباقيات الصالحات يا عثمان ؟ قال هي لا إله إلا الله وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر بحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ] تفرد به . وروى الطبراني عن سعد بن جنادة رضي الله عنه قال : ١٠٦ [ كنت في أول من أتى النبي ﷺ من أهل الطائف ، فخرجت من أعلى الطائف من السراة غدوةً ، فأبيت منى عند العصر ، فتصاعدت في الجبل ، ثم هبطت فأبيت النبي ﷺ فأسلمت وعلمني ﴿ قل هو الله أحد الله ﴾ و﴿ إذا زلزلت ﴾ وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . وقال : « هن الباقيات الصالحات » ] وبهذا الإسناد : ١٠٧ [ من قام من الليل فتوضأ ، ومضمض فاه ، ثم قال : سبحان الله مائة مرة ، والحمد لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ، ولا إله إلا الله مائة مرة غفرت ذنوبه إلا الدماء فإنها لا تبطل ] . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى : ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ قال : هي ذكر الله قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله . والحمد لله وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، واستغفر الله ، وصلى الله على رسول الله والنبيم والصلوة ، والجمع ، والصدقة ، والعتق ، والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض . وقال العوفي عن ابن عباس : هي الكلام الطيب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم : هي الأعمال الصالحة كلها ، واختاره ابن جرير .

﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ  
 نُغَايِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٤٧) ﴿ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا  
 كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ (٤٨)  
 وَوَضَعَ الْكِتَابُ قَدَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ثَمَّ فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا  
 مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَايِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا  
 مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٤٩) ﴿

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة ، وما يكون فيه من الأمور العظام كما قال تعالى : ﴿ وبسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ، فيذرها قاعاً صافئاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ﴾ أي تذهب الجبال ، وتساوى المهاد ، وتبقى الأرض قاعاً صافئاً ، أي سطحاً مستويلاً لا عوج فيه ولا أمناً أي لا وادي فيه ولا جبل ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وترى الأرض بارزة ﴾ أي بادية ظاهرة ، لا مكان يوارى أحداً ، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية . وقوله تعالى : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ فلم نترك أحداً من الأولين والآخرين كما قال تعالى : ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وعرضوا على ربك صفاً ﴾ يحتمل أنهم يقومون بين يدي الله تعالى صفاً أو صفوفاً . وقوله تعالى : ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ هذا تقريع للمكبرين للمعاد ، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد ولهذا قال سبحانه ﴿ بل زعمت أن لن نجعل لكم موعداً ﴾ أي ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ، ولا أن هذا كائن . وقوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والصغير والكبير ﴿ قدرى المجرمين مشفقين بما فيه ﴾ أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿ ويقولون يا ويلتنا ﴾ أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه وضبطه وحفظه . وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جادة قال : ١٠٨ ] لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء . فقال النبي ﷺ « إجمعوا من وجد عوداً نليات به ، ومن وجد حطباً أو شيئاً نليات به . قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً . فقال النبي ﷺ « أترون هذا ؟

فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة ، فانها محصاة عليه \* ]

وقوله تعالى : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ أي من خير أو شر كما قال تعالى : ﴿ نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً ولا يظلم أحداً من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم ، ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ، ويملا النار من الكفار وأصحاب المعاصي ، ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين . وهو الحاكم الذي لا يجوز ولا يظلم .

وعن شعبة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ١٠٩ [ ان الجحيم لتقتصر من القرناء يوم القيامة ]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

بنيه تعالى بني آدم على عداوة إبليس لهم ولأبيهم من قبلهم ، ومقرعاً لمن اتبعه منهم وخالف خالقه ومولاه ، وهو الذي أنعم عليه النعم التي لا تعد ولا تحصى ، ثم بعد هذا وإلى إبليس وعادى الله فقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة ﴾ أي بلجميعهم ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ أي سجود تشريف وتكريم وقوله تعالى : ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ خانه أصله فإنه خلق من نار ، وأصل خلق الملائكة من نور ، كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : ١١٠ [ خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك أنه كان قد نوسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعد وتنسك ، فلهذا دخل في خطاياهم وعصى بالمخالفة ] ونبّه تعالى ههنا على أنه من من نار . كما قال تعالى : ﴿ انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾

قال الحسن البصري : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر . رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَنِ أمرِ رَبِّهِ ﴾ أي فخرج عن طاعة الله ، ثم قال تعالى مفرعاً لمن يتبعه وموثقاً لمن أطاعه : ﴿ أَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي ﴾ أي بدلاً عني ولهذا قال سبحانه : ﴿ بئس للظالمين بدلاً ﴾ .

﴿ مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِي الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ (٥١)

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ (٥٢) ﴿ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ (٥٣)

يقول تعالى : إن الذين اتخذوهم أولياء من دوني عبيد امثالكم لا يملكون شيئاً ، ولا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا كانوا موجودين ، فأنا خالق الأشياء كلها وحدي ومدبرها ومقدرها ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ أي أعواناً قاله مالك وقوله تعالى : ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم ﴾ أي في دار الدنيا ، ادعوهم اليوم يظنوكم بما أنتم فيه ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ . وكما قال سبحانه ﴿ ومن أصل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له . ﴾ وقال أيضاً : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم موبقاً ﴾ قال ابن عباس وقتادة وغير واحد : مهلكاً . والمعنى إن الله تعالى بيّن أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة فلا سبيل ولا خلاص لأحد من الفريقين إلى الآخر . بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير .

وقوله تعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾



أي أنهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك . تحقق المجرمون أنهم لا محالة مواتقوها ليكون ذلك من باب التعجيل ، تعجيل الهمة واخرن فيه . فإن توقع العذاب ، والخوف منه قبل وقوعه ، عذاب ناجز . وقوله تعالى : ﴿ وَنَمَّ يَتَّبِعُونَهَا مَتْرَفًا ﴾ أي ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها . روى الإمام أحمد عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ انه قال : ١١١ [ ان الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواتقته من مسيرة أربعين سنة ]

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)  
وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رِيبَهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ  
الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ  
وَمُنذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا  
أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ولقد بينا للناس في هذا القرآن ووضحنا لهم الأمور وفصلناها كيلا يضلوا عن الحق ويخرجوا عن طريق الحق والهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان فإن الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل إلا من هدى الله وبصره طريق النجاة . روى الإمام أحمد ١١٢ [ عن علي بن أبي طالب ان رسول الله ﷺ طرقه وقاطعه بنت رسول الله ﷺ ، ليلة . فقال : « ألا تعلمان » فقلت : يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئاً . ثم سمعته وهو مولاً يضرب فخذه ويقول : ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾ [ أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى : ﴿ وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولى ﴾ أي ان الكفرة في قديم الزمان وحديثه بتسردون على الحق ويكذبون به وهو بين ظاهر مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات ، وانه ما منعهم من اتباع الحق إلا أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيناً كما حكى الله عن قريش حين قالت : ﴿ اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إلا أن تأتيهم سنة الأولى ﴾ من غشيانهم بالعذاب وأخذهم عن آخرهم ﴿ أو يأتيهم العذاب قبلاً ﴾ أي يروونه مواجهة ثم قال تعالى : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ أي قبل العذاب مبشرين من صدقهم

وآمن بهم ، ومنذرين من كذبهم ، ثم أخبر عن الكفار بقوله تعالى : ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾ أي ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل على زعمهم ﴿ واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ﴾ أي اتخذوا الحجج والبراهين وما أنذروهم به الرسل وخوفوهم به من العذاب ﴿ هزواً ﴾ أي سخروا منهم في ذلك وهو أشد التكذيب .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلَ لَهِمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾ (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ (٥٩)

يقول تعالى : لا أظلم من عباد الله أحدًا ، مثل من ذكر آيات الله فأعرض عنها أي تناسها ولم يلتزم بها بالأمر ﴿ ونسي ما قدمت يدها ﴾ من الأعمال السيئة ﴿ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أي غشاوات ﴿ أن يفقهوه ﴾ أي لئلا يفهموا هذا القرآن ﴿ وفي آذانهم وقراً ﴾ أي صحماً معنوياً عن الرشاد ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة ﴾ أي ربك يا محمد غفور ذو رحمة واسعة ، ﴿ لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ ثم أخبر أنه يحلم ويسر ويغفر ، وربما هدى بعضهم من الغي إلى الرشاد . ومن استمر منهم على ضلاله ، فلينتظر يوماً تشيب فيه الولدان وهذا قال تعالى : ﴿ بل لهم موعد لمن دونه موائلاً ﴾ أي ليس لهم عنه عيب ولا عيب وقوله تعالى : ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ﴾ أي الأمم السالفة أهلكناهم بسبب كفرهم ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعداً ﴾ أي جعلناه إلى مدة معلومة ، ووقت معين ، أي وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا ان يصيكم ما أصابهم ، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي ونذر .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (٦٠) ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيًا حَوْثَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ (٦١) ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ (٦٢) ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ (٦٣) ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (٦٤) ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥) ﴿

سبب قول موسى عليه السلام لفناه وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحيط به موسى ، فأحب الرجل اليه وقال لفناه ذلك ﴿ لا أبرح ﴾ أي لا أزال سائراً ﴿ حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ قال قتادة وغير واحد : هما بحر فارس مما يلي المشرق ، وبحر الروم مما يلي المغرب ، وقال محمد بن كعب القرظي بمجمع البحرين عند طنجة والله سبحانه وتعالى أعلم ، وقوله تعالى : ﴿ أو أمضي حُقُبًا ﴾ أي ولو أنني أسير دهوراً . وقوله تعالى : ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوثهما ﴾ وذلك أنه قد أمر بحمل حوت يجعله بمكمل ، فحيثما فقد الحوت فثم الرجل الذي يرحل اليه . فأخذ حوتاً فجعله بمكمل ثم انطلق وفناه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسها فتاما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سراباً فجعل يسير في الماء مثل السرب في الأرض لا يلتزم الماء بعده فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماءً جامداً .

وقوله تعالى : ﴿ فلما جاوزا ﴾ أي المكان الذي نسيا الحوت فيه . ونسب النسيان اليهما وإن كان يوشع هو الذي نسيه كقولته تعالى : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ وإنما يخرج من المالح . فلما ذهبوا عن المكان الذي نسياه فيه بمرحلة ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لفناه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا ﴾ أي الذي جاوزا فيه المكان ﴿ نصبا ﴾ أي تعباً ﴿ قال أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن

أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً . قال ذلك ما كنا نبغي ﴿ أي هذا الذي نطلب ﴾ فارتداً أي رجعا ﴿ على آثارهما ﴾ أي طريقهما ﴿ قصصاً ﴾ أي يفقدان أثرهما ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علماً ﴾ وهذا هو الخضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ .

روى البخاري . عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس : إن نوحاً البكالي <sup>(١)</sup> يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني اسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ١١٣ [ إن موسى قام خطيباً في بني اسرائيل فسئل : أي الناس أعلم ؟ قال : أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى : يا رب وكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكثل فحيشما فقدت الحوت فهو ثم . فأخذ حوتاً فجعله بمكثل . ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام . حتى إذا أتيا الصحرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكثل ، فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً . وأسلك الله عن الحوت جريئة الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ ، نسي صاحبه أن يجبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليتئهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : ﴿ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً ﴾ ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به فقال له فتاه : ﴿ أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً ﴾ قال : فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً فقال : ﴿ ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً ﴾ قال : فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة . فإذا رجل مسجى بثوب . فلم عليه موسى فقال الخضر : وأني بأرضك السلام . فقال أنا موسى فقال : موسى بني اسرائيل ؟ قال : نعم . قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه . لا تعلمه انت . وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه . فقال موسى : ﴿ ستجنني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ﴾ فقال له الخضر : ﴿ فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ فانطلقا يمسيان على ساحل البحر فمرت سفينة . فكلسوها ان يحملوهم فعفرقوا الخضر فحملوهم بغير نول . فلما ركبا في السفينة لم ينجياً إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم ، فقال له موسى :

(١) قلت : هو ابن امرأة كعب الأسيار .

قد حملونا بغير قول : فعمدت إلى سفينتهم ففترقتها لتفرق أهلها ؛ لقد جئت شيئاً إمرأ  
 ﴿ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري  
 عسراً ﴾ قال : وقال رسول الله ﷺ - فكانت الأولى من موسى نسياناً ، قال : وجاء  
 عصنور فوق علي حرم السفينة ، فنقر في البحر نقرةً أو تقرتين فقال له الخضر ما علمي  
 وعلمك في علم الله إلا مثل ما أنقص هذا العصفور من هذا البحر .

ثم خرجا من السفينة فينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع  
 الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله . فقال له موسى ﴿ أتلت نقاً زكية بغير  
 نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ قال : وهذه أشد  
 من الأولى ﴿ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا  
 حتى إذا أتيا أهل قرية استطعسا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن  
 ينقض ﴿ أي مائلاً فقال الخضر بيده ﴿ فأقامه ﴾ فقال موسى : قوم أيانهم فلم يطعمونا  
 ولم يضيفونا ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما  
 لم تستطع عليه صبراً ﴾ فقال رسول الله ﷺ « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص  
 الله علينا من خبرهما » [

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ بِي مَا عَلَّمْتَنِي  
 رَشْدًا ۖ ﴾ (٦٦) ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴾ (٦٧) ﴿ وَكَيْفَ  
 تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ۖ ﴾ (٦٨) ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا  
 وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ ﴾ (٦٩) ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن  
 شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ ﴾ (٧٠) ﴿

يخبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك النبي الآخر - وهو الخضر - الذي خصه  
 الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى موسى علماً لم يعطه الخضر ﴿ قال له موسى هل  
 أتبعك ﴿ سؤال تلطف . لا على وجه الإلزام وهذه آداب المتعلم مع معلمه ، وقوله :  
 ﴿ أتبعك ﴾ أي أصحبك ﴿ على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ أي اسرشد بما علمك الله  
 من علم نافع وعمل صالح : فعندها ﴿ قال ﴾ الخضر لموسى ﴿ إنك لن تستطيع معي  
 صبراً ﴾ أي إنك لن تقدر على مصاحبتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك

فكل منا على علم من الله لا يعلمه الآخر ﴿ وكيف نصبر على ما لم نعط به خيراً ﴾ وستنكر عليّ ما أنت معذور فيه ، ولكن ما اطلعت على حكمته ومصلحته التي اطلعت عليها أنا دونك ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ مستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ عل ما أرى من أمورك ﴿ ولا أعصي لك أمراً ﴾ فعند ذلك شارطه الخضر عليه السلام ﴿ قال فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء ﴾ ابتداءً ﴿ حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ أي حتى أبدأك أنا به قبل ان تسألني .

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَنْخِرْقَتَهَا لِيُتَفَرَّقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَنَا شِينًا أَمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أُمُّ أَقْلٍ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾

يخبر تعالى عن موسى وصاحبه الخضر ، أنهما انطلقا لما توافقا واصطعبا واشترط عليه ألا يتدنه بالسؤال عن شيء ينكره قبل شرحه وبيانه . فركبا السفينة ، وقد تقدم في الحديث كيف ركبا السفينة ودخلت بلجة البحر قام الخضر فخرقها فلم يتمالك موسى أن انكر عليه ذلك فقال : ﴿ أخرقتها لتفريق أهلها . لقد جئت شيئاً مكرراً ﴾ أي شيئاً منكراً فذكره الخضر عليه السلام بما تقدم من الشرط : ﴿ قال أم أكل إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ يعني فعلت ذلك قصداً وهو من الأمور التي اشترطت معك أن لا تنكر عليّ فيها ﴿ قال ﴾ أي موسى : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً ﴾ أي لا تضيق علي ولا تشدد عليّ . ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كانت الأولى من موسى نياناً » .

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَنَا شِينًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أُمُّ أَقْلٍ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾



يقول تعالى : ﴿ فَاَنْطَلَقَا ﴾ أي بعد ذلك ﴿ حتى إذا أتيا غلاماً قتلته ﴾ وكان يلعب مع الغمaman ، وكان أحسنهم وأجملهم روي أنه احتز رأسه . وقيل رضخه بحجر وقيل اقتلعه بيده والله أعلم فأفكر موسى عليه السلام فعل الخضر أشد من الأول وقال : ﴿ أتلت نفساً زكية ﴾ أي صغيرة لم تعمل الخث ولا الإثم . قتلته ﴿ بغير نفس ﴾ أي بغير مستند لقتله ﴿ لقد جث شيئاً ذكراً ﴾ أي ظاهر التكرار ﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ فأكد أيضاً في التذكير بالشرط الأول . فلماذا قال له موسى : ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبي ﴾ قد بلغت من لدي عذراً ﴿ أي قد أعذرت إلي مرة بعد مرة . روى ابن جرير عن أبي بن كعب قال : ١١٤ [ كان النبي ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه . فقال ذا يوم « رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب . ولكنه قال : - إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبي قد بلغت من لدي عذراً ]

﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿ ٧٧ ﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأْتَبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ ٧٨ ﴾

يخبر تعالى عنهما أنهما ﴿ انطلقا ﴾ بعد المرتين الأوليين ﴿ حتى إذا أتيا أهل قرية ﴾ روى ابن جرير أنها الآية وفي الحديث : حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً أي بخلاء ﴿ فأبوا أن يضيفوهما فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض ﴾ أي يريد أن يسقط ﴿ فأقامه ﴾ أي فردّه إلى حياطة الاستقامة . فعند ذلك قال موسى له ﴿ لو شئت لآخذت عليه أجراً ﴾ أي لأجل أنهم لم يضيفوهما كان ينبغي أن لا تعمل لهم عملاً ﴿ قال هذا فراق بيني وبينك ﴾ أي لآنك شرطت عند قتل العلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها : فلا تصاحبي ، فهذا فراق بيني وبينك . ﴿ سأتبك بتأويل ﴾ أي بتفسير ﴿ ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ .

﴿ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿ ٧٩ ﴾

هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى عليه السلام ، وما كان أنكر ظاهره ، وقد أظهر الله الخضر عليه السلام على حكمة باطنة فكان : إن السفينة إنما خرقتها لأعبيها لأنهم كانوا يبرون بها على ملك من الظلمة ﴿ يأخذ كل سفينة ﴾ أي صالحه ﴿ غصباً ﴾ فأردت أن أعيها لأرده عنها لعيها ، فيستغ بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ، ينتفعون به غيرها .

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا

طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ وَزَكَاةً  
وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴾ (٨١)

عن ابن عباس عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ قال : ١١٥ [ الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً ] رواه ابن جرير ولهذا قال : ﴿ فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً ﴾ أي يحملهما حبه على متابعتة على الكفر وصح في الحديث : الحديث : ١١٦ [ لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له ] وقال تعالى : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ . وقوله : ﴿ فأردنا أن يبدلنا ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً ﴾ أي ولدنا أذكى من هذا وهما أرحم به منه .

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ

تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا  
وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ  
مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (٨٢)

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولاً : ﴿ حتى إذا أتيا أهل قرية ﴾ وقال ها هنا : ﴿ فكان لغلّامين يتيمين في المدينة ﴾ كما قال تعالى : ﴿ فكأن من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ﴾ ومعنى الآية أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلّامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما أي تحته مال مدفون لهما وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وقوله : ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ فيه



دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته ثم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ، ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة وقوله : ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ﴾ ههنا أمدد الإرادة إلى الله تعالى : لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله وقال في الغلام ﴿ فأردنا أن يبلغهما ربهما خيراً منه زكاة ﴾ وقال في السفينة ﴿ فأردت أن أعيها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ﴾ أي هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة ، إنما هو رحمة من الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ووالذي الغلام ووالذي الرجل الصالح وما فعلته عن أمري كني أمرت به ووقفت عليه ، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله تعالى : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا آتياه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً ﴾

وقيل إن الخضر ما يزال باقياً أي حياً وذكروا في ذلك حكايات ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية وهي غير صحيحة وأساندها واهية .

ورجح آخرون خلاف ذلك أي أنه ليس حياً ومات كما مات غيره من الأنبياء على نبينا وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام واحتج هؤلاء على وفاة الخضر بقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ ويقول النبي ﷺ يوم بدر : [ ١١٧ ] **أ اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض** [ ٣ ] وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حياً لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقليين : الجن والإنس وقد قال : [ ١١٨ ] **لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي** [ ٤ ] وأخبر عليه الصلاة والسلام قبل موته بقيل أنه [ ١١٩ ] لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته عن تصرف . [ إلى غير ذلك من الدلائل .

وفي صحيح البخاري : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : [ ١٢٠ ] **إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة . فإذا هي أهتر من خضراء** [ والمراد بالفروة ههنا : الحشيش اليابس وهو الهشيم من النبات . قاله عبد الرزاق . وقوله : ﴿ ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ أي هذا تفسير ما ضقت به ذرعاً . ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداءً ، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال ﴿ تستطع ﴾ وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقبلاً . قال : ﴿ سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ . فقابل الأثقل بالأثقل والأخف

بالأخف ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ وهو الصعود إلى أعلاه ﴿ وما اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ وهو أشق من ذلك ، فقابل كلاً بما يناسبه لفظاً ومعنى ، والله أعلم .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٨٣) ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴾ (٨٤)

يقول تعالى لبيته ﷺ : ﴿ ويسألونك ﴾ يا محمد ﴿ عن ذي القرنين ﴾ أي عن خبره وقد قدمنا أنه بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألونهم ما يمتحنون به النبي ﷺ فقالوا : سلوه عن رجل طواف في الأرض ، وعن فتية ما يلدي ما صنعوا ، وعن الروح ، فترلت سورة الكهف وفيها : ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً ﴾ وقد ظن بعضهم أنه رومي وهذا غير صحيح ، والصحيح هو ما ذكره الأزرق وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم عليه السلام أول ما بناه واتبعه وقرب إلى الله قرباناً وقد ذكرنا طرفاً من أخباره في كتاب البداية والنهاية ، بما فيه كفاية والله الحمد .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي أعطيناه ملكاً عظيماً مكنئاً فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود والآلات الحربية وآلات الحصار ولهذا ملك المشارق والمغرب من الأرض ، ودانت له البلاد ، وخضعت له الملوك وخدمته الأمم من العرب والنعجم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها . وقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴾ كقوله تعالى في حق بلقيس : ﴿ وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي مما يؤتى مثلها من الملوك وهكذا ذو القرنين ، يسر الله له الأسباب أي الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والأراضي ، وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض ، وإذلال أهل الشرك قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سبياً والله تعالى أعلم

﴿ فَاتَّبَعَ سَبِيًّا ﴾ (٨٥) ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ

تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ (٨٦) ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ

نَعَذْبُهُ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيَعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ  
آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِن أَمْرِنَا  
يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴿١٨﴾

قال مجاهد : ﴿ فأتبع سبياً ﴾ أي منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب . وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس ﴾ أي فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وقوله تعالى : ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط . وهذا شأن من انتهى إلى ساحله : يراها كأنها تغرب فيه . وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مشتهة فيه لا تغدو . وفيما يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في تخلصه بالعلم واتباعه إياه :

بلغ المشارق والمغارب يتغني أسباب أمرٍ من حكيم مرشد  
فأرى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذا خبٍ وناظرٍ حرّمسد

وقد سمع ابن عباس هذين البيتين من ابن حاصر فسأله ابن عباس : ما الخلب ؟ قلت الظين بكلامهم . قال فما انطاظ ؟ قلت الحمأة . قال : فما الخرمذ ؟ قلت الأسود . فدعا ابن عباس رجلاً أو غلاماً فقال : اكتب ما يقول هذا الرجل <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ ووجد عندها قوماً ﴾ أي أمة من الأمم . ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم . وقوله تعالى : ﴿ قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴾ أي إن الله مكنته منهم ، وحكمه فيهم . وأظفره بهم وخيره إن شاء قتل وسي ، وإن شاء من أو قدى . فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه في قوله : ﴿ أما من ظلم ﴾ أي استمر على كفره وشركه بربه ﴿ فسوف نعذبه ﴾ عذاباً أليماً يفشاهم من جميع جهاتهم والله أعلم . وقوله : ﴿ ثم يردُّ إلى ربِّه فيعذِّبه عذاباً نكراً ﴾ أي شديداً بليغاً وجيماً أليماً . وفي هذا إثبات المعاد والجزاء . وقوله : ﴿ وأما من آمن ﴾ أي تابعتنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ فله جزاء الحسنى ﴾ أي في الدار الآخرة عند الله عز وجل ﴿ وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾ أي معروفاً في الدنيا .

(١) قلت لما كان البحر ذا لون أزرق مائل إلى الأسود و « حمئة » فيها منى السوداء فيكون المعنى إن الشمس وجدها تغرب في البحر ذي اللون الأزرق الأسود .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا ﴾ (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ  
وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سَبْرًا ﴿ (٩٠)  
كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا ﴿ (٩١) ﴿

يقول تعالى : ثم سلك طريقاً قصاراً من مغرب الشمس إلى مطلعها . وكان كلما مرَّ  
بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل . فإن أطاعوه .. وإلا أدبهم وأرغم  
آفاتهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم منهم جنداً له . على قتال الإقليم المتاخم لهم ،  
﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم ﴾ أي أمة ﴿ لم يجعل لهم من دونهما  
سبراً ﴾ أي ليس لهم بناء يكتنهم ولا أشجار تظللهم ونسرتهم من حر الشمس قال سعيد  
بن جبير : كانوا حمراً قصاراً ساكنهم الغيران وأكثر معيشتهم من السمك ، وعن  
قنادة قال : هم الزنج وقوله تعالى : ﴿ كذلك وقد أحطنا بما لديه خيراً ﴾ أي نحن  
مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه ، لا يخفى علينا منها شيء ، وإن تفرقت أمتهم  
وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى : ﴿ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا ﴾ (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ  
مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿ (٩٣) قَالُوا يَا  
الْقُرْآنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قَبْلُ نَجْعَلُ لَكَ  
خُرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿ (٩٤) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ  
رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿ (٩٥) أَوْتِي  
زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا  
جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَوْتِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ فِطْرًا ﴿ (٩٦) ﴿

يخبر تعالى عن ذي القرنين : ﴿ ثم أتبع سبياً ﴾ أي سلك طريقاً من مشارق الأرض  
﴿ حتى إذا بلغ بين السدين ﴾ وهما جبالان متواحان . بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج  
ومأجوج على بلاد الترك ، فيعيشون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل ، ويأجوج

ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين : ١٢٦ [ ان الله تعالى يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول : ابعد بعث النار . فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . فحينئذ يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها فقالت إن فيكم أميين ما كانوا في شيء إلا كثرناه : بأجوج ومأجوج ] وقوله تعالى : ﴿ ووجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴾ أي لاستعجاب كلامهم وبعدهم عن الناس ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن بأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً ﴾ أي أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سداً فقال ذو القرنين بعبق وديانة وصلاح وقصد للخير : ﴿ ما مكنني فيه ربي خير ﴾ أي ان الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه : ﴿ فأعبتوني بقوة ﴾ أي بعملكم وآلات البناء ﴿ أجعل بينكم وبينهم ردماً آتوني زبر الحديد ﴾ والزبر جمع زبرة أي القطعة وهي كاللينة ويقال ان كل لبنة زنة قطار بالدمشقي أو تزيد عليه . ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين ﴾ أي وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً ، واختلفوا في مساحة عرضه وطوله ﴿ قال انفخوا ﴾ أي أجتجوا عليه النار حتى صار كله ناراً ﴿ قال آتوني أفرغ عليه قطراً ﴾ قال ابن عباس وغيره هو النحاس المذاب ويستشهد بقوله تعالى : ﴿ وأسألنا له عين القطر ﴾ ولهذا يشبه بالبرد المحبتر أي طريقة سوداء وطريقة حمراء . ثم قال تعالى :

﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ (٩٧)

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿ (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿ (٩٩)

يخبر تعالى عن بأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله ، ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلاً بما يناسبه فقال تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ وهذا دليل على أنهم لم يقدرُوا على نقبه ولا على شيء منه .



وقوله تعالى : ﴿ قال هذا رحمة من ربي ﴾ أي لما بناه ذو القرنين ﴿ قال هذا رحمة من ربي ﴾ أي بالناس حيث جعل بينهم وبين بأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من العبث في الأرض والفساد ﴿ فإذا جاء وعد ربي ﴾ أي إذا اقترب الوعد الحق ﴿ جعله دكاء ﴾ أي ساواه بالأرض . ﴿ وكان وعد ربي حقاً ﴾ أي كائناً لا محالة . وقوله تعالى : ﴿ وتركنا بعضهم ﴾ أي الناس يومئذ . أي يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ، ويتلفون أشياءهم ، وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد اندجال كما سيأتي بيانه عند قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ واقترب الوعد الحق ﴿ وهكذا قال ههنا : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ قال السدي : هذا أول يوم القيامة ﴿ ونفخ في الصور ﴾ على أثر ذلك . والصور كما جاء في الحديث : قرن ينفخ فيه ، والذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام . وفي الحديث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري مرفوعاً : ١٢٢ [ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبهته . واستمع متى يؤمر ؟ ] قالوا : كيف نقول ؟ قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » [ وقوله تعالى : ﴿ فجمعناهم جمعاً ﴾ أي أحضرنا الجميع للحساب . كقولته تعالى : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ .

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً ﴾ (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴿ (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿ (١٠٢)

عبر تعالى عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم جهنم ، أي يبرزها لهم ويظهرها لبروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها . ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الحزم والحزن لهم . وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ - يؤتى بينهم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام . مع كل زمام سبعون ألف ملك ثم قال مخبراً عنهم : ﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ﴾ أي تغافلوا وتعاموا . وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق . كما قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ وقال ههنا ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ أي لا يفتنون عن الله

أمره وتبته ؛ ثم قال تعالى : ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ﴾ أي اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك ويتصفون به ﴿ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴾ ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلاً .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿ (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿ (١٠٦)

﴿ قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً ﴾ أي هل نخبركم بالآخسرين أعمالاً ، ثم فرهم فقال عز من قائل : ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ﴾ أي عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة ، مرضية مقبولة ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ أي يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون ، وهم في الواقع غثثون واعمالهم مردودة على أن هذه الآية لم تنزل في جماعة مخصوصة بل هي أعم من هذا ... فهي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يجب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول بينما هو مخطيء مردود العمل كما قال سبحانه : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ وقواه تعالى : ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ﴾ أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقامها على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة ، ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ أي لا ننقل موازينهم لأنها خالية عن الخبير . روى البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ١٢٣ ﴿ لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : ﴿ اقرأوا إن شئتم : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ . وقوله تعالى ﴿ ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ﴾ أي إننا جازبناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا ، أي استهزأوا بهم وكذبوهم أشد الكذب .

﴿١٠٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ  
الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴿١٠٨﴾

يخبر تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله ، وصدقوا المرسلين  
فيما جاءوا به ، أن لهم جنات الفردوس . وفي الصحيحين : ١٢٤ [ إذا سألت الله  
الجنة فأسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ] وقوله  
تعالى : ﴿ نزلاً ﴾ أي ضيافة ﴿ خالدين فيها ﴾ أي مقبضين ساكنين فيها لا يظعنون  
عنها أبداً ﴿ لا يبتغون عنها حولا ﴾ أي لا يختارون عنها غيرها ولا يحبون سواها ، كما  
قال الشاعر :

فحللت سويدا القلب لا أفا باغياً سواها ولا عن حبها أتحول

على أن التقيم في مكان عادي ، قد يتسرب إلى نفسه السأم أو الملل ، فأخبر أنهم  
مع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يبتغون متحولاً ، ولا انتقالاً ولا ظمناً ولا رحلة  
ولا بدلاً .

﴿١٠٩﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ  
أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله  
وحكمه وآياته الدالة عليه ، لنفذ البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك ﴿ ولو جئنا بمثله مدداً ﴾  
أي بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا لما نفذت كلمات الله ، كما قال تعالى : ﴿ ولو أن  
ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن  
الله عزيز حكيم ﴾ إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول .

﴿١١٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ  
فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ  
رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴿١١٠﴾



روى الطبراني عن عمرو بن قيس الكوفي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان أنه قال :  
 هذه آخر آية أنزلت <sup>(١)</sup> . يقول تعال لرسوله محمد صلوات الله عليه وسلامه : ﴿ قل ﴾  
 لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم : ﴿ إنما أنا بشر مثلكم ﴾ فمن زعم أنني  
 كاذب ، فليأت بمثلي ما جئت به فإني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي عما  
 سألتهم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين مما هو مطابق في نفس الأمر ، لولا ما  
 أظنني الله عليه ، وإنما أخبركم ﴿ إنما أنتمكم إله واحد ﴾ لا شريك له ﴿ فمن كان يرجو  
 لقاء ربه ﴾ أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ ما كان موافقاً لشرع الله  
 ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان  
 ركنا العمل المقبل ، لا بد أن يكون خالصاً لله . صواباً على شريعة رسوله ﷺ .

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : ١٢٥ | كنا نتناوب رسول الله ﷺ  
 فنبئت عنده تكون له الحاجة أو يطرقة أمر من الليل فبعضنا : فكثر المحبوسون وأهل  
 النوب ، فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ما هذه النجوى ؟ » قال :  
 فقلنا تبنا إلى الله أي نبي الله . وإنما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه فقال : ﴿ ألا أخبركم  
 بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي » قال : قلنا بلى قال : ﴿ الشرك الخفي ان يقوم  
 الرجل يصلي لمكان الرجل » [ .

روى الامام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال ١٢٦  
 [ أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري ، فأنا بريء منه وهو للذي أشرك ]  
 تفرد به من هذا الوجه .

روى الإمام أحمد عن محمود بن نبيد أن رسول الله ﷺ قال : ١٢٧ [ إن أخوف  
 ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ﴾ قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال  
 « الرياء . يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : إذهبوا إلى الذين كنتم ترءون  
 في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء . » [ .

روى أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ١٢٨  
 [ من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو ، فذلك استهانة استهان بها  
 ربه عز وجل ] آخر تفسير سورة الكهف والله الحمد والمنة .

١٣٨٩/٨/٦

١٩٦٩/١٠/١٧



سوى الآيتين (٥٨) و (٧١) فمدنيتان نزلت بعد فاطر

روى محمد بن اسحق في السيرة من حديث أم سلمة وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَبَّعَصَ ﴾ • (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا • ﴿ (٢)  
 إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا • ﴿ (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي  
 وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا • ﴿ (٤) وَإِنِّي  
 خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنِّي وَرَأَيْتُهَا مَأْكُوفَةً بِإِذْنِ رَبِّكَ إِذْ يَنْبَغُ  
 وَإِنِّي لَمِنَ الْغَالِبِينَ • ﴿ (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا • ﴿ (٦)﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فتقدم في أول سورة البقرة . وقوله تعالى :  
 ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ وكان نبياً عظيماً من أنبياء بني اسرائيل وفي صحيح  
 البخاري أنه كان نجاراً يأكل من عمل يده في التجارة وقوله تعالى : ﴿ إذ نادى ربه  
 نداءً خفياً ﴾ إنما أخفى دعاءه لأنه أحب إلى الله تعالى الذي يعلم القلب التقي ، ويسمع  
 الصوت الخفي ﴿ قال رب إنني وهن العظم مني ﴾ أي ضعفت وخارت قواي ﴿ واشتعل  
 الرأس شيباً ﴾ أي اضطرم المشيب في السواد ، والمراد الإخيار عن الضعف والكبر  
 ودلالته الظاهرة والباطنة وقوله تعالى : ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقياً ﴾ أي ولم أعهد

منك إلا الإجابة في الدعاء . ولم تردني قط فيما سألتك . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي خفت الموالى من ورثتي ﴾ أي أخشى أن يتصرف عصبي من بعدي في الناس تصرفاً سيئاً ﴿ وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً ﴾ أي ولداً نبياً من بعدي يسوس الناس بما يوحى إليه من النبوة ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ أي يكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء ، وكل ما قيل من أنه طلب أن يرث ماله فهذا غير صحيح لأن النبي أجل شأنه وأعظم منزلة ، وأعلى قدراً من أن يشفق على ماله ، في الوقت الذي كان فيه زكريا نجاراً يأكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع ماله ولا سيما الأنبياء فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا . وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال : ١٢٩ ( لا نورث ما تركناه صدقة ) وعلى هذا تعين حمل قوله : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً ﴾ يرثني ويرث آل يعقوب ﴿ على ميراث النبوة لا على ميراث المال . وكل ما جاء من الأحاديث بميراث المال فهي أحاديث ضعيفة مرسله لا تعارض الصحاح والله تعالى أعلم . وقوله : ﴿ واجعله ربي رضيعاً ﴾ أي مرضياً عندك وعند خلقك . تحبه وتحبه إلى خلقك في دينه وخلقه .

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ أَصْنَمٌ يَخْبِي لَمْ نَجْعَلْ لَهُ

مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ (٧)

ان الله تعالى اجاب عبده زكريا ما سأله فقال تعالى : ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ﴾ كما قال تعالى : ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ قال قتادة وغيره : أي لم بسم أحداً قبله بهذا الاسم وقال مجاهد : سمياً أي شبيهاً ، أخذه من معنى قوله تعالى : ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ أي شبيهاً وقال ابن عباس ، أي لم تلد العواقر قبله مثله .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِغُلَامِي هُنَالِكَ طَبِيعًا مُسْتَبْرَأًا ﴾ (٨)

﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٌّ

هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ (٩)

هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأله وبشر بالولد ففرح فرحاً شديداً . وسأل عن كيفية ما يولد له ، والوجه الذي يأتيه منه الولد . مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد من أول عمرها مع كبرها ، ومع أنه قد كبر وعنت أي عسا عظمه ونخل ولم يبق فيه نقاح ولا جماع قال مجاهد : عتياً يعني تحول العظم .

﴿ قال ﴾ أي الملك شياً لزكريا عما استعجب منه ﴿ كذلك قال ربك هو عليّ هين ﴾ أي إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها ، ﴿ هين ﴾ أي يسير سهل على الله تعالى ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل . فقال جل وعلا : ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم يك شيئا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ .

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَنْ تَكَلَّمَ النَّاسَ لَيْلًا سَوِيًّا ﴾ (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (١١)

يقول تعالى مخبراً عن زكريا عليه السلام أنه : ﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ أي علامة ودليلاً على وجود ما وعدتني . لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني . كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ وها هنا ... ﴿ قال آيتك ﴾ أي علامتك ﴿ أن لا تكلم الناس ثلاث ليلٍ سويًّا ﴾ أي تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليل . وأنت صحيح سوي . من غير مرض ولا علة قال ابن عباس وغيره : اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة وقال ابن زيد بن أسلم : كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا بإشارة .

والمراد من قوله تعالى : ﴿ ثلاث ليلٍ سويًّا ﴾ أي ثلاثة أيام بلياليها متتابعات ، وقال مالك ابن زيد بن أسلم : من غير خرس ، وكما قال تعالى في آل عمران : « إلا رمزاً ﴾ أي إشارة وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ (١)

(١) قلت : « من المحراب » أي من المسجد وليس المحراب هو تلك الضحوة التي يفت فيها الإمام للصلاة فهذه ليس اسمها محراباً ولم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وإلا لزم السلف الصالح إنما أحدثت بعده

أي الذي بشر فيه بالولد ﴿ فأوحى إليهم ﴾ أي أشار إشارة خفية سريعة ﴿ ان سبحوا بكرة وعشيا ﴾ أي موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكراً لله على ما أولاه .

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (١٢)  
 وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ  
 يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ  
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (١٥)

ان الله تعالى علم يحيى الثوراة التي كان الدين في ذلك العصر يتدارسونها بينهم ، ويحكم بها النبيون فقوله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ أي تعلم الكتاب وهو الثوراة بجهد وحرص واجتهاد وقد كان سنه إذ ذاك صغيراً ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ أي الفهم والعلم والمجد والعزم والاقبال على الخير والاجتهاد فيه وهو صغير حدث . قال معمر : قال الصبيان يوماً ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقنا قال فلهذا أنزل الله تعالى : ﴿ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ أي وآتيناه الحكم وحناناً وزكاة أي وجعلناه ذا حنان وزكاة ، فالحنان هو المحبة في شفقة وميل .

وقوله : ﴿ وَزَكَاةً ﴾ معطوف على وحناناً ، فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ ظهر أي قلبه يعمل بدين . وقوله تعالى : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ لما ذكر تعالى طاعته لربه شني بده لوالديه قولاً وفعلًا فجراه بقوله تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أي له الأمان في هذه المواطن الثلاثة . قال سفیان بن عيينة : أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن : يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ، ويوم يموت فيرى قوماً لم يعاينهم ، ويوم يبعث فيرى نفسه في عرش عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال

عز من قائل : ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ .

﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦) ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٧) ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨) ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩) ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٢٠) ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلِيُّ هَيْنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (٢١) ﴿

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام ، وانه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً ، عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب ، فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة ، ولهذا ذكرهما في آل عمران وههنا ، وفي سورة الأنبياء يقرون بين القصتين ليقارب ما بينهما في المعنى ، ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه ، وانه على كل شيء قدير . فقال جل ثناؤه : ﴿وأذكر في الكتاب مريم﴾ وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وان أمها نذرته محررة أي تخدم بيت المقدس تفرجاً إلى الله تعالى ﴿فقبلها ربها بقبول حسن وأنها نياتاً حسناً﴾ فنشأت نشأة عظيمة في بني إسرائيل ، وكانت أشهر العابدات تنسكاً وتبتلاً ودأباً . ورأى لها زكريا عليه السلام زوج أختها وكفيلها من الكرامات الهائلة ما بهره : ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فلما أراد الله تعالى - وله الحكمة والحجة البالغة - أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولى العزم لحمسة العظام ﴿انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾ أي اعترلتهم وتنحّت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس .

وقوله تعالى : ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾ أي استترت منهم وتوارت ، ﴿فأرسلنا

إليها روحاً ﴿ يعني جبرائيل عليه السلام ﴾ ﴿ فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ أي على صورة إنسان تام كامل ﴿ قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً ﴾ أي لما تبدي لها الملك في صورة بشر في مكان مفرد ، خافته وظلت أنه يريد لها على نفسها ، فقالت : ﴿ اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً ﴾ أي ان كنت تخاف الله ، نذكيراً له بالله تعالى ، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل ، فخوفه أولاً بالله عز وجل . ﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾ أي لست كما تظنين ، ولكني رسول ربك ﴿ لأهب لك غلاماً زكياً ﴾ قالت اني يكون لي غلام ولم يمسني بشر ولم أك بغياً ﴿ أي كيف يكون لي غلام ، ولست بذات زوج ، ولا يتصور مني الفجور ﴾ قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ﴿ أجابها جبريل عليه السلام : إن الله تعالى قد قال انه سيوجدُ منك غلاماً بلا بعل، ولا فاحشة فإنه على كل شيء قدير ولهذا قال سبحانه : ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ أي دلالة وعلامة لهم على قدرته تعالى ، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من الأنثى بلا ذكر فجعلت قدرته ، وعظم سلطانه ولا إله غيره ولا رب سواه .

وقوله تعالى : ﴿ ورحمة منا ﴾ نبياً يدعو إلى عبادة الله وتوحيده ﴿ وكان أمراً مقضياً ﴾ أي لا بد منه .

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ (٢٢) فَأَتَتْهَا الْمَخَاضُ

إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا

مَنِيًّا ﴿ (٢٣) ﴾

يغير تعالى عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال : استسلمت لقضاء الله تعالى عند ذلك نفخ جبريل في جيب درعها ، فنزلت النفخة حتى وبلحت في الفرج فحملت بالولد بإذن الله تعالى . فلما حملت به ضاقت ذرعاً ، ولم تدبر ماذا تقول للناس فإنهم لا يصدقونها فيما يخبرهم به ، غير أنها أفشت سرها ، وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا التي حملت بيهيبي ، فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها وقالت : أشعرت يا مريم أني حبلي ؟ فقالت لها مريم : وهل علمت أيضاً أني حبلي . وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها ، وكانوا بيت إيمان وتصديق . وقد اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام ، فالشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر كما تعمل النساء

بأولادهن ، وقال محمد بن اسحق : فلما حملت به وملأت قلبها ورجعت استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والتوجم وتغير اللون : حتى فطر لسانها ، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا . وشاع الحديث في بني اسرائيل فقالوا : إنما صاحبها يوسف النجار فلم يكن معها في الكنيسة غيره ، وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجاً ، فلا يراها أحد ولا تراه وقوله تعالى : ﴿ فَأَجَاجُهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أي فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة في المكان الذي تنحّت إليه . وقد اختلفوا فيه ، إنما المشهور أنه بيت لحم وهي قرية تعد عن بيت المقدس ثمانية أميال إلى الشرق وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ، ولا يشك فيه النصارى أنه بيت لحم .

وقوله تعالى إخباراً عنها : ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِياً مَنْسِياً ﴾ فيه دليل على جواز تمحي الموت عند الفتنة ، فإنها عرفت أنها ستبلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يصدقها الناس من أمرها فيه ، بعد مكانها منهم من العبادة والتقوى والصلاح ، ويظنون أنها عاهرة زانية ، فتمنت أن تموت قبل هذا الحال من الولادة من غير بعل وإن تكون شيئاً لا يعرف ولا يذكر ككل شيء نسي وترك فكان نسباً منسياً . وقد قدمنا الأحاديث الدالة على النهي عن تمحي الموت إلا عند الفتنة عند قوله تعالى : ﴿ تُوْفِي مَسْأَلاً وَالْحُفْظِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١)

﴿ فَتَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (٢٤) وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿ (٢٥) فَكَلِمَةَ أَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَأَمَّا تَرِينٌ مِّنَ الْبَشْرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ (٢٦)

اختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى : ﴿ فَتَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعمر بن ميمون والسدى وقتادة : أنه الملك جبريل عليه الصلاة والسلام ، أي ناداها من أسفل الوادي ، ولم يشكلم عيسى حتى أتت به قومها وقال مجاهد والحسن : هو ابنها وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير واختاره ابن



جرير في تفسيره - والله أعلم - .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴾ أي ناداها قائلاً : لا تحزني فقد جعل ربك تحتك منه والسري : هو النهر الصغير ثم قال : ﴿ وَهَزَّتْ يَدَاكَ بِنَجْوَةِ النَّخْلِ ﴾ قبل كان الجذع يابساً فهزته مريم فتساقت عليها الرطب ولهذا امتنَّ الله عليها بذلك ، بأن جعل عندها ضعامها وشراها فقال : ﴿ تَسَاقَطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ فكلي واشربي وقوري عينا ﴿ أَي طَيَّبِي نَفْسًا ﴾ ولهذا قال عمرو بن ميمون : ما من شيء خير للنساء من الثمر والرطب ، ثم تلا هذه الآية ...

وقوله : ﴿ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ أي مهما رأيت من أحد ﴿ فَقُولِي لِإِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ المراد بهذا القول هو الإشارة إليه بذلك لا أن المراد به القول اللفظي لتلا يناني : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ قال أنس بن مالك في قوله : ﴿ لِإِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ أي صمتاً وفي رواية عنه : صوماً وصمتاً . وكان في شريعتهم إذا صاموا يحرم عليهم الطعام والكلام .

﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَعْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْعًا ﴿ (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَرْحَامِ صَيًّا ﴿ (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿ (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿ (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿ (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿ (٣٣)

يخبر تعالى عن مريم حين أمرها ألا تكلم أحداً من البشر ، فامتثلت ، فكفاهها أمرها وأقام حاجتها ، فأنت قومها تحمل ولدها ، فلما رأوها أعظموا أمرها جداً واستنكروه

﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيحاً ﴾ امرأة عظيمة ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ يشبهه هارون في العبادة ﴿ مَا كَانَ ابْنُكَ امْرَأً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ أي أنت من بيت طاهر طيب معروف بالصلاح والعبادة والتقوى . فكيف صدر هذا منك ؟ ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أي سألتها هذا المولود يغيركم ﴿ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ أي فوق ما جاءت به من الشهادة . تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبياً أي : من هو موجود في مهده طفلاً كيف ينكلم ... ؟ ﴿ قَالَ ﴾ أي المولود عيسى : ﴿ إِنَّمَا عَبْدُ اللَّهِ ﴾ أول ما تكلم به نزه جناب ربه تعالى وبراه عن الولد . وأثبت لنفسه عبودية لربه ثم قال : ﴿ أَنَا نَبِيُّ الْكِتَابِ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ أي يؤتيني الكتاب والنبوة . وقوله : ﴿ وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾ أي جعلني معلماً فخيراً ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر أينما كنت ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ إشارة إلى عظيم هذين الركبتين الركبتين .

وقوله : ﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ أي لا أعصى لها أمراً . ذكر الله بالوالدة بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وقوله ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لِّجِبَارٍ أَشْقِيًّا ﴾ استكبر عن عبادته وطاعته . وبر والدتي فأشقى بذلك وقوله ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أي أثبت لنفسه العبودية لله عز وجل بأنه مخلوق كسائر المخلوقين يحيا ويموت ويبعث حياً كيفية الخلائق عليه من الله أطيب الصلوات وأزكى التحيات .

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (٢٤)

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿ (٣٦) فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ (٣٧)

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه : ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام ﴿ قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ أي يختلف فيه المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به ، ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبياً . نزه نفسه المقدسة فقال سبحانه : ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ﴾ عما يقول هؤلاء الجاهلون والظالمون المعتدون

علماً كبيراً ﴿ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي إذا أراد شيئاً ، فلأنما يأمر فيصير كما يشاء وذلك كقوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ أي ومما أمر به عيسى عليه السلام قومه وهو في المهد أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال : ﴿ فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ أي هذا الذي جنتكم به عن الله صراط مستقيم . من اتبعه رشد ، وهدى ، ومن خالفه ضل وغوى . وقوله تعالى : ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ أي اختلف قول أهل الكتاب في عيسى عليه السلام بعد بيان أمره بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فصمّت طائفة منهم ، وهم جمهور اليهود - عليهم لعائن الله - على أنه ولد زنية ، وقالوا : كلامه هذا سحر . وقالت طائفة أخرى : إنما تكلم الله . وقال آخرون ، بل هو ابن الله وقال آخرون ثالث ثلاثة . وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله ، وهذا هو قول الحق الذي أرشد إليه المؤمنین ، وقد روي نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقادة وغير واحد من السلف والخلف .

وقوله تعالى : ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله وافترى وزعم أن له ولداً . ولكن أنظر هم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم علماً وثقة بقدرته عليهم . فانه الذي لا يعجل على من عصاه كما جاء في الصحيحين : [ ١٣٠ ] إن الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ [ فقال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ ولهذا قال ها هنا : ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ أي يوم القيامة . وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [ ١٣١ ] من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم ، وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ] .

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٨) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ

فِي غَفَلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها  
وإلينا يرجعون ﴿٤٠﴾

يخبر تعالى عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره كما قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا ﴾ أي يقولون ذلك حين لا يفقههم ولا يجدي عنهم شيئاً ، ولو كان هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعاً لهم ، ومنقذاً من عذاب الله ، ولهذا قال : ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ أي ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿ يوم يأتوننا ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ لكن الظالمون اليوم ﴾ أي في الدنيا ﴿ في ضلال مبين ﴾ أي لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ، فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا يفقههم ذلك ثم قال تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الخسرة ﴾ أي أنذر الخلائق يوم الخسرة ﴿ إذ قضي الأمر ﴾ أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إن ما صار إليه مخلداً فيه ﴿ وهم ﴾ أي اليوم ﴿ في غفلة ﴾ عما أنذروا به يوم الخسرة والندامة ﴿ وهم لا يؤمنون ﴾ أي لا يصدقون به . روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : [ « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار يجيء بالموت كأنه كبرش ألمح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ - قال - فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت - قال - فقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت - قال - فيؤمر به فيذبح قال : ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ، يا أهل النار خلود ولا موت » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وأنذرهم يوم الخسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وأشار بيده ثم قال : « أهل الدنيا في غفلة الدنيا » هكذا رواه الإمام أحمد وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن الأعمش به ولفظهما قريب من ذلك وفيهما عن ابن عمر وقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾ : يخبر تعالى أنه هو الخالق المتصرف المالك ، وإن الخلق كلهم يهلكون ويبتلى هو تعالى وتقدس ولا أحد يدعى ملكاً ولا تصرفاً ، بل هو الوارث لجميع خلقه الباقي بعدهم الحاكم فيها ، فلا تظلم نفس شيئاً ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٤١)  
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي  
 عَنْكَ شَيْئًا ﴿ (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ  
 يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿ (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ  
 الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿ (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ  
 أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿ (٤٥) ﴿

يقول تعالى لنبى إبراهيم ﷺ ﴿ واذكر في الكتاب ابراهيم ﴾ أي اذكر لقومك الذين  
 يعبدون الأصنام مع أنهم يدعون أنهم من ذريته وعلى ملته ﴿ إنه كان صديقاً نبياً ﴾ واتل  
 خبره واذكر لهم ما جرى له مع أبيه وكيف نهاه عن عبادة الأصنام : ﴿ إذ قال لأبيه  
 يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ أي لا يفعلك ولا يدفع عنك  
 ضرراً . ﴿ يا أبت إنني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ﴾ يقول وإن كنت من صلبك  
 وتراني أصغر منك لأنني أبوك فاعلم أنني قد اطلعت من العلم من الله تعالى على ما لم تعلمه  
 أنت . ولا اطلعت عليه ولا جاءك ﴿ فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ﴾ أي طريقاً مستقيماً  
 موصلاً إلى نيل المطلوب والنجاة من المرهوب ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ﴾ أي لا تطعمه  
 في عبادتك هذه الأصنام فإن الشيطان هو الداعي إلى ذلك والراضي به ، كما قال تعالى :  
 ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إن الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾ أي مخالفاً مستكبراً عن طاعة ربه  
 فطرده وأبعده ، فلا تتبعه تصيراً مثله ﴿ يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾  
 أي على شركك وعصيانك لما أمرك به ﴿ فتكون للشيطان ولياً ﴾ يعني فلا يكون لك  
 مولى ولا ناصرأ ولا مغيثاً إلا إبليس ، وليس إليه ولا إل غيره من الأمر شيء بل  
 اتباعك له موجب لإحاطة العذاب لك ، كما قال تعالى : ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من  
 قبلك فرزق لهم الشيطان أعمالهم ، فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم ﴾ .

﴿٤٦﴾ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْبَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ  
لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ مَا سْتَغْفِرُ لَكَ  
رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴿٤٨﴾

يخبر تعالى عن جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه انه قال : ﴿أرأيب أنت عن البَيْتِ يا إبراهيم﴾ يعني ان كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاهم فلا تشتمها وإلا اقتضت منك وشتمك وهو قوله : ﴿لأرجمَنَّكَ﴾ قاله ابن عباس وغيره وقوله : ﴿واهجرني مليًّا﴾ أي اهجرني أبداً قبل أن تصيبك مني عقوبة واختاره ابن جرير . فعندها قال إبراهيم لأبيه ﴿سلام عليك﴾ كما قال تعالى في صفة المؤمنين : ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ ومعنى قول إبراهيم لأبيه : ﴿سلام عليك﴾ يعني أما أنا فلا ينالك مني مكروه لحرمه الآية ﴿سأستغفر لك ربي﴾ أي سأسأله أن يهديك ويعفرك ذنبك ﴿إنه كان بي حفيًّا﴾ الحفيُّ الذي يهتم بأمره . وقد استغفر إبراهيم ﷺ لأبيه مدة طويلة حتى وبعد أن بنى المسجد الحرام هو واسماعيل عليه السلام في قوله : ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهلهم من المشركين في ابتداء الإسلام وذلك اقتداءً بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله - إلى قوله - - إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء﴾ الآية ... يعني إلا في هذا القول فلا تتأسوا به ثم بين تعالى أن إبراهيم أفلح عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مواعده وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴿وقوله : ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي﴾ أي اجتنبكم واتبرأ منكم ومن آلتكم التي تعبدونها من دون الله ﴿وأدعو ربي﴾ أي واعبد ربي وحده لا شريك له ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًّا﴾ وعسى هذه موجبة لا محالة فإنه عليه الصلاة والسلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ

﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْزُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾

يقول تعالى : فلما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله ، أبدله الله من هو خير منهم ، ووهب له اسحاق ابنه ، ويعقوب ابن ابنه أي جعلنا له نسلًا وعقبًا أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته أي اسماعيل واسحق وابنه يعقوب ولهذا قال تعالى : ﴿ وكلاً جعلنا نبياً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ قال ابن عباس التاء الحسن ، وقال ابن جرير : إنما قال : ﴿ علياً ﴾ لأن جميع الملل والأديان يشترن عليهم ويمدحونهم ، صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾

لما ذكر تعالى ابراهيم الخليل ، وأثنى عليه ، عطف بذكر الكلم فقال تعالى : ﴿ وأذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً ﴾ بفتح اللام بمعنى أنه كان مصطفي كما قال تعالى : ﴿ إني اصطفيتك على الناس ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وكان رسولاً نبياً ﴾ جمع الله له بين الوصفين ، فإنه كان نبياً ورسولاً من أول العزم . وقوله تعالى ﴿ وناديناه من جانب الطور ﴾ أي الجانب ﴿ الأيمن ﴾ من موسى حين ذهب يتنفي من تلك النار جذوة ، فكلمه الله تعالى وناداه ﴿ وقرناه نجياً ﴾ أي أدبناه وكلمناه ، وناجيناه بطور سبأ . وقوله تعالى : ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾ أي وأجبتنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبياً ولهذا قال بعض السلف : ما شفع أحدٌ في أحدٍ شفاعته في الدنيا أعظم من شفاعته موسى في هارون أن يكون نبياً ، فكان نبياً .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ

رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ  
عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد . قال ابن جرير : لم يعبد ربه عبدة إلا أنجزها . يعني ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفأها حقها . وقال ابن جرير عن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه فيه ، فجاء ونسي الرجل ، فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد ، فقال : ما برحت من هاهنا قال : لا قال : إني نسيت . قال : لم أكن لأبرح حتى تأتيني ، فلذلك : ﴿ كان صادق الوعد ﴾ وقال بعضهم : إنما قيل له : صادق الوعد لأنه قال لأبيه : ﴿ متجددي إن شاء الله من الصابرين ﴾ فصدق في ذلك وقوله تعالى : ﴿ وكان رسولاً نبياً ﴾ في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه اسحق لأنه إنما وصف بالنبوة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة . وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : ١٣٣ [ إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ] وذكر تمام الحديث . فدل على صحة ما قلناه وقوله تعالى : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ هذا أيضاً من ثناء الخليل والصفة الحميدة . والحلة السدينة حيث كان صابراً على طاعة ربه عز وجل آمراً بها لأهله . كما قال تعالى لرسوله : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ الآية ... وقال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ الآية ... أي مروهم بالمعروف وأهروهم عن المنكر ولا تدعوهم هملاً فتأكلهم النار يوم القيامة . وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ١٣٤ [ رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبي نضحت في وجهه الماء ] أخرجه أبو داود وابن ماجه . وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ١٣٥ [ إذا استبظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين ، كتبنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ] رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والمنظ له .

﴿ وَأذْكَرُنِي الْكِتَابِ إِذْ رَسِمَ لَهُ أَنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٥٦)  
وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾



ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه ﴿ إنه كان صديقاً نبياً ﴾ وقال سبحانه : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ وقد تقدم في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به في ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة وعن مجاهد قال إدريس رفع ولم يمض كما رفع عيسى وقال : رفع إلى السماء الرابعة . وعن ابن عباس إنه كان خياطاً ، فكان لا يفرز إبرة إلا قال سبحانه الله فكان يمسي حين يمسي وليس في الأرض أحد أفضل منه عملاً . وقال الحسن في قوله تعالى : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ قال : الجنة .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝ (٥٨) ﴾

يقول تعالى : هؤلاء النبيون -- وليس المراد بمن ذكروا في هذه السورة فقط بل جنس الأنبياء عليهم السلام استطراد من ذكر الأشخاص إلى الجنس - ﴿ الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ﴾ الآية ... قال السدي وابن جرير رحمهما الله : فالذي عني به من ذرية آدم : إدريس ، والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح : إبراهيم ، والذي عني به من ذرية إبراهيم : اسحق ويعقوب واسماعيل والذي عني به من ذرية اسرائيل : موسى وهارون وزكريا ويعي وعيسى بن مريم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . قال ابن جرير : ولذلك فرق أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم ، لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس فإنه جد نوح ( قلت ) هذا هو الأظهر .

وما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء أنها كقولها تعالى : في سورة الأنعام : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلاهما هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويعي وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين . ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتناهم وهديتناهم إلى صراط مستقيم . - إلى قوله - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ .

وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ إذا نزل عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبيكياً ﴾ أي إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه ، سجدوا لربهم خضوعاً واستكانةً وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة ، والبيكي جمع باك ، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداءً بهم واتباعاً لهم . قال سفيان الثوري عن أبي معمر قال : قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مریم فسجد وقال : هذا السجود فأين البيكي ؟ يريد البكاء .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩) ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٦٠) ﴿

لما ذكر تعالى حزب العداء ، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن اتبعهم من القاطنين بحدود الله وأوامره ، المؤذنين فرائض الله التاركين لزواجره ، ذكر أنه : ﴿ خلف من بعدهم خلف ﴾ أي قرون آخر ﴿ أضاعوا الصلاة ﴾ وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع ، لأنها عماد الدين وقوامه ، وخير أعمال العباد ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ أي أقبلوا على الشهوات ، ورضوا بالحياة الدنيا وملاذها واطمأنوا بها ، فهؤلاء سيلقون غيًّا أي خساراً يوم القيامة ، وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة هاهنا فقال قائلون : المراد بإضاعته تركها بالكلية . قاله محمد بن كعب القرظي وابن زيد بن اسلم والسري واختاره ابن جرير .

وقال الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ﴾ قال : إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كضراً وقال وكيع عن ابن مسعود انه قيل له : إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن : ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ و ﴿ على صلاتهم دائمون ﴾ ﴿ وعلى صلاتهم يحافظون ﴾ فقال ابن مسعود : على مواقيتها . قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك ، قال : ذلك الكفر ، وقال بذلك مسروق وعمر بن عبد العزيز قال : لم تكن إضاعته تركها ولكن أضاعوا الوقت . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ قال :

عند قيام الساعة وذهاب صالحى أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض في الأزقة .  
 روى ذلك عن مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح أنهم من هذه الأمة يعنون في آخر  
 الزمان وقال مجاهد : يترأكون تراكب الأنعام والحمر في الطرق لا يخافون الله في  
 السماء ، ولا يتحيون من الناس في الأرض .

قال أبو الأشهب المطاردي : أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود حذر وأنتفر  
 أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة ،  
 وإن أهون ما أصح بالعبد من عيدي إذا أثر شهوة من شهواته أن أحرمه طاعتي .  
 وقوله تعالى : ﴿ فسوف يلقون غياً ﴾ أي خسراً وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن  
 مسعود قال : واد في جهنم بعيد القمر ، حيث الطعام . وقوله تعالى : ﴿ إلا من تاب  
 وآمن وعمل صالحاً ﴾ أي إلا من رجع عن ترك الصلوات وآتباع الشهوات ، فإن الله  
 يقبل توبته ويحسن عاقبته ، ويجعله من ورثة جنة النعيم ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ فأولئك  
 يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ وذلك لأن : ١٣٦ [ التوبة تجب ما قبلها ] ، وفي  
 الحديث الآخر ١٣٧ [ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ] ولهذا لا يُقَصُّ هؤلاء التائبون  
 من أعمالهم التي عملوها شيئاً ، ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فيقص لهم مما عملوه بعدها ،  
 لأن ذلك ذهب هدرأ ، وعفي عنه تفضلاً ، وذهب مجاناً من كرم الكريم وحلم الحليم .  
 وهذا الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إلا من تاب ... ﴾ الآية كقوله تعالى في سورة الفرقان :  
 ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق - إلى قوله  
 تعالى - وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ  
 وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ  
 رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَا ﴾ (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ  
 عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٦٣)

يقول تعالى : الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أي إقامة  
 التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب ، أي هي من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه  
 وذلك لشدة إيمانهم وقوة إيمانهم ، وقوله تعالى : ﴿ إنه كان وعده مأتياً ﴾ تأكيد لثبوت

الحصول عليه وأنهم حتماً صاثرون اليه وسيأتونه كقوله تعالى : ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ أي في هذه الجنة ليس فيها كلام تافه لا معنى له وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا سَلَامًا ﴾ كقوله سبحانه : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ وقوله عز من قائل : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي صباحاً ومساءً وليس في الجنة ليل أو نهار ، ولكن أهلها في أوقات تتعاقب يعرفون مضيتها بأصواء وأنوار مقدار الليل والنهار ، يعرفون ذلك بإرخاء الحجب ، وإغلاق الأبواب ، وبرفعها وفتحها .

وقال الحسن وقتادة وغيرهما : كانت العرب ، الأنعم فيهم من يتغدى ويتعشى ، فنزل القرآن على ما في أنفسهم من التعميم فقال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ أي هذه الجنة التي وصفناها بهذه الصفات العظيمة ، هي التي نورثها عبادنا المتقين ، وهم المطيعون لله عز وجل في السر والعلانية والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس كما قال تعالى : في أول سورة « المؤمنون » ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ إلى أن قال عز من قائل : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

﴿ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٦٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٦٥)

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : ١٣٨ ( قال رسول الله ﷺ لجبرائيل : ما يمنعك ان تزورنا أكثر مما تزورنا قال : فتزلت : ﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك ﴾ إلى آخر الآية إنفرد باخراجه البخاري عن أبي نعيم عن عمر بن ذر به ..

ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير . فكان ذلك الجواب لمحمد ﷺ . قال مجاهد : وهذه الآية كالتي في النسخي : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ وكذلك قال الضحاك وقتادة والسري وغير واحد أنها نزلت في احتياس جبريل وقوله : ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا ﴾ أي ما يستقبل من أمر الآخرة وما مضى من امر الدنيا ﴿ وما بين ذلك ﴾ أي ما بين الدنيا والآخرة ويروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والضحاك وغيرهم

واختاره ابن جرير والله أعلم .

وقوله : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ قال مجاهد والسدي : معناه ما نسيك ربك وقد تقدم عنه أن هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء يرفعه ، قال : ١٣٩ [ ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى ثم تلا هذه الآية : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس : هل تعلم للرب مثلاً أو شيئاً . وقال عكرمة عنه : ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه .

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ (٦٦)

أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴾ (٦٧)

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (٦٨)

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْمًا أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ (٦٩) ثُمَّ

لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ (٧٠)

يخبر تعالى عن الإنسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته ، كما قال تعالى : ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد ﴾ وقال ها هنا : ﴿ ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً . أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾

يستدل تعالى بالبداة على الإعادة ، يعني أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئاً أفلا يعيده وقد صار شيئاً كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وفي الصحيح : ١٤٠ ( يقول تعالى : كذبي ابن آدم ولم يكن له أن يكذبي ، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني ، أما تكذبه إياي فقول له لن يعيدني كما بدأتني وليس أول الخلق بأهون عليّ من آخره ، وأما أذاه إياي فقول له إن لي ولداً وأنا الأحد

الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ] .

وقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة انه لا مناص من حشرهم وشياطينهم الذين عبدوهم من دون الله تعالى ﴿ ثم لنحصرنهم حول جهنم جثياً ﴾ أي جلوساً على ركبتهنم وقوله تعالى : ﴿ ثم لنتزعن من كل شعبة ﴾ يعني من كل أمة ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ أي لنتزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر حتى إذا تكاملت العدة ، بدأنا بالأكابر فالأكابر جرماً ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ حتى إذا ادأركوا فيها جميعاً قالت أحرامهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار - إلى قوله - بما كنتم تكفبون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليباً ﴾ أي أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد : أن يصل بنار جهنم ويخلد فيها ، وبمن يستحق تضعيف العذاب كما قال في الآية المتقدمة ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتماً

مَقْضِيّاً ۝ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا

جِثِيّاً ۝ (٧٢) ﴾

روى الامام أحمد عن أبي سمية قال : ١٤١ ] اختلفنا في الورود فقال بعضهم : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضهم : يدخلونها جميعاً ، ثم ينجي الله الذين اتقوا . فلقيت جابر ابن عبد الله فقلت له : إنا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعاً . وقال سليمان بن مرة : يدخلونها جميعاً وأهوى بأصبعه إلى أذنيه ، وقال صمتان لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : [ لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويلتزم الظالمين فيها جثياً ] .

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود : ١٤٢ ] ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال رسول الله ﷺ : يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم ] ورواه الترمذي وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ١٤٣ [ لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فقمته النار إلا تحلة القسم ] وقال السدي عن

مرة عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ قال : قسماً واجباً . وقال عباد : حتماً ، قال قضاءً ، وكذا قال ابن جريج . وقوله تعالى : ﴿ ثم نجيت الذين اتقوا ﴾ أي إذا مر الخلاق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم ، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم ، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ، ثم يشفون في أصحاب الكبائر من المؤمنين ، فيضع الملائكة والنيون ، والمؤمنون فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارت وجوههم وهي مواضع السجود وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان ، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ، ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى أنهم يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ، ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر ، لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم نجيت الذين اتقوا وندرت الظالمين فيها جثياً ﴾ .

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَيَّاتٌ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلَّذِينَ  
آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا  
قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِثِيًّا ﴾ (٧٤)

يغير تعالى عن الكفار حين تلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة ، أنهم يصدون ، ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ، ومحتجين على صحة ما هم عليه من الباطل بأنهم ﴿ خير مقاماً وأحسن ندياً ﴾ أي أحسن منازل وناديبهم أعمر وأكثر وارداً وطارقاً ، فكيف يكونون - بزعمهم - على باطل وأولئك الذين هم مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق ، كما قال تعالى مخبراً عنهم : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم : ﴿ وكم أهلكتنا قبلهم من قرون ﴾ أي وكم من أمة من المكذبين قد أهلكتناهم بكفرهم ﴿ هم أحسن أثناً وريثياً ﴾ أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً وأمتة ومناظر وأشكالاً .

قال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس : ﴿ غير مقاماً وأحسن ندياً ﴾ قال :  
المقام المنزل ، والندي المجلس ، والأثاث المتاع ، والرئي المنظر .

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا  
حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ  
هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ (٧٥)

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد هؤلاء المشركين بربهم المدعين أنهم على الحق وانكم على الباطل ﴿ من كان في الضلالة ﴾ أي منا ومنكم ﴿ فليمدد له الرحمن مدّاً ﴾ أي فأمهله الله فيما هو فيه ، وليدعه في طغيانه إلى أن يلقي ربه ﴿ إما العذاب ﴾ أي يصبه ﴿ وإما الساعة ﴾ بغتة تأتيه ﴿ فيعلمون ﴾ حينئذ ﴿ من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴾ في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندي . وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في سورة البقرة عندما ادعوا أنهم أولياء الله من دون الناس وكما ذكر تعالى في مباهلة النصارى في سورة آل عمران عندما ادعوا أن عيسى عليه السلام ابن الله ، سبحانه الله وتعالى عما يصفون ، فنكلوا جميعاً عن المباهلة لعلهم أنهم على الباطل وأن محمداً ﷺ على الحق . وإلا لباهلوه .

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ  
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ (٧٦)

لما ذكر تعالى إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه ، وزيادته على ما هو عليه ، أخير بزيادة المهدي هدى ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ قد تقدم تفسيرها والأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف<sup>(١)</sup> ﴿ خير عند ربك ثواباً ﴾ أي جزاء ﴿ وخير مرداً ﴾ أي عاقبة ومرداً على صاحبها .



﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا  
 وَوَلَدًا﴾ (٧٧) ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٧٨)  
 ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (٧٩) ﴿وَنَزِّنُ لَهُ  
 مَا يَقُولُ وَبِآيَاتِنَا فِرْدًا﴾ (٨٠) ﴿

روى الإمام أحمد عن الخبّاب بن الأرت ، قال : ١٤٤ ( كنت رجلاً قيناً .  
 وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه منه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر  
 بمحمد . فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم نبئت . قال : فإني إذا  
 متُّ ثم بعثت جنتني ولي ثم مال وولد فأعطيتك . فأنزّل الله تعالى . ﴿ أفرايت الذي  
 كفر بآياتنا وقال لأؤتينا مالا وولداً - إلى قوله تعالى - وبأيتنا فرداً ﴾ أخرجه صاحبنا  
 الصحيح وغيرهما . وقوله تعالى : ﴿ أطلع الغيب ﴾ إنكار على هذا القائل :  
 ﴿ لأوتين مالا وولداً ﴾ يعني يوم القيامة أي أعلم ماله في الآخرة حتى نأني وحلف  
 على ذلك ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ أم له عند الله عهد وموثق بأنه سيؤتيه ذلك ؟  
 وقال ابن عباس قال : لا إله الا الله فيرجو بها ؟ وقوله تعالى : ﴿ كلاً ﴾ حرف ردع  
 لما قبلها . وتأكيده لما بعدها . ﴿ سنكتب ما يقول ﴾ أي من ضلّبه ذلك وحكمه نفسه  
 بما يتنمّاه وكفره بالله العظيم ﴿ ونمدُّ له من العذاب مدّاً ﴾ أي في الدار الآخرة على قوله  
 ذلك وكفره بالله في الدنيا ﴿ ونزّنه ما يقول ﴾ من مال وولد أي نسله ماله وولده وكل  
 ما كان في الدنيا ، ﴿ وبأيتنا فرداً ﴾ أي لا يتبعه مما قال كثير ولا قليل .

﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١)  
 ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢) ﴿أَلَمْ تَرَ  
 أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضُّؤُهُمْ أَزًّا﴾ (٨٣) ﴿فَلَا تَعْجَلْ  
 عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (٨٤) ﴿

يخبر تعالى عن المشركين أنهم اتخذوا من دونه آلهة يعترفون بها ويستصرونها ثم نفى الله

تعالى ما زعموه فقال عز من قائل : ﴿ كلا سيكفرون بعبادتهم ﴾ أي يوم القيامة ﴿ ويكفرون عليهم ضداً ﴾ أي بخلاف ما ظنوا فيهم وزعموه فإذا بهم أصبحوا ضداً لهم وخصماء أشداء وأعداء ألداء ، وأعداءنا عليهم نخاصهم وتكذبهم كما قال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ﴾ أي تطغيهم طغياناً جزاء ما تكبوا عن طرق الحق . وذلك كما قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانياً فهو له قرين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً ﴾ أي لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم ﴿ إنما نعد لهم عداً ﴾ أي إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط ، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله كقوله تعالى : ﴿ إنما نلي لهم ليزدادوا إثماً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ننتهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ .

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ (٨٥) وَتَوَقُّوا  
الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿ (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ  
اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿ (٨٧)

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا ، واتبعوا رسله وصدقوه فيما أخبرهم ، وأطاعوه فيما أمرهم به ، وانتهوا عما عنه زجروهم ، أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه ، والوفد هم القادمون ركبانياً ، والوفود إلى الله تعالى وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة ، وهم قادمون إلى خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم ، فلهم يساقون عنفاً إلى النار ﴿ ورداً ﴾ عطاشاً قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وههنا يقال : ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴾ وقال ابن أبي حاتم عن ابن مرزوق : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها وأطيبها ريحاً فيقول : من أنت ؟ فيقول أما تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك ، وحسن وجهك فيقول أنا عمك الصالح وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل

طيه في الدنيا ، فطالما ركبتك في الدنيا فهلّم أركبني فيركبه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه عن النعمان بن سعيد قال : كنا جلوساً عند علي رضي الله عنه ، فقرأ هذه الآية : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ قال : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الرفد على أرجلهم ، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها حتى يضرّبوا أبواب الجنة . وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن اسحق المدني به ، وزاد عليها : رحائل من ذهب وأزمتها الزبرجد والباقي مثله .

وقوله تعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ أي عطاشاً ﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما أخبر تعالى عنهم : ﴿ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ، ولا يرجو إلا الله عز وجل . وقال ابن أبي حاتم عن الأسود بن يزيد قال : قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الآية : ﴿ إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ ثم قال : اتخذوا عند الله عهداً فإن الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقيم قالوا : يا أبا عبد الرحمن فعلّمنا : قال : قولوا : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلمتني إلى عملي بقرّني من الشر وبياعلني من الخير ، وإني لا أئنق إلاّ برحمتك ، فاجعل لي عندك عهداً تؤدبه إلى يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ، وكان يلحق ابن مسعود بهن ، خائفاً مستجيراً مستغفراً راهباً راغباً إليك .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ ﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا

إِذَا ﴿ (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُرْنَ مِنْهُ وَكُنْشَقُ الْأَرْضِ وَتَخِرُّ

الْجِبَالُ هَدًّا ﴿ (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿ (٩١) وَمَا يَنْبَغِي

لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿ (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿ (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿ (٩٤)

وَكُلَّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿ (٩٥) ﴿

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه الصلاة والسلام وذكر خلقه من مريم بلا أب ، شرع في مقام الإنكار على من زعم أن له ولداً ، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك ، فقال سبحانه وتعالى علواً كبيراً : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم في قولكم هذا شيئاً إدّاً ﴾ أي عظيماً ، وقوله تعالى : ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً أن دعوا للرحمن ولداً ﴾ أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظماً للرب وإجلالاً ، لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده ، وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا صاحبة له ، ولا كفاء له بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . قال ابن جرير عن ابن عباس : إن الشرك فرعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين . وكادت أن تزول منه لعظمة الله . وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين ، وقال رسول الله ﷺ : ١٤٥ [ لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة ، فقالوا يا رسول الله فمن قالها في صحته ؟ قال تلك أوجب وأوجب ثم قال : والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن ، فوضعه في كفة الميزان ، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن ] هكذا رواه جرير ، ويشهد له حديث البطاقة ، والله أعلم .

قال الضحاك : ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه ﴾ أي يتشققن فرقاً من عظمة الله تعالى . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ وتنشق الأرض ﴾ أي غضباً له عز وجل ﴿ وتخر الجبال هدأً ﴾ قال ابن عباس : هدماً وقال سعيد بن جبير : هدأً ينكسر بعضها على بعض متتابعات . روى الإمام أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ١٤٦ [ لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إن يَشرك به ويُجعل له ولد ، وهو يعافيه ويدفع عنهم ويرزقهم ] أخرجاه في الصحيحين .

وقوله تعالى : ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴾ أي لا يصلح له ولا يليق به لجلاله وعظمته ، لأنه لا كفاء له من خلقه ، وكلهم عبيد له ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعددهم عدداً ﴾ أي قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ﴿ وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾ أي لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له ، فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم أحداً مثقال ذرة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿ (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِصُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿ (٩٨)

يخبر تعالى أنه يفرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وهي الأعمال التي ترضي الله عز وجل لتابعها الشريعة المحمدية يفرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه . وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ١٤٧ [ ان الله إذا أحب عبداً دعا جبريل . فقال : يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه - قال - فيحبه جبريل . قال : ثم ينادي في أهل السماء : ان الله يحب فلاناً فأحبه . قال : فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض ، وان الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال : يا جبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : ان الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال : فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض ] . ورواه مسلم من حديث سهيل . ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى بن عتبة عن نافع مولى ابن عمر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه .

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ١٤٨ . [ إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إني قد أحببت فلاناً فأحبه . فينادي في السماء . ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض ] فذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ ورواه مسلم والترمذي وقال : حسن صحيح .

وقال ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رحمه الله قال : قال رجل : والله لأعبدن الله عبادة أذكرُ بها . فكان لا يُرى في حين الصلاة إلا قائماً يصلي ، وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج . فكان لا يعظم فمكث بذلك سبعة أشهر . وكان لا يمر على قوم إلا قالوا : انظروا إلى هذا المرأى . فأقبل على نفسه فقال : لا أراني أذكر إلا بشر ،

لأجعلن عملك لله عز وجل ، فلم يزد على ان قلب نيتي ، ولم يزد على العمل الذي كان يعمل ، فكان يمر بعد بالقوم فيقولون : رحم الله فلانا الآن وتلا الحسن : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فإنا يبرناه ﴾ يعني القرآن ﴿ بلسانك ﴾ أي يا محمد . وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل - ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ أي المستجيبين لله المصدقين لرسوله ﴿ وتندر به قرماً لداً ﴾ أي عرجاً عن الحق مائلين إلى الباطل لا يستقيمون صماً فجاراً . وقوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ أي من أمة كفرُوا بآيات الله وكذبوا رسله : ﴿ هل نسمع منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾ أي هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم من صوت . والركز في أصل اللغة : الصوت الخفي . آخر اختصار تفسير سورة مريم والله الحمد والمنة

١٣٨٩/٨/٢٧

١٩٦٩/١١/٧

## (٢٠) سُورَةُ طهٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ

سورة آتت في ١٢٠ و ١٢١ فمدنيتان  
نزلت بعد مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا  
لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾  
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ  
يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى : ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ قال قتادة : أي لا والله ما جعله شقاءً ولكن جعله رحمةً ونوراً ودليلاً إلى الجنة ﴿ إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ أي إن الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمةً رحم بها عباده ليتذكر ذاكر ، ويتفتح رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه . وقوله تعالى : ﴿ تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى ﴾ أي هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك ، رب كل شيء وملكه القادر على كل شيء ، والذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها ، وخلق السماوات العلى في ارتفاعها ولطافتها . وقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته أيضاً<sup>(١)</sup> ، وإن السلك الأسلم في ذلك طريقة السلف ، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة ، من غير تكيف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل . وقوله تعالى : ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ أي الجميع ملكه ، وفي قبضته ، ونحت نصره ومشيته وإرادته وحكمه وهو خالق ذلك ومالكة وإله لا اله سواه ولا رب غيره .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ أي أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسموات العلى الذي يعلم السر وأخفى . كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ السر ﴾ ما أسرّه ابن آدم في نفسه ، ﴿ وأخفى ﴾ ما أخفى علي ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه ، فأنه يعلم ذلك كله . وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ أي الذي أنزل عليك القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة في الأسماء الحسنى في أواخر سورة الأعراف والله الحمد والمنة .

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (٩) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (١٠)

من هنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى عليه السلام ، وكيف كان الوحي إليه وتكليمه إياه ، وذلك بعدما وفى صهره ما كان عليه من رعاية الغنم . وسار بأهله قاصداً بلاد مصر ومعه زوجته فأصل الطريق وكانت ليلة شاتبة باردة . ذات ظلام وضباب فجعل يقدح بزبد معه ليوري نارا كما جرت به العادة ، فجعل لا يقدح شيئاً ولا يخرج منه شرر ولا شيء ، فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نارا فبشر أهله : ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ أي شهاب من نار يستضيء ويصطلي هو وأهله ﴿ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ أي أجد من يهديني الطريق فسدل على أنه لم يهدني إلى الطريق فلما رأى النار قال : ان لم أجد أجداً يهديني إلى الطريق آتيتكم بنار توقدون بها

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (١٢) وَأَنَا آخِزَتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ



نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا  
وَأَتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾

يقول تعالى : ﴿ فَمَا آتَاهَا ﴾ أي النار واقتراب منها ﴿ نودي ﴾ من قبل الله .  
﴿ يا موسى ﴾ وفي الآية الأخرى : ﴿ نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة  
المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله ﴾ وقال ههنا : ﴿ إني أنا ربك ﴾ الذي  
يكلمك ﴿ فاخلع نعليك ﴾ تعظيماً للبقعة المقدسة ﴿ إنك بالوادي المقدس طوى ﴾ وهو  
اسم الوادي ، وقوله تعالى : ﴿ وأنا أخبرتك ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ إني اصطفتك  
على الناس ﴾ أي على ناس زمانه ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ أي لما أوحيه إليك : ﴿ إني  
أنا الله لا إله إلا أنا ﴾ وهذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له . وقوله تعالى : ﴿ فاعبدني ﴾ أي قم بعبادتي وحدي من غير شريك . ﴿ وأقم  
الصلاة لذكركي ﴾ أي صلّ عند ذكركي : ويشهد لهذا القول ما جاء في الصحيحين عن  
أنس قال قال رسول الله ﷺ ١٤٩ [ من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصليها إذا  
ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك ] وقوله تعالى : ﴿ إن الساعة آتية ﴾ أي قائمة لا محالة  
وكاشفة لا بد منها . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أكاد أخفيها ﴾ أي أخفيها عن كل مخلوق  
ولم أعلم بموعدها أحداً . وأكاد أخفيها حتى من نفسي <sup>(١)</sup> والحكمة من ذلك :  
﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ أي من أجل أن تجزي كل عامل بعمله . وقوله تعالى :  
﴿ فلا يصدّك عنها من لا يؤمن بها ﴾ الآية ... المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين أي لا  
تبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على دينه وعصى مولاه ، وأتبع هواه فتهلكوا .

﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ﴾ ﴿ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ  
أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَأَهْمُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرِبٌ  
أُخْرَى ﴾ ﴿ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾ ﴿ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ  
تَسْعَى ﴾ ﴿ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا  
الْأُولَى ﴾ ﴿ (٢١) ﴾

(١) قلت : مبالغة في شدة الإغفاءة وهذا معروف من لغة العرب . وإلا فإن الله لا يخفى عليه خافية

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ، ومعجزة عظيمة ، وخرق للعادة ، باهرٍ دالٍّ على انه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل ، وأنه لا يأتي به إلا نبيُّ مرسل .

وقوله تعالى : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ هذا سؤال على سبيل الإناس له كما هو أيضاً استفهام تقرير ﴿ قال هي عصاي أتوكأ عليها ﴾ أي أعتمد عليها في المشي ﴿ وأهشس بها على غنمي ﴾ أي أهز بها الشجرة برفق لئلا تنقطع ورقها لترعاه غنمي وقوله : ﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾ أي مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك ، وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أهست ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية التي كانت تقول أن له فيها بعض الخوارق ولو كانت كذلك لما امتكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً فما كان يفرُّ منها هارباً . وقوله تعالى : ﴿ قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى ﴾ أي صارت حلالاً ثعباناً عظيماً يتحرك حركة سريعة ، كأنها جان . وهو أكثر الحيات حركةً ولكنه صغير ، أما هذا الثعبان فهو في غاية الكبر وغاية السرعة فخاف منها خوفاً شديداً وفرَّ منها هرباً فقال تعالى : ﴿ خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ فحاول موسى أن يأخذها بطرف مدرعته ولفها على يده فقال له مَلَكٌ : أرأيت يا موسى لو أذن الله بما تمادى أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً ؟ قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت ، فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدتها وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبين ، وهذا قال تعالى : ﴿ سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ أي حالها التي تعرف قبل ذلك .

﴿ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴾ (٢٢) ﴿ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴾ (٢٣) ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَفِئُ ﴾ (٢٤) ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (٢٥) ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (٢٦) ﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ (٢٧) ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٢٨) ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ﴾ (٢٩) ﴿ هُرُونَ أَخِي ﴾ (٣٠) ﴿ أَشَدُّ بِهِ أُوْرِي ﴾ (٣١) ﴿ وَأَشْرِكُهُ

في أمري ﴿ ٣٢ ﴾ كمي نسبحك كثيراً ﴿ ٣٣ ﴾ ونذكرك كثيراً ﴿ ٣٤ ﴾  
إنك كنت بنا بصيراً ﴿ ٣٥ ﴾

وهذا برهان ثان لموسى عليه الصلاة والسلام وذلك قوله تعالى : ﴿ واضم يدك إلى جناحك ﴾ أي كفك تحت عضدك ، وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها ، تخرج مثلثة كأنها فلقة قمر . وقوله تعالى : ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أي من غير برص ولا أذى ، ولا شين فعلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل . ولهذا قال تعالى : ﴿ لتريك من آياتنا الكبرى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ أي إذهب إلى فرعون الذي خرجت منه هارياً ، فادُّعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وسرّه فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وأكثر الحياة الدنيا ونسي الرب الأعلى . ﴿ قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ﴾ هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به فإنه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم ، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك ، وأجرهم وأشدهم كفراً ، وأكثرهم جنوداً . وأعمرهم ملكاً ، وأطعمهم وأبلغهم تمرداً ، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ، ولا يعلم أربابها إلهاً غيره ؛ هذا وقد مكث موسى في داره مدة ولبدأ عندهم في حجر فرعون على فراشه ، ثم قتل منهم نفساً فخافهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكاملها ، ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له . ولذا قال موسى : ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ﴾ أي إن لم تكن أنت عوني ونصيري وعضدي وظهيري وإلا فلا طاقة لي بذلك ﴿ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ وذلك لما أصابه من اللغ حين عرض عليه التمرة والخمرة ، فأخذ الخمرة فوضعها على لسانه ، كما سيأتي بيانه . وما سأل أن يزول بالكلية بل بحيث يزول العي . ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ، ولو سأل الجميع لزال ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة فاتاه الله سؤله فحل عقدة لسانه وقوله : ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي ﴾ وهذا سؤال من موسى عليه السلام بمساعدة أخيه هارون له قال الثوري عن ابن عباس أنه قال : نُبئ هارون ساعته حين نبئ موسى عليهما السلام . وقوله : ﴿ اشدد به أذري ﴾ قال مجاهد : أي ظهري ﴿ وأشركه في أمري ﴾ أي في مشاورتي ﴿ كمي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ﴾ قال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً

ومضطجعاً . وقوله : ﴿ إِنَّكَ كَتَبْنَا بَصِيرًا ﴾ أي في اصطفاك لنا وإعطائك إيانا النبوة وبعثك لنا إلى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك .

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَّا  
عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿ (٣٨)  
أَنْ أَقْذِفِي فِي الثَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ  
عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿ (٣٩)  
إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ  
أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَوَقَلْتُمْ نَسْأُ فَنَجِّنَاكَ مِنَ الْغَمِّ  
وَوَقَّانَاكَ فُتُونًا ﴿

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأله ربه من حل عقدة اللسان ، وجعل هارون أخيه وزيراً يشد به أزره ونبياً مرسلًا معه . ثم شرع سبحانه يذكره بنعمه الساقطة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه ، وتحذر عليه من فرعون وملكه أن يقتلوه . لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان . فالتحذرت له تابوتاً : فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في الليل ، وتمسكه إلى منزلها بجبل ، فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها ، وذهب به الليل فحصل لها من الغم والنعم ما ذكره الله عنها في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ قُرْآنُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا ۚ إِنَّ كَادَتْ لِشَيْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ۖ فَذَهَبَ بِهِ الْبَيْتُ إِلَىٰ دَارِ فِرْعَوْنَ ۖ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ أَيُّ قَدْرًا مَّقْدُورًا مِنَ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا هُمْ يَقْتُلُونَ ۗ الْغُلَّامَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَزْرًا مِنْ وَجُودِ مُوسَىٰ ، فَحَكَّمَ اللَّهُ لَهُ السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ وَالْقُدْرَةَ الثَّامَةَ أَنْ لَا يَرْتَبِيَ إِلَّا عَلَىٰ فِرْعَانَ فِرْعَوْنَ ، وَيَقْدِي بِطَعَامِهِ وَشِرَابِهِ مَعَ حَبْتِهِ وَزَوْجَتِهِ لَهُ ۗ وَهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ بِأَخْذِهِ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِّنِّي ﴾ أي عند عدوك جعلته يحبك ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ أي بحيث أرى ... فجعلتك في بيت الملك تنعم وترف . وغذاؤك عندهم غذاء الملك : فتلك الصنعة .

وقوله تعالى : ﴿ إذ تمشي أخذتك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ﴾ وذلك انه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأبأها . كما قال الله تعالى : ﴿ وحرمنا عليه المراضع من قبل ﴾ فجاءت أخته وقالت : ﴿ هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ﴾ تعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالأجرة ، فذهبت به وهم معها إلى أمه فمرضت عليه ثديها ، فقبله ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، واستأجروها على إرضاعه فانها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا ، وفي الآخرة أعظم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث ١٥٠ [ مثل الصانع الذي يحتسب في صنعه الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ] .

وقال تعالى ها هنا : ﴿ فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ أي عليك ﴿ وقاتلت نفساً ﴾ يعني القبطي ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ، فقرت منهم هارباً حتى ورد ماء مدين وقال له ذلك الرجل الصالح : ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وفتناك فتوناً ﴾ روى النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه قوله ﴿ وفتناك فتوناً ﴾ بسنده إلى سعيد بن جبير قال سأل عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل : ﴿ وفتناك فتوناً ﴾ فسأله عن الفتون ما هو ؟ . فقال : استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثاً طويلاً . فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال : « . . . » وهنا قال ابن عباس حديثاً طويلاً موقوفاً عليه ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنه مما أبيع نقله من الاسرائيات عن كعب الأحرار أو غيره والله أعلم .

ونحن نقتطف منه خلاصةً نحرص بقدر الإمكان ان تكون موافقة للواقع الذي حصل إذاك . وذلك مما يوافق ما جاء في القرآن الذي نزل على نبينا محمد ﷺ .

يتلخص حديث الفتون الذي رواه ابن عباس موقوفاً عليه بمن الله تعالى على موسى عليه السلام منذ أن كان جنيناً في بطن أمه إلى أيام التيه ونزول المن والسلوى على بني اسرائيل فيها وضرب موسى الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وأعلم كل سبط عنهم النبي يشربون منها .

• وهنا نذكر أولاً : قرر فرعون أن يذبح كل مولود من بني اسرائيل ذكراً ويترك الأنثى لكيلا يأتي من ذرية اسرائيل ملك يقضي على فرعون وملكيه ، فلمّا رأوا أن الكبار

من بني اسرائيل يموتون بأجلهم . والصغار يذبحون قالوا : ليوشكن أن تُشْنَا بني اسرائيل فنصبروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي يكمونكم فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر واركوا بناتهم ، ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً فقدّر الله أن يلد هارون في العام الذي يعفى فيه الذبيح، وولد موسى في العام المقرر فيه ذبيح الذكور. فوقع في قلب أمه من الهم والحزن ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما يراده . وذلك من الفتون يا ابن جبير .

• ولما ولد موسى وأطم الله أمه أن تصنع تابوتاً وتجعله فيه وتلقيه في اليم إلى أن يصل إلى قصر فرعون ويلتقطه جوارى امرأة فرعون ويعطينها إياه فتتمحه واذ بغلام ويلقي عليها الله محبةً منه في قلبها وتفرح به ، وتعرضه على المراضع فيأبى المولود أن يرضع من أحد إلى أن أتت أخت موسى التي كانت تتحس خبير أخيها المولود إلى أن رأته في بيت فرعون يفتشون له عن مرضع فلا يجدون. فقالت اخته أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالتوا : ما يدريك ما نصحهم له هل تعرفينه ؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت : نصحهم له هو رغبتهم في رجاء منفعة الملك فركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما وضعت في حجرها نزا إلى ثديها فمصّه حتى امتلأ جنابها رياً وانطلق البشير إلى امرأة فرعون فأنت بها وبه وراودتها على البقاء في بيت فرعون فاعتذرت لعدم استطاعتها ترك بيتها وولدها وذكرت أم موسى ما كان وعدها الله فيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يرمها وأنبته الله نباتاً حسناً وحفظه لما قد قضى فيه .

• طلبت امرأة فرعون من أم موسى أن تأتي بموسى لشدة شوقها إليه في زيارة لها فلما زارتها نحتت أمه الهدايا واخذته إلى فرعون ليهديه ويكرمه فلما جعله في حجره تناول موسى حلية فرعون فمدها إلى الأرض : فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى إنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذبّاحين ليذبحوه ، وذلك من الفتون يا ابن جبير فتداخلت امرأة فرعون في الأمر وقالت هذا وليد لا يعقل إئت بجمرتين ولؤلؤتين قدمهن إليه فإن أخذ اللؤلؤتين عرفت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين علمت أن أحداً يعقل لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين فتناول الجمرتين فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان قد همّ به .

• ولما بلغ أشده ورأى القبطي يريد قتل الإسرائيلي واستغاثة الإسرائيلي فوكر القبطي قتلته وما أحد يعلم ذلك إلا الله ثم الإسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل : هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. ثم قال : ﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو

الغفور الرحيم ﴿ ثم في الغد رأى موسى ذلك الإسرائيلي يقاتل فيضاً آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني القبطي فقال موسى للإسرائيلي إنك لغويّ ميين فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قن له ما قال فإذا موسى غضيبن كغضبه بالأمس ، فخاف أن يكون موسى أراد قتله - ولم يكن يريد موسى قتله بل كان يريد أن يقتل الفرعوني - فخاف الإسرائيلي وقال : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس فتشاركنا وانطلق الفرعوني ليخبر فرعون بما سمع من الإسرائيلي فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فجاء رجل من شيعته فآخبره . وذلك من الفتون يا ابن جبير .

ثم ذكر وصوله إلى مدين ونجاته من فرعون وزواجه بإحدى ابنتي ذلك الرجل الصالح<sup>(١)</sup> في مدين . ثم إتمام عدة الثماني سنوات التي رعى فيها موسى لذلك الصالح غنمه ثم آتيا بعشراً . ثم لما انتهى العشر وسار موسى بأهله وقال لهم : إني آتست نازراً فذهب ليأتي منها بقبس واذ نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة إني أنا الله ... ثم اطلعه الله على معجزة العصا كيف تنقلب إلى حية ثم معجزة اليد ثم كلفه بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى الله ثم طلب موسى أن يشرك أخياه هارون في أمره ثم الذهاب إلى فرعون والقاء العصا ولآلة اليد . ثم حشر السحرة والقاء عصيهم وحياهم ثم القاء موسى عصاه فإذا هي نعبان عظيم ما أبقى عصاً ولا حبلًا إلا ابتلعه . ثم إيمان السحرة بالله تعالى وغضب فرعون عليهم وقتلهم لأنهم آمنوا . وموقف امرأة فرعون المؤمنة التي كانت تدعو الله أن ينصر موسى على فرعون وأشياعه ثم ارسال الطوفان على قوم فرعون والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفضلات لعلهم يؤمنون . فما زادهم ذلك إلا عتوا وكفروا وكان فرعون كلما أتته آية من الله يستغيث بموسى أن يكفها عنه ويؤاqqه على أن يرسل معه نبي إسرائيل فإذا كف عنهم ذلك أخلف فرعون مواعده ونكث عهده . حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً فقبعه فرعون صباحاً بجنوده فضرب موسى البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرد البحر كما أمره ربه . فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه النقي عليهم البحر كما أمره ربه ، فغرق فرعون وجنوده وخشي قوم موسى أن لا يكون فرعون قد غرق فعلا ، فأخرجهم الله من البحر ليطمئنون ويفرحوا بفرقه ، ويروا آية الله فيه ظاهرة جليلة . ثم مرواً بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم : ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبراً ما هم فيه ﴿ الآية ... ثم

(١) يقال انه نبي الله شبيب والله تعالى أعلم .

استخلف موسى أخاه هارون على قومه لنذهابه إلى ربه ثلاثين يوماً وقد صامهن ليلهن ونهارهن ثم آتمهن بعشر بأمر الله ثم لما استبطأ قوم موسى نبيهم عليه الصلاة والسلام ..

أضلتهم السامري فعبدوا العجل ولم يصغوا إلى رَدْع هارون لهم عن ذلك ففرقة منهم عبدوا العجل وأخرى قالت هذا من عمل الشيطان وليس العجل ربنا ولا تؤمن به . ثم رجع موسى إلى قومه ورآهم على ذلك فغضب وأسف أسفاً شديداً وأخذ برأس أخيه يجره وألقى الألواح من الغضب ثم عذر أخاه بعذره واستغفر له ، ثم حرق العجل ونسفه في اليم فاستيقن بنو اسرائيل أنه ليس آلهاً ثم سأل موسى عليه السلام التوبة لقومه مما فعلوا فقال الله : إن توبتهم ان يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل حتى بلغ القتل سبعين ألفاً ثم رفع الله عنهم القتل وغفر للمقاتل والمقتول .

ثم سار موسى متوجهاً بهم إلى الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعدما سكنت عنه الغضب وأمرهم بأن يتخذوا الأرض المقدسة ممن فيها ، قالوا ان فيها قوماً جبارين لا طاقة لنا بهم ، ولن ندخلها ما داموا فيها قال رجلان منهم : نعم من الجبارين ولكن لا قلوب لهم ولا منعة لهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم الغالبون . قالوا لموسى عليه السلام : اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون فغضب موسى ودعا عليهم فحرم الله الأرض المقدسة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ليس لهم فيها قرار ثم ظلم الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والبلوى وجعل لهم حجراً يتنقل معهم إذا ضربه موسى بعصاه انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً . وعلم كل أناس مشربهم . أي كل سيط من أسباطهم علموا مشربهم هذا تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ أي أنقذناك وتوليناك في كل ما مر عليك من هذه الفتن وخرجت منها مرعياً بعناية الله محفوقاً بتأييده ونصره والله الحمد والمنة .

﴿ قَلْبِي سِينِي فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدْرِي يَا مُوسَى ﴾ (٤٠) ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (٤١) ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (٤٢) ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٤٣) ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٤٤) ﴿



يخاطب تعالى موسى عليه السلام إنه لبث مقيماً في أهل مدين فأرأ من فرعون وملئه ،  
يرعى على صهره قوله ﴿ ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ أي عن مواعده ﴿ واضطعتك لئن نسيت ﴾  
أي اخترت رسولاً لنفسي كما أريد وأشاء . وقوله تعالى : ﴿ إذهب أنت واخوك يَا أَيُّهَا  
أَيُّ بِعِجْرَاتِي . ﴾ ولا تنبا في ذكري ﴿ أي لا تضعفنا ولا تنفرا في ذكر الله تعالى ليكون  
ذكر الله عوناً لهما على فرعون وقوة لهما وسلطاناً كسراً له ، كما جاء في الحديث ١٥١  
[ إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قبره ] وقوله تعالى : ﴿ إذهب إلى  
فرعون إنه طغى ﴾ أي تمرد وعتا وتجر على الله وعصه . ﴿ فقولا له قولاً ليلاً لعله يندكر  
أو يخشى ﴾ وهذه الآية فيها عبرة عظيمة في أسلوب الدعوة في الدين والملاطفة كما قال  
يزيد الرفاعي : يا من يتحجب إلى من يعاديه . فكيف بمن يتولاه ويتاديه .

أي ذكره بأن له رباً وله معاداً وهناك جنة وفاز . كل ذلك يكون بكلام رقيق سهل  
لين ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنتع . كما قال تعالى : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة  
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾  
أي لعله يرجع عما هو فيه من الغلال والملكة أو يخشى ربه . فالتذكر الرجوع عن  
المحذور والخشية تحصيل الطاعة كل ذلك لإقامة الحجية عليه وإنذاره قبل عقابه .

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِنَا ﴾ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿ (٤٦)  
قَاتِيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبِهِمْ  
قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى ﴿ (٤٧)  
إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ (٤٨) ﴾

يقول تعالى إخباراً عن موسى وهارون عليهما السلام . أنهما قالاً مستجيرين بالله تعالى  
﴿ إنا نخاف أن يفراط علينا أو أن يطفننا ﴾ يعنيان أنهما يخافان أن يطفن بهما ويعتدي  
عليهما : ﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾ أي لا يخفى علي من أمركما شيء  
واعلمنا أن ناصبته بيدي . فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني ، وبعد أمري ، وأنا  
معكما بحفظي ونصري وتأييدي .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَيَّاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ عن ابن عباس انه قال مكننا على بابه حيناً لا يؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حجاب شديد . وذكر السدي أنه لما قدم موسى بلاد مصر ضاقت أمه وأخاه وهما لا يعرفانه . ثم عرفاه وسلموا عليه فقال له موسى : يا هارون ان ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله وأمرك ان تعاوطني . قال : افعل ما أمرك ربك . فذهبا وكان ذلك ليلاً ، ففرض موسى باب التقصر بعضاه فسمع فرعون فغضب وقال : من يجترئ على هذا الصنيع الشديد ، فأخبره السدنة واليهودون بأن ها هنا رجلاً مجنوناً يقول انه رسول الله فقال : عليّ به قالا : ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِيبِهِمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنَ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتِّبَعِ الْهُدَى ﴾ أي قد جئناك بمعجزة من ربك والسلام عليك ان اتبعت الهدى ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه اليان من الرحي المعصوم ان العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته : كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿ (٥١) قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ﴿ (٥٢)

بجبر تعالى عن فرعون أنه أنكر على موسى وجود الصانع الخالق إله الكون وربيه ومليكه ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ أي من الذي أرسلك فإني لا أعرفه وما علمت لكم من إله غيري ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ قال سعيد بن جبير : أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه ، ولم يجعل للانسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ، ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شيء ما ينبغي له ، ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ أي أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهديهم شرع يحتج بالقرون الأولى ، أي الذين لم يعبدوا الله . أي فما بالهم فقال موسى : هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم وسبجزيمهم بعملهم في كتاب الله ، وهو اللوح المحفوظ ، وكتاب

الأعمار ﴿ لا يضلُّ ربي ولا ينسى ﴾ أي لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ، ولا ينسى شيئاً وهو بكل شيء محيط بعلمه تبارك وتعالى وتقدس وتزه . فإن علم المخلوق يعتره نقصانان : أحدهما عدم الإحاطة بالشيء ، والآخر نسيانه بعد علمه ، فتره الله نفسه عن ذلك .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا  
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (٥٣)  
﴿ كَلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ ﴾ (٥٤)  
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٥٥)  
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ (٥٦)

هذا من تمام كلام موسى عليه السلام فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال : ﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال : ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهدياً ﴾ أي قراراً تستقرون عليها ، وتقومون وتنامون عليها ، وتسافرون على ظهرها ﴿ وسلك لكم فيها سبلاً ﴾ أي جعل لكم طرقاً تمشون في منابجها . كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا فيها فجاً سبلاً لعلهم يهتدون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴾ أي من أنواع النباتات من زروع وثمار ومن حامض وحلو ومر وسائر الأنواع ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ أي شيء لطفكم وفاكهتكم ، وشيء لأنعامكم لأقواتها خضراً وبيساً ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ أي للدلالات وحججاً وبراهين ﴿ لأولي النهي ﴾ أي لذوي العقول السليمة المستقيمة ، على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه . ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ أي من الأرض مبدأكم ، فإن أبابكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض وفيها نعيدكم أي وإليها تصيرون إذا تمم وبلبتم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى كقوله تعالى : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴾ وفي الحديث الذي في السنن ١٥٢ ] ان رسول الله ﷺ حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر وقال : « منها خلقناكم » ثم أخذ أخرى وقال : « وفيها نعيدكم »

ثم أخرى وقال : « ومنها نخرجكم تارة أخرى » [

وقوله تعالى : ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾ يعني فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات ، وعاب ذلك وأبصره فكذب بها وأباها كفراً وعناداً وبقياً كما قال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ الآية ...

﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾ (٥٧) ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ (٥٨) ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ الْإِنْسَانُ ضِحْحًا ﴾ (٥٩) ﴿

يغير تعالى عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهي إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ، ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء ، فقال : هذا سحر جئت به لتسحرنا ، وتستولي به على الناس فيتبعونك ، وتكاثرتنا بهم فلن نملكك ، فإن سحرنا مثل سحر الذي أنت مقترن به ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً ﴾ أي يوماً نجتمع فيه في مكان معين لا نخلفه نحن ولا أنت ، عندها ﴿ قال ﴾ لهم موسى ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾ وهو يوم عيدهم وتفرغهم واجتماعهم ، ليشاهد الناس قدرة الله على كل شيء ، وبشيت لديهم ان معجزات الأنبياء تبطل معارضة السحر لها. ولهذا قال ﴿ وأن يخشع الناس صحن ﴾ ليكون الأمر أظهر وأجل ، وهكذا شأن الأنبياء ، فإن كل أمرهم واضح ليس فيه خفاء ولا ترويح قال ابن عباس : وكان يوم الزينة هو يوم عاشوراء ، وفي مثل هذا أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت في الصحيح .

﴿ قَتَلُوا فِرْعَوْنَ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَنَّى ﴾ (٦٠) ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ كَذِبًا فَيُنْجِحَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ (٦١) ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا السَّجْوَى ﴾ (٦٢) ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا حِرَانٌ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْهَا



تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفَافًا مَّاءً  
صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾  
فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾

يغير تعالى عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى : ﴿إما أن تلقى﴾ أي أنت أولاً ﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾ قال بل القوا ﴿أي أنتم أولاً﴾ لدرى سحركم ، وليظهر للناس حقيقة دجلهم ﴿فإذا جبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسمى﴾ وذلك أودعها من الرزق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسمى باختيارها ، وإنما كانت حيلة ، وكانوا جملاً غفيراً . حتى صار الوادي مليئاً بحياتٍ يركب بعضها بعضاً ﴿فأوجس في نفسه خيفةً موسى﴾ أي خاف على الناس ان يفتنوا بسحرهم ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ وألق ما في يمينك تلفف ما صنعوا ﴿أي من الدجل والتمويه ، وذلك أنها صارت تيناً عظيماً هائلاً ذا قوائمٍ وعتقٍ ورأسٍ وأضراسٍ فجعلت تتج تلك الحبال والعصي حتى لم تبقى منها شيئاً إلا ابتلته ، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عياناً جبهةً نهاراً ضحوةً ، فقامت المعجزة واتضح البرهان ، ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى ﴿إنما صنعوا كيد ساحرٍ ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ روى ابن أبي حاتم عن جندب بن عبدالله البجلي قال : قال رسول الله ﷺ [١٥٣] « إذا أخذتم - يعني الساحر - فاقتلوه » ثم قرأ : ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ قال « لا يؤمن حيث وجد » [ وقد روى أصله الترمذي مرفوعاً ومرفوعاً .

فلما شاهد السحرة ذلك علموا علم اليقين أن ما فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وأنه حق لا مرية فيه ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كُنْ فيكون، عندها خرُّوا سجداً لله تعالى وقالوا : ﴿آمنّا بربِّ هارونَ و موسى﴾ ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة قال ابن عباس كان عددهم سبعين رجلاً ، وعن سعيد بن جبير قال : رأوا منازلهم تبين لهم وهم في سجدتهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي بزة .

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي  
عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَا تُقَطِّعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا تَصْلَبْكُمْ  
فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلْتَعْلَمَنَّ أَيْبُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ (٧١) قَالُوا  
لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ  
قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا  
وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِنَّ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٧٣) ﴿﴾

يخبر تعالى عن كفر فرعون ، وعناده وبغيه ومكابرتة الحق بالباطل حين رأى ما  
رأى من المعجزة الباهرة ، والآية العظيمة ، ورأى من استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس  
كلهم ، وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت ، وعدل إلى استعماله جاهه  
وسلطانه في السحرة فتهدهم وتوعدهم وقال : ﴿ آمنتم له ﴾ أي صدقتموه ﴿ قبل أن  
آذن لكم ﴾ أي دون أن آمركم بذلك ، ثم بهت وكذب عليهم بقوله : ﴿ انه لكبيركم  
الذي علمكم السحر ﴾ أي إنما أخذتم السحر عن موسى وهو الذي علمكموه ، وانفقتم  
معه على نصرته وخذلاني ثم أخذ يتهددهم فقال : ﴿ فلا تقطعوا أيديكم وأرجلكم من  
خلاف ولأصلبكم في جذوع النخل ﴾ أي لأجعلنكم مثله ، ولأقتلنكم ولأشهرنكم قال  
ابن عباس فكان أول من فعل ذلك . وقوله : ﴿ ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ﴾ أي  
تدعون أنني على ضلالة وإنكم علي مع موسى وقومه ، فسوف تعلمون من يكون له  
العذاب ويبقى فيه ، فهانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل و ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما  
جاءنا من البينات ﴾ أي لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين ﴿ والذي فطرنا ﴾  
أي لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم ، فهو المستحق للخضوع والعبادة  
لا أنت ﴿ فأقض ما أنت قاض ﴾ أي فأفعل ما شئت ﴿ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ إنما  
تسلطك في هذه الدنيا وهي دار زوال ، ونحن قد رغبتا في دار القرار : ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا  
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ﴾ أي آثامنا ﴿ وما أكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى  
ومعجزة نبيه . ﴿ والله خير وأبقى ﴾ أي خير لنا منك وأدوم ثوابا مما وعدتنا به ، وهكذا

كان فعل فرعون بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف : أصبحوا سحرة وأموا شهداء .

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (٧٤) ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ (٧٥) ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (٧٦) ﴿

وهذا من تمام وعظ السحرة لفرعون يحدرونه نعمة الله وعذابه السرمدي ، ويرغبونه في ثوابه المخلد فقالوا : ﴿ إنه من يأت ربه مجرماً ﴾ أي يلقاه يوم القيامة مشركاً ﴿ فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك تجزي كل كفور ﴾ روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ [ ١٥٤ ] « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتصيبهم إمامة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة جيء بهم ضباط ضباط ، فبذوا على أنهار الجنة يقال : يا أهل الجنة افيضوا عليهم فينتون نبات الجنة تكون في حصيل السيل ﴾ فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية [ وهكذا أخرجه مسلم . وقوله تعالى : ﴿ ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات ﴾ أي ومن لقي ربه مؤمناً قولاً وعملاً ﴾ فأولئك هم الدرجات العلى ﴾ أي الجنة ذات الدرجات العاليات ، والغرف الآمات ، والمساكن الطيبات . روى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال [ ١٥٥ ] « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والقردوس أعلاها درجة ، ومنها تخرج الأنهار الأربعة ، والعرش فوقها ، فاذا سألت الله فاسألوه القردوس ) ورواه الترمذي .

وفي الصحيحين [ ١٥٦ ] [ إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم - قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ] وفي السنن : وإن ابا بكر وعمر لمنهم وأنعم . وقوله تعالى : ﴿ جنات عدن ﴾ أي إقامة وهي بدل من الدرجات العلى ﴿ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ أي ماكتين أبداً . ﴿ وذلك جزاء من تزكى ﴾ أي طهر



نفسه من الدنس والخبث والشرك واتباع المرسلين .

﴿ وَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا  
فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَىٰ ﴾ (٧٧) ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ  
يَجْنُودُهُ فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ﴾ (٧٨) ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ  
وَمَا هَدَىٰ ﴾ (٧٩) ﴿

يخبر تعالى أنه أمر موسى عليه السلام أن يسري بقومه ليلاً حين امتنع فرعون أن يرسلهم معه فخرج موسى بقومه أجمعين ، فغضب فرعون غضباً شديداً وأرسل يجمع الجند من جميع بلدانه فنهياً له جيش عظيم ساقه في طلب بني اسرائيل عند شروق الشمس فلما تراءى الجمعان ظن أصحاب موسى أنهم لمدركون ، فوقف موسى بقومه والبحر أمامهم وفرعون وراءهم ، فعند ذلك أوحى الله إليه : ﴿ فاصرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تحشى ﴾ فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلم يعد بنو اسرائيل يخافون أن يدركهم فرعون ولا يخشون الفرق في البحر ثم قال تعالى : ﴿ فاتبعهم فرعون يجنوده فعشيهم من اليم ما عشيهم ﴾ أي ما هو معروف ومشهور من الفرق الذي حاق بفرعون وقومه كما انه تقدمهم فسلك بهم في البحر فأضلهم واغرقهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار فبئس السورد المورود .<sup>(١)</sup>

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَأَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ  
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ (٨٠) ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا  
رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ  
غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (٨١) ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ  
صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٨٢) ﴿

يذكر تعالى نعمه على بني اسرائيل العظام ومننه الجسام لانجاشهم من عدوهم فرعون وأقر أعينهم بهلاكه وهم ينظرون إليه وإلى جنده فقد غرقوا صبيحة واحدة . لم ينج منهم أحد . كما قال تعالى : ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ روى البخاري عن ابن عباس قال ١٥٧ [ لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء ، فسألهم فقالوا : هذا اليوم الذي أضفر الله فيه موسى على فرعون فقال : « نحن أولى بموسى فصوموه » ] رواه مسلم في صحيحه أيضاً .

ثم انه تعالى واعد موسى وبني اسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن وهو الذي كلمه الله تعالى عليه ، وسأل فيه الرؤية ، واعطاه التوراة هناك . وفي خلال ذلك عبد بنو اسرائيل العجل كما يقصه الله تعالى قريباً ، أما المؤمنُ مخلوقٌ كانت تنزل عليهم من السماء والسوى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لظناً من الله ورحمة بهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ أي لا تخالفوا أمري فتأخذوه من غير حاجة فأغضب عليكم ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ أي فقد شقي . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي كل من تاب إلى تبت عليه من أي ذنب كان . وقوله تعالى : ﴿ تَابَ ﴾ أي رجع عما كان فيه من كفر وشرك أو معصية أو نفاق . وقوله تعالى : ﴿ وَآمَنَ ﴾ أي بقلبه . ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي بجزاه . وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ أي استقام على السنة والجماعة ولزم الاسلام حتى يموت وعلم أن لهذا ثواباً من الله تعالى .



﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ ﴿ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ﴿ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ ﴿ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْفَاءً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّآ حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَوْعِدِي ﴾ ﴿ (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ رَبِّنَا الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَّاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ ﴿ (٨٧)

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى  
فَنَسِيَ • (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ  
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا • (٨٩) ❁

لما سار موسى عليه السلام ببني اسرائيل بعد هلاك فرعون ❁ وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبراً ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ❁ وواعده ربه ثلاثين ليلة ثم أتبعها عشراً ، فتمت اربعين ليلة أي بصومها ليلاً نهاراً ، فسارع موسى مبادراً إلى الطور واستخلف على بني اسرائيل أخاه هارون ولهذا قال تعالى : ❁ وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري ❁ أي قادمون يتزلون قريباً من الطور ❁ وعمجلت إليك رب لترضى ❁ أي لترداد عني رضا ❁ قال فإننا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري ❁ أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني اسرائيل وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري . وقوله تعالى : ❁ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ❁ أي بعدما أخبره تعالى بذلك فأصبح في غاية الغضب والحق عليهم ، فينما هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم ، وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم وفيها شرف لهم إذا بهم قد عبدوا غير الله . ولهذا رجع اسفاً حزيناً غاضباً على ما صنع قومه من بعده من مخالفة عقل ، وشرك بالله الذي أنعم عليهم وأنقذهم ❁ قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ❁ على لساني . كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم وإظهاركم عليه وغير ذلك من نعم الله ❁ أنظال عليكم العهد ❁ أي أنسيتم ما سلف من نعمه تعالى وما بالعهد من قدم ❁ أم اردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ❁ ؟ بل اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ❁ فأخلفتم موعدني قالوا ❁ أي بنو اسرائيل ❁ ما أخلفنا موعدك بملكنا ❁ أي باختيارنا وقدرتنا ❁ ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم ❁ وهو نورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر ❁ فقدفنا كما فكذلك ألقى السامري . فأخرج لهم عجلاً جسداً له خور ❁ وعن ابن عباس قال : إنما أراد هارون حين أمرهم بالقاء الحل في حفرة فيها نار ، وأن يجمع الحلي كله في تلك الحفرة ، ويجعل حجراً واحداً حتى إذا رجع موسى عليه السلام ، رأى فيه ما يشاء ثم جاء ذلك السامري فألقى عليها القبضة التي أخذها من أثر الرسول الذي جاوز ببني اسرائيل البحر ، فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام :

يا سامري ألا تلقي ما في يدك ، والسامري قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال السامري : لا ألقبها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها ان يجعلها ما أريد فألقاها ودعا له هارون فقال السامري : أريد أن يكون عجلاً فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح ولا خوار قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط وإنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه ، وكان ذلك الصوت من ذلك ﴿ فقالوا ﴾ أي الضلال من بني اسرائيل الذين اقتنوا بالعجل وعبدوه : ﴿ هذا إلهكم وإله موسى ... ﴾ فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يجبروا شيئاً مثله قط وقوله تعالى : ﴿ فنبى ﴾ أي ترك السامري ما كان عليه من الإسلام ، قال الله تعالى رداً عليهم وتقريعاً لهم وبياناً لفضيحتهم ، وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه : ﴿ أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ﴾ أي أفلا يرون ان العجل لا يجيبهم إذا سأله ولا إذا خاطبه ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً أي في دنياهم ولا في آخراهم .

وحاصل ما اعتذر به هؤلاء البهولة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم ، وعبدوا العجل ، فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير .

﴿ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿ (٩١) ﴾

يخبر تعالى عما كان من نهي هارون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل ، وانخاره إياهم إنما هذا فتنة لكم وان ربكم هو الرحمن الذي خلق كل شيء ﴿ فاتبعوني وأطيعوا أمرى ﴾ أي فيما أمركم به . وانركوا ما أمركم عنه ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ أي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا في ذلك هارون و-حاربه وكادوا ان يقتلوه .

﴿ قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿ (٩٣) قَالَ يَا بُنَيَّ إِنَّهُمْ إِنْ لَا يَأْتِيَنَّكَ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ فَتَكُنْ مَكِيدًا كَمَا كُنْتَ تَكِيدُ الَّذِينَ أَتَوْا بِطُغْيَانِهِمْ ضَلُّوا ﴾ (٩٤)

بِرَأْيِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ  
قَوْلِي ﴿٩٤﴾

يغير تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه ، فرأى ما حدث فيهم من الشرك ، فامتلاً غضباً وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه وشرع يلوم أخاه هارون فقال له : ﴿ ما منعك إذ رأيتم ضلواً ألا تتبعن ﴾ أي فتخبرني بما وقع فوراً ﴿ أفعضيت أمري ﴾ فيما كنت قدمت إليك وهو قوله : ﴿ أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع ميل المفسدين ﴾ ﴿ قال يا ابن أم ﴾ ترقق له بذكر الأم مع انه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ما هنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ولهذا قال : ﴿ يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾ الآية وقوله : ﴿ إني خشيت ﴾ هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان أي خشيت أن اتبعك فأخبرك بهذا ﴿ أن تقول ﴾ لم تركتهم وحدهم و ﴿ فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي ﴾ أي وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم قال ابن عباس : وكان هارون هاتياً مطيعاً له .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ  
يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ  
لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ  
لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُوَخِّفَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ  
عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْ تُحَرِّقَهُ ثُمَّ لَنْ نَسِفَهُ فِي إِلِيمٍ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ  
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿ قال ﴾ موسى عليه السلام للسامري ﴿ فما خطبك يا سامري ﴾ أي ما حملك على ما صنعت قال محمد بن اسحق عن ابن عباس : كان السامري من قوم يعبدون البقر وكان قد أظهر الإسلام مع بني اسرائيل وكان اسمه : موسى بن ظفر ﴿ قال ﴾ السامري

﴿ بصُرْتُ بما لم يبصروا به ﴾ أي رأيت جبريل حين جاءه هلاك فرعون ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول ﴾ أي من أثر فرسه ، وهذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم ﴿ فبذتها ﴾ أي ألقيتها . وقال ابن أبي حاتم عن عكرمة : أن السامري رأى الرسول فألقى في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا الترس قبضةً فألقينها في شيء فقلت له كن فكانت تقذف القبضة وقال كن فكان عجلاً جسداً له خوار ﴿ وكذلك سوت لي نفسي ﴾ أي حسنته وأعجبها ، عندها ﴿ قال فاذهب فإن لك في الحياة إن تقول لا مساس ﴾ أي فكما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا إن تقول لا مساس أي لا تمس الناس ولا بمسؤلك ﴿ وإن لك موعداً ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لن تخلفه ﴾ أي لا عهد لك عنه ﴿ وانظر إلى إهلك ﴾ أي معبودك ﴿ الذي ظلت عليه عاكفاً ﴾ أي أقممت على عبادته يعني العجل . ﴿ لتسحرقنّه ﴾ قال ابن عباس : سحله بالبرد وألقاه على النار ﴿ ثم لتسفننه في اليم نسفاً ﴾ في شاطئ النهر . وقوله ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾ يقول لطم موسى عليه السلام : ليس هذا إلهكم إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو . أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ، ولا تبغي العبادة إلا له ، فإن كل شيء فقير إليه عبد له وقوله : ﴿ وسع كل شيء علماً ﴾ نصب على التمييز أي هو عالم بكل شيء أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً فلا يعزب عنه مثقال ذرة . وما تسقط من ورقة إلا يعلمها .

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (٩٩) ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴾ (١٠٠) ﴿ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴾ (١٠١) ﴿

كنا بقصص تعالى على نبيه محمد ﷺ خير موسى عليه السلام تماماً بلا نقص ، فانه يقول سبحانه : ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ﴾ أي كذلك نقص عليك الأخبار الماضية ، هذا ﴿ وقد آتيناك من لدننا ﴾ أي من عندنا ﴿ ذكراً ﴾ وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل والذي لم يعط نبي كتاباً مثله ولا أكمل منه ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن ، وحكم الفصل بين الناس .

وقوله تعالى : ﴿ من أعرض عنه ﴾ أي كذب به ولم يتبعه ، وابتغى الهدى في غيره ﴿ فانه يحمل يوم القيامة وزراً ﴾ أي إنماً ، وهذا عام في كل من بلغه القرآن فهو نذير له

وداع فمن اتبعه هدي ، ومن أعرض عنه ضلّ وشقي في الدنيا والنار مواعده في الآخرة .  
وقوله تعالى : ﴿ خالدين فيه ﴾ أي لا يجد لهم عنه أي عن ذلك الحمل ﴿ وساء لهم يوم  
القيامة حلاً ﴾ أي بشس الحمل حملهم .

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (١٠٢)  
يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿ (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ  
إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ طَرِيقَةٌ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿ (١٠٤)

ثبت في الحديث عنه ﷺ ١٥٨ [ انه سئل عن الصور فقال : «قرن ينفخ فيه» ] وقد  
جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة ١٥٩ [ انه قرن عظيم ، الدائرة منه بقدر السموات  
والأرض ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام ] وقوله تعالى : ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ  
زُرْقًا ﴾ معناه زرق العيون من شدة الحول ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ اي يتسارون بينهم :  
﴿ إن لبثتم إلاّ عشراً ﴾ أي في الدار الدنيا أي عشرة أيام فقال تعالى : ﴿ نحن أعلم بما  
يقولون ﴾ في حال تناجيههم بينهم ﴿ إذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ أي العاقل الكامل فيهم :  
﴿ إن لبثتم إلاّ يوماً ﴾ لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد ، لأن الدنيا وان تكررت  
أوقاتها وتعاقبت أزمانها كأنها يوم واحد كقوله تعالى : ﴿ كم لبثتم في الأرض عدد  
سنين . قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين . قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم  
كنتم تعلمون ﴾ .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿ (١٠٥)  
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿ (١٠٦) لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿ (١٠٧)  
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ  
فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمًّا ﴿ (١٠٨)

يقول تعالى : ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول ؟ ﴿ قل  
ينسفها ربّي نسفاً ﴾ أي يذهبها عن أماكنها ويحفظها ﴿ فيذرها ﴾ أي الأرض ﴿ قاعاً  
صفصفاً ﴾ أي بساطاً واحداً والقاع هو المستوى من الأرض والصفصف تأكيد لمعنى

ذلك وقوله تعالى : ﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ أي لا ترى في الأرض وادياً ولا رابية قاله ابن عباس وغير واحد من السلف ﴿ يومئذ يبعثون الداعي لا عوج له ﴾ أي يوم يرون أهوال يوم القيامة يستجيرون مسارعين إلى الداعي حيثما أمروا بادروا إليه ، ولو كانوا يستمعون إليه في الدنيا لكان أنفع لهم ولكن كانت الاستجابة حيث لا يفهم كما قال تعالى : ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ أي مسرعين إليه ﴿ لا عوج له ﴾ أي لا يعيلون عنه وقوله تعالى : ﴿ ونخשת الأصوات للرحمن ﴾ قال ابن عباس : مكنت ﴿ فلا تسع إلا هماً ﴾ بصوت خفي ، ومشي الأقدام في سكون وخضوع .

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (١٠٩) ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (١١٠) ﴿ وَعَسَى أَنْ يَؤُوجُوا لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (١١١) ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا قَضًا ﴾ (١١٢) ﴿



يقول تعالى : ﴿ يومئذ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لا تنفع الشفاعة ﴾ أي عنده ﴿ إلا ﴾ من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴿ كقوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عز وجل أنه قال ١٦٠ [ أتى تحت العرش وأشعره الله ساجداً ، ويفتح عليّ بمحامد لا أحصيها الآن ، فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول : يا محمد ارفع رأسك وهل يسمع واشفع تشفع - قال - فيحدث لي جداً ، فأدخلهم الجنة ثم أعود فذكر أربع مرات ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء ] . وقوله تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي يحيط علماً بالخلائق كلهم ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وعسى أن يؤججوا للحى القيوم ﴾ أي ذلت وخضعت واستسلمت الخلائق لبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيّم على كل شيء ولا قوام لشيء إلا به . وقوله تعالى : ﴿ وقد خاب من



حمل ظملاً ﴿ أي يوم القيامة ، فإن الله تعالى سيؤذي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص نشأة الجماء من الشاة القراء وفي الصحيح : ١٦٦ ﴿ [إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، والحبيبة كل الحبيبة من لقي الله وهو به مشرك فإن الله تعالى يقول إن الشرك لظلم عظيم ] . وقوله تعالى : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ لما ذكر تعالى الظالمين ووعدهم ، نبي بالمتقين وحكمهم ، وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون ، أي لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤)

يقول تعالى : ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعاً لا محالة ، أنزلنا القرآن بشيراً ونذيراً بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عي ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون ﴾ أي يتركون المآثم والمعاصم والفواحش ﴿ أو يحدث لهم ذكراً ﴾ وهو إيجاد الطاعات وفعل القربات ﴿ تعالى الله الملك الحق ﴾ أي تزه وتقدس الملك الحق في وعده ، ووعيده ، ورسله ، والجنة ، والنار وكل شيء منه حق . وعدله تعالى أن لا يعذب أحداً قبل الإنذار ، وبعثة الرسل ، والإعذار إلى خلقه لتلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ﴾ كقوله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن أنزلنا عليه آياته ﴾ وهنا قال تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ﴾ أي بل انتصت فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراه بعده ﴿ وقيل رب زدني علماً ﴾ أي زدني منك علماً وفي الحديث ١٦٢ [ إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله ﷺ ] وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول : ١٦٣ [ اللهم انعمني بما علمتني ، وعلمني ما بغضتني وزدني علماً ، والحمد لله على كل حال ] . وفي رواية البزار ... وزاد في آخره ١٦٤ [ وأعوذ بالله من حال أهل النار ]

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَاَلَمْ نَجِدْ لَهُ  
عِزْمًا ﴾ (١١٥) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
أَبَى ﴿ (١١٦) ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا  
يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿ (١١٧) ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا  
تَعْرَى ﴿ (١١٨) ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿ (١١٩) ﴿ فَوَسْوَسَ  
إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا  
يَبُوتُ ﴿ (١٢٠) ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ  
عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿ (١٢١) ﴿ ثُمَّ أُجْتَبَاهُ  
رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿ (١٢٢) ﴿

قال ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فَنَسِيَ : وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ يذكر تعالى تشریف آدم وتكرمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلاً ﴿ فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾ أي امتنع واستكبر ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ يعني حواء عليهما السلام ﴿ فلا يخرجكما من الجنة فتشقى ﴾ أي إياك أن يسعى في إخراجك منها فتتعب في طلب الرزق فعيشك هاهنا رغيد هنيء بلا كلفة ولا مشقة ﴿ إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ﴾ إنما قرن بين الجوع والعري لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر . ﴿ وإنك لا تظمأ فيها ولا تصحى ﴾ وهذا أيضاً متقابلان فالظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر . وقوله تعالى : ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ قد تقدم أنه دلاهما بغرور ﴿ وقاسماهما إني لكما من الناصحين ﴾ وقد تقدم أن الله تعالى منحهما من أن يفربا شجرة معينة في الجنة فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها . وقوله تعالى : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سواتهما ﴾ أي عورتاهما جزاء ما خالفا أمر الله وأطاعا وسوسة الشيطان وقوله تعالى : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ أي يتزعان من ورق الجنة

فيجعلانه على مبرأتهما ﴿ وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ - أي اصطفاه ربه فعلمه كيف يتوب إليه هو وزوجه : ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ وهذا ما تلقاه آدم من ربه كما قال تعالى : ﴿ فقلني آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (١) -

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال [١٦٥] حاح موسى آدم فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بدنك وأشقيهم ؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلمني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني وقدره الله عليّ قبل أن يخلقني ؟ قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى [ وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد .

﴿ قَالَ أَهْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَا بُنَيَّ إِنَّكُمْ إِنْ هَدَيْتُمْ فَمَنْ آتَبَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَنْحُشْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ (١٢٦) ﴿

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس : اهبطوا منها جميعاً ، أي من الجنة كلكم وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة (٢) ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ قال آدم وذريته وإبليس وذريته وقوله تعالى : ﴿ فإمّا يا بنيّ إنكم إن هديتُمْ فمّن آتب هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ قال ابن عباس : لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿ ومن اعرض عن ذكري ﴾ أي خالف الأمر الذي أنزلته على رسولي وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾ أي ضنكاً في الدنيا فلا طمأنينة ولا انشراح . بل صدره ضيق لفضاله فمهما تتعم من نعم الدنيا فإن قلبه ... لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو دائماً في قلق وحيرة وشك وفي الآخرة ينظره عذاب القبر . روى البزار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾ قال : [١٦٦] المعيشة

(١) ما بين الموضعين من كلامي لا من كلام المفسر رحمه الله . (٢) عند الآية رقم /٢٦/

الضنك الذي قال الله انه يسلط عليه تسعة وتسعين حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة [ .  
 وقوله تعالى : ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ قال عكرمة : عمى عليه كل شيء إلا  
 جهنم ، ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر الى النار أعمى البصر ، والبصيرة أيضاً ،  
 كما قال تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ما أوهم جهنم ﴾  
 الآية ... ولهذا يقول : ﴿ رب لم تحشرني أعمى وقد كنت بصيراً ﴾ أي في الدنيا ﴿ قال  
 كذلك أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها  
 معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها اليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها ، كذلك اليوم ،  
 تعاملتك معاملة من ينساك ﴿ فاليوم نساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ فإن الجزاء من جنس  
 العمل ، فأما نسيان أفظ القرآن ، مع فهم معناه والقيام بمقتضاه ، فليس داخلًا في هذا  
 الوعيد الخاص ، وإن كان متوعداً عليه من جهة أخرى ، روى الإمام أحمد عن سعد  
 ابن عباد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال ١٦٧ : [ ما من رجل قرأ القرآن فنسبه إلا  
 لقي الله يوم يلقاه وهو أجلم ] .

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ

الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (١٢٧)

يقول تعالى : وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة : ﴿ لهم  
 عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق ﴾ ولهذا قال تعالى :  
 ﴿ وللعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ أي أشد ألماً من عذاب الدنيا وأدوم عليهم فهم مخلدون  
 فيه ولهذا قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين ١٦٨ [ إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ]

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي

مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ (١٢٨) وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ  
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِوَأْمًا وَأَجْلٌ مُسْتَمًّى ﴾ (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَى مَا  
 يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا  
 وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (١٣٠)

يقول تعالى : ﴿ أفلم يهدى ﴾ هؤلاء المكذبين بما جنتهم به يا عمدة كم أهلكتنا من الأمم المكذبين بالرسول قبلهم ، فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الحالية التي خلفوهم فيها يمشون فيها ﴿ ان في ذلك لآيات لأولى النهي ﴾ أي العقول الصحيحة والألياب المستقيمة ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾ أي لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا وبعثهم بغنة ولكن قدر ان يكون عذابهم لأجل مسمى أي في الآخرة ولهذا قال لئيبه مسلماً له : ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ أي من تكذيبهم لك ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿ وقبل غروبها ﴾ يعني صلاة العصر ، كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال ١٦٩ : [ كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فاعلموا » ] ثم قرأ هذه الآية ...

وقوله تعالى : ﴿ ومن آتاه الليل فسيح ﴾ أي من ساعاته فتهجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء : ﴿ واطراف النهار ﴾ في مقابلة آتاه الليل ﴿ لعلك ترضى ﴾ كقوليه تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ وفي الصحيح ١٧٠ [ يقول الله تعالى : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : إني أعطيتكم أفضل من ذلك ، فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ] وفي الحديث الآخر ١٧١ [ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون : وما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة ، فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم خيراً من النظر إليه وهسي [ الزيادة ]

﴿ وَلَا تَعْدُنَّ عَيْنِيكَ إِلَّا مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١٣١) وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿ (١٣٢) ﴾

يقول تعالى لبيه محمد ﷺ : لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وما هم فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة ، لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور ، فقد آتاك خيراً مما آتاهم . كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تعدن عيبك ﴾ الآية وكذلك ما أدخره الله تعالى لرسوله ﷺ في الآخرة أمر عظيم لا يعد ولا يوصف ولهذا قال تعالى : ﴿ ورزق ربك خير وأبقى ﴾ وفي الصحيح ١٧٧ [ أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساء حين آلى منهن ، فرآه متوسداً مضطجعاً على رمال حصير وليس في البيت إلا صبرة من قرظ واهية معلقة ، فابتدرت عيناه بالبكاء فقال له رسول الله ﷺ « ما يبكيك يا عمر » فقال : يا رسول الله إن كسرى وقبصر فيما هما فيه ، وانت صفوة الله من خلقه ؟ فقال « أو في شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجبت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا » [ فكان ﷺ أزهده الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له يُفْقِئُهَا هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدأخر لنفسه شيئاً لغيره .

وقوله تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قروا أنفسكم واهليكم ناراً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ لا نسألك رزقاً نحن نرزقك ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحسب .

روى ابن أبي حاتم عن ثابت قال : ١٧٣ [ كان النبي ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله : « يا أمهات صلوا صلوا » . قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة ] وقد روى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ١٧٤ [ يقول الله تعالى : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي مملأً صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ، ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك ] . وقوله تعالى : ﴿ والعاقبة للمتقوى ﴾ أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، وهي الجنة لمن اتقى الله . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ١٧٥ [ رأيت الليلة كأننا في دار عقبة بن رافع وإننا أتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب ]

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَا نَيْنَا يَا نَيْنَا بِآيَةِ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ (١٣٣) ﴿ وَأَنَا أَهْلَكُنَّاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ

لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَحْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُرْتَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴿١٣٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار في قولهم ﴿لولا﴾ أي هلاًّ يأتيها محمد بآية من ربّه أي بعلامة دالّة على صدقه في أنه رسول الله فقال الله تعالى : ﴿ أولم تأتهم بينة مما في الصحف الأولى ﴾ يعني ألم يروا في القرآن العظيم أخبار الأولين وبما كان منهم في سالف الدهر مع أنه أمي لا يكتب ولا يقرأ ولم يدرس أهل الكتاب ، فإنّ القرآن مهيمن على تلك الكتب ، يصدق الصحيح منها ويبين الخطأ المكذوب الذي فيها .

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال : [١٧٦] ما من نبي الا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة ] وانما ذكر هنا أعظم الآيات التي أعطيها وهو القرآن ، وإلاّ فله من المعجزات ما لا يحصى ولا يحصر كما هو مقرر في مواضعه . ثم قال تعالى : ﴿ ولو أنا أهلكتناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ أي لو أهلكتناهم قبل ان نرسل اليهم هذا الرسول الكريم وأنزلنا هذا القرآن العظيم لقالوا : ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ قبل ان تهلكنا حتى نؤمن به وننتبعه . كما قال ﴿ فنتبع آياتك من قبل ان نذلّ ونحزى ﴾ يبين تعالى أنهم متعتون معاندون . كما قال تعالى : ﴿ ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ ثم قال تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد لمن كذبتك واستمر كاهراً ﴿ كلُّ مرتبص ﴾ أي متاً ومينكم ﴿ فتربصوا ﴾ أي فانتظروا ﴿ فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ﴾ أي الطريق المستقيم ﴿ ومن اهتدى ﴾ الى الحق وسبيل الرشاد وهذا كقوله تعالى : ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ آخر اختصار تفسير سورة طه والله الحمد والمنه ونسأله التوفيق والسداد .

## (٢١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِأَهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ وَمِائَةً سَبْعِينَ

نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا  
يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثًا إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾  
لَأَهْلِيَّةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ  
مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ  
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ  
أَحْلَامٍ بَلْ أَفْتَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْبَيِّنَاتِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾  
مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴿١﴾

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ، والناس في غفلة عنها فلا يعملون لها ولا يستعدون إليها، روى النسائي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ [١٧٧] ﴿ في غفلة معرضون ﴾ قال « في الدنيا » [ وقال تعالى : ﴿ اتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ وقال ﴿ اقربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار ، فقال تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ أي جديد إنزاله ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه وتقصوا منه ، وكتابتكم أحدث الكتب بالله تقرأونه محضاً لم يشب رواه البخاري بنحوه .

وقوله تعالى : ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ أي قائلين فيما بينهم خفية



﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾ يعنون رسول الله ﷺ . يستبعدون ان يكون نبيا لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم. ولهذا قال : ﴿ أفنتأتون السحر وانتم تبصرون ﴾ أي أفنتبعونه فنكونون كمن يأتي السحر ويعلم أنه سحر . فرد عليهم الله عما افتروه من الكذب ﴿ قال ربي يعلم القول في السماء والأرض ﴾ أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية . ويعلم السر في السموات والأرض . وقوله تعالى : ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أي السميع لأقوالكم . العليم بأحوالكم . وفي هذا تهديد لهم ووعد . وقوله تعالى : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افترأه ﴾ هذا إخبار عن تعنت الكفار والمجاهدين . وحريرهم فيما يصفون به القرآن . وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحراً : وتارة شعراً . وتارة أضغاث أحلام . وتارة مقفرا . كما قال تعالى : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ﴾

وقوله تعالى : ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ يعنون : كفاية صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله تعالى : ﴿ وما متعنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الأولون ﴾ الآية ولهذا قال تعالى : ﴿ ما آمنت قلوبهم من قربة أهلكتناها أفهم يؤمنون ﴾ أي ما آتينا قرية من القرى الذي بعث فيهم الرسل آية على بلدي نبيها فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون اولئك كلاً . — لأنهم شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات على يدي رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجل وأبهر وأقطع وأقهر مما هو شهود مع غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧) ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَدًّا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (٨) ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٩) ﴿

يقول تعالى راداً على من أنكروا بعثة الرسل من البشر ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم ﴾ أي جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالاً من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى ﴾

ولهذا قال تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ أي اسألوا أهل العلم من اليهود والنصارى وسائر الطوائف : هل كان الرسل الذين أتوهم بشرأ أو ملائكة ؟ وهذا من تمام النعمة على الخلق ليتمكنوا من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم .

وقوله تعالى : ﴿ وما جعلناهم جنداً لا يأكلون الطعام ﴾ بل كانوا أجساداً يأكلون الطعام ، وبشرأ من البشر يأكلون ويشربون ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة ، ولا يضيرهم هذا ولا ينتقص منهم شيء . كما توهمه المشركون في قولهم : ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويشي في الأسواق لولا انزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها ﴾ الآية ...

وقوله تعالى : ﴿ وما كانوا خالدين ﴾ أي في الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون . ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ثم صدقناهم الوعد ﴾ أي الذي وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين فصدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال عز وجل : ﴿ فأنجبناهم ومن نشاء ﴾ أي أنجبناهم من المؤمنين . ﴿ وأهلكنا المسرفين ﴾ أي المكذبين بما جاءت به الرسل .

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٠)

وَكَمْ قَصْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿ (١١)

فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿ (١٢) لَا تَرْكُضُوا

وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكِرُونَ ﴿ (١٣)

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ

حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿ (١٥)

بينه تعالى على شرف القرآن ومحضهم على معرفته ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ قال ابن عباس : شرفكم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أي هذه النعمة وتلقونها بالقبول كما قال تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ أي وإنه الشوق لك ولقومك <sup>(١)</sup> لأنه نزل بلغتهم .

(١) القرآن لا شك أنه شرف لعرب إن هم تمسكوا بأحكامه ، وحلوا وابتغوا به إلى العالمين

وقوله تعالى : ﴿ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها ﴾ الآية ...

وقوله تعالى : ﴿ وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ﴾ أي أمة أخرى بعدهم ﴿ فلما أحسوا بأسنا ﴾ أي تيقنوا وقوع العذاب كما وعدهم نبيهم ﴿ إذا هم منها يركضون ﴾ أي يفرّون ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترقتم فيه ومساكنكم ﴾ هذا نهيهم واستهزاء أي لا تفروا وارجعوا إلى مساكنكم - وكيف يرجعون إليها وقد دمرها العذاب ﴿ لعلمكم نألون ﴾ عما كنتم فيه من أداء الشكر للمنعمة ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾ اعترفوا بذنوبهم حين لا يفتعهم ذلك ﴿ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ أي ما زالت تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم حتى حصدناهم حصيداً ، وحصدت حركاتهم وأصواتهم خموداً .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ (١٦)

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١٧)

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ

مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ

لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ ﴾ (١٩) يُسَبِّحُونَ

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (٢٠)

يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق ، أي بالعدل والقط ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، وإنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً كما قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾

وقوله تعالى ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ﴾ أي من عندنا والله المراءى لسان أهل اليمن وقال عكرمة والسدي : والمراد باللهو ههنا الولد وهذا والذي قبله متلازمان . قال ابراهيم النخعي ﴿ لاتخذناه ﴾ من الحور العين والله تعالى متره عن اتخاذ

الولد والزوجة مطلقاً ﴿ سبحان الله عما يقولون علواً كبيراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن كنا فاعلين ﴾ قال قتادة والسدي وابراهيم الذهبي ومغيرة بن مقسم : أي ما كنا فاعلين وقال مجاهد : كل شيء في القرآن (إن) فيؤيد إنكار وقوله تعالى : ﴿ بل نضف بالحق على الباطل ﴾ أي بين الحق فيدحض الباطل : ولهذا قال سبحانه : ﴿ فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ أي ذاهب مضمحل ﴿ ولكم الويل ﴾ أي أيها القائلون لله ولد ﴿ بما تصفون ﴾ أي بما تقولون وتفكرون . ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ، ودأبهم في طاعته ليلاً ونهاراً فقال جل وعلا : ﴿ وله من في السموات والأرض ومن عنده ﴾ يعني الملائكة ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ﴾ أي لا يستكفون عنها ، كما قال تعالى : ﴿ لن يستكف المسبح إن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا يستحسرون ﴾ أي لا يتعبون ولا يملأون ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً مطيعون قصداً وعملاً كما قال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

﴿ أم اتخذوا آية من الأرض هم ينشرون ﴾ (٢١) ﴿ لو كان فيهما آية إلا الله لفسدنا فبجان الله رب العرش عما يصفون ﴾ (٢٢) ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ (٢٣)

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آية فقال : ﴿ أم اتخذوا آية من الأرض هم ينشرون ﴾ أي أهم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض . أي لا يقدرّون على شيء من هذا ، فكيف جعلوها لله نداءً وعبودها معه ؟ ثم أخبر تعالى فقال عز وجل : ﴿ لو كان فيهما آية ﴾ أي في السموات والأرض ﴿ لفسدنا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ﴾ وقال تعالى ها هنا : ﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ أي تنزه وتعالى وتقدس عن الذي يفترون ويأفكون علواً كبيراً . وقوله تعالى : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه . واستحكم الخير الذي لا يخاله أحد في حكمته وعلمه وعدله ولطفه - فمن كانت هذه صفاته العلى فلا يسأل عما يفعل إذ لا يفعل إلا خيراً . والشر ليس إليه ولا يفعله . فلا يسأل عن شيء لم يفعله . أما الخلق فالله تعالى سألهم عما يعملون من خير أو شر وهنا يتضح معنى قوله تعالى : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ (١)

(١) الكلام الذي بين المترشحين من كلامي لا من كلام المفسر رحمه الله تعالى .

﴿ ٢٤ ﴾ أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِ إِلَهَةٍ قُلُوبًا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿ ٢٤ ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿ ٢٥ ﴾ ﴿ ٢٥ ﴾

يقول تعالى : ﴿ ام اتخذوا من دونه آلهة قل ﴾ يا محمد ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ أي دليلكم على ما تقولون ﴿ وهذا ذكر من معي ﴾ يعني القرآن ﴿ وذكر من قبلي ﴾ يعني الكعب المتقدمة فهي على خلاف ما تقولونه وترعمون . فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بأن لا إله الا الله . ويدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له . والظفرة شاهدة بذلك والمشركون لا يبرهان لهم ، وحجتهم داحضة عند ربهم . وعليهم غضب ولهم عذاب شديد .

﴿ ٢٦ ﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿ ٢٦ ﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿ ٢٧ ﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿ ٢٨ ﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ ٢٩ ﴾

قال بعض من العرب : إن الملائكة بنات الله فقال : ﴿ سبحانه بل عباد مكرمون ﴾ أي هم عنده في منازل عالية وهم له في غاية الطاعة قولاً وفعلاً ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ لا يتقدمون بين يديه بأمر بل يبادرون إلى فعل أوامره وعلمه محيط بهم فلا تخفى عليه منهم خافية ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾

وقوله تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ وقوله تعالى ﴿ وهم من خشية مشفقون ﴾ من خوفه ورهبته ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه ﴾ أي من ادعى منهم أنه إله مع الله ﴿ فذلك نجزيه جهنم ﴾ كذلك نجزي الظالمين ﴿ أي كل من قال ذلك وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه ، كقوله



تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٠)  
 وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٣٣)

يقول تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي الجاحدون لإلهيته ، العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المفرد بالتدبير. ﴿ أن السموات والأرض كانتا رتقاً ﴾ أي كان من الجميع قطعة واحدة فتفتق هذه من هذه ، فجعل السموات سبعاً والأرض سبعاً ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ أي أصل لكل حي ، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : ١٧٨ [قلت : يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني ، فأنبئي عن كل شيء . قال : « كل شيء خلق من ماء » قال : قلت أنبئي عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة ، قال : « أفش السلام ، وأطعم الطعام ، وصل الأرحام ، وتم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام » ] إسناده على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونه من رجال السنن واسمه سليم ، والترمذي يصحح له . ﴿ أفلا يؤمنون ﴾ أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً وذلك كله دليل على وجود الصانع القاعل المطلق المختار الذي هو على كل شيء قدير .

ففي كل شيء له آية تدلُّ على أنه واحد

قال سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال : مثل ابن عباس : الليل كان قبل أو النهار ؟ فقال : أرايتم السموات والأرض حين كانتا رتقاً هل كان بينهما إلا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار .

وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا في الأرض رواسي ﴾ أي جيالاً أرسى الأرض بها وقررها

وثقلها لئلا تئيد بالناس أي تضطرب وتحرك ، فلا يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع فإنه بادٍ للهواء والشمس . ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات والحكم والدلالات . وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً ﴾ أي ثغراً في الجبال يسلكون فيها طرقاً من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم ولذلك قال تعالى : ﴿ لعلمهم بهتدون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ﴾ أي جعلها سقفاً كالقبة عليها كما قال تعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ ﴿ محفوظاً ﴾ أي محروساً أن ينال . وقوله تعالى : ﴿ وهم عن آياتها معرضون ﴾ أي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر ، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليالها ونهارها ، ثم قال منبهاً على بعض آياته عز وجل ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار ﴾ أي هذا في ظلامه وسكرته ، وهذا بضياؤه وأنسه ، بطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه الآخر ﴿ والشمس والقمر ﴾ هذه لها نور يخصصها وفلك بذاته وزمان على حدة وحركة وسير خاص ، وهذا ينور آخر وسير آخر وتقدير آخر ﴿ كل في فلك يسبحون ﴾ أي يدورون قال ابن عباس : يدورون كما يدور المنزل في الفلكة .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَآئِينَ مِتَّ فَهَمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (٢٤) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٥)

يقول تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك ﴾ يا محمد ﴿ الخلد ﴾ في الدنيا ، وقد استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الحضر عليه السلام مات وليس بحي إلى الآن لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً وقد قال تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أفان مت ﴾ يا محمد ﴿ فهم الخالدون ﴾ أي يؤملون أن يعيشوا بمدك لا يكون هذا بل كل<sup>١</sup> إلى القضاء ، ولهذا قال تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعيم أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر : ومن يصبر ومن يقنط<sup>(١)</sup> ومن يطع ومن يعصى

(١) قلت : ليس معنى هذا أن انملا يعلم حتى ينظر ويختبر بل يعلم ما سيكون من العبد قبل أن يخلقه إنما يكون هذا الاختبار لتقوم الحجة على العبد الفاعل فذا الشر أو لذاك الخير ويقنط بأنه فعل نعلمنا نستحق نتائجها ثواباً أو عقاباً .

وقوله تعالى : ﴿ وإينا ترجعون ﴾ أي فنجازيكم بأعمالكم .

﴿ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذَّكُرُ إِلَيْكُمْ ﴾ وَهُمْ يَذَّكُرُ الرَّحْمَنُ هُمْ كَافِرُونَ ﴿ (٢٦) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿ (٢٧) ﴾

يقول تعالى لبيبه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وإذا رأك الذين كفروا ﴾ يعني كفار قريش كآبي جهل واشباهه ﴿ إن يتخذونك إلا هزوا ﴾ أي يستهزئون بك ويتقصرونك بقولهم : ﴿ أهذا الذي يذكركم إليكم ﴾ يعنون : أهذا الذي يسب ألفتكم ويسفه أحلامكم قال تعالى : ﴿ وهم يذكرون الرحمن هم كافرون ﴾ أي فعوضاً عن أن يؤمنوا بالله وبما جاء به رسول الله عن الله إذا بهم يستهزئون برسول الله ... !! ويكفرون بمن أرسله والعباد بالله ، ويعتبرونه مضلاً لهم عن آلتهم لولا صبرهم عليها فرد الله عليهم بقوله جل وعلا : ﴿ ... وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل مبيلاً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ كما قال تعالى الله : ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ والحكمة من ذكر عجلة الإنسان ههنا : أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول ﷺ وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ لأنه تعالى يحل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، يؤجل ثم يعجل ، وينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال عز من قائل : ﴿ سأريكم آياتي ﴾ أي تقمي وحكمي واقتداري على من عصاني ﴿ فلا تستعجلون ﴾

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ (٢٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ﴿ (٢٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ﴿ (٤٠) ﴾

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضاً بوقوع العذاب بهم تكديماً وجموداً وكفراً وعناداً واستبعاداً ، فقال جل وعز : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾



قال الله تعالى : ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴾ أي لو يتقوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوه ، ولكن العذاب محيط بهم من جميع جهاتهم كما قال تعالى : ﴿ ثم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلل ﴾ ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ أي لا ناصر لهم وقوله تعالى : ﴿ بل تأتيهم بغتة ﴾ أي تأتيهم النار فجأة ﴿ فبهتهم ﴾ أي تدعهم ، فيستلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون ﴿ فلا يستطيعون ردها ﴾ أي ليس لهم حيلة في ذلك ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ أي ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة .

﴿ وَقَدَرْنَا نَنزِلُ بِهِ السَّحَابَ الْبَارِقَ الَّذِي فِيهِ نَارُ كَوْكَبٍ كَثِيرٍ رِجَالًا كَمَا يَتَخِفُّونَ مِنْ الْغَمِّ الْمَخْتَلِمْ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾

﴿ قُلْ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿ ٤٢ ﴾

﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا يُنصَبُونَ ﴾ ﴿ ٤٣ ﴾

يقول تعالى ملياً لرسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب ﴿ ولقد استهزىء برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ يعني من العذاب الذي كانوا يستعدون وقوعه ، كما قال تعالى : ﴿ لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين ﴾ ثم ذكر نعمته سبحانه على عبده في حفظه لهم بالليل والنهار بعينه التي لا تنام فقال عز من قائل : ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ أي بدل الرحمن يعني غيره ، وقوله تعالى : ﴿ بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ أي لا يعترفون بنعمة الله عليهم ، بل يعرضون عن آياته ، ثم قال سبحانه : ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دونا ﴾ استفهام إنكار وتقرع وتوبيخ ، أي ألهة تحفظهم وتحرسهم غيرنا ؟ ليس الأمر كما زعموا وتوهموا ولهذا قال تعالى : ﴿ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴾ أي هذه الآلهة لا يستطيعون نصر أنفسهم . وقوله تعالى : ﴿ ولا هم منا يُصبحون ﴾ أي ولا هم منا يجارون ويمنعون .

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤٤)  
 قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذِرُونَ ﴿ (٤٥) وَلَئِن مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿ (٤٦) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿ (٤٧)

بخبر تعالى عن المشركين : إنما غرهم وحملهم على ما هم عليه من الضلال ، أنهم طال عليهم العمر بالنعم . فاعتقدوا أنهم على شيء ... ثم وعظهم : ﴿ أفلا يرون أنا نأتي الأرض نقصها من أطرافها ﴾ أي كما قال تعالى : ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ﴾ قال الحسن البصري : يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر .

والمعنى : أفلا يعتبرون بصر الله لأوليائه على أعدائه وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى وإنجائه لعباده المؤمنين ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ أفهم الغالبون ﴾ يعني بل هم المغلوبون والأسفلون الآخرون الأذليون .

وقوله تعالى : ﴿ قل إنما أُنذِرُكُمْ بالوحي ﴾ أي ما أُنذِرُكم به إنما هو الوحي من الله تعالى ولكن لا يجدي الإنذار بالعذاب من أعشى الله بصيرته جزاء صدوده عن آيات الله ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينثرون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ولئن مسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ أي يعترفون بذنوبهم عندما يقع بهم أدنى شيء من العذاب ، وبما ظلموا أنفسهم في الدنيا .  
 وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ أي نضع الموازين العدل ليوم القيامة ، والميزان واحد إنما جمع لتعدد الأعمال الموزونة فيه .

وقوله تعالى : ﴿ فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ وقال سبحانه : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ١٧٩ [كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : حيتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم] . روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ : ١٨٠ [إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أممي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول : أنتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمتكَ كتيبتي الحافظون قال : لا يا رب قال : أقلك عذراً أو حسنة قال : فهبت الرجل فيقول : لا يا رب ، فيقول : بل إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فيقول أحضروه ، فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم ، قال فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، قال : ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم ] <sup>(١)</sup> ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد وقال الترمذي حمن غريب .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذِكْرًا  
لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ  
مُشْفِقُونَ ﴿ (٤٩) وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ  
مُنْكَرُونَ ﴾ (٥٠)

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، وبين كتابيهما ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴾ يعني التوراة حلالها وحرامها وما فرّق الله بين الحق والباطل ، كما أن كل

(١) هكذا في الأصل . ورواية الترمذي : فلا يثقل مع اسم الله شيء . اهـ

الكتب السماوية مشتملة على هذا . وعلى ما يحصل نوراً في القلوب ، وهداية وخوفاً وإجابة وخشية ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الفرقان وضياءً وذكراً للستين ﴾ أي تذكيراً لهم وعظة ثم وصفهم فقال : ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون ﴾ كقولهم : ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ ثم قال تعالى ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾ يعني القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ﴿ أفأنتم له منكرون ﴾ أي افتنكرونه وهو في غاية الجلاء؟



- وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾  
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾  
 قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ  
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾  
 قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى  
 ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه أتاه رشده من قبل أي من صخره ، وألمحه للحق والحجة على قومه ، كما قال تعالى : ﴿ وتلك حجبتنا آياتها إبراهيم على قومه ﴾ وهناك بعض أخبار إسرائيلية قصها كثير من المفسرين ، عامتها مما حدثت به بنو إسرائيل فما وافق ما في شريعتنا قبلناه لذلك ، وما خالف رددناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقها ولا نكذبها بل نجعله وفقاً ... وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه وإلا لبيئته هذه الشريعة الكاملة الشاملة . والذي نملكه في هذا التفسير ، الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضيق الزمان ولما قد يكون فيها من الكذب المروج عليهم فبنو إسرائيل لا تفرقة عندهم بين صحيحها ومقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتأتون من هذه الأمة ، والمقصود هنا ان الله تعالى أخبر أنه قد أتى إبراهيم رشده من قبل ، أي من قبل ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وكنا به عالمين ﴾ بأنه أهل لذلك ثم قال جل وعلا : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ (١) هذا هو الرشد الذي

(١) قلت : وهذا دليل على أن الأسماء التي يعبدونها إنما هي تماثيل لرجال صالحين مضوا، فتمسحوا لهم هذه =

أوتيه من صفوه وهو الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله عز وجل ، والمعنى ما هذه التماثيل التي معتكفون على عبادتها . قال ابن أبي حاتم ، عن الأصمغ بن نباتة قال : مرّ علي رضي الله عنه على قوم يلعبون بالشطرنج ، فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون !! ؟ لأن يمش أحدكم جسراً حتى يطفأ خير له من أن يمسخها . وقوله تعالى : ﴿ قالوا وجدنا آبائنا لما عابدين ﴾ لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال ، ولهذا قال لهم تعالى : ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ أي على غير الطريق المستقيم ، فلما سفه أحلامهم ، وضلل آباءهم ، واحتقر آهنتهم ﴿ قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعين ﴾ أي هذا الكلام الذي تقوله ، أهو عبث ولعب أم أنك جاد فيه ... ؟ ﴿ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهم ﴾ أي ربكم الذي لا معبود غيره هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ وأنا أشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه .

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ (٥٧) فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿ (٦١) قَالُوا وَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿ (٦٣)

• التماثيل المذكورة في أول الأمر كما يفعل دعاة تقليد الكفار في زمننا الحاضر، إذ بدأنا نضع تماثيل لأبطالنا بنية الذكرى بعد الموت ثم انتقل إلى التقدير والاحترام ليقيني الأحياء بما يفعل الأموات من عمل عظيم ثم يتطوّر هذا التقدير إلى أبعاد من ذلك ، فيزين الشيطان لأخيه، تعظيمهم ومخاطبتهم ثم دعائهم ، كما صار تماماً بالتماثيل التي كانت لرجال صالحين مثل ود ، ويثوت، وسواع، ويعوق ونسراء الذين جُهدوا بعد قرون على أن الفتنة بالقبور أسرع وأرفع لأن الذي يندى على بعد أسيار من المنادي، وهكذا تنضج حكمة اشوارع الحكم من تحريم صنع الصور والتماثيل ورفع القبور التي صارت آفة من التماثيل .

ثم أقسم الخليل قسماً أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم أي ليكسرهما بعد إدبارهم إلى عيدهم وقد سمعه بعض قومه يقول ذلك ، فلما خرجوا إلى عيدهم مروا عليه فقالوا : يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال : إني سقيم ، وقد كان بالأمس قال : ﴿ تالله لا يكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ فلما جاز عاصمتهم إلى عيدهم هرع إلى أصنامهم ﴿ فجعلهم جذاً ﴾ أي حطاماً ... إلا كبير أصنامهم . ﴿ لعلمهم إليه يرجعون ﴾ أي يعتقدون أنه هو الذي غار لثقه وأنف أن يعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها ، فلما رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة الدالة على عدم أهليتها لأن تعبد ، وعلى سخافة عقول عابديها ﴿ قالوا من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين ﴾ أي في صنيعه هذا ... ﴿ قالوا سمعنا قتيلاً يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ أي قال الذين سمعوه بالأمس يهدد أصنامهم بالتكبير : سمعنا شاباً يذكرهم بسوء يقال له إبراهيم . قال ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : ما بعث الله نبياً إلا شاباً ولا أوتي القلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية : ﴿ قالوا سمعنا قتيلاً يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قالوا قاتلوا به على أعين الناس ﴾ أي على ملامئهم وكان هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقولهم في اتخاذ هذه الأصنام آلهة لم تستطع أن تدفع عن نفسها ضرراً ، ولا تملك لها نصراً فكيف يطلب منها شيء من ذلك ... ؟!!! ﴿ قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا ﴾ يعني الذي تركه ولم يكسره ﴿ فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ وإنما أراد بهذا أن يادروا من تلقاء أنفسهم ليعترفوا أنهم لا ينطقون وإن هذه الأصنام عاجزة عن حماية نفسها فكيف تستطيع حماية غيرها ... ؟!!!

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ١٨١ ] وإن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث ! اثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وقوله : ﴿ إني سقيم ﴾ -- قال -- وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلاً فأتى الجبار رجل فقال : إنه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاء : فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال أخي قال فاذهب فأرسل بها إلي فانطلق إلى سارة فقال : إن هذا الجبار قد سألتني عنك ، فأخبرته أنك أخي فلا تكذبي عنده فإني أخيتي في كتاب الله ، وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي ، فلما أن دخلت عليه فرأها أهوى إليها فتناولها فأخذها شديداً فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت له ، فأرسل فأهوى إليها فتناولها ، فأخذ بمثلها

أشدّ . ففعل ذلك الثالثة . فأخذ فذكر مثل المرتين الأوليين . فقال : ادعي الله فلا أضرك . فدعت له فأرسل ، ثم دعا أدنى حجابه فقال : إنك لم تأتني بإنسان . ولكنك أتيتني بشيطان . أخرجها وأعطها هاجر . فأخرجت وأعطيت هاجر . فأقبلت . فلما أحسّ إبراهيم بمجيئها . انقل من صلواته وقال : مهيم<sup>(١)</sup> . قالت : كفى الله كيد الفاجر وأخذمني هاجر [ . قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال : تلك أمكم يا بني ماء السماء<sup>(٢)</sup> .

﴿ فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِكُمْ فَاقُولُوا لِنُفُسِكُمْ إِنَّكُمْ أَنظِمُونَ الظَّالِمُونَ ﴾ (٦٤)  
 ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٦٥)  
 ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (٦٦)  
 ﴿ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٧) ﴿

يغير تعالى أن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ﴾ باللامنة لعدم حراستهم آلتهم فقالوا : ﴿ إنكم أنتم الظالمون ﴾ في إهمال حفظها ﴿ ثم نكسوا على رؤوسهم ﴾ أي أطرقوا حيرةً وعجزاً عن الإجابة لما قال لهم إبراهيم : ﴿ فسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ وكيف يسألونهم ويعنون أنما هم جماد . ولهذا قالوا : ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك : ﴿ أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴾ ثم ويخبرهم على ذلك وقال لهم : ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ أي أفلا تدركون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ ؟ فأقام عليهم الحجة والزمهم بها ولهذا قال تعالى : ﴿ وتلك حججنا آياتنا إبراهيم على قومه ﴾ الآية ...

(١) مهيم : كلمة استفهام . أي ما حالك . أو ما وراك ، أو : أخذت لك شيئا ؟

(٢) قلت : من هذا الحديث المتفق عليه دليل قاطع من جملة الأدلة القطعية على عصمة أزواج الأنبياء من الزنى . إطلاقاً تبعاً لعصمة أزواجهن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يمكن ازواجهم في قط أن تزني لا باختيارها . ولا رغماً عنها فإن الله يريد عن قبضها فلا يدعوها أن تزني سواء لعصمة الأنبياء من أن يلحق بيوتهم الطاهرة عبر أو دنس يعيق الدعوة إلى الله تعالى . حتى إذا سول جبار عن أن يعجز بها تولى الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات حسرتها وحفظها من المصنعي . وأخذ أخذاً شديداً إلى أن يدهمها دون أن يسها بسوء كما حصل مع سارة التي حماها الله من ذلك اختياراً بفضله . ومنه وقوته التي لا تغلبها قوة في الأرض ولا في السماء وهو العاقب عن أمره والقاهر فوق عباده .

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٦٨)  
 قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ  
 كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِزِينَ ﴿٧٠﴾

وهكذا ... فكل من يعدم قرع الحجمة بالحجة يلجأ إلى استعمال القوة ، وهؤلاء قوم إبراهيم لما لم يجبروا جواباً ، ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فجمعوا حطباً كثيراً جداً ، وأضرموه ناراً فكان ما شرر عظيم ولهب مرتفع ، لم توقد نار قط مثلها ، وجعلوا إبراهيم في كفة المنجنيق بإشارة رجل ، فخسف الله به الأرض ، فلما ألقوا إبراهيم في النار قال : حسبي الله ونعم الوكيل ، كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال ١٨٢ [ حسبي الله ونعم الوكيل ، قالوا إبراهيم حين ألقى في النار ، وقاضا محمد عليهما السلام حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ] وروى الحافظ أبو يعلى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [ ١٨٣ ] لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار ، قال : اللهم إنك في السماء واحد . وأنا في الأرض واحد أعبدك .

وقال سعيد بن جبير -- ويروى عن ابن عباس أيضاً -- قال : لما ألقى إبراهيم ، جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فأرسله ؟ قال فكان أمر الله أسرع من أمره قال الله : ﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ قال ابن عباس : لولا ان الله عز وجل قال : ﴿ وسلاماً ﴾ لأذى إبراهيم بردها .

روى ابن أبي حاتم عن مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت ، [ دخلت على عائشة ، فرأيت في بيتها رجلاً قتل : يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الريح ؟ فقالت تقتل به هذه الأوزاغ ، ان رسول الله ﷺ قال : [ ١٨٤ ] ان إبراهيم حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفىء النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم \* فأمرنا ﷺ بقتله ] .

وقوله تعالى : ﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الآخزِينَ ﴾ أي المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بنبي الله كيداً فكادهم الله ونجاه من النار فغلبوا هناك .



﴿ وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٧١)  
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿ (٧٢)  
 وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ  
 الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿ (٧٣) وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ  
 حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ  
 كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ  
 الصَّالِحِينَ ﴿ (٧٥) ﴿

يخبر تعالى عن ابراهيم أنه سلمه الله من نار قومه ، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام إلى الأرض المقدسة منها وكان بأرض العراق فأجابه الله وابن أخيه لوطاً إلى الشام التي كان يقال لها أعقار دار الهجرة ومنها فلسطين وكان يقال : هي أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال . ثم تزوج ابراهيم ابنة عمه سارة وخرج بها مهاجراً من بلاده ﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ قال ابن عباس وغيره : النافلة ولد الولد ، يعني ان يعقوب ولدُ اسحاق كما قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ أي الجميع أهل خير وصلاح ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً ﴾ أي بقندي بهم ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال عز وجل ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ أي فاعلين لما يأمرون الناس به . ثم عطف بذكر لوط وهو بن هاران بن آذر كان قد آمن بابراهيم عليهما السلام واتبعه وهاجر معه . كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّنْ لَهُ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ فأتاه الله حكماً وعلماً وأوحى إليه وجعله نبياً ، وبعثه إلى سدوم وأعمالها فخالقوه وكذبوه . فأهلكهم الله ، ودمر عليهم ولهذا قال عز من قائل : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ  
مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ (٧٧) ﴿

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دثاراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ ولهذا قال ههنا : ﴿ ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله ﴾ أي الذين آمنوا به ، وقوله تعالى : ﴿ من الكرب العظيم ﴾ أي من الشدة والتكذيب والأذى ، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل ، فلم يؤمن به إلا القليل ، وكانوا يتصدون لأذاه . ويتراضون قرناً بعد قرن على خلافه . وقوله تعالى : ﴿ ونصرناه من القوم ﴾ أي ونجيناه وخلصناه منتصراً من القوم ﴿ الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴾ ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم .

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمٌ  
مِّنَ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا  
آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَخْرَدْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ  
وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿ (٧٩) وَعَامَّنَاهُ صُنْعَهُ لِبُوسٍ لَّكُمْ لِيُخَفِيَكُمْ  
مِنَ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً  
تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَالِمِينَ ﴿ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا  
دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿ (٨٢) ﴿

الغش : الرعي ولا يكون إلا بالليل ، وقد كان ذلك الحرث كرمًا قد تدلت

عناقيده . قال ابن جرير عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وداود ومليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غم القوم ﴾ قال : كرم قد أبتت عناقيده فأفدته قال : فقضى داود بالغم لصاحب الكرم فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله . قال : وما ذاك قال ، تدفع الكرم الى صاحب الغم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغم الى صاحب ذلك . الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغم إلى صاحبها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ ففهمنا ما سليمان ﴾ وهكذا فقد أنشئ الله على سليمان ولم يذم داود ، قاله الحسن البصري . ثم قال رحمه الله مجيباً لإياس بن معاوية لما استقصي وأناه باكياً .. فقال الحسن وما يبكيك ؟ قال يا أبا سعيد : بلغني ان القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ، ورجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة . فقال الحسن : إن فيما قص الله من نبأ داود ومليمان عليهما السلام والأنبياء حكماً يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم . قال الله تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود ثم قال - يعني الحسن - : ان الله اتخذ على الحكام ثلاثاً : لا يشترؤا به ثمناً قليلاً ، ولا يتبعوا فيه الهوى ، ولا يخشوا فيه أحداً ثم تلا : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ فلا تخشوا الناس واخشوني ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ قلت : أما الأنبياء عليهم السلام فكلهم معصومون مؤيدون من الله عز وجل ، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف ، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص انه قال : قال رسول الله ﷺ : [ ١٨٥ ] إذا اجتهد الحاكم فأصاب ، فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر [ فهذا الحديث يرد ما توهمه إياس من ان القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار والله أعلم . وفي السنن ١٨٦ ] القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار ، رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار ] .

وقوله تعالى : ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾ الآية ... وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور ، وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء ، فتجاوبه ، وترد عليه الجبال تأويماً ولهذا لما مر النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان صوته طيباً جداً فوقف واستمع لقراءته وقال : [ ١٨٧ ] «لقد أوتي هذا مزماراً من

مزامير آل داود ، قال : يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحييراً [ وقوله تعالى :

﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم ﴾ يعني صنعة الدروع كما قال تعالى : ﴿ وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقدر في السرد ﴾ أي لا توسع الحلقة فتلق المسمار ولا تغلظ المسمار فتقد الحلقة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ لنحصنكم من بأسكم ﴾ يعني في القتال ﴿ فهل أنتم شاكرون ﴾ أي نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعلته ذلك من أجلكم . وقوله تعالى : ﴿ وللسليمان الريح عاصفة ﴾ أي وصخرنا لسليمان الريح العاصفة ﴿ تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ يعني أرض الشام ، ﴿ وكنا بكل شيء عالمين ﴾ وذلك أنه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج من أمور المملكة ثم تحمله الريح وتظله الطير نقيه الحر حيث يشاء من الأرض ، فينزل وتوضع آلاته وحشمه ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصابه ﴾ وقال تعالى ﴿ غدوها شهر ورواحها شهر ﴾

وقوله تعالى : ﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ﴾ أي في الماء يستخرجون اللآلئ والبحواهر وغير ذلك ﴿ ويعملون عملاً دون ذلك ﴾ من البناء والفوص ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ أي يحرسه الله من أن يناله أحد من الشياطين بسوء ، بل الكل في قبضته ويحت قهره ولا يتجاسر أحد أن يذئب منه ، وهو الذي يحكم فيهم بإذن الله إن شاء أطلق وإن شاء حبس منهم من يشاء .

﴿ وَأُيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَفَفْنَا مَا بِي مِنْ ضَرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ ﴿ (٨٤) ﴾

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ، ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده ، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحراث شيء كثير ، وأولاد كثيرة ، ومنازل مرضية ، فابتلي في ذلك كله ، وذهب عن آخره ، ثم ابتلي في جسده بالجفام سوى قلبه ولسانه . يذكر بهما الله عز وجل . قال النبي ﷺ : [ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمتل فالأمتل ] وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غابة في الصبر ، وبه

يضرب المثل في ذلك . وقال يزيد بن مسيرة : لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد ، ولم يبق شيء له ، أحسن الذكر . ثم قال عليه السلام : أحمدك رب الأرباب الذي أحسنت إلي ، اعطيني المال والولد فلم يبق من قلبي شعبة إلا وقد دخله ذلك . فأخذت ذلك كله مني ، وفرغت قلبي ، فليس يحول بيني وبينك شيء ، لو يعلم عدوي إبليس بالذي صنعت حسدني .

روى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عبيد بن عمير : كان لأيوب عليه السلام أخوان فجاء يوماً فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه . فقاما من بعيد ، فقال أحدهما للآخر : لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا ، فجزع أيوب من قوطهما جزعاً لم يجزع من شيء قط . فقال : اللهم ان كنت تعلم أنني لم أبت ليلة قط شعبان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني ، فصدق من السماء وهما يسمعان . ثم قال : اللهم ان كنت تعلم أنني لم يكن لي قميصان قط ، وأنا أعلم مكان عار . فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان . ثم قال : اللهم بعزتك . ثم خر ساجداً فقال : اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني . فما رفع رأسه حتى كشف عنه (١) .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : وألبسه الله حلقة من الجنة فتحنى أيوب فجلس في ناحية ، وجاءت امرأته فلم تعرفه ، فقالت : يا عبدالله أين ذهب هذا المبتلى الذي كان هنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب ، فجعلت تكلمه ساعة فقال ويحك أنا أيوب ... ! قالت : أتسخر مني يا عبدالله ، فقال : ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي .

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : [١٨٩] لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويعمله في ثوبه . قال : فقيل له يا أيوب أما تشبع ؟ قال : يا رب ومن يشبع من رحمتك [ أصله في الصحيحين وسأتي في موضع آخر ، وقوله تعالى : ﴿ وآتيناهم من قبلهم معهم ﴾ قال مجاهد : ثم قيل له : يا أيوب إن أهلك لك في الجنة . فإن شئت أتيناك بهم ، وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم ؟ قال : لا بل انركهم في الجنة . فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿ رحمة من عندنا ﴾ أي فعلنا به ذلك رحمة من الله به ﴿ وذكرى

(١) قلت : فذاك قوله تعالى : ﴿ فكشفنا ما به من سر ﴾

للعابدين ، أي وجعلناه في ذلك قدوةً للآل بظن أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهُوانهم وليناسوا به في الصبر على مقدورات الله ، وإبتلائه لعباده بما يشاءه له الحكمة البالغة في ذلك .

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٨٥)  
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ (٨٦) ﴿

وأما اسماعيل فهو ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام ، وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا إدريس عليه السلام وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي وقال آخرون : إنما كان رجلاً صالحاً ، وكان ملكاً عادلاً ، وحكماً مُقْسِطاً وتوقف ابن جرير في ذلك والله أعلم .

﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (٨٨) ﴿

هذه القصة مذكورة ههنا ، وفي سورة الصافات ، وفي سورة نون ، وذلك أن يونس ابن متى عليه السلام ، بعث الله إلى أهل قريته نينوى ، وهي قرية من أرض الموصل ، فدعاهم إلى الله تعالى ، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث ، فلما تحققوا منه ذلك ، وعلموا أن النبي لا يكذب ، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، وفرقوا بين الأمهات وأولادها ، ثم نضروا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ، ورجت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، ونبت الغم وسخالها ، فرفع الله عنهم العذاب ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم ، وخافوا

أن يفرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه ، فوعدت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ، ثم أعادوها فوعدت عليه أيضاً فأبوا ثم أعادوها فوعدت عليه أيضاً .

قال الله تعالى ﴿ فساهم فكان من المدحضين ﴾ أي وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام ويحرد من ثيابه ، ثم ألقى نفسه في البحر ، .

قال ابن مسعود : ( وقد أرسل الله حوتاً من البحر الأخضر يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة ، فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظماً ، فإن يونس ليس لك رزقاً ، وإنما بطنك تكون له سجناً .

وقوله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أي إن ذا النون أي صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام لما ذهب مغاضباً لقومه وتركهم لما لم يؤمنوا به ، وركب السفينة ، ووقعت عليه القرعة ورمى بنفسه في البحر والتقمه الحوت ، ظن أن الله تعالى لن يضيق عليه في بطن الحوت - وهذا ظن بالله حسن - فلن يقضي عليه أي لن يقدر عليه الموت وسينجيهِ من بطن الحوت ، كأنه جعل ذلك بمعنى التقدير فإن العرب تقول : قَدَّرَ ، وقَدَّرَ بمعنى واحد ، وقال الشاعر :

فلا عائد ذلك الزمان الذي مضى تباركت ما تَقْدِرُ يَكُنْ ذلك الأمر

ومنه قوله تعالى : ﴿ فالتقى الماء على أمر قد قَدَّرَ ﴾ أي قد قَدَّرَ .

وقوله تعالى : ﴿ فنادى في الظلمات ﴾ قال ابن مسعود : ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا روى ابن عباس وغيره . وذهب به الحوت في البحار يشقها حتى انتهى إلى أسفل البحر سمع يونس حناً فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت إن هذا تسييح دواب البحر . وهناك قال : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين ﴾ فسمعت الملائكة تسيحه فقالوا : يا ربنا إننا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة ، قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال : نعم . فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحوت فقلده في الساحل كما قال الله تعالى : ﴿ وهو سقيم ﴾ (١) .

(١) قلت : رويناه شتتاً من حديث فيه مجهول رواه محمد بن اسحق عن أبي هريرة مرفوعاً وبالجملة : قول محمد بن اسحق : حين حدثه ولم يسمه ... ؟ عن عبد الله بن واضح عن أبي هريرة مرفوعاً .

وقوله : ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ أي أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات ﴿ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء : فقد جاء الترغيب في الدعاء به عن سيد الأنبياء

روى الإمام أحمد عن سعد بن وقاص بعد أن ذكر قصة بينه وبين عثمان بن عفان ... إلى أن قال عنه عليه السلام أنه قال : [١٩٠] ... دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ فإنه لم يدعُ بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له [ ورواه الترمذي والنسائي .

وهذا الدعاء وإن كان ليونس خاصة عليه الصلاة والسلام إلا أنه بالجماعة المؤمنين عامة فهو شرط من الله لمن دعاه به كما يستفاد ذلك من حديث رواه ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً وفيه [١٩١] اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى ... ]

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٨٩) ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٩٠)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله زكريّا حين طلب أن يهبه الله ولداً يكون من بعده نبياً ، وقد تقدمت القصة مبسوطاً في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران أيضاً وههنا أخصر منها ﴿ إذ نادى ربه ﴾ أي خفية عن قومه : ﴿ رب لا تذرني فرداً ﴾ أي لا ولدي ولا وارث يقوم بعدي في الناس ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ دعاء وثناء مناسب للمثقلة. وقوله تعالى : ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴾ أي امرأته كانت عاقراً فولدت . وقوله تعالى : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ أي في عمل القربات والطاعات ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ أي رغبا بما عند الله من الثواب ورهبا مما عنده من العذاب <sup>(١)</sup> ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبداً

(١) قلت : ولذا ظن دعاء ( اللهم ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً بملك ) غلال .



وقيل : ﴿ خاشعين ﴾ أي متواضعين ومتذللين مؤمنين ومصنفين بما أنزل الله وكل هذه الأحوال صحيحة قريبة المعنى .

﴿ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا  
وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩١)

هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام ، فيذكر قصة زكريا ، وكيف ولد لشيخين طاعنين في السن ولد ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب ، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر فقال تعالى : ﴿ والتي أحصت فرجها ﴾ أي من الدنس كما قال تعالى : في سورة التحريم : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصت فرجها فتفخنا فيه من روحنا ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾ أي دلالة على ان الله تعالى على كل شيء قدير وانه يخلق ما يشاء، وإنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون . وهذا كقوله تعالى : ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ .

وقوله : ﴿ للعالمين ﴾ أي الجن والإنس .

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٩٢)  
﴿ وَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ ﴾ (٩٣) ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْرَ  
الْصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ (٩٤)

وقوله تعالى : ﴿ ان هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ إن هذه إن واسمها ، وأمتكم خبر إن . أي هذه شريعتكم التي بينت لكم شريعة واحدة . وقوله تعالى ﴿ أمة واحدة ﴾ نصب على الحال ولهذا قال تعالى : ﴿ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ وقال رسول الله ﷺ [١٩٢] نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ، ديننا واحد [ يعني أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسوله .

وقوله تعالى : ﴿ وتقطعوا أمرهم بينهم ﴾ أي اختلف الأمم على رسلهم ، فمن

مصدق ومكذب ولهذا قال تعالى : ﴿ كل إلينا راجعون ﴾ أي يوم القيامة فكل بحسب عمله خيراً كان أو شراً . ولهذا قال سبحانه : ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴾ أي قلبه مصدق وعمل صالحاً ﴿ فلا كفران لسعيه ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إننا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ أي فلا يظلم مثقال ذرة ، ولهذا قال جل وعلا ﴿ وإننا له كاتبون ﴾ أي يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه شيء منه .

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ (٩٥)  
 حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۝ (٩٦)  
 وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَأِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا  
 قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ (٩٧) ﴿﴾

يقول تعالى : ﴿ وحرام على قرية ﴾ قال ابن عباس : وجب ، يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهلِكوا أنهم لا يرجعون الى الدنيا قبل يوم القيامة ، هكذا صرح ابن عباس وابو جعفر الباقر وقناة وغيرهم وقوله تعالى : ﴿ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ انهم من سلالة نوح من أولاد يافث أبي الترك ﴿ وهم من كل حدب ينسلون ﴾ أي يسرعون في المشي الى العباد ، والحدب هو المرتفع من الأرض ، وهذه صفتهم في حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك ﴿ ولا يبنلك مثل خبير ﴾ وهذا إخبار عالم ما كان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والأرض لا إله إلا هو .

روى الامام أحمد عن الثواس بن سمان الكلابي قال : [١٩٣] ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ، فنفض فيه ورفع حتى ظناه في ناحية النخل ، فقال : « غير الدجال أخوفني عليكم . فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، وانه شاب جعد قطط عينه طافية ، وانه يخرج خلة بين الشام والعراق فعات يمينا وشمالاً . يا عباد الله أثبتوا - قلنا يا رسول الله ما لبثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهـر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » قلنا : يا رسول الله فذاك اليوم الذي هو كسنة ، أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال : « لا . اقدروا له قدره » قلنا : يا رسول الله فما اسرعه في الأرض ؟ قال : « كالغيث استديرته الريح . قال : فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيون

له - فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبث ، وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت ذرى ، وأمدته خواصر ، واسبغته ضروعاً ، ويمر بالغي فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فتنبه أمواتهم فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شيء ، ويمر بالحرية فيقول لها : أخرجي كتوزك فتنبه كتوزها : كيه اسيب النحل قال : وبأمر برجل فيقتل ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل إليه ، فيبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروودتين واضعاً يديه على أجنحة ملكين ، فينبهه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرفي - قال - فيبينما هم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أنني قد أخرجت عباداً من عبادي لا يدان لك بقتالهم ، فحرر عبادي إلى الطور ، فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج كما قال : ﴿ وهم من كل حذب يسنون ﴾ فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل ، فيرسل عليهم نغفاً في رقابهم ، فيصبحون فرسي كمرت نفس واحدة ، فيهيط عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض بيتاً إلا وقد ملأه زهمهم<sup>(١)</sup> وقتنهم . فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ]

روى ابن جرير عن كعب وغيره قال : ١٩٤] فتطررحم بالمهيل : قال ابن جابر فقلت يا أبا يزيد وأين المهيل ؟ قال : مطلع الشمس . قال « ويرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوماً ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلاقة ، ويقال للأرض أنبتني ثمرك ودري بركنك قال : فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من النامن ، واللقحة من البقر تكفي الفخذ ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت ، قال : فيبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل رجلاً طيبه فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم - أو قال مؤمن - ويغني شرار الناس يتهارجون تهارج الخمر وعليهم تقوم الساعة » [ انفراد بإخراجه مسلم دون البخاري ورواه مع بقية أهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد ثبت في الحديث ١٩٥] ان عيسى بن مريم يحج البيت العتيق [وقال الإمام أحمد عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : ١٩٦] ليحججن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج

(١) الزهم : رائحة اللحم وريح لحم سمين متفنن .

يأجوج ومأجوج ] إنفرد به البخاري وقوله تعالى : ﴿ واقرب الوجد الحق ﴾ يعني يوم القياس إذا حصلت هذه الأحوال والزلازل ، أزفت الساعة واقربت فإذا كانت ووقعت ، قال الكافرون : هذا يوم عسر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ أي من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام : ﴿ يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا ﴾ أي في الدنيا ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا يتفهم ذلك .

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (٩٨) ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَالِتُونَ ﴾ (٩٩) ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١٠٠) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (١٠١) ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَيْثُ هُمْ وَمَا فِي مَا أُشْتَبِهْتُمْ أَنفُسُهُمْ خَالِتُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ لَا يَجْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَنْكَبُورُ وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١٠٣)

يقول تعالى ، مخاطباً لأهل مكة من مشركي قريش ، ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ أي وقودها . وقوله تعالى : ﴿ أنتم لها واردون ﴾ أي داخلون ﴿ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ﴾ أي لو كانت الأصنام آلهة حقاً ما دخلوا النار مع عابديها ﴿ وكل فيها خالدون ﴾ أي جميعاً مخلدون في النار ﴿ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لهم فيها زفير وشهيق ﴾ والزفير خروج النفس والشهيق دخوله .

وقوله تعالى : ﴿ إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى ﴾ أي الرحمة والسعادة ﴿ أولئك عنها مبعدون ﴾ أي عن النار وذلك بسبب إيمانهم بالله ورسوله وما أسلفوا من الأعمال الصالحة في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ أي فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله لهم الثواب في الآخرة ونجاهم من العذاب فقال عز وجل :

﴿ لا يسمعون حسبها ﴾ أي حريقها في الأجساد . وقوله تعالى : ﴿ وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون ﴾ فسلمهم من المحذور والمرهوب ، وحصل لهم المطلوب والمحبوب فأولئك أولياء الله يمشون على الصراط مرأ هو أسرع من البرق ويتقى الكفار فيها جثياً .  
 وخرج بذلك من عبد بغير رضاه كالملائكة والعزير وعيسى ومريم ، وغيرهم ممن عبدوا وهم غير راضين ويبرأون إلى الله تعالى من ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ لا يخزئهم النزع الأكبر ﴾ قيل وقيل ... وقيل : حين تطبق النار على أهلها . وقوله تعالى : ﴿ وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ أي تشرهم الملائكة يوم معادهم : ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ أي فأملوا ما يسركم .

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١٠٤)

يقول تعالى : هذا كأن يوم القيامة : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

وقد روى البخاري رحمه الله عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : ١٩٧ إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه [ انفرد به من هذا الوجه البخاري رحمه الله . وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : بطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليفة والأرضين السبع بما فيها من الخليفة . بطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة المرذلة .

وقوله تعالى : ﴿ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ ﴾ قال ابن عباس : ان السجل هي الصحيفة فانه علي بن طلحة والعوفي عنه . ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة . فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب أي على الكتاب بمعنى المكتوب . كقوله تعالى : ﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ أي على الجبين وله نظائر في اللغة والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيدهُ وعداً علينا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ يعني هذا

كأن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق جميعاً خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم ، وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعد الله تعالى الذي لا يخلف ولا يبدل ، وهو القادر على ذلك ، ولهذا قال عز من قائل : ﴿ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : [١٩٨] قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة ، فقال : « إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاةً عراةً غرلاً » ، كما بدأنا أول حنق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين . [ ... ] أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة .

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ  
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿ ١٠٥ ﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ  
عَابِدِينَ ﴿ ١٠٦ ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿ ١٠٧ ﴾

ينبغي تعالى عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدارين ، وورثة الأرض فيهما كقوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَتَخَلَّفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ وأخبر تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية . وهو كأن لا محالة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ الزبور : الكتب التي أنزلت على الأنبياء وهو أيضاً اسم الكتاب الذي أنزل على داود عليه السلام . والمراد من الذكر هاهنا : أم الكتاب الذي كتب الله فيه ما هو كأن إلى يوم القيامة . والمعنى : إن الله تعالى كتب في التوراة والإنجيل والقرآن وفي الصحف التي نزلت على الأنبياء جميعاً من بعد أم الكتاب ﴿ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ من كل الأمم المؤمنة بالله تعالى ، فإنه تعالى يكفل لهم السعادة والمجد والحكم والفتح ويورثهم على أسمى الأرض بالحق والعدل وذلك في الدنيا . أما في الآخرة فيورثهم أرض الجنة وما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ أي في هذا القرآن لبلاغاً لمضعة ، وكفايةً لقوم عابدين الله بما شرع لهم ، وآثروا طاعته على طاعة الشيطان وشهواتهم وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ينبغي تعالى أنه جعل محمداً ﷺ رحمةً للعالمين ، أي أرسله رحمةً لهم جميعاً فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في

الدارين . ومن جعلها خسر الدارين كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ يَصُوتُونَهَا وَنَسُوا الْقُرْآنَ ﴾

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : [ ١٩٩ ] قيل يا رسول الله أدعُ على المشركين . قال : « إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة » [ روى الإمام أحمد عن سلمان قال : إن رسول الله عظم فقال ٢٠٠ ] . أيما رجل سبته في غضي ، أو لنته ثلثة فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون وإنما بعثني الله رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة [ فأبي رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ قال : من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والظدف .

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ قَبْلَ أَن تُمْسَلُونِ ﴾ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُذِرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿ (١١٠) وَإِنْ أُذِرِي لَعَلَّهُ يَنْتَهَ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿ (١١١) قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿ (١١٢)

بأمر تعالى رسوله صلواته وسلامه عليه أن يبلغ المشركين : ﴿ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ قَبْلَ أَن تُمْسَلُونِ ﴾ أي مسجون على ذلك مستسلمون مقادون له ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي تركوا ما دعوتهم إليه ﴿ فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ أي أعلمتكم أنني جرب لكم كما أنكم حرب لي بري منكم كما أنتم برآء مني ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ ، مِمَّا نَعْمَلُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيفَةٌ فَأَبْذِلْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ أي ليكن عاملك وعلمهم ببذ العهود على السواء وهكذا هنا : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ أي أعلمتكم

ببرائتي منكم وبراءتكم مني العلمي بذلك .

وقوله تعالى : ﴿ وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون ﴾ أي هو واقع لا محالة ، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده ﴿ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ﴾ أي انه يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يظهره عباده وما يسرون وسيجزئهم على ذلك القليل والخليل وقوله تعالى : ﴿ وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴾ قال ابن جرير : لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع إلى أجل مسمى ﴿ قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ أي افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق والله المستعان عليكم على ما تقولون وتفترون من الكذب يجعل الأنداد لله تعالى وعبادتها من دونه والعياذ بالله لا إله غيره ولا رب سواه . آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام والله الحمد والمنة .



## (٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانٌ وَسِتِّجُونَ

إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ . فنزلت بين مكة والمدينة ونزلت الحج بعد التور.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ • (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ • (٢)

يا أمر تعالى عباده بتقواه ، ويخبرهم بما سيحصلون من أحوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها وقد اختلف المنسرون في زلزلة الساعة ، هل هي بعد قيام الناس من أجدانهم ؟ يوم نشورهم إلى عرصات القيامة أو ذلك قبل قيام الناس من قبورهم ... ؟ فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة وهذا ما روي عن علقمة ، وعبيد بن عمير ، وعامر الشعبي . وقد أورد ابن جرير في ذلك حديث <sup>(١)</sup> عن أبي هريرة مرفوعاً ومفاده إن ذلك يكون قبل يوم القيامة وفيه .. ٢٠١ ] والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك [ والغرض منه انه دل على ان هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقرئها منه كما يقال : أشرط الساعة ونحو ذلك والله أعلم . وقال آخرون : بل ذلك هو أول وفرع وزلازل ولبال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا بأحاديث رواها الإمام أحمد والترمذي وصححه وابن أبي حاتم عن عمران بن الحصين ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري عند تفسير هذه الآية عن أبي سعيد قال : قال النبي ﷺ : [ يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم فيقول : لبيك ربنا

وسعديك فينادي بصوت : ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار قال : يارب وما بعث النار ؟ قال : من كل الف - أراه قال - تسعائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم . قال النبي ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد : أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود . إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة - فكبرنا ثم قال « ثلث أهل الجنة » فكبرنا ثم قال : « شطر أهل الجنة » فكبرنا [ وقد رواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع ، ومسلم . والنسائي .

روى الإمام أحمد عن عائشة عن النبي ﷺ قال : ٢٠٣ [ إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاةً عراقةً غرلاً ] قالت عائشة : يا رسول الله الرجال والنساء ينظرون بعضهم إلى بعض ... ؟ قال : « يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهيم ذلك » [ أخرجاه بالأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جداً لها موضع آخر ولهذا قال تعالى ﴿ ان زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ أي أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق مفضع وحادث هائل وكان عجيب ، والزلازل هو ما يحصل للنفوس من الرعب والفرع كما قال تعالى : ﴿ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يوم ترونها ﴾ هذا من باب ضمير الشأن ، ولهذا قال مفسراً له ﴿ تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴾ أي فتشتغل لهول ما ترى ، عن أحب الناس إليها . والتي هي أشفق الناس عليه تدهش عنه في حال إرضاعها له . ولهذا قال : ﴿ كل مرضعة ﴾ ولم يقل كل مرضع وقال ﴿ عما أرضعت ﴾ أي عن رضيعها فطامه وقوله تعالى : ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ﴾ أي قبل تمامه لشدة الهول ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ أي من شدة الأمر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم ، وغابت أذهانهم ، فمن رآهم حسب أنهم سكارى ﴿ وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ (٣) كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يَضِلُّ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ (٤) ﴾

يذم تعال من كذب بالبعث . وما أنزل على الأنبياء متبعاً في ذلك كل شيطان مرید

من الأئس والجرّ وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل  
 يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون البدع والأهواء والآراء ولهذا  
 قال في شأنهم : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ أي علم صحيح ﴿ ويضيع كل  
 شيطان مريد كتب عليه ﴾ أي كتابة قدرية ﴿ أنه من تولاه ﴾ أي اتبعه وقلده ﴿ فإنه  
 يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ أي يضلّه في الدنيا ، ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير  
 الحار المولم . قال السدي عن أبي مالك : نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث ، وكذلك  
 قال ابن جريج وقال ابن أبي حاتم عن أبي كعب المكي قال : قال نبيث من خبيثاء قريش  
 اخبرنا عن ربكم من ذهب هو ، أو من فضة هو أو من نحاس هو ؟ فتقعقت السماء  
 تقعقةً - والققعقة في كلام العرب الرعد - فإذا فحفت رأسه ساقط بين يديه . وقال  
 مجاهد : جاء يهودي فقال : يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو من در أم من  
 باقوت ؟ قال فجاءت صاعقة فأخذته .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ  
 مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ  
 لَكُمْ وَنُقَرِّئُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ  
 طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى  
 أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً  
 فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَتْ مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ  
 بِبَيْعٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَلْقُ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْعَوْنَى وَأَنَّهُ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ  
 يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

لما ذكر تعالى المخالف للبعث ، المنكر للمعاد ، ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى  
 على المعاد بما يشاهد من بدنه الخلق فقال : ﴿ يا أيها الناس ان كنتم في ريب ﴾ أي في شك  
 ﴿ من البعث ﴾ وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد ﴿ فإننا خلقناكم من تراب ﴾ أي  
 أصل خلقه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام ﴿ ثم من نطفة ﴾ أي ثم

جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴿ ثم من علقته ثم من مضغة ﴾ وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوماً يضاف إليه ما يجتمع إليها ، ثم تنقلب علقته حمراء بإذن الله فتمكث كذلك أربعين يوماً ، ثم تستحيل فتصير مضغة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ، ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن ، وفخذان ورجلان وسائر الاعضاء ، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط ، وتارة تلقبها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ﴾ أي كما تشاهدونها : ﴿ لتبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ أي وتارة تستقر في الرحم لا تلقبها المرأة ولا تسقطها ، قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ قال : هو السقط مخلوق وغير مخلوق ، فإذا مضى عليها أربعون يوماً وهي مضغة ، أرسل الله تعالى ملكاً إليها فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر وأنى ، وكتب رزقها وأجلها ، وشقي أو سعيد .

كأنت في الصحيحين عن ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق [٢٠٤] إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات ، فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح [

وقوله تعالى : ﴿ ثم نخرجكم طفلاً ﴾ أي ضعيفاً في بدنه وعقله وكل خلقه ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً ، ويلطف به ويمنن عليه والديه في آتاء الليل وأطراف النهار ، ولهذا قال : ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ أي يتكامل الشباب عصفواناً ومنظراً ﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ أي في حال شبابه وقواه ﴿ ومنكم من يردّ آل أزدل العمر ﴾ وهو الشيخوخة والهرم والخرف ولهذا قال تعالى : ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ كما قال تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة ﴾ هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيي الأرض الميتة الهامدة ، أي القاحلة ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ أي فإذا أنزل الله عليها المطر تحركت بالنبات وارتفع الثرى ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنود والثمار وشئ الزروع والنباتات ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ أي الخالق المدبر الفعال لما يشاء ﴿ وأنه يحيي الموتى ﴾ أي كما أحيا الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع ﴿ وأنه على كل شيء قدير ﴾ كما قال تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإن

الساعة آتية لا ريب فيها ﴿ أي كائنة لا شك فيها ولا مرية ﴾ وان الله يبعث من في القبور ﴿ أي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رحماً ويوجدتهم بعد العدم . كما قال تعالى : ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ والآيات في هذه كثيرة .

روى الامام أحمد عن لقيط بن عامر انه قال ٢٠٥ [ يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة وما آتة ذلك في خلقه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به ؟ » قلنا : بلى ، قال « فالله أعظم » قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى . وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « أما مرتت بواد أهلكت محملاً » قال : بلى قال : « ثم مرتت به يهتر خضراً » قال : بلى قال : « فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آية من خلقه » [ ورواه أبو داود وابن ماجه قال ابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل قال : من علم ان الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، دخل الجنة .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٨) ثَانِي عِطْفِهِ يُضِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿ (١٠)

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلدين في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ ذكر في هذه الحال الدعاء إلى الضلال من رؤوس الكفر والبدع فقال تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ أي بلا عقل صحيح ، ولا نقل صريح ، بل بمجرد الرأي والهوى . وقوله تعالى : ﴿ ثاني عطفه ﴾ أي لاوي عطفه أي رقبة معرضاً عما يدعى إليه من الحق ومتكبراً كقوله تعالى : ﴿ واذا قبل لهم تعالىوا يستغفر لكم رسول الله لوؤا رؤوسهم ورأيهم يصدّون وهم متكبرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ أي ليصدّهم عن سبيل الله ثم قال تعالى : ﴿ له في الدنيا خزي ﴾ لاستكباره عن آيات الله لقاء المذلة في الدنيا ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ ﴿ ذلك بما قدمت يدك ﴾ أي يقال له هنا

تقريباً وتوبيخاً ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ أي وذلك يعني إذافته عذاب الحريق يوم القيامة، ليس ظلاماً بل هو العدل من الله تعالى جزاء ما قدمت يدها من الكفر والعناد والاستكبار، وحاشا الله من الظلم فقد حرمه على نفسه .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِ خَيْرٍ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١١) يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (١٢) يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْعَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (١٣)

﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ﴾ قال كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ، وتنجت خيله قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ انقلب على وجهه ﴾ أي ارتد كافراً . وقوله تعالى : ﴿ خسر الدنيا والآخرة ﴾ أي فلا هو حصل من الدنيا على شيء ، وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم ، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة . ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك هو الخسران المبين ﴾ أي هذه هي الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة . وقوله تعالى : ﴿ يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه ﴾ أي ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن . وقوله تعالى : ﴿ لبس المرئى ولبس العشير ﴾ قال مجاهد : يعني الوثن ، يعني بئس هذا الذي دعاه من دون الله مولى ، يعني ولياً وناصرأ ﴿ ولبس العشير ﴾ وهو المخالط والمعاشر .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١٤)

لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء، عطف بذكر الأبرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا إيمانهم بأفعالهم ، فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات ، وتركوا المنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات في روضات الجنات • ولما ذكر تعالى أنه أضل

أولئك وهتدي هؤلاء قال : ﴿ ان الله يفعل ما يريد ﴾ .

﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴾ (١٥) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿ (١٦) ﴾

قال ابن عباس وأصحابه : من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة ﴿ فليمدد بسبب ﴾ أي بجبل ﴿ إلى السماء ﴾ أي إلى سماء بيته ﴿ ثم ليقطع ﴾ أي ثم ليختق به ، وهذا القول أبلغ في التهكم فإن المعنى : من كان يظن أن الله ليس ينصر محمداً وكتابه ودينه ، فليذهب فليقتل نفسه فإن كان ذلك غائظه فإن الله ناصره لا محالة قال الله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ الآية ولهذا قال تعالى : ﴿ فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ قال عطاء الخراساني : فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ ، من شأن محمد ﷺ . وقوله تعالى : ﴿ وكذلك أنزلناه ﴾ أي القرآن ﴿ آياتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات ومن حجة من الله على الناس ، ﴿ وأن الله يهدي من يريد ﴾ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١٧) ﴿

يخبر تعالى عن أهل الأديان المختلفة مؤمنهم وكافرهم أنه تعالى يحكم بينهم بالعدل يوم القيامة فيدخل من آمن به الجنة ويدخل من كفر به النار فإنه تعالى شهيد على أفعالهم وأقوالهم وسرائرهم وما هو أخفى من ذلك .



﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي  
الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ  
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُنِ أَلَّهُ فَمَا  
لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (١٨)

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً  
وكرهاً وسجود كل شيء مما يختص به. فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي  
السموات ومن في الأرض ﴾ أي من الملائكة في أقطار السموات ، والحيوانات في جميع  
الجهات من الإنس والجن والدواب والطيور . وقوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾  
إنما ذكر هذه على التنصيص لأنها قد عبدت من دون الله فيبين أنها تسجد لحالقتها . وأنها  
مرتبطة مسخرة ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ الآية ،  
وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ : ٢٠٦ [ أتدري أين  
تذهب هذه الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : ه فانها تذهب فتسجد تحت  
العرش ، ثم تستأمر فيؤشرك أن يقال لها ارجمي من حيث جئت ] وقوله تعالى : ﴿ وَالْجِبَالُ  
وَالشَّجَرُ ﴾ فسجودهما بغيره . ظللتهما عن اليمين والشمال . وقوله تعالى : ﴿ وَالدَّوَابُّ ﴾  
أي الحيوانات كلها ، قد جاء في الحديث عن الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ : سئى  
عن اتخاذ ظهور الدواب منابر . فرب مركوبة خير أو أكثر ذكراً لله تعالى من راجعها .  
﴿ وكثير من الناس ﴾ أي يسجد لله طوعاً مختاراً متعبداً بذلك ﴿ وكثير حق عليه  
العذاب ﴾ أي ممن امتنع وأبى واستكبر . ﴿ ومن ين أله فما له من مكرم إن الله يفعل  
ما يشاء ﴾ وقال ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال : قيل لعلي : إن  
ههنا رجلاً يتكلم في المشيئة . فقال له علي : يا عبدالله خلقتك الله كما يشاء أو كما شئت ؟  
قال : بل كما شاء . قال فيمريضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء قال فيشفيك  
إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء . قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث شاء ؟  
قال بل حيث شاء . قال : والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عينك بالسيف .

وعن أبي هريرة قال ٢٠٧ قال رسول الله ﷺ [ إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان



يكي ، يقول : يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة . وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار [ رواه مسلم وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر قال ٢٠٨ ] قلت يا رسول الله ﷺ أفصلت سورة المعج على سائر القرآن بسجدين؟ قال : نعم فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما [ إنه وإن كان فيه ابن هبة إنما صرح فيه بالسمع كما أن له شواهد يشد بعضها بعضاً



هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ فَأَلْدَيْنَ كَفَرُوا تَطَعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ • (١٩) يُصْرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ • (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ • (٢١) كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ • (٢٢)

ثبت في الصحيحين عن أبي ذر أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ ﴾ نزلت في حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه يوم بارزوا في بدر لفظ البخاري عند تفسيرها . ثم قال البخاري عن علي بن أبي طالب قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة ، قال قيس بن عباد : وفيهم نزلت ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمْ ﴾ قال : هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انفراد به البخاري .

ولا يمنع أن يكون هذا عاماً . وهذا ما قاله مجاهد وعطاء : هم المؤمنون والكافرون . وقول مجاهد وعطاء يشمل الأقوال كلها ويتنظم فيه قصة يوم بدر وغيرها ، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل ، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل . وهذا اختيار ابن جرير ، وهو حسن ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأَلْدَيْنَ كَفَرُوا تَطَعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ أي فصلت لهم مقطعات من النار ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ • ﴾ بصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿ رَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ٢٠٩ ] إِنْ الْحَمِيمُ لِيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفَذُ الْجَمْحِمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْتَلِ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ، ثُمَّ يَعَادُ كَمَا كَانَ [ ورواه الترمذي وحسنه وصححه وهكذا رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴾

قال ابن عباس : يضربون بها ، فيقع كل عضو حiale فيدعون بالثبور .

وقوله تعالى : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ﴾ يرفعهم ليهبها وتردُّهم مقامها وقوله تعالى : ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قسولاً وفعلاً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلِّطُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا ولباسهم فيها حرير ﴾ • (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد • (٢٤)

لما أخبر تعالى بما تقدم من حال أهل النار عباداً بالله من حالهم ذكر أهل الجنة فقال عز من قائل : ﴿ ان الله يدخِلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي تفرق في أكفافها وأرجائها وجوانبها وتحت أشجارها وقصورها يصفونها حيث شاءوا ﴿ يخلِّطون فيها ﴾ من الخلية ﴿ من أسود من ذهب ولؤلؤاً ﴾ أي في أيديهم . كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه ٢١٠ [ تبلغ الخلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ] وقوله تعالى : ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت تفصيلاً لهم . لباس هؤلاء من الحرير استبرقه وسندسه كما قال تعالى : ﴿ عليهم ثياب سندس خضر واستبرق ﴾ وفي الصحيح ٢١٦ [ لا تلبسوا الحرير ولا الدياتج في الدنيا فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ] وقوله تعالى : ﴿ وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ كقوله تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ فهدوا إلى المكان الطيب الذي لا يسمعون فيه إلا الكلام الطيب .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظَلَمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ • (٢٥)

ينكر تعالى على الكفار صدّهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أولياؤه ﴿ وما كانوا أولياؤه إن أولياؤه إلا المتقون ﴾

وفي هذا دليل على أن هذه الآية مدنية فقوله تعالى : ﴿ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ﴾ أي مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر . وقوله تعالى : ﴿ الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ أي يمنعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعاً سواء لا فرق فيه بين المقيم فيه والثاني عنه ومن ذلك استواء الناس في ربايع مكة وسكناها وقد اختلف في جواز التملك بمكة وتوريثها وتأجيرها فذهب الشافعي إلى جواز ذلك كله واحتج بحديث الزهري عن اسامة بن زيد قال : ٢١٢ [ قلت يا رسول الله أتترى غداً في دارك بمكة ؟ فقال وهل ترك لنا عقيل من ربايع ؟ ثم قال لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر ] وهذا الحديث مخرج في التصحيح ، وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة ، فجعلها سجناً بأربعة آلاف درهم . وذهب اسحق بن راهويه إلى أنها لا تورث ولا تؤجر ، وهو مذهب طائفة من السلف واحتج بما رواه ابن ماجه عن علقمة بن نضلة قال : توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تدعى ربايع مكة إلا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى اسكن . وتوسط الإمام أحمد فقال : تملك وتورث ولا تؤجر ، جمعاً بين الأدلة والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم نذقه من عذابٍ أليم ﴾ أي نذقه عذاباً أليماً والمعنى : أي من يرم فيهم فيه بأمرٍ فظيع من المعاصي الكبار عامداً قاصداً وقال مجاهد من يعمل فيه عملاً سيئاً وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادي فيه الشر إذا كان عازماً عليه وإن لم يوقعه وحاصله إن فعل الإنسان سيئاً فيه بشكل عام يجازى على قدرها زيادة على ما لو فعله بغير الحرم لحرمته عند الله ، وذلك من أصغر ذنب إلى أعظمه كل ذلك داخل بقوله تعالى ﴿ بظلم ﴾ فلوشتم خادماً فما فوقه كاحتكار الطعام - إلى القتل والشرك والارتداد ، فهو ظلم . فعمل سيء في الحرم ، ليس كعمله في أي مكانٍ دونه ، والله تعالى يعاقب عليه بما يناسب حرمة الحرم - (١)

(١) ما بين المتعثرين من قوله : وحاصله - إن قومه - حرمة الحرم - من كلامي .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا  
وَوَهَبْنَا لِبَنِيكَ لِبَيْتِنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي  
النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ  
عَمِيقٍ ﴿ (٢٧) ﴾

هذا فيه تفرغ وتوبيخ لمن عبد غير الله واشرك به من قريش في البقعة التي أسست  
من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا  
لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْمَبِيتِ ﴾ أي أرشدناه إليه وسلمناه له وأذننا له في بناءه وقد استدل به كثير  
ممن قال ان ابراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وإنه لم يبن قبله ، كما ثبت  
في الصحيحين عن أبي ذر [ قلت ١١٣ يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجد  
الحرام » قلت : ثم أي ؟ قال : « بيت المقدس » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » ]  
وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح بما أغنى عن إعادته ههنا . وقال تعالى  
ههنا : ﴿ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ أي ابنه على اسمي وحدي ﴿ وَوَهَبْنَا لِبَنِيكَ ﴾ قال قتادة  
ومجاهد : من الشرك ﴿ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ أي اجعله خالصاً لغيره  
الذين يعبدون الله وحده لا شريك له ، فالطائف به معروف وهو أخص العبادات عند  
البيت ، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها ﴿ وَالْقَائِمِينَ ﴾ أي في الصلاة ولهذا قال  
جل وعلا : ﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشرعان إلا مختصين  
بالبيت فالطواف عنده والصلاة إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ أي ناد في الناس داعياً لهم إلى الحج إلى  
هذا البيت الذي أمرناك ببنائه فذكّر أنه قال : يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا  
ينفذهم ؟ فقال : نادِ وعلينا البلاغ ، فقام على مقامه ، وقيل على الحجر وقيل على  
الصفا وقيل على أبي قبيس وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجّوه . فيقال إن  
الحيال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وأسع من في الأرحام والأصلاب ،  
وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدبر وشجر ، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة  
ليبك اللهم ليبيك . هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير  
وغير واحد من السلف والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾

الآية وقد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج مشياً لمن قدر عليه أفضل من الحج راكباً لأنه قدمهم في الذكر والذي عليه الأكثر أن الحج راكباً أفضل .  
 إقتداء برسول الله ﷺ فإنه حج راكباً مع كمال قوته عليه السلام . وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ يعني طريق ﴿ عميق ﴾ بعيد وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن إبراهيم حين قال في دعائه : ﴿ فاجعل أئمة من الناس نسوي إليهم ﴾ فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو ينحى إلى رؤية النكبة والضواف . والناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار .

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَائِسَ الْفَقِيرِ ﴾ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿ (٢٩)

قال ابن عباس : ﴿ يشهدوا منافع لهم ﴾ قال : منافع الدنيا والآخرة ، أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى . وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبايح والتجارات . وكذا قال مجاهد وغير واحد أنها منافع الدنيا والآخرة كقوله تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تنفقوا فضلاً من ربكم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بيمة الأنعام ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الأيام المعلومات أيام العشر وعلقه البخاري بصيغة الجزم به وروى مثله عن أبي موسى الأشعري ومجاهد وعطاء وغيرهم . وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : [ ما العمل في أيام أفضل منها في هذه قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل يخرج يحاظر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » ] [ رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه .

روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : [ ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد . ] قال البخاري : وكان ابن عمر وأبي هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر ، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما .

وقد روى أحمد عن جابر مرفوعاً [٢١٦] أن هذا هو العشر الذي أقسم الله به في قوله : ﴿ والفجر وليالٍ عشر ﴾ [ وفي صحيح مسلم عن أبي قتادة قال : سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة ، فقال ٢١٧ ] إحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآنية [ ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر . وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله . وبالجملة فهذا العشر قد قيل انه أفضل أيام السنة كما نظرو به الحديث وفضله كبير عسى عشر رمضان الأخير ، وقيل بل عشر رمضان لاشتماله على ليلة القدر وتوسط آخرون فقالوا : أيام هذا أفضل وليالي ذلك أفضل وبهذا يجتمع شمل الأدلة والله أعلم .

والراجع : ان الأيام المعلومات كما صح ان ابن عباس وابن عمر والقول له : الأيام المعلومات والعدودات هي جميعهن اربعة أيام فالأيام المعلومات : يوم النحر ويومان بعده والأيام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر هذا إسناد صحيح إلى ابن عمر وبعض هذا القول قوله تعالى : ﴿ على ما رزقهم من بيمة الأنعام ﴾ يعني به ذكر الله عند ذبحها ومن أدخل في الأيام المعلومات يوم عرفة ثم يوم النحر ويوماً آخر بعده وهذا قول مرجوح والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿ على ما رزقهم من بيمة الأنعام ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم كما فصلها تعالى في سورة الأنعام ﴿ ثمانية أزواج ﴾ الآية ... وقوله تعالى : ﴿ فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ والأكل من الأضاحي من باب الرخصة أو الاستحباب ، كما ثبت ، أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة بضعة فطبخ فأكل من لحمها وحسا من مرقها . وعن مالك أنه قال أحب أن يأكل من أضحيته لقوله تعالى : ﴿ فكلوا منها ﴾ قال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم ﴿ فكلوا منها ﴾ قال كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فمن شاء أكل ومن لم يشأ لم يأكل وروي عن عباد وعطاء نحو ذلك . وذلك على الاختيار . والأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء : ثلث له . وثلث يديه . وثلث يتصدق به لقوله تعالى : ﴿ فكلوا منها وأطعموا الفقير والمعتّر ﴾ وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله وبه الثقة . وقوله تعالى : ﴿ البائس الفقير ﴾ هو المضطر البادي عليه المؤس وهو الفقير المتعفف فلا يسط يده وقوله عز وجل : ﴿ ثم ليقتضوا نفثهم ﴾ النفث : وضع الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظافر والشعر ونحو ذلك ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ قال مجاهد أي نذر الحج والهدي وما نذر الإنسان من نذر يكون في الحج ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ يعني الطواف الواجب - وهو طواف الإفاضة - وهكذا صنع رسول الله ﷺ فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ يرمي الجمرة فرماها بسبع حصيات، ثم نحر هديه وحلق رأسه . ثم أفاض فطاف بالبيت . ويجب أن

يكون الطواف من وراء الحجر ، لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم وإن كانت قريش قد أخرجه من البيت حين قصرت بهم الثقة . ولهذا طاف رسول الله ﷺ من وراء الحجر وأخبر أن الحجرة من البيت ولم يسلم الركبتين الشاميين لأنهما لم يسما على قواعد إبراهيم العتيقة . ووصف بالعتيق لأنه أول بيت وضع للناس .

﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظَمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (٣٠) حَفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الْأَرْضُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٣١)

يقول تعالى : هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك وما يلقى عليها من الثواب الجزيل ﴿ ومن يعظم حرمات الله ﴾ أي ومن يحبب معاصيه ومخارمته ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه ﴿ فهو خير له عند ربه ﴾ أي فله على ذلك خير كثير وثواب جليل . فكما على فعل الطاعات ثواب كبير ، كذلك على ترك المحرمات ثواب كبير . وقوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ أي أحللتنا لكم جميع الأنعام وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام . وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ أي من تعريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الآية ... ﴿ فاجتنبوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ إن ﴿ من ﴾ هنا لبيان الجنس ، أي اجتنبوا الرِّجْسَ الذي هو الأوثان ، وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ومنه شهادة الزور . وفي الصحيحين عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال : ٢١٨ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله قال : « الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس فقال - : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليه سكت [ روى الإمام أحمد عن خريم بن فاتك الأسدي قال : صلى ﷺ الصبح ، فلما انصرف قام قائماً فقال : عدلت شهادة

الزور بالإشراك بالله عز وجل ثم تلا هذه الآية ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ حنفاء لله ﴾ أي مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل إلى الحق ثم قال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ﴾ فقد ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى كأنما سقط هاوياً من السماء ﴿ فنحطفه الطير ﴾ أي تقطعه الطيور في الهواء ﴿ أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ أي بعيد مهلك لمن هوى فيه . وقد جاء في حديث البراء : ٢١٩ [ إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرْحاً من هناك ثم قرأ هذه الآية ] وقد تقدم هذا الحديث في سورة إبراهيم بحروقه ، وألفاظه وطرقة .

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣٢)  
لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿ (٣٣)

يقول تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله ﴾ أي أوامره ﴿ فإنها من تقوى القلوب ﴾ ومن شعائر الله البدن أي الهدى والأضاحي . وقال محمد بن أبي موسى : الوقوف . ومزدلتة ، والجحمار . والرمي . والحلقت ، والبدن من شعائر الله وقال ابن عمر ، أنظم الشعائر البيت . ولما كان سوق الهدى والأضاحي وذبحها في محلها من شعائر الله لزم أن نستعظمها ، واستعظامها : استئمانها واستحسانها . قال ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله ﴾ قال : الاستئمان والاستحسان والاستعظام . روى أبو أمامة عن سهل : كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون رواه البخاري . وعن علي رضي الله عنه قال : ٢٢٠ [ أمرنا رسول الله ﷺ أن نتشرف العين والأذن وأن لا نضحى بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء . ] رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي . وأما المقابلة فهي التي قطع مقدم أذنها ، والمدابرة من مؤخر أذنها ، والشرقاء هي التي قطعت أذنها طولاً . قاله الشافعي والأصمعي . وأما الخرقاء فهي التي خرقت السمة أذنها خرقاً مدوراً . والله أعلم .

ولأحمد وأهل السنن والترمذي عنه أي عن علي رضي الله عنه قال : ٢٢١ [ نهى رسول الله ﷺ أن يضحى بأعضب القرن والأذن . ] قال سعيد بن المسيب : الأعضب النصف



فاكثر أي كسر نصف القرن فأكثر . وعن البراء قال : ٢٢٢ ] قال رسول الله ﷺ أربع لا تجوز في الأضاحي : العوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها ، والعرجاء البين ضلعها ، والكسيرة التي لا تنقى [ رواه أحمد واهل السنن وصححه الترمذي . وهذه العيوب تنقص اللحم ولضعفها وعجزها عن استكمال الرعي لأن الشاء يسبقنها إلى المرعى . وروى أبو داود عن عتبة بن عبد السلمي : أن رسول الله ﷺ نهى عن المصفيرة ، والمتأصلة والبخقاء والمشبعة والكسيرة . فالمصفيرة قبل الهزيلة أو المتأصلة الأذن ، والمتأصلة مكسورة القرن والبخقاء : هي العوراء والمشبعة : هي التي لا تزال تشيع خلف النعم ولا تتبع لضعفها . والكسيرة : العرجاء فهذه العيوب كلها مانعة الإجزاء . فإن طرأ العيب بعد تعيين الأضحية فإنه لا يضر . فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال : ٧٥ ] اشتربت كبشاً أضحتي به . فعدا الذئب فأخذ الإلية فسألت النبي ﷺ فقال « ضح به » [ ولهذا جاء في الحديث : ٢٢٣ ] أمرنا النبي ﷺ أن ننشرف العين والأذن ، أي أن تكون الهدية أو الأضحية سمية حسنة ثمينة » [

وقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِع ﴾ أي لكم في البدن منافع من لبنها وصفوها وأوبارها وأشعارها وركوبها إلى أجل مسمى كما ثبت في الصحيحين عن أنس ٢٢٤ أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة قال اركبها قال إنها بدنة قال « اركبها وبعك » في الثانية أو الثالثة [ . وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ انه قال ٢٢٥ ] اركبها بالمعروف إذا أبغث إليها . [

وقوله تعالى : ﴿ ثم علفها إلى البيت العتيق ﴾ أي عمل الهدي وانهاؤه إلى البيت العتيق وهو الكعبة . كما قال الله تعالى : ﴿ هدياً بالغ الكعبة ﴾ .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْكاً لِيذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَنِمَارَ زَقَاتِهِمْ يُنْفِقُونَ ﴿ (٣٥) ﴿

يخبر تعالى : أنه لم يزل ذبح الماسك وإدراقة الدماء على اسم الله مشروعاً في جميع

﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً يذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال : ٢٢٦ [ أتى رسول الله ﷺ يكبشين أملحين أقرنين ، فسقى وكبّر ووضع رجله على صفاحهما . ] روى أحمد عن زيد بن أرقم قال : ٢٢٧ [ قلت يا رسول الله ما هذه الأضاحي ؟ قال : سنة أبيكم إبراهيم ، قالوا ما لنا منها ؟ قال : بكل شعرة حسنة . قال فالصوف قال : بكل شعرة من الصوف حسنة . ] وأخرجه ابن ماجه .

وقوله تعالى : ﴿ فإلهكم آله واحد فله أسلموا ﴾ أي معبودكم واحد وإن توعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضاً فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له . ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ولهذا قال : ﴿ فله أسلموا ﴾ أي استسلموا لحكمه وطاعته . ﴿ وبشر المخبتين ﴾ وأحسن ما يفرضه ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ أي خافت منه قلوبهم ﴿ والصابرين على ما أصابهم ﴾ أي من المصائب ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ أي المؤدّين حقها في أوقاتها وأركانها ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أي ينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهلهم وأقاربهم وفقرائهم ومعاونيهم ويمسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله .. وهذا كله تفسير المخبتين وهذه صفاتهم اللهم فاجعلنا منهم .

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾  
فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا  
وَأَطِيعُوا أَلْفَافِعَ وَالْمَعْتَرَةَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ممتناً على عبده فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائر الله ، تهدي إلى بيته الحرام : بل هي أفضل ما يهدي إليه ، كما قال تعالى : ﴿ لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام ﴾ الآية ... أما البدن فقد قال عطاء ( البقرة والبعير ) وإن كان فيه قولان إنما اصحهما البقرة والبعير كما صح الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال : ٢٢٨٠ [ أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الأضاحي البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة . ]

وقوله تعالى : ﴿ لكم فيها خير ﴾ أي ثواب في الدار الآخرة وعن سليمان بن يزيد

الكمبي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : [ ما عمل ابن آدم يوم التحر عملاً أحب إلى الله من إهراق دم ، وإنما لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفساً ] . رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : [ ٢٣٠ ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نخيرة في يوم عيد ] رواه الدار قطني في سننه .

وقوله تعالى : ﴿ فاذكروا اسم الله عليها صواف ﴾ وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال : صليت مع رسول الله ﷺ عبد الأضحى ، فلما انصرف أتني بكبش فذبحه فقال : [ ٢٣١ بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عني وعن لم يضح من أمي ] ومعنى ( صواف ) أي قياماً على ثلاث قوائم ، معقولة يدها اليسرى ، يقول : بسم الله والله أكبر ولا اله الا الله اللهم منك ولك [ قاله ابن عباس وكذلك مجاهد وابن أبي طلحة والمروفي عنه ، وفي الصحيحين ٢٣٢ ] عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أفاخ بدنة وهو ينحرها فقال : ابعثها قياماً مقيدة ، سنة أبي القاسم عمده ﷺ ] .

وقوله تعالى : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ يعني سقطت إلى الأرض وماتت فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرمت ، حتى تموت وتبرد حركتها وقد جاء في حديث مرفوع : [ لا تعجلوا النفوس أن ترهق ] ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح مسلم : [ ٢٣٤ ] إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته ] وعن أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله ﷺ : [ ٢٣٥ ] ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة [ رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه .

وقوله تعالى : ﴿ فكلوا منها وأطعموا الفقاع والمعتر ﴾ قال بعض السلف : قوله تعالى : ﴿ فكلوا منها ﴾ أمر بإباحة ، وقال مالك : يستحب ذلك . واختلفوا بالمراد بالفقاع والمعتر قال ابن عباس : الفقاع المستغني بما أعطيته وهو في بيته . والمعتر : الذي يتعرض لك ويلزم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل . وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء : ثلث لصاحبها يأكله ، وثلث يهديه ، وثلث يتصدق به على الفقراء .

وفي الحديث الصحيح ان رسول الله ﷺ قال للناس : [ ٢٣٦ ] إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث ، فكلوا وادخروا ما بدا لكم ] وفي الحديث الآخر

٢٣٧ [ فكلوا وادخروا وتصدقوا ] أما الجلود ففي مسند أحمد عن النعمان في حديث الأضاحي ٢٣٨ [ فكلوا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها ] .

وإن أول وقت ذبح الأضاحي إذا طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والحطين . وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٣٩ [ إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي . ثم ترجع فتحر ، فمن فعل فقد أصاب ستنا ، ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء ] أخرجه . وفي صحيح مسلم : ٢٤٠ [ لا تذبحوا قبل أن يذبح الإمام ] .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ يقول تعالى : من أجل هذا ﴿ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ ﴾ أي ذللناها لكم ، وجعلناها منقادة لكم خاضعة إن شئتم ركبتم وإن شئتم حلبتم وإن شئتم ذبحتم . كما قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون - إلى قوله - أفلا يشكرون ﴾ .

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٧)

يقول تعالى : إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا لتذكروه عند ذبحها ، فإنه الخالق الرزاق لا يناله شيء من لحومها ولا دماؤها فإنه تعالى هو الغني عما سواه وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لأنهم وضعوا عليها من لحوم قرايبهم ، ونضحوا عليها من دماؤها ، فقال تعالى : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ﴾ أي يتقبل ذلك ويجزي عليه ، كما جاء في الصحيح : ٢٤١ [ إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ] ولا يتقبل الله إلا ممن أخلص في عمله لوجهه الكريم . وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾ أي من أجل ذلك سخر لكم البدن ﴿ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾ أي لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه ويرضاه ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه . وقوله تعالى : ﴿ وبشر المحسنين ﴾ أي وبشر يا محمد المحسنين في عملهم ، القائمين بعبود الله المتبعين ما شرع لهم ، المصدقين الرسول

فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل . .

سألة : لقد اختلف في وجوب الأضحية فمنهم من أوجبها كأبي حنيفة ومالك والثوري على من ملك نصاباً واشترط أبو حنيفة الإقامة واحتجَّ لهم بحديث رواه أحمد واستنكره (١) ... وان فيه غرابة وقال الشافعي وأحمد بالاستحباب لما جاء في الحديث : ٢٤٢ [ ليس في المال حق سوى الزكاة ] وقد تقدم انه عليه السلام صحى عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم وقال ابو سريجة كنت جارا لأبي بكر وعمر فكانا لا يضحيان خشية أن يفترقوا الناس بهما . ونجزي الأضحية عن صاحبها وأهل بيته .

وعند الجمهور يجزي الشيء من الإبل والبقر والمز أو الجذع من الضأن . فأما التي من الإبل فهو الذي له خمس سنين ودخل في السادسة . ومن البقر ماله ستان ودخل في الكافة ، ومن المزر ماله ستان ، وأما الجذع من الضأن فقبل ماله سنة وقبل عشرة أشهر وقبل ثمانية وقبل ستة أشهر وهو أقل ما قبل في سنته ، وما دونه فهو حَمَلُ الفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع شعر ظهره نائم قد انفرد صدعين والله أعلم .



﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾

كُفُورٍ ﴿٣٨﴾

يخبر تعالى انه يدافع عن عباده الذين توكلوا عليه وأتابوا إليه ويحفظهم من شر الأشرار وكيد الفجار بتأييده ونصره . كما قال تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ أي لا يحب من اتصف بخيانة اليهود والمواثيق والوعود . والكفور هو جحد النعم فلا يعترف بها .

﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

(١) قلت : الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً : ( من وجد شفة قدم يضح فلا يقربن مصلانا قال ابن كثير : (عل أن فيه غرابة ) قلت ولعننا من مفهوم الحديث أن النحر قبل الصلاة ، بينما الصلاة قبل النحر « فصل لربك وانحر » واستنكره أحمد .

صَوَامِعُ وَيَبِيعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا  
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

قال ابن جرير عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي ﷺ من مكة ، قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن . قال ابن عباس : فأنزل الله عز وجل : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : فعرفت أنه سيكون قتال . ورواه أحمد وزاد : قال ابن عباس وهي أول آية نزلت في القتال . ورواه الترمذي وحسنه . وهذا يدل على أن السورة مدنية . وقوله تعالى : ﴿ وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ أي قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ، ولكنه يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته . كما قال تعالى : ﴿ فإذا لقمتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا أحسنموهم فشدوا الوثاق فإما متناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يغفر الله لأعمالهم سيئتهم ويصلح باهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولنبولنكم حتى تعلموا من الذين منهم من يصدق الحديث من الصادقين والذين كفروا من الكافرين ﴾ والآيات في هذا كثيرة . ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ وقد فعل وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمير المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم ، ولهذا [ ٢٤٣ ] لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ ، وكانوا نيفاً وثمانين ، قالوا : يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي ، يعنون أهل منى لئلا منى فنقتلهم ؟ فقال رسول الله ﷺ « إني لم أؤمر بعد » فلما بعى المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله وشرذوا أصحابه شذر مذر . فذهب منهم طائفة إلى الحبيشة وآخرون إلى المدينة . فلما استقروا بالمدينة وواقاهم رسول الله ﷺ واجتمعوا عليه . وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلقاؤون إليه . شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك فقال تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ [ .

وقوله تعالى : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ﴾ يعني محمداً وأصحابه أخرجوا من مكة بغير حق ﴿ إلاّ أن يقولوا ربنا الله ﴾ أي ما كان لهم إلى قومهم إساءة .

ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وعبدوه لا شريك له . وأما عند المشركين فإنه أكبر الذنوب . كما قال تعالى في قصة أصحاب الأخدود : ﴿ وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ، ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب . ففسدت الأرض وأهلك القوي الضعيف ﴾ فهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴿ أي فهدمت صوامع الرهبان وبيع النصراني وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً . وقال بعض العلماء : هذا ترقى من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهي أكثر عمّاراً وأكثر عبادة وهم ذوو القصد الصحيح .

وقوله تعالى : ﴿ ولينصروا الله من نصرة ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعاً بهم وأصل أعمالهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن الله لقوي عزيز ﴾ وصف نفسه بالقوة والعزة . فقوته خلق كل شيء فقدّره تقديراً وبعزته لا يقهره قاهر ولا يقبله غالب . ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور وعلوه هو المقهور . قال تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾ .

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤١)

هم أصحاب محمد ﷺ قاله أبو العالية : وقال ابن أبي حاتم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : قينا نزلت ﴿ الذين إن مكانهم في الأرض ... ﴾ الآية فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا : ربنا الله ثم مكنا في الأرض ، فاقصنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر . والله عاقبة الأمور فهي لي ولأصحابي .

وقال الصباح بن سودة الكندي : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : ﴿ ان الذين إن مكانهم في الأرض ﴾ الآية ... ثم قال : ألا إنها ليست على الوالي وحده ، ولكنها على الوالي والمولى عليه . ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه ؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤخذكم بحقوق الله عليكم وأن يأخذ

لبعضكم من بعض وان يهديكم للني هي أقوم ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير  
المزوزة ولا المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتها . وقال زيد بن أسلم ﴿ والله عاقبة  
الأمور ﴾ وعند الله ثواب ما صنعوا .

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ  
وَقَوْمُ هُودٍ ﴾ (٤٢) ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾ (٤٣) ﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ  
وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (٤٤)  
﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا  
وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ (٤٥) ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ  
لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَأَيُّهَا لَا تَعْمَى  
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦) ﴿

يقول تعالى مسلماً لئيه محمد ﷺ في تكذيب من خالفه من قومه : ﴿ وإن يكذبوك  
فقد كذبت قومه قوم نوح - إلى أن قال - وكذب موسى ﴾ أي مع ما جاءوا به من  
الآيات البينات والدلائل الواضحات ﴿ فأمليت للكافرين ﴾ أي أخرتهم ﴿ ثم أخذتهم  
فكيف كان نكير ﴾ أي فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم .

وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه : أنا ربكم الأعلى ، وبين إهلاك  
الله له أربعون سنة . وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال [ ٢٤٤ ] إن الله  
ليُسل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي  
ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ [ ثم قال تعالى : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها ﴾ أي كم من  
قرية أهلكها ﴾ وهي ظالمة ﴾ أي مكذبة لرسلها ﴿ فهي خاوية على عروشها ﴾ أي خربت  
منازلها وتعطلت حواضرها ﴾ وبئر معطلة ﴾ أي لا يستقى منها بعد ازدحام الواردين  
﴿ وقصر مشيد ﴾ أي مرتفع منيع لم يمنع أهله من بأس الله تعالى . كما قال تعالى : ﴿ أينما  
تكفروا يدرئكم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أفلم يسروا في الأرض ﴾ أي بأبدانهم وفكرهم ، لينظروا آثار من  
مضوا ما فعل بهم وما حلّ بديارهم من القم والنكال : ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها



أو آذان يسمعون بها ﴿ أي فيعتبرون بها ﴾ فإنها لا تعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور ﴿ أي ليس العمى عصى البصر وإنما العمى عصى البصيرة ، وما أحسن ما ما قاله في ذلك ابن محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأندلسي الشنبري ، وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسة :

يا من يصيح إلى داعي الشقاء وقد	نادى به الناعيان : الشيب والكبير
إن كنت لا تسمع المذكرى فقيم ترى	في رأسك الواعيان : السمع والبصر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل	لم يهده الهاديان : العين والأثر
لا الدهر يقين ، ولا الدنيا ولا القلک	الأعلن ، ولا الثيران : الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها	فراقها الثاويان : البدو والحضر

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٤٧) ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (٤٨) ﴿

يقول تعالى لبيه ﷺ ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ أي هؤلاء الكفار المكذبون كما قال تعالى : ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قسطًا قبل يوم الحساب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولن يخلف الله وعده ﴾ أي الذي قد وعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه والإكرام لأوليائه .

وقوله تعالى : ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ أي هو تعالى لا يعجل فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه . لعلمه بأنه على الانتقام قادر . وأنه لا يفوته شيء وإن أجّل . ولهذا قال بعد هذا : ﴿ وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ٢٤٥ [ يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام ] وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٤٩) ﴿ فَالَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ • (٥٠) وَالَّذِينَ  
سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ • (٥١)

يقول تعالى لنبيه ﷺ حين طلب الكفار منه وقوع العذاب واستعجلوه به : ﴿ يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ﴾ أي إنما أنا رسول لكم أنذركم بين يدي عذاب شديد ، وليس لي من أمره شيء فهو إلى الله تعالى إن شاء عجل عذابكم وإن شاء أخره ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي آمنوا بقلوبهم وصدقوا أعمالهم ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ أي مغفرة لما سلف من سيئاتهم ، ومجازاة حسنة عن القليل من حسناتهم والرزق الكريم هو الجنة .

وقوله تعالى : ﴿ والذين سعوا في آياتنا معاجزين ﴾ أي مشطبين الناس عن متابعة النبي ﷺ ﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾ وهي النار الحارة الموجهة الشديد عذابها ونكالمها أجازنا الله منها . قال الله تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يكفرون ﴾ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ • (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • (٥٤) ﴾

قد ذكر كبير من المفسرين ههنا قصة الغرائق ، وما كان من رجوع كبير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أرها مستدة من وجه صحيح والله اعلم . (٥) (راجع التعليق في الصفحة التالية)

**القصة المكذوبة (١) :** نزلت سورة النجم ففلاها رسول الله ﷺ على المشركين وعند وصوله إلى قوله تعالى : ﴿ أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ ألقي الشيطان على لسانه كلمات : ( وإنيهن لهن الغرائق العلى وإن شفاعتن لهن التي ترتجى ) فرفعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وزلت بها ألسنتهم وقالوا : إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه . فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر سورة النجم سجد ... وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك. فمحبب القرىقان كلاهما ولم يكن سمع المسلمون الذي ألقي الشيطان ، ففتشت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبيشة ومن بها من المسلمين وحدثوا أن المسلمين قد أمينوا بمكة فأقبلوا سراعاً إلى مكة ، وقد نسخ الله ما ألقي الشيطان واحكمهم الله آياته ، وحفظ من البرية نبيته فقال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا

(١) قلت : قصة الغرائق هذه ... من أخطر ما وضع الزنادقة ... ليضربوا التسويد والرسالة العظمى ، وليردوا المسلمين عن دينهم الحق زعموا - والله حافظ دينه وناصره ولو كره الكافرون عل أن هذه القصة عدا عن أنها مكذوبة موضوعة فهي تهافتة ساقطة من وجوه :

١ - : منافية للعصمة التي هي لأتينا جميعاً لأن فيها استطاعة تسلط الشيطان على النبي صل الله عليه وسلم في أعظم ما تجب فيه العصمة وهو الوحي ، ومنافية لقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون » وقوله تعالى : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من يتبعك من العاوين » .

٢ - : سياق سورة النجم وعدم احتوائه لسؤال الغرائق ، لأن الله يذم فيها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بقوله تعالى : « ... إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان ... » فكيف يقول عنها : تلك الغرائق العلى وإن شفاعتن ترتجى ... ؟؟؟ ماذا إياها عل زعمهم ثم يذمها ويقول : « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكروله الأنثى تلك إذا نسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان » فهل يعقل أن يتدع الله الآفة التي أشركه بها الكفار ثم في آن واحد يذمها فعدوا لله أن ينزل ذلك أو أن يتقول رسوله عليه ما لم يقل ... هذا ما لا يسلم به عقل ولا يقول به إنسان .

٣ - : كلمة الغرائق ... لم ترد في نظم شعراء العرب ولا في خطبهم من أنها وصف لأهنتهم ، ولا جرى ذلك عل ألسنتهم وإنما ورد الترنوف والغرائق عل أنه اسم لظائر ملأى أسود وأبيض والشباب الأبيض الجليل ، ولا شيء من ذلك يلام معنى الآفة أو وصفها عند العرب - قاله الشيخ محمد عبده - .

٤ - الرسول الذي بعث لتعظيم هذه الآفة الخبيثة الكاذبة والدعوة لتوحيد الله وحده لا شريك له ، والذي لم يكذب ( ويعرف ذلك منه قومه ) ولا في الجاهلية فالذي لم يكذب عل الناس كيف يقول عل الله ما لم يقله . فلا أصل إذاً لسؤال الغرائق إلا الوضع والاختراع ، قامت به طائفة الذين أخذوا بالكيده للإسلام . ( يتصرف عن محمد حسين هيكل من كتابه « حياة محمد » صل الله عليه وسلم . ومن شاء التوسع العلمي فليراجع كتاب «نصب المجانيق لتسيف قصة الغرائق» لأخيها الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من الله في عمره . وأجزل شوبته

نبي إلا إذا تمس ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ﴿ فلما بين الله مضاءه وبرأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلاتهم وعداوتهم للمسلمين واشتدوا عليهم قلت ( ابن كثير ) وقد ذكرها محمد بن اسحق في السيرة بنحو من هذا ، وكل الطرق ومرسلات ومتقطعات والله أعلم . وقد ساقها البغوي ثم سأله ها هنا سزآلاً : كيف وقع مثل هذا مع العصاة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ثم حكى أجوبة عن الناس من أظفها : أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ وليس كذلك في نفس الأمر ، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمن ﷺ والله أعلم .

وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين ، هذا على فرض صحة القصة ... !!! ولكننا لم نصح ... وقوله تعالى : ﴿ إلا إذا تمس ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ هذا فيه تلمية من الله لرسوله صلاة الله وسلامه عليه أي لا يزعجك ولا يربيك هذا ... فقد أصاب الأنبياء والمرسلين قبلك مثله <sup>(١)</sup> ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ﴾ قال ابن عباس : أي فيظل الله سبحانه وتعالى ما ألقى الشيطان ﴿ ثم يحكم الله آياته والله عليم ﴾ أي بما يكون من الأمور والحوادث : لا تخفى عليه خافية ﴿ حكيم ﴾ أي في تقديره وخلقه وأمره ، له الحكمة التامة والحجة البالغة. ولهذا قال سبحانه : ﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ﴾ أي شك وشرك كالمشركين ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ قال مقاتل بن حيان : هم اليهود ﴿ وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ﴾ أي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد عن الحق

(١) قلت : - والمعنى - : أن كل نبي قبلك تمس ما تمنيت من إيمان قومك واستجابتهم ، فكانوا يتحدثون إليهم كما تتحدث أنت إليهم وتنوع لهم أسباب الهداية فيلقي الشيطان ما أنفى ... مع حديثك إليهم حديثاً منه غير حديثك فيوهمهم أنه حديثك وهم لا يعلمون إلا أنه حديثك ، فيوافقوك لا على ما تقول أنت في الحقيقة وإنما على ما سمعوه من الشيطان وهم يتوهمون أنه حديثك ، فهذه الموافقة منهم تظنها أنت أيضاً مطابقة لما قلت لهم ، فتحصل أمنيتك التي تمنيت ، من ظاهر هدايتهم كسجودهم الذي سجده في آخر سورة النجم ، لأنك لا تعلم ما ألقى الشيطان في أسماعهم ، أما الله تعالى المطلع على الحقيقة التي جرت بطل ما يلقي الشيطان وينسخه ويحكم آياته التي أنزلها عليك وبلغتها كما زنت تماماً ، والله عليم بما سيكون لا تخفى عليه خافية وحكيم في تقديره وخلقه وأمره ، له الحكمة التامة والحجة البالغة . وقد علل سبحانه لماذا قدر ذلك فقال جلت سكتة : « ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم » أي المشركون الذين نوع لهم رسولهم أسباب الهداية فلم يتدوا فبكر الله بهم ليزيدهم ضلالاً على ضلالهم جزاء كفرهم وعنادهم وذلك كما قال تعالى : وأما من بخل وامتنى وكذب بالحقى نسیره السرى . أما المؤمنون الذين استجابوا للحق يسرهم الله يسرى قراهم بإيماننا فأرشدهم الحق وجعلهم من السعداء في الدارين .

والصواب ، ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به ﴾ أي وليعلم المؤمنون بالله ورسوله الذي يفرقون به بين الحق والباطل أن ما أوحينا إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه ، وحرسه أن يختلط به غيره ﴿ فيؤمنوا به ﴾ أي يصدقوه ويتقادوا له ﴿ فتخبت له قلوبهم ﴾ أي تفضع ونذل ﴿ وأن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ فيرشدهم في الدنيا إلى الحق ويوقظهم لمخالفة الباطل ، وفي الآخرة يوصلهم إلى النعيم ، ويوزحزحهم عن الجحيم .

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (٥٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَأَلْذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿ (٥٧)

يغير تعالى عن الكفار أنهم لا يزالون في شك وريب من هذا القرآن ﴿ حتى تأتيهم الساعة بغتة ﴾ أي فجأة عند غرتهم بنعمتهم . وقوله تعالى : ﴿ أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ أي يوم القامة ، لا ليل له ولهذا قال تعالى : ﴿ الملك يومئذٍ لله يحكم بينهم ﴾ كقوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي آمنت قلوبهم وعملوا بمقتضى ما علموا ﴿ في جنات النعيم ﴾ أي لهم النعيم الذي لا يبید ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ أي كفرت قلوبهم بالحق وهجرته وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم ﴿ فأولئك لهم عذاب مهين ﴾ أي مقابلة استكبارهم عن الحق كقوله تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي صاغرين .

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٥٨)



لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ بَرِضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ  
وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ  
اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

يخبر تعالى عن خروج مهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاته وطلباً لما عنده . وفارق  
بلاده في الله ورسوله ، ونصرةً لدين الله ثم قتلوا أي في الجهاد . أو حتف أنفسهم فقد  
حصلوا على الأجر الجزيل كما قال تعالى : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله  
ثم يتركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ ليرزقنهم الله رزقاً حسناً ﴾  
ليفضل عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم ﴿ وان الله لطو خير الرازقين ﴾ .  
ليدخلنهم مدخلاً يرضونه ﴿ أي الجنة كما قال تعالى : ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح  
وريحان وجنة نعيم ﴾ فأخبر أنه يحصل على الراحة والرزق وجنة النعيم كما قال ها هنا :  
﴿ ليرزقنهم الله رزقاً حسناً ﴾ ثم قال سبحانه : ﴿ ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وان الله  
لعليم ﴾ بمن يهاجر ويجاهد في سبيله وبمن يستحق ذلك ﴿ حلیم ﴾ أي يحلم ويصفح ويغفر  
لهم الذنوب . ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه وتوكلهم عليه .

قال ابن أبي حاتم عن أبي قبيل وربيع بن سيف المعافري يقولان : كنا برودوس  
ومعنا فضالة بن عبيد الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ . فمر بجنازتين : إحداهما  
قتيل ، والأخرى متوفى ، فقال الناس على القتل في سبيل الله فقال : مالي أرى الناس  
مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا : هذا القتل في سبيل الله . فقال : والله ما أبالي  
من أي ضربتهما بعشت ؟ إسمعوا كتاب الله : ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا  
أو ماتوا ﴾ حتى بلغ آخر الآية . وقوله تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ﴾  
الآية إنها نزلت في سرية من الصحابة لفقوا جمعاً من المشركين في شهر محرم ، فناشدهم  
المسلمون لئلا يقاتلوه في الشهر الحرام . فأبى المشركون إلا قتالهم . وبغوا حلهم  
فقاتلهم المسلمون ، فنصرهم الله عليهم ﴿ إن الله لعفورٌ غفورٌ ﴾ .

﴿ ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ أُمَّةً أُمَّةً يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي  
الَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ تَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ  
مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

يَبْنِيَّ تَعَالَى عَلَيَّ أَنَّهُ الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ وَمَعْنَى إِبِلَاجِهِ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَالنَّهَارُ فِي اللَّيْلِ إِدْخَالَهُ مِنْ هَذَا فِي هَذَا وَمِنْ هَذَا فِي هَذَا . فَتَارَةً يَطُولُ اللَّيْلُ وَيَقْصُرُ النَّهَارُ كَمَا فِي الشِّتَاءِ ، وَتَارَةً يَطُولُ النَّهَارُ وَيَقْصُرُ اللَّيْلُ كَمَا فِي الصَّيْفِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ أَلْفَ سَمِيعٍ بِصِيرٍ ﴾ أَي سَمِيعٌ بِأَقْوَالِ عِبَادِهِ . بِصِيرٍ بِهِمْ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ ، وَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْوُجُودِ : الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بَانَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أَي الْإِلَٰهَ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ . ﴿ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ أَي كُلُّ مَا عَدَّ مِنْ دُونِهِ تَعَالَى فَهُوَ بَاطِلٌ . لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ ضَرْأً وَلَا نَفْعاً . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ﴾ فَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ ، فَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أُعْظَمُ مِنْهُ ، الْعَلِيُّ الَّذِي لَا أَعْلَى مِنْهُ ، الْكَبِيرُ الَّذِي لَا أَكْبَرَ مِنْهُ ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ الْمُعْتَدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُنْزِلُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بَازِئِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَهُوفٌ رَحِيمٌ ﴿ (٦٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿ (٦٦) ﴿

وهذا أيضاً دليل على قدرته تعالى . وإنه يمطر الأرض المصحلة ماءً من السماء — ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ كقولها تعالى : ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ أي تصبح خضراء بعد يابسها ﴿ ان الله لطيف خبير ﴾ أي عليم بما في الأرض من الحب وان صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل إلى كل منه قطره من الماء فيبته به كما قال لقمان :

﴿ يا بني إنها إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ أي كل شيء فيهما ملكه وحده لا شريك له ﴿ وإن الله هو الغني الحميد ﴾ الحميد أي المستغني عما سواه المستوجب الحمد من عباده في كل حال . وقوله تعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ﴾ أي من حيوان وجماد وزروع ﴿ والفلك تجري في البحر بأمره ﴾ أي بتسييره ولطفه في عرض البحار لتبادل التجارة والأرزاق بين البلدان . ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه ﴾ أي لو شاء لأذن للسماء أن تقع على الأرض فتهلك بمن فيها ولكنه تعالى من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تسقط على الأرض . وهذا قال سبحانه : ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ أي مع ظلمهم . كما قال جل وعلا : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم . إن ربك لشديد العقاب ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لَكفور ﴾ أي كيف يجعلون لله أنداداً تعبدون معه غيره وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف ﴿ وهو الذي أحياكم ﴾ أي خلقكم من العدم ﴿ ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ أي يميتكم يوم يوم القيامة ولكن الإنسان كفور نعم الله جحودها .

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبَازِرُكَ فِي

الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمًا ﴾ (٦٧) وَإِنْ

جَادَلوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٦٨) اللَّهُ يَخْتَلِفُ فِيكُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٦٩)

أصل المنك هو الموضع الذي يعتاده الإنسان ويتردد إليه إما للحبر أو شرب ، وهذه سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس إليها فقوله تعالى : ﴿ لكل أمة جعلنا منكاً هم ناسكوه ﴾ أي طريقاً سالكوه فالضير عائد على هؤلاء المشركين الذين هم مناسك وطرائق . أي أن هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته ﴿ فلا يباذرك في الأمر ﴾ أي فلا تتأثر بمازعتهم لك ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق ولهذا قال : ﴿ وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم ﴾ أي طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود وهذا



كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعَدَا بَأْسِكُمْ ﴾ .  
 وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَادَلْتُمْ فَلِلَّهِ الْعِلْمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَلِلَّهِ الْعِلْمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .  
 وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .  
 وقوله تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَقِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ .  
 ولهذا قال تعالى ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .  
 ﴿ كَتَمَ فِيهِ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ .  
 وهذه كقوله تعالى : ﴿ فَلِلَّذَلِكِ قَادِحٌ ﴾ واستتم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب ﴿ الآية .

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾

﴿ كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧٠)

يخبر تعالى عن كتاب علمه بخلقته ، وإن علمه محيط بما في السموات والأرض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر . وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه النوح المحفوظ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : [ إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . وكان عرشه على الماء ] وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : [ أول ما خلق الله القلم قال له اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن . فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ] .  
 فلذلك قوله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .  
 وهذا من تمام علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذي يفعلونه . فيعلم قبل الخلق أن هذا يطع باختياره ، وهذا يعصى باختياره . وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شيء علماً . وهو سهل عليه يسير لديه . ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾ .  
 ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لِيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ (٧١) ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنبَغِينَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ ﴾

يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ ذَلِكُمْ  
النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٌ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

يخبر تعالى عن المشركين الذين عبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً أي حجة وبرهاناً فقال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وما ليس لهم به علم ﴾ إنما تلقوه عن آبائهم بلا دليل ولا حجة ، وأصله من تزيين الشيطان لهم ، ولهذا تورعدهم تعالى بقوله عز وجل : ﴿ وما للظالمين من نصير ﴾ أي ينصرهم من الله فيما يجعل بهم من العذاب ، ثم قال تعالى : ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا بينات ﴾ أي ذكرت لهم آيات القرآن الدالة على أنه لا إله الا الله ، وأن رسله حقٌ وصدق ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ أي يكادون يسطون بمن يذكروهم بالحق ﴿ قل ﴾ يا محمد هؤلاء ﴿ أفأنتم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا ﴾ أي النار وعذابها ونكالها أشد وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا من بطل أيديكم وألستكم إليهم ، فعذاب الآخرة على كفركم وأذيتكم أولياء الله أعظم مما تتلون منهم . وقوله تعالى : ﴿ وبشر المصير ﴾ أي وبشر النار مقبلاً ومنزلاً ومرجعاً ومقاماً .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ مَا سْتَعْبَهُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ  
مِن دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ  
شَيْئاً لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا  
اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

ينبه تعالى على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : ﴿ يا أيها الناس ضربٌ مثل ﴾ أي لا يعبد الجاهلون بالله المشركون به ﴿ فاستمعوا له ﴾ أي أنصتوا وتفهموا ﴿ ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴾ أي لو اجتمعوا على أن يخلقوا ذباباً ما قدروا على ذلك كما أخرج الشيخان من طريق عمارة عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : ٢٤٨ ] قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب

يخلق كخلفي ، فليخلقوا ذرةً ، فليخلقوا شعيرةً [ ثم قال تعالى : ﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ﴾ أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك ، عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلها شيئاً من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك ، هذا ، والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها (١) ولهذا قال تعالى : ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ أي ضعف هنا المعبود الزائف أن يستنقذ الذباب ما أخذته منه وسله من شيء كان في حوزته أجل فقد ضعف الطالب والمطلوب ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا غيره الذي لم يستطع أن يقاوم الذباب أو يستنقذ ما سلبه منه ﴿ إن الله لقوي عزيز ﴾ الذي يقول للشيء كن فيكون فهو قوي على كل شيء ، وعزيز عز كل شيء فقهره وغلبه فلا يخاف ولا يغالب لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار .

﴿ الله يَضْطَيُّ مِنَ الْمَلَكَةِ رَسَلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنْ أَلَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٧٥) يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿ (٧٦)

يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلاً فيما يشاء من شرعه وقدره ، ويختار من الناس رسلاً لإبلاغ رساله ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ أي سميع لأقوال عباده ، بصير بهم . عليهم بمن يستحق منهم ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور ﴾ أي يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به فلا يخفى عليه شيء من أمورهم ، كما قال سبحانه : ﴿ عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول - إلى قوله - وأحصى كل شيء عدداً ﴾ فهو سبحانه رقيب عليهم شهيد على ما يقال لهم ، حافظ لهم ،

(١) قلت : وقد علم الله أن عبده سيكتشفون بحالتي صغيرة/ يكرهون / وقد يكون / الذباب / اسم جنس لها وإني لا أرى إلا بالمجاهر التي تكبر آلاف المرات تفلك في جسم من إهد من دون الله ولا يستطيع هذا المخلوق أن ينفذ نفسه منها إلا إذا أراد الله تعالى. وقد تفلك به وهو لا يستطيع هذا دفعا. والذين يؤثرونه يملكون جزئياً أن إهم المزيف في هذا الدرك الأسفل من النصف... كما يملكون أنه مريبوب به تعالى . ولكن مع كل هذا وذلك ... بقى هؤلاء مؤلمين أو أشك بطاعتهم في معصية الله تعالى، فإن يعطوهم من الصفات التي لا تليق إلا لله تعالى وحده فيبدونهم في البراءة والصبراء ويستحيونهم ، ويستحيونهم ويتوجهون إليهم بأنواع البادة أحبباً كانوا أو أسوأناً . وبت لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

ناصر بلناهم . ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ .



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ  
وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ  
هُوَ اجْتِبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ أَيْبِكُمْ  
إِبْرَاهِيمَ هُوَ تَمَّامُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ  
شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ  
النَّصِيرُ ﴿ (٧٨) ﴾

اختلف الأئمة رحمهم الله في مشروعية هذه السجدة الثانية من سورة الحج والأصح أنها مشروعة لحديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ : [ ٢٤٩ ] فضلت سورة الحج بسجدتين فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما [ وقوله تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ أي بأموالكم وأنتكم وأنفسكم . وقوله تعالى : ﴿ هو اجتباكم ﴾ أي والله اختاركم على سائر الأمم : وفضلكم وشرفكم وخصكم بأشرف رسول وأكل شرع ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما أئزكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ، فالصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تصل تماماً وقصراً وجمعاً ورجالاً وركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبلها قياماً وجلساً وعل جنب إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : [ ٢٥٠ ] بعثت بالحنيفية السمحة [ وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن : [ ٢٥١ ] بشرأ ولا تنفرا ، وبشراً ولا تعسرا ] .

ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ يعني من ضيق . وقوله تعالى : ﴿ ملة إبراهيم ﴾ وهذا المعنى في هذه الآية كقولته تعالى : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيمياً ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ وقوله

تعالى : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ أي والله عز وجل سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة ﴿ وفي هذا ﴾ أي في القرآن . وروى النسائي عن الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال : ٢٥٢ [ « من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جني جهنم » قال رجل : يا رسول الله وإن صام وصلى ؟ قال : « وإن صام وصلى فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله » ] وقوله تعالى : ﴿ ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ أي إنما جعلكم هكذا أمة وسطاً عدولاً خياراً ، مشهوراً بعدائتكم عند جميع الأمم ، لتكونوا يوم القيامة ﴿ شهداء على الناس ﴾ لأن جميع الأمم معترفة بومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها فلماذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ الآية بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى : ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أي قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها فأدوا حتى الله عليكم في أداء ما افترض عليكم ومن أهم ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقوله تعالى : ﴿ واعتصموا بالله ﴾ أي استعينوا به والتجسوا إليه وتأيدوا به ﴿ هو مولاكم ﴾ أي حافظكم وناصركم على أعدائكم ﴿ فنعم المولى ونعم النصير ﴾ أي نعم المولى والناصر من الأعداء آخر اختصار تفسير سورة الحج وقه الحمد والمنة .



نزلت بعد : الأنبياء

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِعُونَ • (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ • (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ • (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ • (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلْمُومِينَ • (٦) فَمَنْ آتَبَعُوا وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ • (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ • (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ • (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ • (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْقَانِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • (١١) ﴿

روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب يقول : [ ٢٥٣ ] كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كلوي النحل ، فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، واكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا » - ثم قال - « لقد أنزل الله عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ حتى ختم العشر » [ (١) ] .

(١) فيه يونس بن سليم قال الترمذي لا نعرفه .

روى النسائي في تفسيره عن يزيد بن يانوس قال : ٢٥٤ ( قلنا لعائشة أم المؤمنين : كيف كان خلق رسول الله ﷺ قالت : كان خلقه القرآن فقرأت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ - حتى انتهت إلى - والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ قالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ ] .

وقوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ أي فازوا بالجنة ، وهم المتصفون بهذه الأوصاف : ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ أي خاشعو القلوب ، فغضوا أبصارهم وخفضوا الجناح ولا تجاوزت أعينهم مصلاتهم . والخشوع في الصلاة يحصل لمن فرغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها ، وحيشئذ تكون راحة له وقرة عين ، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس عن رسول الله ﷺ انه قال : ٢٥٥ [ حيب إليّ الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ] .

روى الإمام أحمد عن محمد بن حنيفة قال : ٢٥٦ [ دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار فحضرت الصلاة ، فقال : يا جارية أتيتي بوضوء لعلّي أصلي فاستريح فرآنا أنكرانا عليه ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قم يا بلال فأرحنا بالصلاة » ]

وقوله تعالى : ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ أي عن الباطل ، وهو يشمل الشرك والمعاصي وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال وقوله تعالى : ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ أي زكاة الأموال قبل أن يفرض النصاب لأن الآية مكية وأصل الزكاة كان واجباً بمكة قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ انما فرضت بالمدينة الزكاة ذات النصب والمقادير الخاصة ، وقيل : زكاة النفس من الشرك والدنس ، كقوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاهه وقد خاب من دساها ﴾ والمؤمن الكامل هو الذي يركى نفسه مالاً ونفساً . وقوله تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون • إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ أي الذين حفظوا فروجهم من الحرام من زنا أو لواط لا يقربون إلا أزواجهم وسرايرهم ، فمن تعاطى ما أحلّه الله له ، فلا لوم عليه ولا حرج ومن ابتغى غير الأزواج والإماء فهم المعتدون .

وقد استدل الشافعي رحمه الله تعالى على تحريم الاستمناة باليد بهذه الآية الكريمة . وقوله تعالى : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ أي إذا أئتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها وإذا عاهدوا أو عاقدوا أو فؤوا بذلك ، لا كالمنافقين الموصوفين بقوله

ﷺ : ٢٥٧ [ آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان ]  
 وقوله تعالى : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ أي يواظبون عليها في مراقبتها ، كما قال ابن مسعود : ٢٥٨ [ سألت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله ؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ؟ « الجهاد في سبيل الله » [ أخرجاه في الصحيحين . وقد افتتح الله تعالى ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها ، ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة قال سبحانه : ﴿ أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال ٢٥٩ [ إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ] .

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
 ٢٦٠ [ ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله ] فذلك قوله تعالى : ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ فالْمُؤْمِنُونَ يرثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة ، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له ، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل . وأبلغ من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال : ٢٦١ [ يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ] وفي لفظ له : قال رسول الله ﷺ : ٢٦٢ [ إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً ، فيقال هذا فكأكك من النار ] فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات ، أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ بذلك ، قال فحلف له [ .

﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢) ثُمَّ  
 جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا  
 الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ  
 خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكْ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ



ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴿١٦﴾

يخبر تعالى عن ابتداء خلق الإنسان من سلاله من طين ، وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حماً مستون . روى الإمام أحمد عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : [ ٢٦٣ ] إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قِيصَةٍ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالْحَيْثُ وَالطَّيْبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ [ وقد رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به نحوه وقال حسن صحيح .

﴿ ثم جعلناه نطفة ﴾ هذا الضمير عائد على جنس الإنسان . كما قال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ﴾ أي ضعيف من قوله تعالى : ﴿ ثم خلقنا النطفة علقه ﴾ أي ثم صيرنا النطفة . وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره ، وترائب المرأة وهي عظام صدرها ما بين الرقوة إلى السرة ، فصارت علقه حمراء على شكل العلقه مستطيلة وهي دم ﴿ فخلقنا العلقه مضغة ﴾ وهي قطعة كالبيض من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط ﴿ فخلقنا المضغة عظاماً ﴾ يعني شكلناها ذات رأس وبدين ورجلين بعظامها وعصيا وعروقها ﴿ فكسونا العظام لحماً ﴾ أي جعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب . روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : [ ٢٦٤ ] حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل الجنة فيدخلها » [ أخرجه في الصحيحين .

وقوله تعالى : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ يعني حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال ، وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل المخلق . قال تعالى : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾ يعني بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت

﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ يعني يوم المعاد وقيام الأرواح إلى الأجساد فيحاسب الخلائق . ويوفى كل عامل عمله إن خيراً فخير أو شراً فشر .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧)

لما ذكر تعالى خلق الإنسان . عطف بذكر خلق السموات السبع . وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الانسان . كما قال تعالى : ﴿ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ يعني السموات السبع . وهذا كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ وهكذا قال ههنا : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ أي ويعلم ما يلعج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ، وهو سبحانه لا يحجب عنه سماء سماء ولا أرض أرضاً ، ولا جبل إلا يعلم ما في وعده ، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال والبحار والقفار والأشجار ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (١٨) ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (١٩) ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكَلِيِّينَ ﴾ (٢٠) ﴿ وَإِنَّا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُزَكِّىَ بِهَا فُسُوقَكُمْ ﴾ (٢١) ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (٢٢)

بذكر تعالى نعمه على عبده التي لا تعد ولا تحصى في إنزاله القطر من السماء بقدر ،

أي بحسب الحاجة . لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران . ولا قليلاً فلا يكفي الزرع بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع .

وقوله تعالى : ﴿ فأسكنناه في الأرض ﴾ أي جعلنا المطر يخلد في الأرض ، وجعلنا فيها قابلية له وتشربه ويتعدى به ما فيها من الحب والنوى . وقوله تعالى : ﴿ وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ أي لو شئنا ان لا تمطر لفعلنا . ولو شئنا أذى لصرفناه عنكم إلى السباخ والبراري لفعلنا . لو شئنا لجلعناه أجاجاً لا ينتفع به لشرب أو سقي لفعلنا ، ولو شئنا أن لا ينزل في الأرض . أو يغور إلى مدى لا تصلون اليه ولا تنتفعون به لفعلنا ، ولكن بلفظه تعالى أنزله عذباً فراتاً وأسكنه وأسلكه في الأرض منه تسقون وتشربون وتغتسلون وتطهرون فله الحمد والمنة .

وقوله تعالى : ﴿ فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب ﴾ وهذا ما كان يألفه أهل الحجاز ﴿ لكم فيها فواكه كثيرة ﴾ أي من جميع الثمار ﴿ ومنها تأكلون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ﴾ أي من جبل الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام والشجرة هي شجرة الزيتون ﴿ تنبت بالدهن ﴾ أي تنبت الدهن أي الزيت ﴿ وصيغ للآكلين ﴾ أي آدم للآكلين أي فيها ما ينتفعون به من الدهن كما روى الإمام أحمد عن أبي أسيد واسمه مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٦٥ [ كلوا الزيت وادهنوا به . فإنه من شجرة مباركة ] .

وقوله تعالى : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعل الفلك تحملون ﴾ . يذكر تعالى ما جعل لخلق في الأنعام من المنافع من شرب ألبانها وأكل حملاتها . ولبس صوفها وأوبارها وأشعارها . وركوب ظهورها ، وتحميلها الأحمال الثقيل إلى البلاد النائية . كما قال تعالى : ﴿ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ . - وكما أنه امتنَّ على عباده بما خلق لهم من الأنعام التي تحملهم إلى بلاد نائية في البر فكذلك ذكر رأفته ورحمته بهم أنه يسر لهم السفن البحرية كذلك تنقلهم في عرض البحار إلى بلاد نائية <sup>(١)</sup> . - .

• - : ما بين الخطين المعترضين من كلامي لا كلام المفسر رحمه الله فقد أمهل تفسيره « وعل الفلك تحملون »

(١) قلت : وكذلك فقد هيا لبياده ويسر ركوب الهواء في الفلك الهوائية ( العيارات التي تقطع مسافات الأشهر البعيدة بساعات قليلة ) وذلك من سنه وكرمه .

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ فَقَالَ الْعَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴾ (٢٤) ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٢٥) ﴿

ينبهر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه إلى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد وانتقامه ممن أشرك به وكذب رسله ﴿ فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ ألا تخافون من الله في إشرارككم به فقال مادة قومه : ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ أي يرفع عليكم بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحى إليه من دونكم ﴿ ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ أي لو أراد أن يبعث نبياً لبعث ملكاً ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾ أي ببعثة البشر في آبائنا الأولين . إن هو إلا رجل به جنّة ﴾ أي مجنون يزعم أن الله اختصه بالنبوة ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ أصبروا عليه حتى يموت ، فستربحوا منه .

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٢٧﴾ وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ﴿٢٨﴾ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴿٢٩﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَمْتًا وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٢﴾ ﴿

استنصر نوح ربه تعالى كما قال تعالى : ﴿ فدعنا ربه أي مغلوب فاتنصر ﴾ وقال

ها هنا : ﴿ رب انصرفي بما كذبتون ﴾ عندها أمره تعالى بصنع السمينة واتقانها وان يحمل فيها من كل زوجين اثنين أي ذكراً وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والشعاب وغير ذلك وأن يحمل فيها أهله ﴿ إلا من سبق عليه القول منهم ﴾ أي وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كابنه وزوجته ، أما الذين آمنوا به فهم أهله .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرفون ﴾ أي لا تأخذنك رافة . يقومك الذين لم يؤمنوا بعدما بلغوا فقد قضيت أنهم مغرفون على ما هم عليه من الكفر والطغيان وقد تقدمت القصة مبسوطاً في سورة هود بما أغنى عن إعادة ذلك هنا .  
وقوله تعالى : ﴿ فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ... وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ - أي فكما أنه تعالى من عليه وقومه بالنجاة من الغرق وحمد الله أن نجاهم من قومه وأغرقهم كذلك علمه الله تعالى ان يدعو ﴿ وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ - وقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ أي إن في هذا الصنيع من إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين آيات أي لحججاً ودلالات واضحة على صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى ، وأنه تعالى فاعل لما يشاء ، قادر على كل شيء عليم بكل شيء ، وقوله تعالى : ﴿ وإن كنا لمبتلين ﴾ أي لمختبرين للعباد بإرسال المرسلين .

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (٢١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ (٢٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ بِمَا تَشْرَبُونَ ﴿ (٢٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَافِرُونَ ﴿ (٢٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا



أَنْكُمْ تُخْرِجُونَ ﴿٢٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّ  
 هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ  
 هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾  
 قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ  
 نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا  
 لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرناً آخرين قيل هم عاد فأنهم كانوا مستخلفين  
 بعدهم وقيل : ثمود لقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ﴾ وانه تعالى أرسل فيهم  
 رسولا منهم دعاهم إلى توحيدِهِ فكذبوه لأنه بشر مثلهم ، وأنكروا الآخرة والبعث  
 الجنائي وقالوا : ﴿ أبعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات  
 هيهات لما توعدون ﴾ أي بعيداً جداً وقوع ذلك ﴿ ان هو إلا رجل افترى على الله كذباً ﴾  
 أي فيما جاءكم به من الرسالة والندارة والإخبار بالمعاد ﴿ وما نحن له بمؤمنين . قال  
 رب انصُرني بما كذبون ﴾ أي استنصر الرسول ربه عليهم ﴿ قال عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ  
 نَادِمِينَ ﴾ بتكذيبهم لك ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ﴾ أي استحققوا ذلك من الله بما كفروا  
 وطفوا ، والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة وريح صرصر عاصفة باردة ﴿ فجعلناهم  
 غُثَاءً ﴾ أي صرعى هلكى كغثاء السيل ﴿ فبعداً للقوم الظالمين ﴾ أنفسهم بكفرهم  
 وتكذيبهم رسولهم ، فليحذر الذين نزل عليهم هذا القرآن وسعوه أن يكذبوا رسولهم  
 كيلا يحل بهم ما حل بأولئك ويتذكروا فتضعهم الذكري .

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ

أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرَا كَلِمًا جَاءَ  
 أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا  
 لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى : ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ﴾ أي أمماً وخلقت ﴿ ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ بل يؤخذون حسب تقديره تعالى وعلمه خلقاً بعد سلف ﴿ ثم أرسلنا رسلاً تترى ﴾ أي تتتابع ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه ﴾ يعني جمهورهم كقوله تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فأتبعنا بعضهم بعضاً ﴾ أي أهلكتهم ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ أي أخباراً وعبرة للناس . كقوله تعالى : ﴿ فجعلناهم أحاديث ومرزقاهم كل ممزق ﴾ .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤٥)  
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتَّكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿ (٤٦) فَقَالُوا  
أَنْزِمْنِي لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا  
فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿ (٤٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ  
يَهْتَدُونَ ﴿ (٤٩)

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى وأخاه هارون عليهما السلام إلى فرعون وقومه ،  
بالآيات الباهرات والحجج الدامغات فاستكبروا عن اتباعهما لأنهما بشران كما قال الأمم  
قبلهم فتشابهت قلوبهم ، فأهلك الله فرعون وملاه ، وأغرقهم أجمعين في يوم واحد  
وأنزل على موسى التوراة ، فيها أحكامه وأوامره ونواهي ، وبعد أن أنزل الله التوراة  
لم يهلك الله أمة بعامه بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا  
موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم  
بذكورهم ﴾ .

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ  
قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٥٠)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام أنه جعلهما آية للناس أي  
حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم ، وخلق حواء

من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذات قرار ومعين ﴾ الربوة : المكان المرتفع من الأرض وهو أحسن ما يكون فيه النبات ، والمعين الماء الجاري وقيل أقوال شتى في تعيين هذا المكان ولكن بيت المقدس هو الأظهر والله أعلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٥١) وَإِن هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرُحُونَ ﴿ (٥٣) فَذَرَهُمْ فِي شَعَثِهِمْ حَتَّىٰ يَحِينِ ﴿ (٥٤) أَيُحِبُّونَ أَنَّمَا نُغِيظَهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ﴿ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ (٥٦)

يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال ، فدل على ان الحلال عون على العمل الصالح فقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذا أتم قيامهم ، فجزاهم الله عن العباد خيراً . قال الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ قال : أما والله ما أمركم بأصفركم ولا أحمركم ، ولا حلوكم ولا حامضكم ، ولكن قال : انتهوا إلى الحلال منه . وفي الصحيح : ٢٦٦ [ ان داود كان يأكل من كسب يده ] وفي الصحيح : ٢٦٧ [ « ما من نبي إلا رعى الغنم » قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال « نعم وأنا كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » ] .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٢٦٨ [ يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، يمدُّ يديه إلى السماء : يا رب يا رب فاني يستجاب لذلك ] ورواه الإمام أحمد واللفظ له .



وقوله تعالى : ﴿ وان هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة . وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولهذا قال : ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ يعني أن المقصود عبادة الله وحده لا شريك له بشرائح متنوعة لرسله . وان قوله تعالى : ﴿ أمة واحدة ﴾ منصوب على الحال وقوله تعالى : ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زُبْراً ﴾ أي الأمم التي بعثت إليهم الأنبياء ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أي بما هم فيه من الضلال لأنهم يحسبون أنهم مهتدون . ولهذا قال مهتدداً ومتوعداً : ﴿ فذرهم في غمرتهم ﴾ أي في غيهم وضلالهم ﴿ حتى حين ﴾ أي حين هلاكهم كما قال تعالى : ﴿ فمهمل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أبحسون إنما نعتهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ يعني أيقظ هؤلاء المغرورين أن عطاءنا لهم الكرامتهم علينا ؟ كلا ... فقد خاب رجاؤهم، بل هو استدراج وإملاء، ولهذا قال عز من قائل : ﴿ بل لا يشعرون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ... سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئهم ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلاّ من آمن وعمل صالحاً ... ﴾ الآية .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿ (٦١)

يقول تعالى : ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ أي خائفون من الله مع ما أحسنوا وآمنوا وعملوا من الصالحات ، ووجلون من مكروههم . قال الحسن البصري : ان المؤمن جمع إحساناً وشفقة . وان المنافق جمع إساءة وأمناً ﴿ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴾ أي يصدقون فأيقنوا أن ما كان فعن قدره وقضائه، وما شرعه من أوامر فمما يجبها ويرضاها، وما كان من نواه فمما يأبأها ويكرهاها ، وإن كان خيراً فهو حق . وقال سبحانه : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ أي لا يعبدون معه غيره في جميع أنواع العبادة ويعلمون أن لا معبود إلا هو .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ أي يعطون وهم حافظون أن لا يتقبل منهم خوفاً من قيامهم بالعطاء على غير الشروط المطلوبة وهذا من باب الإشفاق والاحتياط . كما روى الإمام أحمد عن عائشة أنها قالت : ٢٦٩ [ يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة : هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : « لا يا بنت أبي بكر ، لا يا بنت الصديق ، ولكنه للذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل » ] .

﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ فجعلهم من السابقين - نال الله تعالى أن يجمعنا منهم ومائر المسلمين -

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ • (٦٢) بل قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ • (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ • (٦٤) لَا تَجْتَرُوا يَوْمَ الْيَوْمِ إِنكُمْ مَنَا لَا تُنصَرُونَ • (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُكْمِضُونَ • (٦٦) مُتَكَبِّرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْتَجِرُونَ • (٦٧)

يخبر تعالى عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفساً إلا بما تطيق ويوم القيامة بحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ﴾ يعني كتاب الأعمال ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أي لا يخشون من الخير شيئاً ، أما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير من عباده المؤمنين ثم أنكر على المشركين من قريش ﴿ بل قلوبهم في غمرة ﴾ أي في غفلة ﴿ من هذا ﴾ أي القرآن وقوله تعالى : ﴿ وهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ﴾ أي لهم أعمال سيئة من دون شركهم لتحق عليهم كلمة العذاب .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ ﴾ يعني إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم إذا هم بصرخون ويستغيثون

﴿ لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ﴾ أي لا يجبركم أحد منا سواء استغفتم أو سكتم فلقد وجب العذاب : ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال عز من قائل : ﴿ قد كانت آياتي تنزل عليكم فكنتم على أعقابكم تكفون ﴾ أي إذا دعيت آيتهم ، وإذا طلبتم امتنعتم ، كما قال تعالى : ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرِك به تومنون فالحكم لله العلي الكبير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ مستكبرين به سامراً تهجرون ﴾ أي مستكبرين بعمارة البيت وبكونه هم أهله . يسمرون فيه بذكر القرآن بالهجر من الكلام : إنه سحر ، انه شعر ، إنه كهانة وبذكر النبي محمد ﷺ بالهجر من الكلام أيضاً : بأنه شاعر ، أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون فكل ذلك باطل . بل هو عبد الله ورسوله الذي أظهره الله عليهم : وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء . فلا يعمر المشركون الحرم إلا بمثل هذا الكلام الخبيث وهذا ولا شك ليس إعصاراً بل هدماً وهجرأ له والعياذ بالله تعالى .

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿ (٧٠) وَلَوْ آتَيْعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنْتِنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرُوجًا فَقَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿ (٧٢) وَإِنْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّا كِيدُونَ ﴿ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَفَفْنَا مَا يِهِم مِّنْ ضَرٍّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿ (٧٥)

ينكر تعالى على المشركين عدم تفهيمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له ، وإعراضهم عنه . رغم أنهم قد تحسوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسله أكل منه ولا أشرف . فكان الملائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم ، بالقيام بشكرها وتفهمها

والعمل بمقتضاها دائماً ، كما فعله النجباء منهم . فمن أسلم وأتبع رسول الله ﷺ ورضي عنهم ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ إذا والله لوجدوا في القرآن زاجراً عن المعصية لو تدبروه ولكنهم تركوه فهلكوا . ثم أنكر الله على كفار قريش : ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾ أفهم لا يعرفون محمداً وصدقته وأمانته وشهدوا له بذلك في الجاهلية والإسلام .

وقرله تعالى : ﴿ أم يقولون به رجفة ﴾ يحكي قول المشركين عن النبي ﷺ أنه تقوّن القرآن وافتراه ، أو أن به جنوناً وهم يعلمون بطلان ما يقولونه وقد تحداهم الله وأهل الأرض أن يأتوا بمثله إن استطاعوا ولن يستطيعوا أبد الأبدن . ولهذا قال تعالى : ﴿ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ﴾ قال قتادة :

ذكر لنا ٢٧٠ [ إن النبي ﷺ لقي رجلاً فقال له : « أسلم » فقال الرجل : إنك لتدعوني إلى أمر أنا له كاره فقال نبي الله ﷺ ، وإن كنت كارهها » [ مرسل .

وقوله ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ أي لو أجابهم الله تعالى إلى ما في أنفسهم من الهوى ، وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السموات والأرض ومن فيهن لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من اتقربين عظيم ﴾ وإنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس ولهذا قال تعالى : ﴿ بل أتيناهم بذكرهم ﴾ أي القرآن ﴿ فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أم تأثمم خرجاً ﴾ أي أجراً وجعلاً ﴿ فخرج ربك خير ﴾ كقوله تعالى : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا على رب العالمين ﴾ .

وقرله تعالى : ﴿ وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم . وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لتاكيون ﴾ أي لتخرفون زائغون . وقوله تعالى : ﴿ ولو رحمتاهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ﴾ يغير تعالى عن غلظتهم في كفرهم وعنادهم وطيغيانهم كما قال تعالى : ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسعهم ولو أسمعهم لتولتوا وهم معرضون ﴾ فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا

يَتَضَرَّعُونَ ﴿ (٧٦) حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ

إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسُوتُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ  
وَالْأَفْتِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي  
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمَيِّتُ وَلَهُ  
اِخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ  
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا  
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا  
إِلَّا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾ أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد :  
﴿ فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ أي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر  
والمخالفة بل استمروا على غيبتهم وضلالهم وما خشعوا وما دعوا متضرعين إليه تعالى  
كما قال سبحانه : ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم ﴾ الآية . قال  
ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال ٢٧١ [ جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال :  
يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز - يعني الوبر والدم - فأنزل الله : ﴿ ولقد  
أخذناهم بالعذاب فما استكانوا ﴾ وأصله في الصحيحين : ٢٧٢ [ ان رسول الله ﷺ  
دعا على قريش حين استعصوا فقال : « اللهم أعني عليهم بسبع كسج يوسف » ] .

وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبسوتون ﴾ أي  
حتى إذا جاءهم أمر الله بقيام القيامة بفتنة ، فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحسبون  
فعدت ذلك أبطوا من كل خير ويشوا من كل راحة ثم ذكر تعالى نعمه على عباده بأن  
جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة . وهي العقول والفهوم التي يذكرون بها الأشياء  
ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانيته تعالى وأنه الفاعل المختار لما يشاء .

وقوله تعالى : ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ « أي ما أقل شكركم لله على ما أنعم به  
عليكم كقوله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس لو حرصت بمؤمنين ﴾ ثم أخبر تعالى عن قدرته  
العظيمة وسلطانه القاهر في خلقه هذه الكائنات بما فيها من المخلوقات البشرية الذين  
أنشأهم الله في كافة أقطار الأرض ، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ، ثم يوم القيامة

يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم يعيدهم كما بدأهم. وهذا قال : ﴿ وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾ أي أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم الذي خضع له كل شيء . ثم قال مخبراً عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين : ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون ، قالوا ، إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ﴾ يعني يستعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ يعنون المعاد محال . إنما يخبرها من تلقاها عن كتب الأولين ، واختلافهم . وهذا إنكار وتكذيب منهم للبعث ، وهذا كقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾

﴿ قُلْ لَئِنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٨٧) قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكَوَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَيُمِيتُهُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴾ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٩٠)

يقرر الله تعالى وحدانيته، وانفرادة بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له . ولهذا قال لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها ، إنما أشركوا معه في الإلهية فعبدوا معه غيره مع اعترافهم أن الذين عبدوهم عبادة له لا يملكون معه شيئاً ، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إلى الله زلفى كما أخبر تعالى . وقوله تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ﴾ أي من خلقها ومن عليها وسائر المخلوقات ﴿ سيقولون لله ﴾ أي يعترفون بأن الخلق كله لله ﴿ قل أفلا تذكرون ﴾ أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾

أي من خالق العالم العلوي ومن هو رب العرش العظيم . والعرش هو سقف المخلوقات ، كما جاء في الحديث الذي رواه ابو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : [ ٢٧٣ ... شأن الله أعظم من ذلك إن عرشه على سمواته هكذا » وأشار بيده مثل القبة ] وفي الحديث الآخر [ ٢٧٤ ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة مطاة بأرض فلاة وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كذلك الحلقة في تلك الفلاة ] . و ﴿ العظيم ﴾ أي الكبير . وقوله تعالى : ﴿ سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴾ وإذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في إشراككم معه غيره ؟ وقوله تعالى : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء ﴾ أي بيده الملك ﴿ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ﴾ كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأحار أحداً لا يخفر جواره وليس لمن دونه أن يجير عليه لثلاث إفتات عليه ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وهو يجير ولا يجار عليه ﴾ أي هو السيد العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والأمر لا معقب حكمه . الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقال الله تعالى : ﴿ سيقولون لله ﴾ أي سيعترفون أنه تعالى هو السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه لا شريك له . ﴿ قل فأني أشركون ﴾ أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم بكل ما له من صفات علي .

ثم قال تعالى : ﴿ بل أتيناهم باحق ﴾ وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله ، وأقمنا الأدلة الغاططة على ذلك ﴿ وإنيهم لكاذبون ﴾ أي في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك كما قال في آخر السورة ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ فإشركون لا يشركون عن حجة ودليل إنما تقليداً لأبائهم الجهال . كما قال الله عنهم ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ونحن على آثارهم مقتدون ﴾ .

﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ (٩٢) ﴿

بيّره الله تعالى نفسه عن الولد والشريك في الربوبية والعبادة فقال عز من قائل : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض ﴾ أي لو فرض تعدد الآفة لانفرد كل إله بما خلق فما كان ينتظم الوجود .

والمسند أن الوجود في غاية الانظام ، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر ومخالفته فيعلو بعض على بعض ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ أي عما يصفه الظالمون المعتدون بالولد أو الشريك علواً كبيراً ، ﴿ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ أي تتره وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون .

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ (٩٣) ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٩٤) ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴾ (٩٥) ﴿ أَذْفَعُ بِإِلَهِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (٩٦) ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ (٩٧) ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ (٩٨) ﴿

يأمر الله نبيه محمداً ﷺ ان يدعو بهذا الدعاء عند حلول النقم : ﴿ رب إماما تريني ما يوعدون ﴾ أي إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك ، فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وصححه : ٢٧٥ [ وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون ] وقوله تعالى : ﴿ وإنا على أن نريك ما تعدهم لقادرون ﴾ أي لو شئنا لأريك ما تحمل بهم من النقم ثم قال تعالى مرشداً إلى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الإحسان إلى من يسيء إليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة فقال تعالى : ﴿ إدفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾ وهذا كما قال تعالى : ﴿ إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ... ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ﴾ لما أمره بدفع الناس بالتي هي أحسن ، أمره تعالى أن يستعيذ به تعالى من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم وسيلة بالتي هي أحسن ولا يتفاد الشياطين بالمعروف فلا يدفع كيدهم إلا الله تعالى : وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله ﷺ كان يقول : ٢٧٦ [ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ] وقوله تعالى : ﴿ وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ أي في شيء من أمري ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور وذلك لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والذبح وغير ذلك من الأمور . ولهذا روى أبو داود : ٢٧٧ [ ان رسول الله ﷺ كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهدم ومن الغرق وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ] .



﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ (٩٩)  
 لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ  
 بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو الفرطين في أمر الله تعالى ،  
 وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ولهذا  
 قال : ﴿ رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلاً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يوم  
 يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء  
 فيشفعونا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾ وسؤال الرجعة بألونه في عدة مواطن :  
 عند الاحتضار ، ويوم النشور ، ووقت العرض على الجبار ، وحين يعرضون على النار ،  
 وهم في غمرات عذاب الجحيم ، كما تخبر بذلك الآيات الكريمة .

ولكن الله تعالى يقول : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ كلاً حرف ردع وزجر أي لا  
 نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ كان يقول  
 العلاء بن زياد بقول : ليتلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله ،  
 فليعمل بطاعة الله تعالى . وقال قتادة : والله ما تمى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله ،  
 فانظروا أمانة الكافر المفرط فاعملوا بها ، ولا قوة إلا بالله .

وقال ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من  
 أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سوداء أودهم ، حية عند رأسه ، وحية عند  
 رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى ﴿ ومن  
 ورأسهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ قال مجاهد : البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة  
 وفي قوله تعالى : ﴿ ومن ورأسهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ تهديد للمؤلفاء المحتضرين من  
 الظلمة بعذاب البرزخ ، كما قال تعالى : ﴿ ومن ورأسهم جهنم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومن  
 ورأسهم عذاب غليظ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾ أي يستمر به العذاب إلى يوم  
 البعث : كما جاء في الحديث ٢٧٨ [ فلا يزال مطذباً فيها ] أي في الأرض (١) .

(١) قلت : إن قوله تعالى : « ومن ورأسهم برزخ إلى يوم يبعثون » عدا عما يفهم منه أن وراء الكفار  
 أو المعاصين عذاب البرزخ، فكذلك يفهم أيضاً أن البرزخ من حيث كون معناه (حاجزاً) بين الدنيا -

﴿ فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (١٠١) ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُظْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ ﴾ (١٠٣) ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (١٠٤) ﴿

يُخبر تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور من القبور ﴿ فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون ﴾ أي لا تتفع الأنساب يومئذ حتى ولا ينظر والد لولده وهو يبصره ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة قال الله تعالى : ﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وقال ابن معبود رضي الله عنه : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه قال فيشرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً ومصداق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ رواه ابن أبي حاتم . روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : ٢٧٩ [ سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر : « ما نال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه ؟ بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيتها الناس فرط لكم إذا جئتم قال رجل : يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول لهم : أما النيب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري » ] وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُظْلِمُونَ ﴾ أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة قاله ابن عباس ﴿ فأولئك هم المظلمون ﴾ أي الذين فازوا فنجوا من النار وادخلوا الجنة ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ أي رجحت سيئاته على حسناته . ﴿ فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ أي خابروا وهلكوا وباءوا بالصفقة الخاسرة ﴿ في جهنم خالدين ﴾ أي دائمون فلا يظعنون ﴿ تلفح وجوههم النار ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين

- والآخرة هو حاجز بين أهل الدنيا وأهل القبور ولا يجوز أن يلتقي هؤلاء هؤلاء إلى يوم القيامة بمعنى أنه لا رجعة للأموات إلى الدنيا فإذا فهم هذا من كلام الله تعالى ، فينتهي أن يستطيع أحد من الأموات أن يحدث أحدًا استغاثه من أهل الدنيا كما يدعي المشركون وأهل الخرافات ، لأن الاستغاثه بذير الله تعالى شرك والعبادة بالله تعالى وإن العودة مستحيلة بنفس هذه الآية .

لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴿ روى ابن مردويه عن أبي اللرداء رضي الله عنه قال : ٢٨٠ [ قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ تفتح وجوههم النار ﴾ قال : تفتحهم لفتح نيل لحوهم على أعقابهم ] وقوله تعالى : ﴿ وهم فيها كالحون ﴾ روى الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : ﴿ وهم فيها كالحون ﴾ ٢٨١ قال تشويه النار فخلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتشرخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته ] .

﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (١٠٥)

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿ (١٠٦) رَبَّنَا

أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿ (١٠٧) ﴿

هذا توبيخ من الله لأهل الكفر والمآثم فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ أي قد أرسلت إليكم الرسل ، وأزلت إليكم الكتب ، وأزلت شبهكم، ولم يبق لكم حجة كما قال تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ولهذا قالوا : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ أي قد قامت علينا الحجة ، ولكن كنا أشقى من أن نقاد لها ونسبها ، فضلنا عنها ولم ندرزقها ثم قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ أي أردنا إلى الدنيا فإن عدنا إلى ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة . كما قال تعالى : ﴿ فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل - إلى قوله تعالى - فالحكم لله العلي الكبير ﴾ أي لا سبيل إلى الخروج لأنكم قوم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون .

﴿ قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ (١٠٨) ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ

مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَبِيرُ

الرَّاحِمِينَ ﴿ (١٠٩) ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ يُسْحَرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ

مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿ (١١٠) ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ

الْفَائِزُونَ ﴿ (١١١) ﴿

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار .  
 يقول تعالى : ﴿ إحصأوا فيها ﴾ أي امكثوا فيها صاغرين مهانين اذلاء ﴿ ولا تكلمون ﴾ أي لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي . قال عبد الله بن عمرو : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة مما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم . قال : فشبهت أصواتهم بأصوات الحميم أولها زفير وآخرها شهيق ، رواه ابن أبي حاتم وروى أيضاً عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ إحصأوا فيها ولا تكلمون ﴾ قال : ... فإذا قال ذلك أطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم أحد . ثم قال تعالى مذكراً لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعبادة المؤمنين وأوليائه . فقال تعالى : ﴿ إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمننا فاعفّر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخرياً ﴾ أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ : ﴿ حتى أنسركم ذكري ﴾ أي حملكم بغضهم على أن أنسى معاملتي ﴿ وكنتم منهم تضحكون ﴾ أي من صنعهم وعبادتهم . كما قال تعالى : ﴿ إن الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ أي يلتمزونهم استهزاءً ثم أخبر تعالى عما جازى به أوليائه وعباده الصالحين ، فقال تعالى : ﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾ أي جزيتهم الجنة ، ونجيتهم من النار بما صبروا على أذاكم فم واستهزائكم بهم .

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ (١١٢) قَالُوا

لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا

لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ

إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ ﴿ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ (١١٦) ﴿

يبته تعال هؤلاء على ما أضعوه من طاعة الله تعالى في عمرهم القصير في الدنيا وعبادته وحده لا شريك له . ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لغازوا كما فاز أوليائه المقنون ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ أي كم كانت إقامتكم في الدنيا ﴿ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين ﴾ أي الحاسبين ﴿ قال إن لبثتم إلا قليلاً ﴾ أي مدة يسيرة على كل تقدير ﴿ لو أنكم كنتم تعلمون ﴾ لما آتاكم الفاني على الباقي ولما تصرفتم

هذا التصرف السيء ولا استحقاقهم من الله سخطه في تلك المدة البسيرة . روى ابن أبي حاتم عن أبيه بن عبد الكلاعي بخطب الناس فقال : قال رسول الله ﷺ [ ٢٨٢ ] إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، قال : يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم - قال - لنعم ما أنجرتكم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ثم قال : يا أهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فيقول بئس ما أنجرتكم في يوم أو بعض يوم ، ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين [ وقوله تعالى : ﴿ أفحسبم أننا خلقناكم عبثاً ﴾ أي أظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا . وقيل في تفسيرها : أي للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب ، وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ﴾ وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ أي لا تعودون في الدار الآخرة . كما قال تعالى : ﴿ أيعب الإنسان أن يترك سدى ﴾ يعني هملًا .

روى أبو نعيم عن إبراهيم بن الحارث قال : [ ٢٨٣ ] بعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا : ﴿ أفحسبم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ قال : فقرأناها فغنمنا وسلمنا ] .

﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي تقدس وتنزه عن أن يخلق شيئاً عبثاً فإنه الملك الحق المتزه عن العبث ﴿ لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم أي حسن المنظر جمي الشكل .

روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : [ ٢٨٤ ] أمان أمي من الغرق إذا ركبوا السفينة باسم الله الملك الحق . وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه . سبحانه وتعالى عما يشركون ، باسم الله مجراها ومرساها . إن ربِّي لغفورٌ رحيم ] .

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ أَعْتِدْ وَأَرْحَمُ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١١٨)

يتوعد الله من أشرك به غيره ، وعبد معه سواه ويخبر ان من أشرك بالله بلا برهان له على قوله فقال عز من قائل : ﴿ ومن يدع مع الله إيطاً آخر لا برهان له به ﴾ وهذه جملة معترضة ، وجواب الشرط في قوله تعالى : ﴿ فإنما حسابه عند ربه ﴾ أي والله يحاسبه على ذلك ، ثم أخير : ﴿ إنه لا يفلح الكافرون ﴾ أي لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاح ولا نجاة .

قال قتادة : ٢٨٥ [ ذكر لنا ان نبي الله ﷺ قال لرجل : ما تعبد قال : أعبد الله ، وكذا وكذا حتى عدّ أصناماً ؛ فقال رسول الله ﷺ : « فأبيهم إذا أصابك ضرّ فدعوتهم كشفه عنك ؟ » قال : الله عز وجل . قال : « فأبيهم إذا كانت لك حاجة فدعوتهم فأعطاكها » قال : الله عز وجل ، قال : « فما يملكك على أن تعبد هؤلاء معاً أم حسبت أن تغلب عليهم ؟ » قال : أردت أن أشكره بعبادة هؤلاء معه ؛ فقال رسول الله ﷺ : « تعلمون ولا تعلمون » فقال الرجل بعدما أسلم : لقيت رجلاً نحصني [ هذا مرسل من هذا الوجه وقد روى أبو عيسى الترمذي في جامعه مسنداً عن عمران بن الحصين عن أبيه عن رسول الله ﷺ نحو ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء فالغفر إذا أطلق معناه نحو الذنب وسره عن الناس ، والرحمة معناها أن يسده ويوفقه في الأقوال والأفعال .

آخر اختصار تفسير سورة المؤمنون والله الحمد والمنّة

## (٢٤) سُورَةُ النُّورِ مَدَنِيَّةٌ وَأَنبَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَيِّئُونَ

نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سورة أنزلناها وقرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ (١) الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿سورة أنزلناها﴾ أي هذه السورة أنزلناها ، فيه تشبيه على الاعتناء بها ، ولا يفي هذا الاعتناء عما عداها من السور ﴿وقرضناها﴾ أي بينا الحلال والحرام والأمر والنهي والحدود . ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أي مفسرات وأصحات ﴿لعلكم تذكرون﴾ ثم قال : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ يعني هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد . وللعلماء فيه تفصيل ونزاع ، فإن الزاني إما أن يكون بكراً أي غير متزوج فجلده مائة جلدة كما في الآية ... وتغريب عام عن بلده عند جمهور العلماء خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله لأن التغريب أو عدمه متروك لرأي الإمام عند أبي حنيفة ، على أن حجة الجمهور وهو ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة : وزيد بن خالد الجهني في الأعرابييين الذين أنبا رسول الله ﷺ فقال أحدهما : ٢٨٦ [ يا رسول الله إن ابني هذا كان عسيماً - يعني أجبوراً - على هذا فرأى بامرأته فاضتبت ابني منه بمائة شاة ووليدة . سألت أهل العلم فأخبروني أن علي ابني جلد مائة وتغريب عام وإن علي امرأة هذا الرجم . فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده

لأقضي بينكما بكتاب الله تعالى . الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنتك مائة جلدة وتغريب عام ، واغد يا أنيس - لرجل بن أسلم - إله امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها [ فغدا إليها فاعترفت فرجمها . وفي هذا أدلة على تغريب الزاني مع جلده مائة إذا كان بكراً لم يتزوج . فأما إذا كان محصناً ، وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرّ بالغ عاقل فإنه يرجم . كما روى مالك رحمه الله عن عمر بن الخطاب : ٢٨٧ ] انه قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمد ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى أن يطول بالناس زمان ان يقول قائل لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيصّلوا بترك فريضة قد أنزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال ومن النساء إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف ] أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك مطولاً وقد اقتطفنا منه ما ثبت به مقصودنا هنا .

روى الحافظ ابو يعلى المرصلي عن كثير بن الصلت قال : ٢٨٨ ] كنا عند مروان وفينا زيد ، فقال زيد بن ثابت ، كنا نقرأ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، قال مروان : ألا كتبها في المصحف ؟ قال : ذكرنا ذلك وفينا عمر بن الخطاب ، فقال : أنا أشفيكم من ذلك قال : قلنا فكيف ؟ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ : قال فذكر كذا وكذا وذكر الرجم ، فقال يا رسول الله اكتب لي آية الرجم ، قال : « لا أستطيع الآن » [ هذا أو نحو ذلك وقد رواه النسائي وقد روينا طرقاً متعددة متعاضدة ودالة على أن آية الرجم كانت مكتوبة ، فسخ تلاوتها . وبقي حكمها معمولاً به ، والله أعلم .

وقد روي الجمع على الزاني المحصن بين الجلد مائة للآية والرجم للسنة وذلك من رواية أهل السنن الأربعة ومسلم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٨٩ ] خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام . والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ] . على ان رسول الله ﷺ ، أمر بـرجم المرأة التي زنى بها العفيف ورجم ماعزاً والغامدية ولم ينقل عنه ﷺ أنه جلدهم قبل الرجم (١) .

(١) قلت : لعل حديث الجمع بين الجلد والرجم للحصن منسوخ بدليل أنه صل الله عليه وسلم لم يعقبه لأن قوله صل الله عليه وسلم « لقد جعل الله لهن سبيلاً » فهذه قائلها لما كان جزءاً انزائية الإمساك في البيوت حتى يتوفاهن انه أو يجعل الله لهن سبيلاً كما في سورة النساء الآية ١٥ / وهكذا يتضح ان الحديث جاء بعد هذه الآية لقوله صل الله عليه وسلم قد جعل الله لهن سبيلاً » فظهر ان الحديث متقدم على تطبيقه الرجم من -



وانما وردت الأحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والألفاظ ، بالاعتصار على رجمهم وليس فيها ذكر الجلد . وقوله تعالى : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ أي في حكم الله أي لا ترأفوا بهما في شرع الله أي الرأفة التي تجعل الحاكم على ترك الحد . وفي الحديث ٢٩٠ : [ لحدٌ يقام في الأرض غير لأهلها من أن يمتطروا اربعين صباحاً ] وقال ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن جارية لابن عمر زنت فضرب رجلها ، قال نافع : أراه قال وظهرها قال قلت : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ قال : يا بني رأيتني أخذتني بها رأفة ان الله لم يأمرني أن اقتلها ، ولا أن اجعل جلدها في رأسها ، وقد أوجعت حين ضربتها . وقوله تعالى : ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ أي فافعلوا ذلك وأقيموا الحدود على من زنى وشددوا عليه الضرب ، ولكن ليس مبرحاً ، ليرتدع هو ومن يصنع مثله ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ يعني علانية بحضور الناس وذلك أبلغ في زجرهما وأنتج في ردعهما وان في ذلك تقريباً وتوبيخاً وفضيحة إذا كان الناس حضوراً ، وقيل : ليس ذلك للفضيحة انما ذلك ليدعى الله تعالى لهما بالتوبة والرحمة .<sup>(١)</sup>

﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا

إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

هذا خبر الله تعالى بأن الزاني لا يظأ إلا زانية أو مشركة أي لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية ، أو مشركة لا ترى حرمة ذلك وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك ﴿ أي زان عاص بزناه أو مشرك لا يعتقد تحريمه قال سفيان الثوري عن ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ قال : ليس هذا بنكاح إنما هو الجماع ، لا يزني بها إلا زانٍ أو مشرك ، وهذا اسناد صحيح عنه وكذلك روي عن جماعة من التابعين .

وقوله تعالى : ﴿ وحرّم ذلك على المؤمنين ﴾ أي تعاطيه والتزوج بالبغايا ، أو تزويج

= المرأة التي زنى بها العفيف ويحق ما عجز والغامضية وعن قوله أنيس « أهد إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجعها » لهذا كله فمن المحتمل بل من الأرجح أن يكون حديث الجمع بين الجلد والرجم للمحسن منسوخاً وذلك كان هذا مذهب جمهور العلماء وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله ، أما أحمد فنسخه الجمع ، للحديث المتقدم بالجمع .

(١) قلت : والسلف والاعتبار لأن الحد أنقض لمجرم ، وإظهاراً لحكم الله ، وإعزازاً للشرع وأهله .

العفاف بالرجال الفجار ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ محصنات غير مسافحات ولا مستخذات أحدان ﴾ وقوله ﴿ محصنين غير مسافحين ولا مستخذي أحدان ﴾ الآية ، ولذا فعند أحمد لا يصح عقد الرجل العفيف على المرأة البقي ما دامت كذلك حتى تستاب ، فإن تابت صحح العقد وإلا فلا ، وكذلك لا يصح تزويج المرأة العفيفة بالرجل الفاجر والمسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى : ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو ٢٩١ [ ان رجلاً من المؤمنين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت مسافح وتشرط له أن تنفق عليه ، قال فاستأذن رسول الله ﷺ أو ذكر له أمرها قال : فقرأ عليه رسول الله ﷺ : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ ] ورواه الترمذي والسائي قال الترمذي حسن غريب ورواه أبو داود .

روى ابن حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٢٩٢ [ لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله ] وهكذا أخرجه أبو داود في سننه .

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر ان رسول الله ﷺ قال : ٢٩٣ [ ثلاثة حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والذي يُقر في أهله الخبث ] .  
وأما إذا حصلت توبة فإنه يحلّ التزويج ، كما روى الإمام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله عن شعبة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس ومأله رجل فقال : ٢٩٤ [ إني كنت ألبأمرأة آتتني منها ما حرم الله عز وجل علي ، فرزق الله عز وجل من ذلك توبة فأردت أن أتزوجها ، فقال أناس : إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، فقال ابن عباس : ليس هذا من هذا ، [ إنكحها فما كان من أمم فعلي ] .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) [ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ] (٥)

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد الفاذف للمحصنة ، وهي الحرة البالغة

العفيفة ، فإذا كان المقدوف رجلاً كذلك يجلد قاذفه أيضاً ، وليس فيه نزاع بين العلماء فإن أقام القاذف بيته على صحة ما قاله درأ عنه الحد . ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ فأوجب على القاذف إذا لم يقم البيته على صحة ما قال ، ثلاثة أحكام : « أحدها ، أن يجلد ثمانين جلدة . » الثاني « أنه ترد شهادته أبداً . » الثالث « أن يكون فاسقاً ليس يعدل لا عند الله ولا عند الناس .

ثم قال تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ الآية واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط ، فترفع التوبة الفسق فقط، ويبقى مردود الشهادة دائماً وإن تاب ، أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة ؟ وأما الجلد فقد ذهب وانقضى سواء تاب أو أصر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف ، فذهب الأئمة الثلاثة إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته ، وارتفع عنه حكم الفسق ، ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضاً ، وقال الإمام أبو حنيفة إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط ، فيرتفع الفسق بالتوبة ، ويبقى مردود الشهادة أبداً ، ومن ذهب إليه من السلف القاضي شريح وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وغيرهم ، قال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وإن تاب إلا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان فحينئذ تقبل شهادته <sup>(١)</sup> والله أعلم .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ • (٦) وَالْعَامَّةُ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • (٧) وَيَذَرُوا عَنَّا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ • (٨) ﴾

(١) قلت : فيما يبدو والله أعلم أن تقرير الجمهور في قبول شهادته لا شك أنه أقرب إلى الصواب من قول أبي حنيفة برد شهادته أبداً لأن الاستثناء جاء عاماً والتخصيص يحتاج إلى دليل ثم لا يبقى سنى لقوله تعالى ... (إن الله غفور رحيم) فأين المفرة والرحمة أن يبقى مردود الشهادة أبداً...؟! وكيف يقر على نفسه بالبهتان وهو لم يبهت ولم يكذب وقد رأى الفعل عياناً فكيف ينوم نفسه بالبهتان وهو لم يبهت بل إذا قرأ على نفسه بالبهتان يكون قد كذب بالفعل على نفسه لأنه صادق برؤيته ولكنه اخطأ فكان عليه أن لا يدلي بشهادته قبل أن يدلي بها ثلاثة قُبته وإلا فالجلد جزاؤه هل تعريضه وهو العدل .

وَالْخَامِثَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ • (٩) وَلَوْلَا  
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ • (١٠) ﴿١٠﴾

في هذه الآية الكريمة فرج للأزواج ، وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتسر عليه إقامة البينة ، أن يلاعنها كما أمر الله عز وجل ، فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا ﴿ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾ عندها تبين منه بهذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وتحرم عليه أبدا ، ويعطيها مهرها وينوجه عليها حد الزنا ، ولا يدرأ عنها العذاب إلا أن تلاعن فتشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماها به ﴿ والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ وبدراً عنها العذاب ﴾ يعني الحد ، ﴿ ان تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ﴾ والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ فخصها بالغضب ، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجسم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور ، وهي تعلم صدقه فيما رماها به ، ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها ، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يجحد عنه . ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج ، من شدة ما يكون بهم من الضيق . فقال تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ أي يشق عليكم كثير من أموركم ﴿ وأن الله تواب ﴾ أي على عباده ، وان كان ذلك بعد الخلف والأيمان المغلظة ﴿ حكيم ﴾ فيما شرعه وأمر به . ونهى عنه وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة ، تقتصر منها على ما جاء في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وما رواه البخاري عن ابن عباس والنسائي في التفسير من حديث عبد الملك ابن أبي سليمان والامام أحمد عن سعيد بن جبير قال :

٢٩٥ [ سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما في إمارة ابن الزبير فما دريت ما أقول ، فقمت من مكاني إلى منزل ابن عمر فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، المتلاعنان أيفرق بينهما ؟ فقال : سبحان الله إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال : يا رسول الله أرايت الرجل يرى امرأته على فاحشة فلان تكلم تكلم بأمر عظيم ، وان سكنت سكنت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه ، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال : الذي سألتك عنه قد ابتليت به ]

فأنزل الله تعالى هذه الآيات في سورة النور : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ حتى بلغ ﴿ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ فبدأ بالرجل فوعظه وذكره ، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال : والذي بعثك بالحق ما كذبت ، ثم نثي بالمرأة فوعظها وذكرها ، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت المرأة : والذي بعثك بالحق إنه لكاذب . قال فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم نثي بالمرأة ، فشهدت أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ثم فرق بينهما [ رواه النسائي وأخرجاه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس .

روى البخاري عن ابن عباس : ٢٩٦ ] أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء ، فقال النبي ﷺ : « البينة أو حدٌّ في ظهرك » فقال يا رسول الله إذا أرى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي ﷺ يقول : « البينة أو حدٌّ في ظهرك » فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يرى ظهري من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ ... ان كان من الصادقين ﴾ فانصرف النبي ﷺ : فأرسل إليهما ، فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول : « ان الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ » ثم قامت فشهدت فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا : إنها موجبة ، قال ابن عباس : فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ، ثم قالت : لا أفصح قومي سائر اليوم فمضت ، فقال النبي ﷺ : « أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سايف الألبتين خدلج الساقين ، فهو لشريك بن سحماء » فجاءت به كذلك ، فقال النبي ﷺ : « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » [ انفرد به البخاري من هذا الوجه وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَجَاوَزُوا بِالْإِنْفِكِ عُصْبَةَ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١١)

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها وئيبه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله براءتها صيانةً لعرض الرسول ﷺ فقال تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ وكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزوه آخرون منهم ، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن ، وبيان ذلك في الأحاديث الصحيحة :

قال الإمام أحمد عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله تعالى ، وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً ، وقد وعيت عن كل رجل فهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً ، ذكروا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : ٢٩٧ [ كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لفرعٍ أقرعٍ بين نسائه ، فأبتهن خرج سهماً ، فخرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة رضي الله عنها : فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج فيها سهمي ، وخرجت مع رسول الله ﷺ ، وذلك بعدما نزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة ، آذن ليلةً بالرحيل فقممت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري ، فاذا عقدي من جذع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمت عقدي ، فحسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعير الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أنني فيه ، قالت : وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يتقلهن ولم يغسهن اللحم ، إنما يأكلن العلفه من الطعام ، فلم يستكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جاريةً حديثة السن ، فبعثوا الحمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فبعثت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون لي ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عياني فتممت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلى فاصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رأني وقد كان رأني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه

حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلابي ، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ، فوطيء على يدها فركبتها فانطلق يقودني الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في بحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمناها شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريني في وجهي أني لا أرى رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين اشكيتي ، وإنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول : « كيف تيكم ؟ » فذلك الذي يريني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نفقت . وخرجت معي أم مسطح قبيل المناصع وهو متبراً زناً . ولا تخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه في البرية وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأما ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن عبد المطلب ، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح ، قبيل بيبي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت قمر مسطح ، فقلت لها : بشما قلت تسبين رجلاً شهد بدرأ ؟ فقالت : أي هتاه ألم تسمعي ما قال ؟ قلت وماذا قال ؟ قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيبي دخل رسول الله ﷺ ، فلم ثم قال : « كيف تيكم ؟ » فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله ﷺ ، فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أمناه لماذا يتحدث الناس به ؟ فقالت : أي بنية هوني عليك ، فوالله لقدما كانت امرأة قط وضية عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها . قالت : فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بها ، فيكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا برقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي قالت : فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يألفها ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله والذي يعلم في نفسه لهم من النود ؛ فقال أسامة : يا رسول الله أهلك ولا تعلم إلا غيراً . وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله لم يضيئ الله عليك والنساء سواها كبير ، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر . قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : « أي بريرة هل رأيت من شيء يريك من عائشة ؟ » فقالت له بريرة ، والذي بعثك بالحق ان رأيت منها امرأة قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة

السن ، تنام عن عجبين أهلها فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي سلول قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : « يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني آذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً . وما كان يدخل على أهلي إلا معي » فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من أخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . قالت : فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عباد : كذبت لعمر الله لثقتلته ، فانك منافق تجادل عن المنافق ، فتاور الحيان : الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا ، وسكت رسول الله ﷺ قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فائق كبدي ، قالت : فينما هما جالمان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي ، فينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل... وقد لبث شهراً لا يرحى إليه في شأني شيء . قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ، ثم قال : « أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أئمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وثاب تاب الله عليه » قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقاله ، قلص دمعي حتى ما أحس منه فطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجبني عني رسول الله ﷺ . فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن والله لقد علمت ، لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أي بريئة لا تصدقوني ، ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أي منه بريئة لصدقني ، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : « ففصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا والله أعلم حينئذ أي بريئة وأن الله تعالى مبرئني ببرائتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحياً يتلى ، ولشأنني كان أحقر في



نفسى من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ ،  
 في النوم رؤيا يبرئني الله بها ، قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج  
 من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه : فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء  
 عند الوحي حتى انه لبث حدر منه مثل الحمام من العرق وهو في يوم شات من نقل القرون  
 الذي أنزل عليه . قالت : فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك ، فكان أول كلمة  
 تكلم بها ان قال : « أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك » قالت : فقالت لي  
 أمي : قومي إليه . فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل  
 براءتي . وأنزل الله تعالى عز وجل ﴿ ان الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ العشر  
 الآيات كلها . فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه وكان يفتق على  
 مسطح بن أثانة لعرايته منه وقره : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ،  
 فأنزل الله تعالى ﴿ ولا بأئله أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى - إلى قوله -  
 ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن  
 يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يفتق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .  
 قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري  
 فقال : يا زينب ماذا علمت ورأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمى سمي وبصري ،  
 والله ما علمت إلا خيراً . قالت عائشة : وهي التي كانت تسميني من أزواج النبي ﷺ  
 فعصمها الله بالورع . وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحاربها ، فهلكت فيمن هلك [   
 أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث الزهري .

روى الامام أحمد عن عائشة قالت : لما نزل عذري ٢٩٨ [ قام رسول الله ﷺ  
 فذكر ذلك ، وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم ] ورواه أهل  
 السنن الأربعة وقال الترمذي هذا حديث حسن : ووقع عند أبي داود تسميتهم : حان  
 بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، وحمنة بنت جحش .

فقوله تعالى : ﴿ ان الذين جاءوا بالإفك ﴾ أي الكذب والبهت والافتراء ﴿ عصبة ﴾  
 أي جماعة منكم ﴿ لا تحسوه شرأ لكم ﴾ أي يا آل أبي بكر ﴿ بل هو خير لكم ﴾ أي في  
 الدنيا والآخرة لان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة واطهار شرف لهم باعتهاء  
 الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم  
 ﴿ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ الآية ولهذا لما دخل عليها ابن عباس  
 رضي الله عنه وعنها وهي في سياق الموت ، قال لها : أبشري فانك زوجة رسول الله

عليه السلام . وكان يحبك ولم يتزوج بكراً غيرك ، ونزلت براءتك من السماء وعن محمد بن عبد الله بن جحش قال : تفاخرت عائشة وزينب رضي الله عنهما فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي من السماء ، وقالت عائشة : أنا التي نزل عذري في كتاب الله .

وقوله تعالى : ﴿ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ﴾ أي لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة : نصيب عظيم من العذاب ﴿ والذي تولى أكبره منهم ﴾ قيل ابتداء به . وقيل الذي كان يجمعه ويستوشبهه ، ويذيعه ويشيعه ﴿ له عذاب عظيم ﴾ أي على ذلك والمقصود بذلك هو عبد الله بن أبي بن سلول فبحه الله تعالى ولعنه .

﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٢) ﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١٣)

هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضي الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام سوء ، فقال تعالى : ﴿ لولا ﴾ يعني هلاً ﴿ إذ سمعتموه ﴾ أي كلام الإفك ﴿ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ أي قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم فإن كان لا يلقى بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى ، نزلت في أبي أيوب الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما فإن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها ؟ قال : نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت لا والله ما كنت لأفعله : قال : فعائشة والله خير منك فذلك قوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، وقالوا هذا إفك مبين ﴾ كما قال أبو أيوب وصاحبه .

قال الله تعالى : ﴿ لولا ﴾ أي هلاً ﴿ جاءوا عليه ﴾ أي على ما قالوه ﴿ بأربعة شهداء ﴾ يشهدون على صحة ما جاءوا به ﴿ فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ أي في حكم الله كاذبون فاجرون .

﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْيَتِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١٥)

يقول تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة ﴾ يا أيها الخائفون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وانايتكم اليه في الدنيا وخفاعتكم في الآخرة من أجل إيمانكم ، ولولا فضل الله عليكم بهذه التوبة وقبلها ﴿ لمسكم فيما أفضتم فيه ﴾ من قضية الإفك ﴿ عذاب عظيم ﴾ وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة ، كسطح وحنان ورحمة . فأما من خاض من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول واضرا به فليس أولئك المقصودين من هذه الآية ، لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا الفضل من الله تعالى على التائبين .

ثم قال تعالى : ﴿ إذ تلقونه بالستكم ﴾ أي برويه بعضكم عن بعض وفي صحيح البخاري عن عائشة أنها كانت تقرأها ﴿ إذ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّتِّكُمْ ﴾ وتقول : هو من ولق اللسان . يعني الكذب الذي يستمر صاحبه عليه ، تقول العرب : ولق فلان في السير إذا استمر فيه والقراءة الأولى : ﴿ إذ تَلَقَّوْنَهُ ... ﴾ أشهر وعليها الجمهور ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة قال ابن أبي حاتم عن ابن عمر عن عائشة أنها كانت تقرأ : ﴿ إذ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ قال ابن أبي مليكة : هي أعلم به من غيرها .

وقوله تعالى : ﴿ وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ﴾ أي تقولون ما لا تعلمون .

ثم قال تعالى : ﴿ وتحسبونه هيتاً وهو عند الله عظيم ﴾ أي تحسبون ذلك يسيراً سهلاً ولولم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيتاً ، فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ؟ فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل ، فإن الله سبحانه وتعالى يغار لهذا ، وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشاً وكلاً ، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء ولهذا قال تعالى : ﴿ وتحسبونه هيتاً وهو عند الله عظيم ﴾ وفي الصحيحين : ٢٩٩ [ إن الرجل ليتكلم

بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ ، يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والأرض [ وفي رواية : [ لا يلقى لها بالاً ] .

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٦) ﴿ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧) ﴿ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٨) ﴿

هذا تأديب آخر بعد الأول الأمر بظن الخير ، إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن المؤمنين فالأولى ينفي الظن بهم خيراً ، وإن علق بنفسه شيء ، فلا ينبغي أن يتكلم به لقوله ﷺ : [ إن الله تعالى تجاوز لآسني عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل ] أخرجاه في الصحيحين . وقال الله تعالى : ﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ﴾ ما ينبغي لنا أن نضوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله .

ثم قال تعالى : ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لعنائه أبدا ﴾ أي يتوعدكم الله أن يقع منكم مثل هذا في المستقبل ، ولهذا قال : ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ أي إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه ، وتعظمون رسوله ﷺ ، فأما من كان متصفاً بالكفر فله حكم آخر ؛ ثم قال تعالى : ﴿ ويبين الله لكم الآيات ﴾ أي يوضح لكم الأحكام الشرعية ، والمعكم القدرية ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي عليم بما يصلح عباده ، حكيم في شرعه وقدره .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٩) ﴿

هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئاً من الكلام السيء ، فلا يشيعه ولا يذيعه فقد قال تعالى : ﴿ إن الذين يجيبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾ أي يخنثون ظهور الكلام عنهم بالصيغ ﴿ لهم عذاب أليم في الدنيا ﴾ أي بالحد ، وفي الآخرة بالعذاب ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ أي فردوا الأمور إليه لترشدوا . روى الإمام أحمد عن

ثوبان عن النبي ﷺ قال : [ لا تزودوا عباد الله ولا تعيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته ] .

﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُورَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُورَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ (٢١) ﴾

يقول تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم ﴾ لولا ان قبل الله توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا لكان أمراً آخر ، ولكنه تعالى رؤوف بعباده فتأب على من تاب إليه . وظهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم عليهم ، ثم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أي سالكه وما يأمر به ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ هذا تفسير وتحذير بأفصح عبارة وأبلغها ﴿ خطوات الشيطان ﴾ كل معصية فهي من خطوات الشيطان .

ثم قال تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكيتكم من أحد أبداً ﴾ أي لولا أن رزقكم التوبة وزكيتكم نفوسكم من شركها لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيراً ﴿ ولكن الله يزكيتكم من يشاء ﴾ من خلقه ، ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغنى . وقوله تعالى : ﴿ والله سميع ﴾ أي لأقوال عباده ﴿ عليم ﴾ بمن يستحق منهم الهدى أو الضلال .

﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٢) ﴾

يقول تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِلْ ﴾ أي لا يحلف ﴿ أَوْلَى الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ أي أهل الصدقة ﴿ وَالسُّعَى ﴾ أي الفنى ﴿ أَنْ يُوْتُوا أَوْلَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي لا تحلفوا أن لا تصلوا قراباتيكم المساكين والمهاجرين . وهذا في غاية الرفق ، والعطف على الأرحام ، ولهذا قال تعالى ﴿ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ﴾ أي عمّا تقدّم منهم من الإساءة والأذى ، وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم ، وهذه الآيات نزلت في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا يرفع مسطح بن أثانة بنافعة أبداً بعدما قال عن عائشة ما قال ، كما تقدم في الحديث ، فلما نزلت براءة عائشة أم المؤمنين وطابت نفوس المؤمنين واستقرت ، وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيم عليه ، شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة ، يعطف الصديق على قريبه وابن خاله مسطح بن أثانة وكان مسكيناً لا مال له إلا ما يفتق عليه أبو بكر رضي الله عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد زلق وطب وضرب الحد عليها ومعروف أبو بكر بالمعروف والأبيادي على الأقارب والأجانب وسمع قوله تعالى : ﴿ أَلَا تَحْسَبُونَ أَنَّ يُعَذِّبُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ الآية فقال الصديق : بلى والله وإنا نحسب أن تعذب لنا يا ربنا، ثم أرجع إلى مسطح صلته وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. ولهذا كان صديقاً رضي الله عنه وعن بنته ، - فهي البريثة المبرأة الطاهرة ، وزوجة اشرف مخلوق في السموات والأرض - عصمها الله وسائر زوجاته عليهن السلام بعصمته من الزنا وكذلك زوجات وأمهات سائر الأنبياء والمرسلين وهذا من تمام عصمتهم عليهم الصلاة والسلام - (١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ (٢٥)

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات ، مخرج مخرج الغالب المؤمنات ، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ، ولا سيما التي كانت سبب النزول ، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما ، وقد أجمع العلماء

رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية . فإنه كافر لأنه معاند للقرآن . وبقية أمهات المؤمنين لمن حكمها وقوله تعالى ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ الآية كقوله تعالى : ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ الآية وقبل أنها نزلت خاصة في عائشة رضي الله عنها والصحيح إنها وان نزلت خاصة بعائشة إنما لمحاكم العموم فهي عامة في تحريم قذف كل محصنة غافلة مؤمنة . وليس في هذه الآية ان الحكم خاص بها رضي الله عنها وانما فيه أنها سبب النزول دون غيرها وان كان الحكم يعمها كغيرها .

ويعضد تعميم الحكم ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ : ٣٠٢ [ « اجتنوا السبع الموبقات » قبل وما من يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربوا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف . وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » ] . أخرجاه في الصحيحين من حديث سلمان بن بلال به . روى الحافظ أبو القاسم الطبراني عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : ٣٠٣ [ قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة ] .

وقوله تعالى : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : أنهم يعني المشركين إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا : تعالوا حتى نجحد فيجحدون ، فيحتم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً . وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : ٣٠٤ [ إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم ، فيقال له : هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول : كذبوا . فيقال أهلك وعشيرتك ، فيقول كذبوا . فيقال : إحللوا ، ثم يصمهم الله فتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم ، ثم يدخلهم النار ] . وفي رواية مسلم والنسائي ٣٠٥ [ ... فيحتم على فيه ويقال لأركانه : انطقي ، فتنتن بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً لكئن وسحقاً فمنكن كنت أناضل ] .

وقوله تعالى : ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ قال ابن عباس : ﴿ دينهم ﴾ أي حاسبهم (١) .

(١) ومن ذلك « يوم الدين » أي يوم الحساب .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ أي وعده ووعدته وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه .

﴿ الْحَيَّاتُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيَّثُونَ لِلْحَيَّاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢٦)

نزلت في عائشة وأهل الإفك قاله ابن عباس وجماعة من التابعين والمعنى بأن الكلام القبيح أولى بأهل الفصح من الناس ، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس ، فما نسبته أهل الفساق إلى عائشة من كلام ، هم أولى به ، وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم ، وهذا قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ سُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر ، ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعاً ولا قدراً. وطلدنا قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ مِبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي هم بُعداء عما يقولوه أهل الإفك والعدوان ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي عند الله في جنات العجم ، وفيه وعد أن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسْأَلُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧)

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٢٩)

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان . أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأذنوا ، أي يستأذنوا قبل الدخول ، ويسلموا بعده ،



وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له ، وإلا انصرف . كما ثبت في الصحيح ٣٠٦ [ ان أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ؟ إنذرتوا له ، فظبوه فوجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك قال : ما أرجعك ؟ قال : إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي . وإني سمعت النبي ﷺ يقول : « إذا استأذن أحدكم فلم يؤذن له فليتنصرف » فقال عمر : لتأتيني على هذا بيينة وإلا أوجعتك ضرباً . فذهب إلى ملاء الأنصار فذكر لهم ما قال عمر فقالوا لا يشهد لك إلا اصغرنا فقام معه أبو سعيد الخدري فأخبر عمر بذلك فقال الهاني عنه الصفق بالأسواق ] .

روى الإمام أحمد عن أنس أو غيره ٣٠٧ [ ان النبي ﷺ استأذن على سعد بن عبادة فقال : « السلام عليك ورحمة الله » فقال سعد وعليك السلام ورحمة الله ، ولم يسمع النبي ﷺ حتى سلم ثلاثاً ، وردَّ عليه سعد ثلاثاً ولم يسمعه فرجع النبي ﷺ فاتبعه سعد فقال : يا رسول الله بأي أنت وأمي . ما سلمت تسليمة إلا وهي بأذني . ولقد رددت عليك ولم أسمعك وأردت أن استكثر من سلامك ومن البركة . ثم أدخله البيت فقرب إليه زيبياً فأكل نبي الله فلما فرغ قال : « أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة . وأفطر عندكم الصائمون » [ وروى أبو داود قال : حدثنا عثمان بن أبي شيبة بسنده إلى هذيل قال ٣٠٨ [ جاء رجل ، قال عثمان سعد فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن فقام على الباب قال عثمان : مستقبل الباب ، فقال له النبي ﷺ هكذا عنك - أو هكذا - فأما الاستئذان من النظر « [ فعلم من هذا انه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل ان لا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره .

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٣٠٩ [ لو أن امرأً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقت عينه ، ما كان عليك من جناح ] . وأخرج الجماعة عن جابر قال : ٣١٠ [ أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدقت الباب فقال : « من ذا ؟ » فقلت : أنا . قال : « أنا أنا ... !!! » كأنه كرهه [ وإنما كره ذلك لأنه لا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس وإلا فكل واحد يعبر عن نفسه بأنا فلا يعرف من الطارق إلا بالإفصاح عن الاسم حتى يحصل الإذن . وروى أبو داود عن ربعي قال : ٣١١ [ أتى رجل من بني عامر استأذن على رسول الله ﷺ وهو في بيته ، فقال : أألج ؟ فقال النبي ﷺ لحادمه : « أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له :

قل السلام عليكم أدخل ؟ ه فسمعه الرجل فقال : السلام عليكم أدخل ؟ فأذن له النبي ﷺ ، فدخل [ .

ويجب الاستئذان على الأمهات والأخوات ، فقد روى أشعث عن عدي بن ثابت ٣١٢ [ أن امرأة من الأنصار قالت يا رسول الله : إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لا والد ولا ولد ، وأنه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، قال فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا ﴾ [ الآية .

وقال قتادة: ﴿ حَتَّى تَسْأَلُوا وَتَسَلُّوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ وهو الاستئذان ثلاثاً ، فمن لم يؤذن له منهم فليرجع أما الأولى فليسمع الحي ، وأما الثانية فليأخذوا جدرهم ، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا . ولا تقض على باب قوم ردوك عن بابهم ، فإن للناس حاجات ولهم أشغال ، والله أولى بالمعذر .

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يعني الاستئذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ وذلك لما فيه من التصرف بملك الغير بغير إذنه ، فإن شاء أذن ، وإن شاء لم يأذن ، ﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾ أي إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده ﴿ فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾ أي أظهر ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وقال قتادة ، قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية ، فما أدركتها ان استأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع وأنا مغضب

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ الآية ... هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد إذا كان له متاع فيها بغير إذن ، كاليات المعد للضيف إذا اذن له فيه أول مرة كفى . وقال آخرون : هي بيوت التجار كالحانات ومنازل الأسفار ، وبيوت مكة وغير ذلك . اختاره بن جرير وحكاه عن جماعته ولكن الأول أظهر . والله أعلم وقيل هي بيوت الشعر .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿ ٣٠ ﴾



أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي  
الْإِرْتِبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَازِتِ النِّسَاءِ  
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ  
جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات ، وغيره منه لأزواجهن . وتمييز لمن عن صفة  
نساء الجاهلية وفعال المشركات وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان  
قال : بلغنا - والله أعلم - أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثد  
كانت في محل لها في بني حارثة ، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزوات فيبدو ما في  
أرجلهن من الخلل وتبدو صدورهن وذواتهن فقالت أسماء . ما أفتح هذا . فأنزل  
الله تعالى : ﴿ وعلى للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ الآية ... أي عما حرم الله  
عليهن من النظر إلى غير أزواجهن ، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة  
النظر إلى الرجال الأجانب إطلاقاً واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي ٣١٨  
[ عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة . فقالت فيمنأ نحن عنده أقبل  
ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالخجاء فقال رسول الله ﷺ « احتجبا  
منه » فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله ﷺ  
« أو عيوان أنما ؟ ألسما تبصرانه » ] وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة كما ثبت في  
الصحيح : ٣١٩ [ إن رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الخبشة وهم يلعبون بحراهم يوم  
العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسرها منهم حتى ملت  
ورجعت ] وقوله تعالى : ﴿ ويحفظن فروجهن ﴾ عن الفواحش كالتزنا وما يزول إليه  
من نظر أو غيره وقوله تعالى : ﴿ ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾ قيل : أي لا  
يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب . إلا ما لا يمكن إخفاؤه كالرداء الذي يجمل الثياب  
وما يبدو من أسافل الثياب . وعن ابن عباس ﴿ ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾  
قال : وجهها وكفيئها والحاتم وروي نحوه عن ابن عمر وعطاء وغيره من التابعين ،  
وقال مالك ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ الحاتم والحلخال . ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه

أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور ويتأسس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها : أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها وقال : ٣٢٠ [ يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو مرسل : خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضي الله عنها وقوله تعالى : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ أي على نحو رهن وصدورهن ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية اللاتي كن مسفحات بصدورهن وأعناقهن وذوات شعورهن فأمر الله المؤمنات أن يسترنن في هياتهن ، كما قال تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾

والخمرُ جمع خمار. وهو ما يغطي به الرأس وما يسيها الناس بالمقانع وقال البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ شققن مروطهن فاخترن بها .

وقوله تعالى : ﴿ ولا يدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾ أي أزواجهن ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن ﴾ كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزيتها ولكن من غير تبرج . وقد روى ابن المنذر عن عكرمة في هذه الآية وقال بعد أن فرغ من قراءتها : لم يذكر العم ولا الخلال لأنها بنتان لأبائهما ولا تقع خمارها عند العم والخال ، فأما الزوج فإنما ذلك كله من أجله فتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره .

وقوله تعالى : ﴿ أو نسائهن ﴾ يعني تظهر بزيتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لثلاث تصفهن لرجالهن ، وذلك وان كان محظوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فلأنهن لا يمنعهن من ذلك مانع فأما المسلمة فإنها تعلم ان ذلك حرام فتزجر عنه ، وقد قال رسول الله ﷺ : ٣٢١ [ لا تبأشر المرأة المرأة لتنتها لزوجها كأنه ينظر إليها ] أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود . وروى سعيد بن منصور في سننه عن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة :

أما بعد فإنه بلغني أن نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فإنه من قبلك فلا يحل لأمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها

وقال مجاهد في قوله : ﴿ أو نساءهن ﴾ قال : نساؤهن المسلمات . ليس المشركات من نساءهن . وليس للمرأة المسلمة ان تنكشف بين يدي مشركة . وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن عطية قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ بيت المقدس كان قوايل نساءهن اليهوديات والنصرانيات . فهذا محمول على حان الضرورة .

وقوله تعالى : ﴿ أو ما ملكت أيمانهم ﴾ قال ابن جرير يعني من نساء المشركين ، فيجوز لها أن تظهر زينتها لها ، وان كانت مشركة لأنها أمتها . وقال الأكثرون : بل يجوز أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء ، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود عن أنس : ٣٢٢ [ ان النبي ﷺ أتى فاطمة بعد وقد وهبه لها . قال : وعلى فاطمة ثوب إذا فنتت به رأسها لم يبلغ رجلها ، وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها . فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى ، قال : « إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلماؤك »<sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال ﴾ كالأجراء والتابع الذين ليسوا بأكفام ولا همة لهم إلى النساء ، ولا يشتهونهن ، قال ابن عباس : هو المغفل الذي لا شهوة له وروى الامام أحمد عن أم سلمة أنها قالت : ٣٢٣ [ دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها غثت ، وعندها عبد الله بن أبي أمية يعني أخاها . والمخث بقول : يا عبد الله إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابتة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، قال : فسمعه رسول الله ﷺ فقال لأم سلمة « لا يدخلكن هذا عليك » [ أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى : ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك ، فلا بأس بدخوله على النساء ، فاما إن كان مراهقاً بحيث يعرف ذلك ويدبره ويفرق بين الشوهاء والحشاء ، فلا يمكن من الدخول على النساء . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال : ٣٢٤ [ يتاكم والدخول على النساء » قيل : يا رسول الله أفرأيت الحمر ؟ قال : « الحمر الموت » ]

وقوله تعالى : ﴿ ولا يضرين بأرجلهن ﴾ الآية ، كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها ، ضربت برجلها الأرض

(١) إنما كان صغير السن فربته ثم اعتفته حينما كبر . كما أورده الحافظ ابن حبان .

فيسمع الرجال طينه ، فهى الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك اذا كان شيء من زيتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي . من ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها . فقد روى الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ٣٢٥ [ كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا ] يعني زانية

وقوله تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ أي اتقوا ما أمركم به من هذه الصفات والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الصفات والأخلاق الرذيلة ، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله ورسوله عنه والله تعالى المستعان .

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَانِكُمْ ۚ إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ (٣٢) ۚ وَلَيَسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتُنُّونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتْيَانِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتُنُّوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ (٣٣) ۚ وَالْقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ (٣٤) ۚ ﴾

اشتملت هذه الآيات الكريمات المبينة على جمل من الأحكام المحكمة والأوامر المبرمة ؛ فقوله تعالى : ﴿ وانكحوا الأيامى منكم ﴾ إلى آخره ، هذا أمر بالتزويج ،

فقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه ، واحتجوا بظاهر قوله ﷺ [ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج - فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ] أخرجاه في الصحيحين . وقد جاء في السنن من غير وجه . ان رسول الله قال ﷺ : [ تزوجوا النولود تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة ] وفي رواية : [ حتى السقط ] .

الأيامى جمع أيم . ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له ، سواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما ، حكاه الجوهري عن أهل اللغة يقال رجل أيم وامرأة أيم .

وقوله تعالى : ﴿ إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله ﴾ الآية قال ابن عباس : رغفهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه المعنى : وعن ائمة من أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ [ ثلاثة حق على الله عونهم : التاكح يريد العفاف والمكاتب يريد الأدله ، والغازي في سبيل الله ] .

وقوله تعالى : ﴿ وليستغف الذين لا يحدون نكاحاً حتى يغفهم الله من فضله ﴾ هذا أمر من الله تعالى لمن لا يحد تزويجاً بالتعفف عن الحرام كما قال ﷺ في الحديث المتقدم « يا معشر الشباب ... » .

وقوله تعالى : ﴿ والذين يشتون الكتاب مما ملكتم إيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴾ هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب عبيدهم منهم الكتابة أن يكاتبوهم بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شرطه على أدائه ، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا أمر ارشاد واستحباب . لا أمر تحم وإيجاب ، بل السيد غير أن شاء كاتب عبده أو لم يشأ لم يكاتبه وقال البخاري : وقال روح عن ابن جريج قلت لعطاء : أوجب علي إذا علمت له مالاً أن أكاتبه قال : ما أراه إلاً واجباً . وقال عمر بن دينار : قلت لعطاء أتأثره عن أحد ؟ قال : لا ثم أخبرني ان موسى بن أنس أخبره أن سيرين سأل أنساً المكاتبه ، وكان كثير المال فأبى ، فانطلق إلى عمر رضي الله عنه ، فقال : كاتبه فأبى فضره بالدره ، وبتلو عمر رضي الله عنه ﴿ فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴾ فكاتبه هكذا ذكره البخاري معلقاً . وروى عن الضحاك أنها عزمة وذهب الشافعي في الجديد إلى أنه لا يجب وعند مالك ليس بواجب واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية .



وقوله تعالى : ﴿ إن علمتم فيهم خيراً ﴾ فقد روى أبو داود في المراسيل عن يحيى بن أبي كثير قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴾ قال إن علمتم فيهم حرفة . ولا ترسلوهم كلاً على الناس » وقوله تعالى : ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ أي اطرحوا لهم من الكتابة بعضها وقال آخرون بل المراد هو النصيب الذي فرض الله لهم من أموال الزكاة . واختاره ابن جرير وقال ابن عباس : أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب - يعني ان يعينوهم في تحرير أنفسهم بأن يضعوا عنهم من مكاتبهم وقال ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب قال ربح الكتابة وروى مرفوعاً والأشبه أنه موقوف على علي رضي الله عنه كما رواه عنه أبو عبد الرحمن السلمي .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ الآية ... . كان أهل الجاهلية اذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني . وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الاسلام نهى الله عنها المؤمنين . وكان سبب نزولها فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول ، فإنه كان له إماء . فكان يكرههن على البغاء طلباً . لخراجهن . ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم . وقد تصافرت الآثار على ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ إن أردن تعصناً ﴾ هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له . وقوله تعالى : ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ أي من خراجهن ومهورهن وأولادهن . وقد نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام . ومهر البغي . وحلوان الكاهن . وفي رواية ٣٢٩ [ مهر البغي خبيث . وكسب الحجام خبيث . وثمن الكلب خبيث ] وقوله تعالى : ﴿ ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ﴾ فإن فعلتم فإن الله لهم غفور رحيم وأثمهن على من أكرههن . كذا قال ابن عباس وجماعة من التابعين وفي الحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ انه قال [ ٣٣٠ ] رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ] .

ولما فصل تبارك وتعالى هذه الأحكام وبينها قال تعالى : ﴿ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ﴾ يعني القرآن فيه آيات واضحة مفسرات ﴿ ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم ﴾ أي خيراً عن الأمم الماضية . وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ أي زاجراً عن ارتكاب الآثم والمحارم ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ أي لمن اتقى الله وخافه . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفته القرآن : فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم . وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله .



﴿الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كِشْكَاةٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿الله نور السموات والأرض﴾ يقول : هادي أهل السموات والأرض . روى ابن جرير عن أنس بن مالك قال : ان الله يقول : (نوري هدى) اختار هذا القول ابن جرير ﴿مثل نوره﴾ أي مثل هدايته هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره وكان أبي بن كعب يقرأها ﴿مثل نور من آمن به﴾ فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره ، وهكذا رواه سعيد بن جبير وقيس بن سعد عن ابن عباس انه قرأها كذلك ﴿مثل نور من آمن بالله﴾ وقرأ بعضهم : ﴿الله منور السموات والأرض﴾ وعن الضحاك : ﴿الله نور السموات والأرض﴾ . وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ٣٣١ ] كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول : « اللهم لك الحمد ، انت نور السموات والأرض ومن فيهن <sup>(١)</sup> ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن » .

وقوله تعالى : ﴿مثل نوره﴾ في هذا الضمير قولان : (أحدهما) أنه عائد إلى الله عز وجل أي مثل هدايته في قلب المؤمن ، قاله ابن عباس ( والثاني ) ان الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه السياق ، تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كشكاة ، فشبه قلب المؤمن وما هو مفظور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفظور عليه كما قال تعالى : ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ فشبه قلب المؤمن

(١) قلت : وهذا دليل على أن المراد من قوله تعالى : الله نور السموات والأرض « أي هادي أهلها » إذ ليس هذا النور هو نور ذاته الذي هو صفته إنما هو النور الذي يقذفه في قلب المؤمن من الهداية . وإن القرأت المتقدمة تشهد لهذا أيضاً وهي : « الله منور السموات والأرض » و « الله نور السموات والأرض » لا سيما وقوله تعالى في آخر هذه الآية : « يهدي لنوره من يشاء » فاتضح مما تقدم صحة قول من فسر نور الله بهدايته والله الموفق الصواب .

في صفاته في نفسه بالتقديّل من الزجاج الشفاف الجوهري ، وما يستهديه من القرآن ،  
 وانشرح بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف . فقوله تعالى  
 ﴿ كشكاة ﴾ قال ابن عباس وجماعة من التابعين : هو موضع الفتيلة من التقديّل هذا  
 هو المشهور ولهذا قال تعالى بعده : ﴿ فيها مصباح ﴾ وهو النور الذي في الزبالة . قال أبي  
 بن كعب : المصباح النور وهو القرآن والإيمان الذي في صدره ﴿ المصباح في زجاجة ﴾  
 أي زجاجة صافية مشرقة وهو نظير قلب المؤمن ﴿ الزجاجاة كأنها كوكب دري ﴾  
 أي كأنها كوكب من در مضيء مبین ضخم ﴿ يوقد من شجرة مباركة ﴾ أي يستمد من  
 شجرة زيتون مباركة ﴿ زيتونة ﴾ بدل ﴿ لاشرقية ولا غربية ﴾ أي ليست في شرقي  
 بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار . ولأقرب غريبها بقلص عنها الشيء قبل الغروب  
 بل هي في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار إلى آخره فيجيء زيتها صافيا  
 معتدلاً مشرقاً وذلك أصفى ما يكون من الزيت . وقال نحو ذلك ابن عباس وعكرمة  
 ومجاهد وسعيد بن جبير والمدي وقيل المراد أنها وسط الشجر ليست بادية للمشرق ولا  
 للمغرب ، وقيل وقيل ... ولكن أوتى هذه الأقوال القول الأول ، وهو أنها في مستوى من  
 الأرض في مكان فسيح باد ظاهر ضاح للشمس تفرعه من أول النهار إلى آخره ليكون  
 ذلك أصفى لزيتها وألطف كما قال غير واحد مما تقدم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يكاد  
 زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ يعني لضوء إشراف الزيت .

وقوله تعالى : ﴿ نور على نور ﴾ قال ابن عباس يعني بذلك : إيمان العبد وعمله .  
 وكذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعهما . فلا يكون واحد منهما الا بصاحبه .

وقوله تعالى : ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ أي يرشد الله إلى هدايته من يختاره  
 كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو : سمعت رسول الله ﷺ  
 يقول : ﴿ ٣٣٢ ] ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم انقى عليهم من نوره يومئذ . فمن  
 أصاب من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأ ضل فلذلك أقول : جف القلم على علم  
 الله عز وجل ] .

وقوله تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ لما ذكر تعالى  
 هذا مثلاً لنور هدايه في قلب المؤمن ختم الآية بقوله تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال  
 للناس والله بكل شيء عليم ﴾ أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال .

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٣٣

﴿القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس وقلب مصفح . فأما القلب الأجرد : فقلب المؤمن سراج فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمددها الماء الطيب ، ومثل المنافق فيه كمثل القرحة يمددها الدم والقيح، فأى المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه ] اسناده جيد ولم يخرجوه .

﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَرْفَعُ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿ (٣٧) لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ بِرِزْقِهِمْ عَلِيمٌ ﴾ (٣٨)

لما ضرب الله تعالى مثل القلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم ، بالمصباح في الزجاج الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقناديل مثلاً ، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحده فقال تعالى : ﴿ في بيوت الذين آمنوا أن ترفع ﴾ أي أمر الله بتعاهدتها وتطهيرها من الدنس وكل ما لا يليق فيها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : قال نبي الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال جماعة من العلماء المفسرين .

• وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٣٣٤ من بنى لله مسجداً ينتهي به وجهه الله بنى الله له مثله في الجنة [ .

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ٣٣٥ [ أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في اللور وان تنظف وتطيب . ] (١) وروى البخاري عن عمر بن الخطاب : ابن للناس ما

(٥) رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي ، وأحمد وأبي داود نحوه عن سودة بن جندب .

(٦) قلت : من حيث بناء المساجد في الدور فهذا خاص بالنساء لأن المرأة صلاحها في بيتها خير من صلاحها في المساجد أما من حيث نظيفها وتطيبها فهذا معلوم أنه عام في المساجد جميعها

يكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس<sup>(١)</sup> وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [ لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد ] رواه أحمد وأهل السنن والترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ٣٣٧ [ إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد ، فقولوا لا أربح الله تجارتك . وإذا رأيتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا : لا ردّها الله عليك ] .

• وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : ٣٣٨ [ صلاة الرجل في الجماعة ، تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ] وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخطُ خطوة إلا رُفِعَ له بها درجة وحطّ عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه : اللهم صلّ عليه ، اللهم ارحمه . ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة ] .

• وفي السنن ٣٣٩ [ بشر المشائين إلى المساجد في الظننم بالنور التام يوم القيامة ] .  
• وروى مسلم بسنده عن أبي حميد أو أبي أسيد قال : قال رسول الله ﷺ ٣٤٠ [ إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم اني أسألك من فضلك ] .

وقوله تعالى : ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ أي يتلى كتابه قاله ابن عباس وقوله تعالى : ﴿ يسبح له فيها بالغدو ﴾ أي في الكرات والآصال جمع أصل وهو آخر النهار وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن هو الصلاة . ومن قرأ بفتح المياء وقف على قوله تعالى : ﴿ والآصال ﴾ وقفاً تاماً ، وابتدأ بقوله تعالى : ﴿ رجال ... ﴾ وكأنه مفسر للفاعل المحذوف . وكأنه قيل من يسبح له فيها ؟ قال رجال . وأما على قراءة من قرأ بالكسر فجعله فعلاً ، وفاعله ﴿ رجال ﴾ فلا يحسن الوقف إلا على الفاعل لأنه تمام الكلام .

فقوله تعالى : ﴿ رجال ﴾ فيه إشعار بهمهم السامية ، ونيابهم وعزائمهم العالية ، التي بها صاروا عمارة للمساجد التي هي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتزجيده كما قال تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ الآية أما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لمن لما رواه الإمام أحمد عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت النبي ﷺ فقالت : ٣٤١ [ يا رسول الله إني أحب الصلاة معك . قال : « قد علمت أنك تحبين الصلاة معي . وصلاتك في بيتك خير من صلاتك

(١) قات هذه قاعدة حروية في بيت المساجد وعدة زخرفها وبه لينتظع ... ولكننا نشبه في الزخرفة ، تقليداً سكتائس فلا حول ولا قوة إلا بالله .

في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي ، قال : فأمرت فبني لها مسجد في أقصى بيت من بيوتها فكانت والله تصلي فيه حتى لقيت الله تعالى .

ويجوز لها شهود الجماعة في المساجد بشرط أن لا تؤذي أحداً من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله ﷺ : ٣٤٢ [ لا تمنعوا إماء الله ، مساجد الله ] ولأحمد وأبي داود ٣٤٣ [ وبيوتن خير لمن ] وفي رواية [ وليخرجن وهن تفلت ] أي لا ريح لهن وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت : ٣٤٤ [ لو أدرك رسول الله ﷺ ، ما أحدث النساء لتنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل . ]

وقوله تعالى : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ الآية فمعنى قوله تعالى : ﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ أي يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم . قال هشيم عن شيبان قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوماً من أهل الرق حيث نودي للصلاة المكتوبة تركوا إيعاعهم ونهضوا إلى الصلاة فقال عبد الله بن مسعود : هؤلاء من الذين ذكر الله تعالى في كتابه ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ الآية وقال ابن عباس أي عن الصلاة المكتوبة وقال مقاتل بن حيان ... وأن يحافظوا على مواقيتها .

وقوله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أي من شدة الفزع وعظمة الأهوال ، كقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ الآية ... وقوله تعالى : ﴿ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فواقهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً . وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ﴾ وقوله تعالى ههنا ﴿ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ﴾ أي هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله تعالى : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم كما قال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ وقال ههنا : ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا سَجَّاهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣٩) أَوْ كظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿ (٤٠) ﴾

هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين : نارياً ومائياً<sup>(١)</sup> وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين : نارياً ومائياً وقد تكلمنا على كل منهما في موضعه ، بما أغنى عن إعادته والله الحمد والمثلة فالأول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاء ال كفرهم للذين يحسبون أنهم على شيء وهم ليسوا كذلك ، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض ، من بُعد كأنه بحر طام ، والقيعة : جمع قاع ، كجار وجيرة ، والقاع أيضاً واحد القيعان ، كما يقال جار وجيران . وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب . وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار ، وأما الآل ، فإنما يكون أول النهار يرى كأنه ماء بين السماء والأرض ، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء ، يحسبه ماءً ، فصدده ليشرب منه ، فلما انتهى إليه ﴿ لم يجده شيئاً ﴾ فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً ، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله ، لم يجد له شيئاً بالكلية قد قبِل . إما لعدم الإخلاص ، أو لعدم سلوك الشرع كما قال تعالى : ﴿ وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ وقال ههنا : ﴿ ووجد الله عنده فوقاه حساباً والله سريع الحساب ﴾ وهكذا روي عن أبي بن كعب وابن عباس وغيرهما . وفي الصحيحين أنه يقال يوم القيامة لليهود : ﴿ ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد عزير ابن الله فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون ؟

(١) عند قوله تعالى الآية رقم / ١٣ - ٢٠ / من سورة البقرة . (٢) في الآية رقم / ١٧ / من سورة الرعد .

فيقولون : يا رب عطشنا فاسقنا ، فيقال : ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سربٌ يحطم بعضها بعضاً ، فينطلقون ، فيتهافتون فيها ، وهذا المثال لذوي الجهل المركب ، فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأعشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾ أي عميق ﴿ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه محاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام ، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ، ولا يدري أين يذهب ، بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب ؟ قال معهم قيل : فإلى أين يذهبون قال : لا أدري .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ يغشاه موج ﴾ الآية ... يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر ، وهي كقولها : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾

وقوله تعالى : ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل ، حائل ، بائر ، كافر ، كقولها تعالى : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ﴾ وهذا في مقابلة ما قال تعالى في مثل المؤمنين : ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ فسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً ، وعن إيماننا نوراً ، وعن شمائلنا نوراً ، وأن يعظم لنا نوراً .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤١)

وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿ (٤٢) ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له من في السموات والأرض أي من الملائكة والأناسي والجن والحيتوان حتى الجماد ، كما قال تعالى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ والطير صافات ﴾ أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهما وأرشدها إليه ، وهو يعلم ما هي فاعلة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ أي كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل ، ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولهذا قال تعالى : ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾



ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض . فهو الحاكم المتصرف الإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلاً له ولا معقب لحكمه ﴿ والى الله المصير ﴾ أي يوم القيامة ، فيحكم فيه بما يشاء ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ﴾ الآية ، فهو الخالق المالك . ألا له الحكم في الدنيا ، وله الحمد في الأولى والآخرة .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٤٣) ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (٤٤) ﴿

يخبر تعالى انه يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشئها وهي ضعيفة . وهو الاجزاء ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ أي يجمعه ﴿ ثم يجعله ركاماً ﴾ أي متراكماً ﴿ فتري الودق ﴾ أي المضر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ أي من خلته . وقوله تعالى : ﴿ وينزل من السماء من جبال فيها من برد ﴾ أي جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب . وقوله تعالى : ﴿ فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ﴾ أي بما ينزل من السماء من نوعي المضر والبرد ، فيكون قوله تعالى : ﴿ فيصيب به من يشاء ﴾ رحمة لهم ﴿ ويصرفه عن من يشاء ﴾ أي يؤخر عنهم الثبث . ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ فيصيب به ﴾ أي بالبرد نقمة على من يشاء ما فيه من ثمراتهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم . ويصرفه عن من يشاء رحمة بهم . وقوله تعالى : ﴿ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ أي من شدته يحطف الأبصار وقوته تعالى : ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ أي يتصرف فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا : ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيراً ويقصر الذي كان طويلاً . والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه ﴿ ان في ذلك لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ أي لتدليلاً على عظمته تعالى : ﴿ ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ وما بعدها من الآيات الكريمات .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

يذكر تعالى قدرته التامة ، وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها ، وحركاتها وسكناتها من ماء واحد ، فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وما شاكلها ، ﴿ ومنهم من يمشي على رجلين ﴾ كالإنسان والطيور ﴿ ومنهم من يمشي على أربع ﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يخلق الله ما يشاء ﴾ أي بقدرته لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٤٦﴾

يقرر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم والحكم والأمثال الينة المحكمة كبيراً جداً وأنه يرشد إلى تفهمها وتعلقلها أولي الألباب والبصائر والنهي ، ولهذا قال تعالى ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ

مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْتِيَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَىٰ مُذْعِنِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ أَلَمْ نَقُلْ لَهُمْ أَلَمْ نَقُلْ لَهُمْ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْتِيَكَ مِنْهُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْتِيَكَ مِنْ

## الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون . يقولون قولاً بألسنتهم . : ﴿ آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ﴾ أي يخالفون أقوالهم بأفعالهم فيقولون ما لا يفعلون . ولهذا قال تعالى : ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ﴾ الآية . أي إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه . وهذه كقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك - إلى قوله - رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾ . وعن سمرة مرفوعاً : ٣٤٦ [ من دعي إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له ] وقوله تعالى : ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين ﴾ أي وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين . وهو معنى قوله تعالى : ﴿ مدعين ﴾ وإذا كانت الحكومة عليهم أعرضوا ودعوا إلى غير الحق . وأجروا أن يتحاكموا إلى غير النبي ﷺ . ليروجوا باطلهم . ثم إذعابهم أولاً لم يكن عن اعتقاد منهم أن ذلك هو الحق . بل لأنه موافق لطواهم ولهذا لما خالف قصدهم عدلوا عنه إلى غيره . وهذا قال تعالى : ﴿ آفي قلوبهم مرض ﴾ الآية ... يعني لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها . أو قد عرض لها شك في الدين . أو يخافون أن يجوز الله ورسوله عليهم في الحكم . وأياً كان فهو كفر محض . والله عليم بكل منهم وما هو منطوق عليه من هذه الصفات .

وقوله تعالى : ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ أي هم الظالمون والله ورسوله مبرّان بما يبطنون . ثم أخبر تعالى عن صفات المؤمنين المستجيبين لله ورسوله الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ أي سمعاً وطاعةً ولهذا وصفهم الله بالفلاح . فقال تعالى : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ وقال قتادة : ذكر لنا أن أبا الدرداء قال : لا إسلام إلا بطاعة الله . ولا خير إلا في جماعة <sup>(١)</sup> . والنصيحة لله

(١) قلت : قوله : « ولا خير إلا في جماعة هذا محدود في الجماعة التي تكون مجتمعة على الحق وهو موافقة الكتاب والسنة في الظاهر والباطن وليس مجرد الجماعة فقط هو دليل الخير . وإلا فإن فرداً واحداً متمسكاً بحكم الكتاب والسنة هو جماعة ومصداقه قوله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة ... » ولو خالفه الناس جميعهم .

ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة . وقوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ قال قتادة : يطع الله ورسوله فيما أمراه به وترك ما نهاه عنه ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه ويتقاه فيما يستقبل . وقوله تعالى : ﴿ فأولئك هم الفائزون ﴾ يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة .



﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٥٤)

يخبر تعالى عن أهل النفاق الذين كانوا يخلفون للرسول ﷺ لئن أمرتهم بالفرار ليخرجن فقال الله تعالى ﴿ قل لا تقسموا ﴾ أي لا تخلفوا . وقوله تعالى : ﴿ طاعة معروفة ﴾ أي طاعتكم معروفة أنها لا فعل معها بل قول مجرد . وخلفكم كاذب ، كما قال تعالى : ﴿ يخلفون لكم لترضوا عنهم ﴾

وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن الله خير مما تعملون ﴾ أي خير بكم وبمن يطع ممن يعصى فلا فائدة من إظهار الطاعة والباطن بخلافه فإن الله لا يروج عليه شيء من التدليس فهو الخير بسائر عبادته وإن أظهروا خلافها . ثم قال الله تعالى : ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ أي اتبعوا الكتاب والسنة .

وقوله تعالى . ﴿ فإن تولوا ﴾ أي تركوا ما جاءهم به ﴿ فإنما عليه ما حمل ﴾ أي إبلاغ الرسالة ﴿ وعليكم ما حملتم ﴾ أي بقبولها وتنفيذها ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم وقوله تعالى : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر ﴾ .

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيَسْتَكِنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ  
الَّذِي أَرْضَى لَهُمْ وَلِيُبَيِّدَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا  
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته الولاية على الناس فتصلح بهم البلاد ، وتخضع لهم العباد وليبدلهم بعد خوفهم أمناً وحكماً وقد فعله وتبارك وتعالى وله الحمد والملة ففتح رسول الله ﷺ مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها ، وأخذ الجزيرة من مجوس هجر ، ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل والمقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملكك بعد النجاشي المسلم أصحمة رحمه الله وأكرمه .

ثم تولى أبو بكر الصديق فتم شعث ما وهى بعد موته عليه الصلاة والسلام فمهّد الجزيرة العربية ، وفتح طرفاً من فارس بقيادة خالد بن الوليد وفتح بصري ودمشق وحوارن بقيادة أبي عبيدة ، وبلاد مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين ، وأهم الله الصديق ان يستخلف عمر الفاروق الذي قام بعده بالأمر قياماً تاماً قم في أيامه فتح الشام ومصر وأكثر اقاليم فارس وتقهقر كسرى إلى أقصى مملكته ، وفر قيصر إلى القسطنطينية وأنفق أمرهما في ميل الله .

ثم امتدت دولة عثمان إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت المغرب إلى البحر المحيط ، ومن ناحية المشرق مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وقتل المسلمون الترك مقتلة عظيمة جداً ، ونخذل الله ملكهم ( خاقان ) ولهذا ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ : قال ٣٤٧ [ ان الله زوي لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيلع ملك أممي ما زوي لي منها ] . فيها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ﷺ ، وصدق الله ورسوله ﷺ فنسأل الله الإيمان به ورسوله ﷺ والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا (١)

(١) قلت : نعم ... هذا لما كان المسلمون يتسكنون بالكتاب والملة فتح الله تعالى عليهم البلاد وأدان لهم البلاد . ولكن با تلافت فمنع المسلمين اليوم رغم تراهم أطراف بلادنا في الشرق والغرب ورغم عدداً وعبداً محكومون في جميع بلادنا من قبل الكفار بشكل مباشر أو غير مباشر حتى اليهود المغضوب عليهم ، -

قال البراء بن عازب : نزلت هذه الآية : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ ونحن في خوفٍ شديد . أي كانوا خائفين يمسون ويصبعون في السلاح .

وان رجلاً من الصحابة قال : ٣٤٨ [ يا رسول الله : أهد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال رسول الله ﷺ لن تصبروا إلا بسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتياً لست فيه حديده ] . فأنزل الله هذه الآية الكريمة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ كقولته تعالى : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأوأكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ كما قال أحمد عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٤٩ [ بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة ، والدين والنصر والتمكين في الأرض . فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ] .

وقوله تعالى : ﴿ يعبدوني لا يشركون بي شيئاً ﴾ يفسره ما جاء في الصحيحين من حديث قتادة عن أنس أن معاذ بن جبل حدثه قال : ٣٥٠ ﴿ بينا أنا رديف النبي ﷺ على حمار ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل قال : « يا معاذ ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال ثم سار ساعة ثم قال : « يا معاذ بن جبل ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ، ثم قال « يا معاذ بن جبل ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك قال « هل تدري ما حق الله على العباد ؟ ، قلت : الله ورسوله أعلم . قال « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، قال : ثم سار ساعة ، ثم قال « يا معاذ بن جبل ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك قال « فهل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم قال « فإن حق العباد على الله أن لا يعذبهم ، أخرجه .

وقوله تعالى : ﴿ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ أي فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنباً عظيماً فالصحابه رضي الله

- اغتصبوا بيت المقدس وأسبوا دولتهم بفلسطين واستولوا على أطراف مصر والأردن وسوريا ... كل ذلك لأننا سلمون إسماً فقط ...؟؟!! نحكم بغير ما أنزل الله ، ولا نتبع كتاباً ولا سنة ونعصى الله جهرة ، ونفرض عهد الله وميثاقه ... فإذنا الله لباس الجوع والخوف والذل وذلك بما كسبت أيدينا ويعجز عن كبير ... فإذا أردنا عودة الماضي العظيم فلنعد إل شرع الله الكريم ودينه القويم ، وصراطه المستقيم .

عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل وأطوعهم له ، كان نصرهم بحسبهم ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال : [ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة - وفي رواية - حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك - وفي رواية - حتى يقاتلوا الدجال - وفي رواية - حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون ] وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

يأمر عباده سبحانه بإقامة الصلاة له وحده وإتداء الزكاة لوجهه وهي الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم سالكين طريق ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، وترك ما زجرهم عنه ابتغاء مرضاته تعالى ورحمته . وقوله تعالى : ﴿ لا تحسبن ﴾ أي لا تظن يا محمد أن ﴿ الذين كفروا ﴾ أي خالفوك وكذبوك ﴿ معجزين في الأرض ﴾ أي لا يعجزون الله ، بل الله قادر عليهم ومعذبهم أشد العذاب ولهذا قال : ﴿ وماواهم ﴾ أي في الدار الآخرة ﴿ النار ولبس المصير ﴾ أي بلس المال مال الكافرين ، ولبس القرار والمهاد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَأَنَّ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ • (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا  
 كَمَا أَسْأَدْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ  
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ • (٥٩) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا  
 فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ  
 يَسْتَعْفِفْنَ غَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • (٦٠) ﴿﴾

هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض ، وما تقدم في أول السورة فهو استئذان الأجانب بعضهم على بعض . فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال . ( الأول ) من قبل صلاة (١) الغداة لأن الناس إذ ذاك نيام في فرشهم ( الثاني ) : ﴿ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴾ أي وقت القبلولة . لأن الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ( الثالث ) : ﴿ ومن بعد صلاة العشاء ﴾ لأنه وقت النوم ، فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال لما يخشى من أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الأعمال ، ولهذا قال تعالى ﴿ ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ﴾ أي إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم ، ولا عليهم إن رأوا شيئاً ، لأنه قد أذن لهم في الهجوم . ولأنهم طوافون عليكم في الخدمة وغير ذلك ، ويفتقر في الطوافين ما لا يفتقر في غيرهم ولما كانت هذه الآية محكمة . وكان عمل الناس بها قليلاً ، أنكر عليهم عبد الله بن عباس روى أبو داود عن عبد الله بن يزيد سمع ابن عباس يقول : لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن ، وإني لأمر جاريتي هذه أن تستأذن علي ، وقال الشعبي : لم تنسخ . والدليل على أنها لم تنسخ قوله تعالى : ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ يعني إذا بلغ الأطفال الحلم وجب عليهم الاستئذان في كل حال وإن لم تكن في الأحوال الثلاث وقوله تعالى : ﴿ كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ يعني مثلما كان الأطفال قبل أن يبلغوا الحلم يستأذنون فليستأذن الذين بلغوا الحلم دائماً . وقوله تعالى : ﴿ والقواعد من النساء ﴾

(١) قلت : أي صلاة الصبح ( والغداة ) ما بين الفجر إلى طلوع الشمس والمراد عدم الدخول قبل صلاة الفجر .





وقوله تعالى : ﴿أَوْ بِيوتِ آبائِكُمْ أَوْ بِيوتِ أمهاتِكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿أَوْ ما مَلَكتُمْ مَفاتِحَهُ﴾ هذا ظاهر . وقد يستدل به من يوجب نفقة الأقارب بعضهم على بعض كما هو المشهور في مذهب أبي حنيفة وأحمد . وأما قوله تعالى : ﴿أَوْ ما مَلَكتُمْ مَفاتِحَهُ﴾ فهو خادم الرجل من عبد وقهرمان فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف . وعن عائشة رضي الله عنها فيما معناه : كان المسلمون يدفعون مفاتيحهم إلى ضمانتهم يعقلون لهم أكل ما احتاجوا إليه في غيبتهم ولكن الضماناء كانوا يتخرجون لأن الإذن لهم ما كان عن طيب نفس فأئذن الله تعالى : ﴿أَوْ ما مَلَكتُمْ مَفاتِحَهُ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَوْ صديقكم﴾ أي بيوت أصدقائكم وأصحابكم فلا جناح عليكم في الأكل منها إذا علمتم أن ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهون ذلك . وقوله تعالى : ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ كانوا بأنفسهم ويتخرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم في ذلك فقال تعالى : ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ فهذه رخصة منه تعالى في أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة . وإن كان مع الجماعة أترك .

وقوله تعالى : ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ يعني فليسلم بعضكم على بعض . وعن جابر بن عبد الله قال : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة . قال أبو الزبير : ما رأيته إلا يوجهه .

وقال مجاهد : إذا دخلت المسجد فقل : السلام على رسول الله ، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وقال قتادة : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . فإنه كان يؤمر بذلك . وحدثنا أن الملاحكة ترد عليه . وروى الحافظ أبو بكر البزار عن أنس قال : ٣٥٣ [ أوصاني النبي ﷺ بخمس خصال قال : ﴿يا أنس اسبغ الوضوء يترد في عمرك ، وسلم على من لقيك من أمي تكثر حسناتك وإذا دخلت - يعني بيتك - فسلم على أهلك يكثر خير بيتك ، وصل صلاة النضح فإنها صلاة الأوابين قبلك . يا أنس : إرحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة ] . وقوله تعالى : ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ تنبيه منه تعالى لعباده وتبيين لهم الآيات بياناً شافياً ليتدبروها ويتعقلوها ، لعلهم يعقلون .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لِمَنْ أَلَّ اللَّهُ غُفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

وهذا أيضاً أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه . فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف : لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ثم أمر الله رسوله ﷺ إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ولهذا قال سبحانه : ﴿ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لِمَنْ أَلَّ اللَّهُ ﴾ . وقد روى أبو داود عن أبي هريرة عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ ٣٥٤ ] إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم وإذا أراد أن يقوم فليسلم : فليست الأولى بأحق من الآخرة [ هكذا رواه النسائي والترمذي وقال : حديث حسن .

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْثُونَ مِنْكُمْ لِيُؤَادُوا فَلَاحِذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

عن ابن عباس : كانوا يقولون : يا محمد يا أبا القاسم . فنهاهم عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبية ﷺ قال : فقولوا : يا نبي الله . يا رسول الله . كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ - إلى قوله - إن الذين يتنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ﴾ الآية فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده . كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته .

وقوله تعالى : ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا ﴾ قال مقاتل بن حيان هم المنافقون كانت تنقل عليهم الخطبة يوم الجمعة فيلوثون ببعض أصحاب النبي ﷺ حتى يخرجوا من المسجد ، وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن النبي ﷺ في يوم الجمعة بعدما يأخذ في الخطبة .

وقوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو منهاجه وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله . فما وافق ذلك قيل : ومن خالفه فهو مردود على قائله وقاعله كائناً من كان . كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٣٥٥ [ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ] أي فليخش من خالف سنة رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً ﴿ أن تصيهم فتنة ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أو يصيهم عذاب أليم ﴾ أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك ، كما روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ [ ٣٥٦ ] مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوفا جعل القراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبهن ، فيقتحن فيها . قال - فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار ، فتغلبوني وتقتحمون فيها ] أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَعَلِيمٌ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ (٦٤) ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وعالم الغيب والشهادة ، وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم ، فقال : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ وقد للتحقيق (١) كما قال قبلها : ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا ﴾ وقال تعالى : ﴿ قد نرى قلبك وجهك ... ﴾ فقوله تعالى : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ أي هو عالم به مشاهد له لا يعزب عنه مثقال ذرة ، كقوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم

(١) قلت : كل / قد / تدخل على المفارغ وتتعلق بذات الله تعالى فهي فتحشيقاً ، بخلاف ما إذا كانت تتعلق بالخلق فهي فتحشيقاً كما هو معلوم من قواعد اللغة العربية .

ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿ والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً .

وقوله تعالى : ﴿ ويوم يرجعون إليه ﴾ أي ويوم يرجع الخلائق إلى الله وهو يوم القيامة ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ أي يخبرهم بكل ما فعلوه في الدنيا صغيراً كان أو كبيراً كما قال تعالى : ﴿ ... ويقولون ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ ولهذا قال ههنا : ﴿ ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴾ . آخر اختصار تفسير سورة التور نسأل الله التمام وله الحمد والمنة .

•••

١٣٩٠/٢/٢٤

١٩٧٠/٤/٣٠

ندعو الله تعالى أن يوفقنا إلى اتمام هذا الاختصار على ما برضيه سبحانه وأن يمننا  
الزلال والله الموفق أولاً وآخراً والحمد لله رب العالمين .

## (٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَا هَانُئِجًا وَمُنْتَهَبُونَ

إِلَّا الْآيَاتِ ٦٨ وَ ٦٩ وَ ٧٠ فَمَدْنِيَّةٌ  
نَزَلَتْ بَعْدَ يَس

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ  
تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

بِحمد الله تعالى نفسه الكريمة على ما نزل على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عرجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ﴾ وقال ههنا : ﴿ تبارك ﴾ وهو تفاعل من البركة المستمرة الثابتة الدائمة ﴿ الذي نزل الفرقان ﴾ نزل فعل من التكرار والتكرار لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة ، والقرآن نزل آيات بعد آيات وأحكاماً بعد أحكام وسوراً بعد سور وهذا أبلغ وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه ، كما قال تعالى في هذه السورة : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به قؤادك ورتنطاه ترتيلاً ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ ولهذا سماه ههنا الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والتمني والرشاد والحلال والحرام .

وقوله تعالى : ﴿ على عبده ﴾ هذه صفة مدح وثناء لأنه إضافة إلى عبوديته كقوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى عبده ليلاً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ليكون للعالمين نذيراً ﴾

كما قال ﷺ ٣٥٧ [ إني أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي فذكر منهن :  
« كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة : [

وقوله تعالى : ﴿ انذري له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ أي هو مالك السموات والأرض المنزه عن الولد والشريك ثم أخبر أنه تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ أي كل شيء مما سواه مخلوق مربوب . وهو خالق كل شيء وربّه ومبلكه وإلهه وكل شيء تحت قهره وتدييره وتسخره وتقديره .

﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴾ (٣)

يخبر تعالى عن جهل المشركين باتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء ، وعبادوا معه ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فكيف يملكون لعبادتهم ﴿ ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ أي ليس لهم من ذلك شيء بل مرجعه جميعاً إلى الله تعالى الذي هو يحيي ويميت وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم ﴿ ما خلقكم إلا كنفس واحدة ﴾ فهو الذي لا إله غيره ولا رب سواه ولا تنبغي العبادة إلا له لأنه هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلماً وَزوراً ﴾ (٤) ﴿ وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبْنَا فِيهَا نَفَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (٥) ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفوراً رَحِيماً ﴾ (٦)

يخبر تعالى عن سخافة عقول الكفار في قولهم عن القرآن : ﴿ إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . فقد جاءوا ظلماً أي كذب ﴾ يعنون النبي ﷺ ﴿ وأعانه عليه قوم آخرون . فقد جاءوا ظلماً

وزوراً ﴿ أي قالوا قولاً هم يعلمون أنهم يكذبون فيه ﴾ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ﴿ أي استنسخها ﴾ فهي تملئ عليه بكرةً وأصيلاً ﴿ أي تقرأ عليه صباحاً ومساءً ﴾ وهذا قول متهافت سخيف لأن الجميع يعلمون ما كان رسول الله يعلم شيئاً من الكتابة أبداً ويعرفون منه الصدق والأمانة ويُعده عن أي خُلُق رذيل بل وينادونه بالأمين لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه الله بالرسالة والنبوة رموه بهذه الافتراءات، وحاروا فيما يقذفونه به، فيقولون تارةً ساحر، وتارةً شاعر، وطوراً مجنون وكذاب. فأمر تعالى : ﴿ قل أنزل الذي يعلم السر في السموات والأرض ﴾ أي أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخريين حقاً وصدقاً مطابقاً للواقع وقوله تعالى : ﴿ الذي يعلم السر ﴾ أي الله الذي يعلم غيب السموات ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر . وقوله تعالى : ﴿ إنه كان غنوراً رحيماً ﴾ دعوة لهم إلى التوبة والإنابة . وأخبار لهم بأن رحمته واسعة وحلمه عظيم مع من تاب وأتاب إليه . كقوله تعالى : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ قال الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة .

﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا لَكُنَّا عَنْكَ يَا آدَمُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذِبًا ﴾ (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكْوِينٌ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿ (٨) أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿ (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿ (١٠) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿ (١١) إِذَا رَأَوْهُمُ مِنَ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿ (١٢) وَإِذَا أَلْقَاوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرَبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿ (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿ (١٤)



يغير تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للتحق بلا حجة ولا دليل منهم وإنما تطلوا بقولهم : ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ﴾ يعنون كما نأكله ويحتاج إليه كما نحتاج إليه ﴿ ويمشي في الأسواق ﴾ أي طلباً للتكسب والتجارة ﴿ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ﴾ أي هلاً أنزل إليه ملك من عند الله فيكون له شاهداً على صدقه فيما يدعيه كما قال فرعون : ﴿ قلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ وكذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا : ﴿ أو يلقى إليه كتر ﴾ ينقض منه ﴿ أو تكون له جنة يأكل منها ﴾ أي تسير معه حيث سار وهذا سهل يسير على الله ولكن له الحكمة والحجة البالغة في ترك ذلك ﴿ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ أي يقذفونك بالكذب عليك. من قولهم ساحر مسحور محنون كذاب شاعر. وكل ذلك باطل مخالف لسيرته عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى : ﴿ فضلوا ﴾ عن طريق الهدى ﴿ فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ وذلك أن كل من خرج عن طريق الحق والهدى : فهو ضال حيثما توجه . ثم قال تعالى : ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾ روى سفيان الثوري عن خيشمة : ٣٥٨ [ قيل للنبي ﷺ إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم نعطه نبياً من قبلك . ولا نعطي أحداً من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله فقال : « اجمعوها لي في الآخرة فأنزله الله عز وجل » ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾ ] وقوله تعالى : ﴿ بل كذبوا بالساعة ﴾ قالوا هكذا عناداً لا استرشاداً لأنهم كفارون بالبعث لذا قال تعالى : ﴿ واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾ أي أُرصدنا له عذاب الحربى .

وقوله تعالى : ﴿ إذا رأهم ﴾ أي جهنم ﴿ من مكان بعيد ﴾ يعني في مقام المحشر ﴿ سمعوا ما نغيظاً وزفيراً ﴾ حنقاً عليهم . كما قال تعالى : ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفرر تكاد تميز من الغبظ ﴾ أي تكاد تمزق من الغيظ على من كفر بالله.

وروى ابن أبي حاتم عن خالد بن دريك بإسناده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : ٣٥٩ [ « من يقل شياً ما لم أقل - أو ادعى إلى غير والديه أو انتهى لغير مواليه فلينبأ مقعده من النار - وفي رواية - فلينبأ بين عيني جهنم مقعداً » قيل يا رسول الله وهل لها من عينين ؟ قال : أما سمعتم الله يقول : ﴿ إذا رأهم من مكان



يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من تفرغ الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم . فقال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يُعْشِرُهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُوا أَنْتُمْ أَضَلَّامٌ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ أي . أنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني . أم هم عبدوكم من غير دعوة منكم لهم ؟ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ الآية ولهذا قال تعالى مخبراً عما يجب به المعبودون يوم القيامة ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي ليس للخلائق أن يعبدوا أحداً سواك لا نحن ولاهم فنحن ما دعوناهم إلى ذلك بل فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم هذا على تقدير فتح نون ﴿ نَتَّخِذْ ﴾ أما على ضم النون وفتح الحاء ﴿ نَتَّخِذْ ﴾ أي ما ينبغي لأحد أن يعبدنا . فنحن عبيد لك فقراء إليك وهي قرينة المعنى من الأولى ﴿ وَلَكِنْ مَنَعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ ﴾ أي طال عليهم العمر حتى نسا ما أنزله إليهم من الكتب الداعية إلى عبادتك وحدك لا شريك لك . ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا بُرًّا ﴾ قال ابن عباس أي هلكي .

فقال تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ أي فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله . وزعمتم أنهم لكم أولياء وأنهم يقربونكم إلى الله زلفى كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دَعْوَاهُمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ أي لا يقدرُونَ على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ ﴾ أي يشرك بالله ﴿ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ  
الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ  
وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (٢٠)

يقول تعالى مخبراً عن رسله المتقدمين أنهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى التغذية به ، ويشربون في الأسواق لتكسب . وما ذلك بضائرهم فإن الله تعالى رزقهم من الصفات

الكاملة والأعمال الفاضلة والخوارق والمعجزات ما يستدل به كل ذي عقل سليم على صدق دعوتهم ولم يجعلهم الله إلا بشراً يأكلون ويشربون .

وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾ أي اخترنا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع من يعصى ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴾ أي بمن يستحق أن يوحى إليه كما قال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك .

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ : ٣٦١ [ يقول الله تعالى إني مبتليك ومبتلى بك ] .



﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَةُ  
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴾ (٢١)  
يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلِيكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا  
مَّحْجُورًا ﴾ (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ حَبَآءَ  
مَنْشُورًا ﴾ (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ  
مَقِيلًا ﴾ (٢٤)

يخبر تعالى عن تعنت الكفار في كفرهم ، وعنادهم في قولهم : ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾ عياناً فيخبرونا أن محمداً رسول الله - كقولهم : ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ﴾ ولهذا قالوا ﴿ أو نرى ربنا ﴾ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً ﴾ أي هم لا يرون الملائكة ... إلا في يوم لا بشرى لهم فيه ، وذلك بصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار وقال آخرون بل المراد بقوله تعالى : ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى ﴾ يعني يوم القيامة ، قال مجاهد والضحاك وغيرهما : ولا منافاة بين هذا وما تقدم فإن الملائكة في هذين اليومين ، يوم الممات

ويوم المعاد ، تتجلى للمؤمنين وللكافرين . فبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان وتخبر الكافرين بالحلية والحسران فلا بشرى يومئذ للمجرمين ﴿ ويقولون حجراً محجوراً ﴾ أي ويقول الملائكة للكافرين : حرام محرم عليكم الفلاح اليوم ، وأصل الحجر المنع ومنه سمي الحجر عند البيت الحرام . لأنه يمنع الطواف ان يطوفوا فيه ، وإنما يطاق من ورائه . والغرض أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ ويقولون ﴾ عائد على الملائكة ، هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن وغيرهم واختاره ابن جرير . وقوله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ﴾ أي عمدنا إلى ما عملوا من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم ، لكنها فقدت الشرط الشرعي ، فكل عمل لا يكون خالصاً . وعلى الشريعة المرضية فهو باطل فأعمال الكفار ليست خالصة ولا موافقة للشريعة المرضية فتكون أبعد من القبول حينئذ . وهذا قال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ والهباء المنثور قال علي رضي الله عنه هو شعاع الشمس إذا دخل الكرة . وقال الحسن البصري : هو الشعاع في كوة أحدكم . ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع . وهكذا فإن الكفار عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها على شيء . فلما عرضت على الملك الحكم العدل الذي لا يجوز ولا يظلم إذا بها لا شيء بالكلية ، كما قال تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ أي يوم القيامة أي بما عملوه من الأعمال المتصلة نالوا ما نالوا وصاروا إلى ما صاروا إليه بخلاف أهل النار فانهم ليس لهم عمل واحد يقتضي دخول الجنة ، والنجاة من النار . فبشر تعالى بحال السعداء على حال الأشقياء فقال تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ قال ابن عباس : إنما هي الساعة يقبل فيها أولياء الله على الأسرة مع الحور العين ، ويقبل أعداء الله مع الشياطين مقرنين .

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ (٢٥)

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَجِيرًا ﴿ (٢٦)  
وَيَوْمَ بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿ (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿ (٢٨) لَقَدْ

أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ  
خَذُولًا ﴿٢٩﴾

يُخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة : فمنها انشقاق السماء وتقطرها وانفراجها بالغمام وهو ظُلُلُ النور العظيم الذي يبهر الأبصار ونزول ملائكة السموات يومئذ فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ثم يحيى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء قال مجاهد : وهذا كما قال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ وفي الصحيح : ٣٦٢ [ ان الله تعالى يطوي السموات بيمينه ويأخذ الأرضين بيده الأخرى ثم يقول : انا الملك أنا الديان . أين ملوك الأرض ، أين الجبارون أين المتكبرون ؟ ] . وقوله تعالى : ﴿ وكان يوماً على الكافرين عسيراً ﴾ أي شديداً صعباً . . . فهذا حال الكافرين في هذا اليوم . وأما المؤمنون فكما قال تعالى : ﴿ لا يجزيهم الفزع الأكبر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويوم يعرض الظالم على بديه ﴾ الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق البين الذي لا مربة فيه : وسلك طريقاً أخرى غير سبيل الرسول . فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم . وعض على يديه حرةً وأسفاً . وسواء كان سبب نزولها في عفة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء . فإنها عامة في كل ظالم . كما قال تعالى : ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار ﴾ الآتين فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم وبعض على يديه قائلاً ﴿ يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا ويلتنا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً ﴾ يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرهما ﴿ لقد أضلني عن الذكر ﴾ وهو القرآن ﴿ بعد إذ جاءني ﴾ أي بعد بلوغه إلي قال الله تعالى : ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ أي يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه .

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُورًا ﴾ ﴿ (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ ﴿ (٣١) ﴾

يخبر تعالى عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال : ﴿ يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ وذلك أن المشركين إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغظ والكلام في غيره حتى لا يسمونه فهذا من هجرانه . وترك الإيمان به . وعدم تدبره ، وترك العمل به ، والعدول عنه إلى غيره . كل ذلك من هجرانه أيضاً . نسأله تعالى ان ينجنا ما يخطئه ، ويستعملنا في ما يرضيه من حفظ كتابه بفهمه والعمل بمقتضاه دائماً على الوجه الذي يرضاه انه سمع بحبيب كريم وهاب . وقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً من المجرمين ﴾ أي كما أن قومك عادوك لما دعوت إلى توحيد الله . كذلك فعل الأمم الماضية مع رسلهم فكان منهم أعداء لهم يصتوّن الناس عن الهدى، ولكن الله تعالى هو الهادي فلا يستطيع أحد أن يحول دون هدايته، ولذلك قال عز من قائل : ﴿ وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدق وأتبعه فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة والله غالبٌ على أمره .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ (٢٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (٢٣) الَّذِينَ يُخَسِرُونَ عَلَىٰ أَوْجُهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٢٤)

يخبر تعالى عن كثرة اعتراض الكفار ، وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيه فقالوا : ﴿ لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزرور وغيرها من الكتب الإلَهية ، فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث ، وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين به ولهذا قال ﴿ كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴾ أي بيناه تبييناً ﴿ ولا يأتونك بمثل ﴾ أي بشبهة ﴿ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ أي ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق ، وأبين وأفصح من مقالتهم .

وهذا اعتناء ، وكبير شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساءً ، وليلاً ونهاراً ، مفزاً وحضراً ، لا كما أنزلت الكتب المتقدمة جملة واحدة ، وقد جمع الله للقرآن الصفتين معاً ، ففي المثل الأعلى أنزل جملة واحدة

من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا . ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض مفرقاً حسب الوقائع والحوادث .

ثم قال تعالى مخبراً عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة ، وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شرٌّ مكاناً وأضلّ سبيلاً ﴾ وفي الصحيح عن أنس أن رجلاً قال : [ ٣٦٣ ] يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال : «ان الذي أمشاه على رجله قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » [ .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴾ (٣٥) ﴿ قَلْنَا أذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْرْنَاهُمْ نَذِيْرًا ﴾ (٣٦) ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٣٧) ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ (٣٨) ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ (٣٩) ﴿ وَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السُّوءَ أَقْلَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (٤٠) ﴿

يتوعد الله تعالى من كذب على رسوله ﷺ من مشركي قومه ومن خالفه ، ويحذرهم من عقابه، وأليم عذابه، مما أحلّه بالأمر الماضية المكذبين لرسله عليهم الصلاة والسلام فيبدأ بذكر موسى عليه السلام وأنه بعث معه أخاه هارون نبياً مؤزرأهم فكذبها فرعون وجنوده ﴿ فدمرناهم تدميراً ﴾ وكذلك قوم نوح عليه السلام لما كذبوا نوحاً فكانما كذبوا الرسل قبله إذ لا فرق بين رسول ورسول ﴿ فما آمن معه إلا قليلاً ﴾ ولهذا أغرقهم الله ولم يترك من بني آدم على وجه الأرض سوى أصحاب السفينة فقط ﴿ وجعلناهم للناس آية ﴾ أي عبرة يعتبرون بها . وقوله تعالى : ﴿ وعاداً وثمود وأصحاب الرس ﴾ أما عاد وثمود فقد تقدم الكلام عليهما في غير ما سورة كالأعراف بما أغنى عن الإعادة .



وأما أصحاب الرس فهم أصحاب الرس بفلج من قرى البعامة بتجد ، والرس بئر رسوا فيها نبهم ، أي دفنوه فيها .

وقوله تعالى : ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ أي وأما كثيرة أضعاف من ذكرنا فقد أهلكناهم بتكذيبهم رسليهم ﴿ وكلاً ضربنا له الأمثال ﴾ أي بيننا لهم الحجج ووضحنا لهم الأدلة . كما قال قتادة : وأزحنا الأعداء عنهم ﴿ وكلاً تبرأنا تنبيراً ﴾ أي أهلكنا إهلاكاً . كقوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ﴾ والقرن هو الأمة من الناس متعاصرون في الزمن الواحد وإذا ذهبوا وخلفهم جيل آخر فهو قرن آخر وقد قدروا لهذا الزمن مائة سنة . وقوله تعالى : ﴿ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ﴾ يعني قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهلكها الله بالقلب وبالطرب والحجارة التي من سجيل . كما قال تعالى : ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإنكم لتسرون عليها مصبحين ﴾ وبالليل أفلا تعقلون ﴿ ولهذا قال ههنا ﴿ أفلم يكونوا يرون ﴾ أي فيعتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بتكذيبهم بالرسول . ﴿ بل كانوا لا يرجون نشوراً ﴾ يعني المارين بها من الكفار ، لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشوراً أي معاداً يوم القيامة .

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ أَنْتَ رَاوَهُمْ بِبَعْثِ رَسُولٍ قَالُوا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (٤١) ﴿ إِنَّ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ الْبَيْتِ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٢) ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (٤٣) ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَفْقَهُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٤)

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ فقال تعالى : ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ﴾ وقالوا : ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا ﴾ أي ينتقصونه ويستخفون به ، فلنهم الله وتبجحهم . وقالوا : ﴿ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا ﴾ يعنون أنه كاد يسيهم عن عبادة الأصنام لولا أن صبروا واستمروا عليها . فقال الله متوعداً لهم : ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً ﴾ .



مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ظَهُورًا • (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسِفِيَهُ مِمَّا  
خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْثَى كَثِيرًا • (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا  
قَابِي أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا • (٥٠)

وهذا أيضاً من نعمته التامة وقدرته وسلطانه العظيمين وهو أنه تعالى يرسل الرياح  
مبشرات أي بمجيء السحاب بعدها والرياح أنواع كثيرة ... ومنها ما يلقح السحاب  
بمطره. ولهذا قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ظَهُورًا ﴾ أي آله يتطهر بها .

وقوله تعالى : ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا ﴾ أي أرضاً قد طال انتظارها للغيث فهي  
هامدة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاء المطر ، عاشت واكتت رباهما أنواع الأزاهير  
والألوان . كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ الآية وقوله تعالى :  
﴿ وَنُسِفِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْثَى كَثِيرًا ﴾ أي وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي  
محتاجين إليه غاية الحاجة لشربهم وزرعهم وثمارهم . كما قال تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ  
رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا ﴾ أي أمطرنا هذه الأرض دون  
هذه ، وسقنا السحاب يمرُّ على الأرض وتعدّها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى  
فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقاً ، والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء ، وله في  
ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة . قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما :  
ليس عام بأكثر مطراً من عام ، ولكن الله يصرفه كيف يشاء ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ  
صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا ﴾ أي ليدذكروا بإحياء الله الأرض  
الميتة أنه قادر على إحياء السموات والعظام الرفات أو ليدكر من منع المطر إنما أصابه  
ذلك بذنب أصابه فليقلع عما هو فيه . قال عكرمة في قوله تعالى : ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ  
إِلَّا كَفُورًا ﴾ يعني الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ، كما صح في الحديث الذي  
رواه مسلم عن رسول الله ﷺ [ ٣٦٤ ] انه قال لأصحابه يوماً على أثر سماء أصابتهم من  
الليل ﴿ أتدرون ماذا قال ربكم ؟ ﴾ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادي  
مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ،  
وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب . [

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِيراً ﴾ ﴿٥١﴾ فَلَا تَطْعَمُ  
الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ  
الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا يَمْلِحُ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً  
وَحِجْراً مَحْجُوراً ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ  
نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴿٥٤﴾

يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِيراً ﴾ يدعوهم إلى الله عز وجل ولكننا خصصناك يا محمد بالبعثة إلى جميع الأرض ، وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن ﴿ لِأَنْذَرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ وفي الصحيحين : ٣٦٥ [ « بعثت إلى الناس عامة » ] ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ يعني بالقرآن قاله ابن عباس ﴿ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ أي غليظاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا يَمْلِحُ أَجَاجٌ ﴾ أي خلق الماءين : الحلو والمالح فاخلو كالأنهار والعيون والآبار وهو العذب الفرات . فالبحر العذب هو هذا السطح بين الناس فرقة الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً وعيوناً في كل أرض . بحسب حاجتهم لأنفسهم وأرضهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَهَذَا يَمْلِحُ أَجَاجٌ ﴾ أي مالح مَر لا يستساغ وذلك كالبهار المعروفة في المشرق والمغرب من البهار الساكنة التي لا تجري ولكن تموج وتضطرب في زمن الشتاء وشدة الرياح ، ومنها ما فيه مد وجزر ، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض . فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى غابتها الأولى فإذا استهل الشهر الجديد شرعت البهار في المد إلى الليلة الرابعة عشرة ثم تشرع في النقص فأجرى الله ذو القدرة التامة العادة بذلك ، وقد خلقها مالححة لئلا يفسد الهواء فيفسد الوجود بذلك . بل يكون هواؤها صحيحاً وميتها طيبة . ولهذا قال رسول الله ﷺ ٣٦٦ [ وقد سئل عن ماء البحر : أتوضأ به ؟ فقال « هو الطهور ماؤه الحلو ميتته » ] رواه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن بإسناد جيد .

وقوله تعالى : ﴿ وجعل بينهما برزخاً وجحراً ﴾ أين بين العذب والمالح حاجزاً وهو اليبس من الأرض ﴿ محجوراً ﴾ أي ممنوعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر . كقوله تعالى : ﴿ آمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وأوجعنا لها روافي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً ﴾ أي خلق الانسان من نطفة ضعيفة فجعله كامل الحلقة ذكراً وأنثى ، كما يشاء ﴿ فجعله نساءً وصهراً ﴾ فهو في ابتداء أمره ولدٌ نسيبٌ ، ثم يتزوج فيصير صهراً ، ثم يصير له أصهاراً وأختاناً وقرابات وكل ذلك من ماء مهين ولهذا قال تعالى : ﴿ وكان ربك قديراً ﴾ .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيْرًا ﴾ (٥٥) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٥٦) ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيْلًا ﴾ (٥٧) ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾ (٥٨) ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَنَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾ (٥٩) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوْرًا ﴾ (٦٠)



يغير تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام التي لا تنضر ولا تنفع بمجرد الأهواء فهم يوالونهم، ويقفون في سبيلهم ، ويعادون الله ورسوله والمؤمنين فيهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ أي عوناً للشيطان على حزب الله وحزب الله هم الغالبون . ثم قال تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ أي مبشراً للمؤمنين ، ونذيراً للكافرين من مخالفة أمره . ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر ﴾ أي على هذا البلاغ إنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى : ﴿ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴾ أي طريقاً ومنهجاً يقتدي فيها بما جئت به .

ثم قال تعالى : ﴿ وتوكل على الحمي الذي لا يموت ﴾ أي في أمورك كلها كن متوكلاً على الحمي القيوم رب كل شيء ومليكه . واجعله ذنورك وملجأك فإنه كافيك وناصرك ﴿ وسبح بحمده ﴾ أي اقرن بين حمده وتسيبته ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ٣٦٧ [ سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك ] أي أخلص له العبادة والتوكل . كقوله تعالى ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴾ أي بعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية .

وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض ﴾ أي بقدرته وسلطانه وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه ﴿ في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ﴾ أي علا عليه يدبر الأمر ويقضي الحق وهو خير الفاصلين . وقوله تعالى : ﴿ فاسأل به خبيراً ﴾ أي استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه واقتد به وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ، سيد ولد آدم وأفضل خلق الله على الإطلاق في الدنيا والآخرة . الذي لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى ، فما قاله هو الحق ، وما أخبر به هو الصدق ، وهو الإمام المحكم الذي اذا تنازع الناس في شيء وجب ردّ نزاعهم إليه ، فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل ، ومردود على قائله وفاعله كائناً من كان . قال الله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ وقيل ﴿ فاسأل به خبيراً ﴾ أي هذا القرآن خير به - فلا منافاة فالرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه هو الذي لا أحد أعلم بالله ولا بالقرآن منه عليه السلام - (١)

وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴾ أي لا نعرف الرحمن ولا نُقِرُّ بِهِ ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ أي لمجرد قولك ﴿ وزادهم نفوراً ﴾ فأما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويسجدون له . وقد اتفق العلماء رحمهم الله على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجود عندها لقارئها ومستمعها ، كما هو مقرر في موضعه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا  
وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ  
أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿ (٦٢)

يُجَدُّ تَعَالَى نَفْسَهُ وَيُعْظِمُهَا عَلَى جَمِيلِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الْبُرُوجِ وَهِيَ الْكَوَاكِبُ الْعُظْمَى الَّتِي قَبِلَ مِنْهَا قُصُورَ الْحَرَمِ . وَيُرْوَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمَا . فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ﴾ وَهِيَ الشَّمْسُ ﴿ وَفَعَرَا مِنِيرًا ﴾ أَي مُضِيئًا وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ أَي يَخْلُفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . بِتَعاقِبَانِ لَا يَفْتَرَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ أَي جَعَلَهُمَا بِتَعاقِبَانِ تَوْقِينًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ فَاتَهُ عَمَلٌ فِي اللَّيْلِ اسْتَدْرَكَهُ فِي النَّهَارِ . وَمَنْ فَاتَهُ عَمَلٌ فِي النَّهَارِ اسْتَدْرَكَهُ فِي اللَّيْلِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : ٣٦٨ هـ [ إِنْ لَمْ يَلِكْ فِي النَّهَارِ عَمَلٌ لَيْسَ لَهُ فِي اللَّيْلِ ] .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٦٣) ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (٦٤) ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (٦٥) ﴿ إِنَّمَا سَأَلْتُمُ مُسْتَقْرًا وَمَقَامًا ﴾ (٦٦) ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧)

هذه صفات عباد الله المؤمنين : ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ بتواضع ووقار وبلا تجبر واستكبار ولا أشْر ولا بطر وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياءً فقد كان ﷺ إذا مشى فكأنما ينحط من صيب . والمراد بالهون هنا السكينة والوقار ، كما قال رسول الله ﷺ [ ٣٦٩ ] إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَلَا تُؤْتَمُّوهُا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأَتَمُّوهُا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ . فَمَا أَدْرَكْتُمْ مِنْهَا فَصَلُّوا . وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتَمُّوا [ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ أَي إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمُ الْجَاهِلُونَ اللَّسِيءَ لَمْ يَقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ بَلْ يَعْفَوْنَ وَيَصْفَحُونَ وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ الآيَةُ ... رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ مَعْمَرٍ الْمَرْثِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

﴿٣٧٠﴾ [ - وَسَبَّ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَهُ فَجَعَلَ الْمَسِيوبُ يَقُولُ عَلَيْكَ السَّلَامُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَمَا إِنْ مَلَكَأَ بَيْنَكُمَا يَذُبُّ عَنْكَ ، كَلِمَا شَتَمَكَ هَذَا قَالَ لَهُ : بَلْ أَنْتَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ وَإِذَا قُلْتَ لَهُ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، قَالَ : لَا بَلْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ » ] اسناده حسن ولم يخرجوه .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سَجْدًا وَقِيَامًا ﴾ أي في طاعته وعبادته كقولهِ تعالى : ﴿ تَنجَانِي مِنْهُمُ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ خائفين من عذاب الله راجين رحمته ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ أي محرقاً دائماً ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي ينس المنزل منظرًا . وينس المقييل مقاماً يهوي في النار فإذا انتهى إلى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تُشحَفَ ، فيسقى كأساً من سُمِّ الْأَسَاوِدِ وَالْعُقَارِبِ . فيتميز بجلد عن الشعر والعصب والعروق كل على حدة . كما هو مروى عن مالك بن الحارث .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ أي ليسوا بمبذرين ولا بخلاء ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ روى أبو بكر عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ ﴿٣٧١﴾ [ ما أحسن القصد في العنى . وما أحسن التقصد في الفقر . وما أحسن القصد في العبادة ] ثم قال : لا نعرفه بروى إلا من حديث حذيفة رضي الله عنه . وقال الحسن البصري : ليس في الثقة في سبيل الله سرف .

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٦٨) يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿ (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿ (٧١) ﴿



روى الإمام أحمد عن عبد الله هو ابن مسعود قال : ٣٧٢ [ مثل رسول الله ﷺ ، أي الذنب أكبر ؟ قال : « ان تجعل لله أنداداً وهو خلقك » قال : ثم أي ؟ قال : « ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال : ثم أي ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » قال عبد الله : وأنزل الله تصديق ذلك : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ الآية [ وهكذا رواه النسائي وقد أخرجه البخاري ومسلم . ولفظهما عن ابن مسعود قال : قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ...

روى النسائي عن سلمة بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : ٣٧٣ [ « ألا إنما هي أربع ، فما أنا بأشجع عليهن منذ سمعتن من رسول الله ﷺ ، لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ولا تسرقوا » ] روى الإمام أحمد عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه ٣٧٤ [ « تتوونون في الزنا » قالوا : حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره » قال : فما تقولون في السرقة ؟ » قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام . قال : « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره » ] .

روى أبو بكر بن أبي الدنيا عن الهيثم بن مائة الضائي عن النبي ﷺ قال ٣٧٥ [ ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له ] .

روى ابن جرير عن ابن عباس يحدث ٣٧٦ [ أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا : ان الذي تدعو إليه فحسن ، لو تخبرنا أن لينا عملنا كقارة فنزلت : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إله آخر ... ﴾ ونزلت : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ الآية ] .

وذكر لنا ان لقمان كان يقول : يا بني إياك وإثنا فإن أوله غفارة وآخره ندامة . وقوله تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ﴾ روى عن عبد الله بن عمرو أنه قال : واد في جهنم وقال عكرمة : ﴿ يلق أثاماً ﴾ أودية في جهنم يعذب فيها الرناة .

وقوله تعالى : ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ﴾ أي يكرر عليه ويغلظ ﴿ ويغلظ فيه مهاناً ﴾ أي حقيراً ذليلاً . وقوله تعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً .. ﴾

أي جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات الصالحة ما ذكر ﴿ إلا من تاب ﴾ في الدنيا إلى الله ﴿ وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾ فإن الله يتوب عليه وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾ الآية فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة ، فتحمل على من لم يتب لأن هذه مقيدة بالتوبة ولقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ :

وقوله تعالى : ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ فيه قولان أصحهما : ان تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر ، فيقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار ، فيوم القيامة وإن وجدته مكتوباً عليه فإنه لا يضره ، وينقلب حسنة في صحيفته ، كما ثبت بالسنة وصححت به الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم . روى الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٧٧ [ إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ، وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة ، يؤتى برجل فيقول نحواً عنه كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا ، وعملت يوم كذا ، كذا وكذا فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً : فيقال فإن لك بكل سيئة حسنة ؛ فيقول : يا رب عملت أشياء لا أراها ههنا قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ] انفراد باخراجه مسلم .

روى الحافظ أبو القاسم الطبراني عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٧٨ [ إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان : أعطني صحيفتك . فيعطيه إياها فما وجد في صحيفته من حسنة محابها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات . فإذا أراد أحدكم أن ينام فليكبر ثلاثاً وثلاثين تكبيرة ، ويحمد أربعاً وثلاثين تحميدة ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين تسيحة فتلك مائة ] .

روى الطبراني عن أبي فروة أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : ٣٧٩ [ أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة ؟ فقال : « أسلمت ؟ » فقال : نعم قال « فافعل الخيرات واترك السيئات ، فيجعلها الله لك خيرات كلها » قال : وغدراتي وفجراتي ؟ قال : « نعم » فما زال يكبر حتى توارى ] .

ثم قال تعالى مخبراً عن عموم رحمته بعباده ، وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان جليلاً أو حقيراً ، كبيراً أو صغيراً ؛ فقال تعالى : ﴿ ومن تاب وعمل

صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ﴿ أي فإن الله يقبل توبته كقولته تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله بظفر الذنوب جميعاً ﴾ الآية ، أي لمن تاب إليه

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿ (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿ (٧٤) ﴿

وهذه أيضاً من صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور وقد قيل في معنى الزور الشرك وعبادة الأصنام والكذب والفسق والكفر والغناء والخمر والباطل ومجالس السوء والخنثى وأعياد المشركين وشهادة الزور ، فقوله تعالى : ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ أي لا يحضرون كل هذه المجالس ولهذا قال تعالى : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ أي لا يحضرون مجالس الزور وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء ولهذا قال : ﴿ مروا كراماً ﴾ .

روى ابن أبي حاتم عن ابراهيم بن ميسر ٣٨٠ [ ان ابن مسعود مرّ بلهوى فلم يقف فقال رسول الله ﷺ : لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريباً ] ثم تلا ابراهيم بن ميسرة : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ وهذه أيضاً من صفات المؤمنين قال الحسن : كم من رجل يقرأها ويختر عليها أصم وأعمى قال ابن أبي حاتم عن عون قال : سألت الشعبي قلت : الرجل يرى القوم سجوداً ولم يسمع ما سجدوا ، أسجد معهم ؟ فتلا هذه الآية ... يعني لا يسجد معهم ، لأنه لم يتدبر أمر السجود ولا ينهني للمؤمن أن يكون إمامة بل يكون على بصيرة من أمره ويقين واضح بين .

وقال مجاهد : قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ قال لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئاً . وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

وذرياتنا قررة أعين ﴿ . يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له قال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين . روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن جبيرة بن نغير عن أبيه - جبيرة - قال [ جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً . فمرَّ به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأنا رسول الله ﷺ لوددنا أننا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت ؛ فاستغضب المقداد ، فجعلت أعجب لأنه ما قال إلاً خيراً ، ثم أقبل إليه فقال : ما يعمل الرجل على أن يسمي محضراً غيبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف يكون فيه ، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يعبوه ولم يصدقوه ، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعرفون إلا ربكم ، مصدقين بما جاء به نبيكم ، قد كفيتم البلاء بغيركم ؛ لقد بعث الله النبي ﷺ على أشرف حال بعثت عليها نبياً من الأنبياء في فترة جاهلية ما يرون أن ديننا أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار ؛ فلا تقر عينه ، وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وأنها التي قال الله تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين ﴾ وهذا اسناد صحيح ولم يخرجوه .

وقوله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ أي أئمة يقتدى بنا في الخير ، فأجوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ، وإن يكون هداهم متعدداً إلى غيرهم بالضعف ، وذلك أكثر ثواباً ، وأحسن مآباً .

ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به ، أو صدقة جارية . ]

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبَّةً وَسَلَامًا ﴾ (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَاتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿ (٧٦) قُلْ مَا يَعْتَبِرُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِوَامًا ﴿ (٧٧) ﴿

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكره من الصفات الجليلة ، قال بعد ذلك كله ﴿ أولئك ﴾ أي المتصفون بهذه الصفات ﴿ يجوزون ﴾ يوم القيامة ﴿ الغرفة ﴾ وهي الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ أي على القيام بذلك ﴿ ويلقون فيها نعمة وسلاماً ﴾ أي يتنعمون فيها بالتحية والإكرام فلهم السلام وعليهم السلام كما قال تعالى : حاكياً عن الملائكة قولهم : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ خالدین فیها ﴾ أي مقيمين أبداً لا يزولون . وقوله تعالى : ﴿ حسنت مستقراً ومقاماً ﴾ أي حسنت منظرًا وطابت منزلاً ثم قال تعالى : ﴿ قل ما يعأى بكم ربى لولا دعاؤكم ﴾ أي إنما خلقكم لعبادته ولا يبالي ولا يكثر بكم إذا لم تعبدوه : إنما خلق الخلق لعبادته .

وقوله تعالى : ﴿ فقد كذبتم ﴾ أي الكافرون ﴿ سوف يكون لزاماً ﴾ أي سوف يكون تكذيبكم مقتضياً لعذبيكم وإهلاككم في الدارين ويدخل في ذلك يوم بلر .

آخر اختصار تفسير سورة الفرقان

ولله الحمد والمنة

١٥ ربيع الأول سنة ١٣٩٠

٢٠ أيار سنة ١٩٧٠

## (٢٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَاهَا يَسْبُحُ وَعَشِيرُونَ وَمَأْنَانُ

إلا الآية ١٩٧ ثم من الآية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية. نزلت بعد الواقعة ( ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ  
بَايِعُ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ نَفْسًا نَزَّلْنَا عَلَيْهَا مِنَ  
السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا بَأْسَ بِهِمْ مِنْ  
ذِكْرِ مَنْ أَلْهَمْنَا فَعَلْتُمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ  
كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا  
إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَبْتَدَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَلِيمٌ  
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تكلمنا عليه في أول تفسير سورة البقرة .

وقوله تعالى : ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ أي هذه آيات القرآن الواضح الجلي  
الفاصل بين الحق والباطل ، وقوله تعالى : ﴿ لعلك بايع ﴾ أي مهلك ﴿ نفسك ﴾ أي

من شدة ما تعرض ونحزن عليهم ﴿ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وهذه تسليمة من الله تعالى لرسوله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ لو نشأ لأنزلنا معجزة تضطربهم إلى الإيمان قهراً ، ولكن لا نريد إلا الإيمان الاختياري .  
ثم قال تعالى : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾ أي كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض أكثر الناس عنه كقوله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقال تعالى هنا : ﴿ فقد كذبوا فيأتيهم أبناء ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي فقد كذبوا بما جاءهم من الحق فيعلمون ما سيحيق بهم ، ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه ، وجلالة قدره وقدرته فقال تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ أي هو القادر العظيم الذي أنبت في الأرض بما فيها من كل زوج من زروع وثمار وحيوان .

ثم قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ أي دلالة على قدرة الخالق ... ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا برسله وكتبه ، وقوله تعالى : ﴿ وإن ربك هو العزيز ﴾ الذي عز كل شيء وقهره وغلبه ﴿ الرحيم ﴾ بخلقه فلا يعجل على من عصاه بل يؤجله وينظره ، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر . وقال سعيد بن جبير : ﴿ الرحيم ﴾ بمن تاب إليه وأتاب .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠)

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ

يُكَذَّبُونِ ﴿ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأُرْسِلْ إِلَىٰ

هَرُونَ ﴿ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿ (١٤) قَالَ

كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿ (١٥) فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا

إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (١٦) أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ (١٧)

قَالَ أَلَمْ نَأْتِكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿ (١٨)

وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الْآتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ (١٩) قَالَ فَعَلْتُمَا

إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي  
رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ  
أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وإذ نادى ربك موسى أن اثبت القوم الظالمين ﴾ يخبر تعالى عما أمر عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الأيمن واصطفاه وأمره بالذهاب إلى فرعون ومملكته . ولهذا قال تعالى : ﴿ أن اثبت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون . قال رب إنني أخاف أن يكذبون . ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إل هارون . ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون ﴾ هذه أعتذار سأل من الله إزاحتها عنه . كما قال في سورة طه : ﴿ قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري - إلى قوله - قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون ﴾ أي بسبب قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر ﴿ قال كلاً ﴾ أي قال الله له : لا تخف من شيء من ذلك كقوله تعالى : ﴿ مشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما أنتما ومن أتبعكما الغالبون ﴾ ﴿ فاذهباً بآياتنا إننا معكم مستمعون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إنني معكم أسمع وأرى ﴾ أي يسمعها ماذا يقولان لفرعون وإبراهيم وهما تحت حفظه وتأيبده ﴿ فأبنا فرعون فقولا إننا رسول رب العالمين ﴾ أي كل منا أرسل إليك ﴿ أن أرسل معنا بني إسرائيل ﴾ أي أطلقهم من أسارك وتعليك فإنهم عباد الله المؤمنون ، وحزبه المخلصون . فلما قال موسى ذلك ازدراه فرعون وامتن عليه قائلاً : ﴿ ألم نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾ الآية في بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليك مدة من السنين ، ثم قابلت ذلك الإحسان بقتلك رجلاً منا ، وجحدت نعمتنا عليك . ولهذا قال : ﴿ وانت من الكافرين ﴾ أي الجاحدين ﴿ قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ﴾ أي في تلك كنت من الجاهلين قبل أن ينعم الله علي بالنبوة ﴿ ففررت منكم لما خفتكم ﴾ أما الآن فقد جاء أمر آخر ، فقد أرسلني الله إليك ، فإن أطعته سلمت وإن عصيته هلكت ثم قال موسى : ﴿ وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴾ أي ما أحسنت بتربيته بقدر ما أسأت لبني إسرائيل فاستعبدتهم واستعملتهم في أعمالك الشاقة ، أحسنت إلى رجل واحد - واستعبدت أمة كاملة .



﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿ (٢٤) قَالَ لِمَنْ  
حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ ﴿ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿ (٢٦)  
قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿ (٢٧) قَالَ رَبُّ  
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (٢٨) ﴿

يخبر تعالى عن كفر فرعون وتمرده وطمعانه وجحده في قوله تعالى : ﴿ وما رب العالمين ﴾ أي من هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف أنه كان يقول لقومه : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ وهذا مما يدل على أنه كان جاحداً لله تعالى بالكلية. ولكن موسى عليه السلام أجابه على سؤاله : ﴿ وما رب العالمين ﴾ قال موسى : ﴿ قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي خالق جميع ذلك ومالكة والمنصرف فيه وإلهه لا شريك له ، فالجميع عبيد له خاضعون ذليلون . ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ أي إن كانت لكم قلوب موقنة ، وأبصار نافذة ﴿ قال ﴾ أي فرعون على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله : ﴿ ألا تسمعون ﴾ ؟! أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري ؟ فقال لهم موسى : ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ أي خالقكم وخالق آبائكم الذين كانوا قبلكم ﴿ قال ﴾ أي فرعون لقومه : ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ أي ليس له عقل في دعواه أن ثم رباً غيري ﴿ قال ﴾ أي موسى لقوم فرعون مجيئاً ﴿ رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ﴾ أي هو الذي جعل المشرق مشرقاً تطلع منه الكواكب ، والمغرب مغرباً تغرب فيه الكواكب فإن كان فرعون يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقاً ، فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً ، ولما انقطعت حجة فرعون وبهت ، عدل إلى استعمال قوته وسلطانه ، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه :

﴿ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (٢٩)

قَالَ أَوْلَوْ جِشْتِكَ بِشِيءٍ مُّبِينٍ ﴿ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ  
الصَّادِقِينَ ﴿ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ (٣٢)

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلنَّاسِ حَوَالَهُ إِنِّ  
هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا  
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْبَعْتَ فِي الْمَدَائِنِ  
حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُوكَّ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

لما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل ، وكان فرعون مخلواً من كل حجة يدحض بها حجة موسى لجأ إلى القوة والسلطان ومدّده بالسجن إن اتخذ آلهة غيره فعند ذلك قال موسى : ﴿ أو لو جئتك بشيء مبین ﴾ أي بيهان قاطع واضح ﴿ قال فأت به ان كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبین ﴾ أي ظاهر في غاية الجلاء والعظمة ، ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مروّع ﴿ ونزع يده ﴾ أي من جيبه ﴿ فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ أي تتلأأ كقطعة من القمر ، فأصر فرعون على تكذيبه وعناده ﴿ قال للسلا حوله إن هذا لساحر عليم ﴾ أي يبارع في السحر ، وفعله هذا سحر لا معجزة ثم حرّضهم على الكفر به فقال : ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ﴾ أي يأخذ البلاد منكم فماذا ترونني صانعاً به ؟ ﴿ قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ﴾ أي آخره وأخاه حتى تجمع له من مملكته كل سحار عليم يأتون بنظير ما جاء به ، فتغلب وتكون لك النصره عليه فأجابهم إلى ذلك ليجتمع الناس في صعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة .

﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ  
لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُخْتَلِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ  
الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لِنَأْتِيكَ  
إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾

قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِجَابَهُمْ  
وَعَصِيْبَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ  
مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ  
سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ  
وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

ذكر الله تعالى هذه المناظر الفعلية بين موسى عليه السلام والقبط في سورة الأعراف  
وطه وهذه السورة ، وذلك أن القبط أرادوا أن يطفثوا نور الله بأفواههم ، فأبى الله  
إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وهذا شأن الكفر والإيمان ما تواجهها ، وتقابلا  
إلا غلبه الإيمان ﴿ وقيل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ ولهذا لما جاء السحرة من مختلف  
بلاد مصر وكانوا أسحر الناس وأشدهم تخيلاً عليهم وكانوا كثيرين جداً ، قيل كانوا  
بين اثني عشر ألفاً إلى ثمانين ألفاً والله أعلم بعدتهم ، واجتهد الناس في الاجتماع ذلك  
اليوم وقال قائلهم : ﴿ لعننا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ﴾ ولم يقولوا نتبع الحق  
أبياً كان بل الرعية على دين ملوكهم ﴿ فلما جاء السحرة ﴾ إلى مجلس فرعون وهو في  
أبيه في جمع من خدمه وحشمه ووزرائه ورؤساء دولته وجنوده فقال السحرة : ﴿ إن  
لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين . قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين ﴾ أي وأخص مما يطلبون  
أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي ، فعادوا إلى مقام المناظرة . ﴿ قالوا يا موسى إما أن  
تلقى وإما أن نكون أول من ألقى . قال بل ألقوا ﴾ فقال لهم موسى : ﴿ ألقوا ما أنتم  
ملقون . فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ﴾ وهكذا الجملة  
من الصوام إذا فعلوا شيئاً هذا بثواب فلان ﴿ فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴾  
أي تحتطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئاً . قال الله تعالى : ﴿ فوقع  
الحق وبطل ما كانوا يعملون ﴾ فكان هذا أمراً عظيماً جداً وبرهاناً قاطعاً للعذر ، وحجة  
دامغة ، وذلك ان الذين استنصر بهم غلبوا وخضعوا ﴿ فألقى السحرة ساجدين ﴾ لله رب  
العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة ﴿ قالوا آمنا برب العالمين .  
رب موسى وهارون ﴾ فغلب فرعون غلباً لم يشاهد العالم مثله ، ومن وقاحتها وجرأتها  
أن عدل إلى تهديد السحرة :

﴿٤٩﴾ قَالَ آمَنْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي  
 عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَوْ فَتَعَلَّمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ  
 وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا ضَلَّيْتُمْ أَنْجَمِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا  
 ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا  
 خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴿٥١﴾

تهدد فرعون السحرة وتوعدهم ولكن ما زادهم ذلك إلا إيماناً وتعلماً . كيف لا  
 وقد ظهر لهم الحق بأن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر إلا أن يكون الله  
 قد أيدته ، فعملوا من ذلك ما جهله قومهم وتمكنوا من إيمانهم ولم يلتفتوا إلى فرعون  
 بما لديه من وعد أو وعيد ودون اكتراث به ولهذا فإن فرعون : ﴿ قال آمنتم له قبل  
 أن آذن لكم ﴾ أي كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ﴿ إنه لكبيركم الذي علمكم  
 السحر ﴾ وهذه مكابرة يعلم حتى فرعون بطلانها وكيف يعلمهم السحر ولم يجتمعوا به  
 قبل ذلك ... ثم توعدهم فرعون بتقطيع الأيدي والأرجل والصلب فقالوا : ﴿ لا ضير ﴾  
 أي لا نبال بذلك ﴿ إنا إلى ربنا متقبلون ﴾ أي راجعون إلى الله الذي لا يضيع أجر المحسنين  
 ﴿ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ﴾ وهي ما أكرهتنا عليه من السحر ﴿ إن كنا أول  
 المؤمنين ﴾ من القبط ، فقتلهم كلهم .

﴿٥٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾  
 فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشُرُومَةٌ  
 قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ  
 حَاقِدُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ  
 وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٩﴾

لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر ، وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون

وملكه ، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون ، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج بيني اسرائيل ليلاً من مصر ، وأن يمضي بهم حيث يؤمر ، ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل . خرج بهم بعدما استعاروا من قوم فرعون حلياً كثيراً ، وكان خروجه بهم وقت طلوع القمر وان موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام ، فذكته امرأة عجوز من بني اسرائيل عليه ، فاحتمل تابوته معهم ، ويقال : إنه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك ، إذا خرج بنو اسرائيل أن يحتملوه معهم . وهناك حديث عن أبي موسى مرفوعاً في مال ذلك والأقرب أنه موقوف والله أعلم . فلما أصبحوا ... غاظ فرعونَ خروجهم فأرسلَ سريعاً من يحشد الجند ونادى فيهم : ﴿ إن هؤلاء ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ لشردمة قليلون ﴾ أي لطائفة قليلة ﴿ وأنهم لنا لغائظون ﴾ أي مديمون الإغاظَةَ لنا ﴿ وأنا بلجمع حاذرون ﴾ أي نخدر من غائلتهم وإني أريد أن أستأصل شافتهم فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم قال الله تعالى : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعميون . وكنوز ومقام كريم ﴾ أي فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم ، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين ، والأنهار ، والأموال ، والأرزاق ، والملك ، والجاه الوافر في الدنيا . ﴿ كذلك وأورثناها بني اسرائيل ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يتضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ الآية .

﴿ فَاتَّبِعُوهُمْ مَشْرِقِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ (٦١) ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦٢) ﴿ فَأَوْتَحِنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أُضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاتَّفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦٣) ﴿ وَأَزَلَفْنَا مِنَّمِ الْآخَرِينَ ﴾ (٦٤) ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ (٦٥) ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (٦٦) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٧) ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦٨) ﴿

لحق فرعون بنى اسرائيل في جيش كبير فيه اولو الحل والعقد والدول من الامراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود ولم يعين القرآن عدتهم إذ لا فائدة تحته لأنهم خرجوا بأجمعهم ﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ أي وصلوهم عند طلوع الشمس ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ أي رأى كل من الفريقين صاحبه ، عندها ﴿ قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾ وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار أمامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده ، فلهذا قالوا : ﴿ إنا لمدركون ﴾ قال كلاً إن معي ربي سيهدين ﴿ أي لا تخذروا فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير ههنا بكم ، وهو لا يخلف الميعاد وكان هارون عليه السلام في المقدمة ، ومعه يوشع بن نون . ومؤمن آل فرعون ، وموسى عليه السلام في الساقة . وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون ، وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون . يقول لموسى عليه السلام : يا نبي الله ههنا أمرك ربك أن تسير ؟ فيقول : نعم ، فاقرب فرعون وجنوده ولم يبق إلا القليل ، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه وقال : انفلق بإذن الله ، فانفلق . فذلك قوله تعالى : ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ أي كالجبل الكبير قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما . قال ابن عباس صار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق وزاد السدي : وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض وقام الماء على حيله كالحيطان ، وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلضخته ، فصار يساً كوجه الأرض ، قال الله تعالى : ﴿ فاضرب لهم طريقاً في البحر يساً لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾ وقال تعالى ها هنا في هذه القصة : ﴿ وأزلفنا ثم الآخرين ﴾ أي هنالك . قال ابن عباس وغيره : ﴿ وأزلفنا ... ﴾ أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأذنناهم إليه ﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ﴾ أي أنجينا موسى وبنى اسرائيل ومن اتبعهم على دينهم ، فلم يهلك منهم أحد ، واغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك . وعن عبد الله أي ابن مسعود قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى ، وتكامل أصحاب فرعون ، إنظمت عليهم البحر ، فما رؤي سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون لعنه الله <sup>(١)</sup> . ثم قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ أي في هذه القصة وما

(١) قالت : أجيل ؛ لمن الله فرعون لكفره وبناده حتى آخر نفس ولا عبرة بقوله : آمنت بأن لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل . لأن هذا كان في الفرجة التي لا يقبل الله عندها إيماناً ولكن ما يزال الشيطان يستحوذ على قلوب البعض فيقولون : فرعون ناج ويصرون على ذلك رغم ما تنبئ الآيات بكفره وإن الله تعالى لم يقبل إيمانه إذ قال له : « الآن ... !!! » وغيرها من الآيات ولكن القوم ... » هم هم ..

فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين ، لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة : ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴾ وقد تقدم تفسيره .

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ  
مَا تَعْبُدُونَ ﴿ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿ (٧١)  
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ ﴿ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُم أَوْ  
يَضُرُّونَ ﴿ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ (٧٤)  
قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿ (٧٦)  
فَأَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ (٧٧) ﴿

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم عليه السلام إمام الحقاء ، أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يتلوه على أمته ليعتدوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له ، والتبري من الشرك وأهله ، فإنه عليه السلام منذ نشأته أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾ أي ما هذه النسايل التي أنتم لها عاكفون ؟ ﴿ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ﴾ أي مقيمين على عبادتها ودعائها ﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعوكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئاً من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون ، فقال لهم إبراهيم : ﴿ أفرايتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدولي إلا رب العالمين ﴾ فإن كان لهذه الأصنام أي تأثير فلتنتقم مني فإنني عدوٌّ لها لا أبالي بها . كما قال هود عليه السلام : ﴿ إنني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ﴾ وهكذا تراء إبراهيم من آلهتهم ، فقال : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ﴾ الآية .

= اللهم العن فرعون وقومه في كل آن وزمان...؟ واحشرهم معه طلائع الحيتوه وأنشققوا عليه إلى هذا الحد :  
« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم ... الآية »

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿ (٨٠) وَالَّذِي يُمَيِّنُ لِي ثَمَّ بُيُوتِي ﴿ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿ (٨٢) ﴿

يعني لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء ﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾ أي الذي خلقني قدر هدايتي فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿ والذي هو يطعمني ويسقيني ﴾ أي هو رازقي بما سحر ويسر من الأسباب التي تزدي إلى رزق العباد طعاماً وشراباً ﴿ وإذا مرضت فهو يشفيني ﴾ وإذا قدر الله مرضي فمرضت فهو الذي يقدر الشفاء فأشفي ولا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدره من الأسباب ﴿ والذي يميتني ثم يحييني ﴾ أي هو الذي يحيي ويميت لا يقدر على ذلك أحد سواه ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٨٣) وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿ (٨٤) وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿ (٨٥) وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْفَخُونَ ﴿ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ قَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ (٨٩) ﴿

وهذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يؤتبه ربه حكماً قال السدي : البرة وقوله تعالى : ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ أي اجعلي معهم في الدنيا والآخرة . كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار ٣٨٢ [ اللهم في الرقيق الأعلى ] قلنا ثلاثاً . وفي الحديث : ٣٨٣ [ اللهم أحيينا مسلمين ، وأمنا مسلمين ، والحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبدين ] وقوله تعالى : ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ أي واجعل لي ذكراً جميلاً بعدي أذكر به ويفتدى بي في الخير ، كما قال تعالى : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ واجعلي من ورثة جنة النعيم ﴾ أي أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم



وقوله تعالى : ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي ﴾ كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي ﴾ وهذا مما رجح عنه إبراهيم عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَرْعَدَةٍ وَعَدَمَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ وقد قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه فقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ - إِلَى قَوْلِهِ - وَمَا أَمَّلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ﴾ (١١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ يَوْمَ يَبْعَثُونَ ﴾ أي أجزئي من الجزئي يوم القيامة .

روى البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً : ٣٨٤ [ يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصيني ، فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تحزني يوم يبعثون ، فأني حزني أخزى من أي الأبعد فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول : يا إبراهيم انظر تحت رجلك ، فينظر فإذا هو بذيخٍ منلطح ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ] تفرد به البخاري .

والذيخ هو الذكرك من الضباع . كأنه حوَك آزر إلى صورة ذبيخٍ منلطح بعذرتة فيلقى في النار .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ أي لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهباً ﴿ وَلَا بَنُونَ ﴾ أي ولو افتدى بمن على الأرض جميعاً ، ولا ينفذ يومئذ إلا الإيمان بالله واخلص الدين له ، والتبري من الشرك وأهله ولهذا قال : ﴿ إِلَّا مَنْ آمَنَ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي سالم من الدنس والشرك .

﴿ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلنَّاتِقِينَ ﴾ (٩٠) وَبُرُزْتَ الْجَحِيمِ

لِلغَاوِينَ ﴿ (٩١) وَيَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (٩٢) مِنْ

دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ (٩٣) فَكَبِّبُوا فِيهَا لَهُمْ

وَالْغَاوُونَ ﴿ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَتَجْمَعُونَ ﴾ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا

يَخْتَصِمُونَ ﴿ (٩٦) تَأْتَهُ إِنْ كُنَّا لَكُمْ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٩٧) إِذْ

نَسُوا بِكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ • (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ • (٩٩)  
 فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ • (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ • (١٠١) قُلُوا أَنْ  
 لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا  
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الرَّحِيمُ • (١٠٤)

﴿ وأزلت الجنة ﴾ أي قرئت مزخرفة من أهلها المتقين الذين عملوا لها في الدنيا  
 ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ أي أظهرت وبدت منها عقها فرغرت زفرة بلغت منها  
 القلوب الحناجر : وقيل لأهلها تقريباً : ﴿ أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم  
 أو ينصرون ﴾ أي لا تغني عنكم اليوم شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ، فإنكم وإياها حسب  
 جهنم أنتم لها واردون . وقوله تعالى : ﴿ فككبوا فيها هم والغاوين ﴾ أي ألقى فيها  
 بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك ﴿ وجنود إبليس أجمعون ﴾  
 أي ألقوا فيها عن آخرهم ﴿ قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين •  
 إذ نسويكم برب العالمين ﴾ أي نطيعكم كما يطاع أمر رب العالمين وعبداكم معه  
 ﴿ وما أضلنا إلا المجرمون • فما لنا من شافعين ﴾ يشفعون لنا من الملائكة وغيرهم  
 ﴿ ولا صديق حميم ﴾ أي قريب إلا صالحاً يشفع ﴿ فلو أن لنا كرامة فنكون من المؤمنين ﴾  
 والله يعلم أنهم لكاذبون إذ لو عادوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر ﴿ إن في ذلك لآية وما كان  
 أكثرهم مؤمنين ﴾ أي إن في ذلك لدليلاً واضحاً في حجة إبراهيم لقومه أنه لا إله  
 إلا الله ﴿ وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴾ تقدم تفسيره في أول السورة .

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ • (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ  
 أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ • (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • (١٠٧)  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ  
 أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ • (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • (١١٠)



هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد فكذبه قومه واستمروا على ما هم عليه من الشرك ، ونزل الله تكذيبهم لنوح منزلة تكذيبهم بجميع الرسل ، فلماذا قال تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ﴿ أي ألا تخافون الله في عبادتكم غيره ﴾ ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ أي إني رسول من الله حقاً وأمين على رسالته لا أزيد فيها ولا أنقص منها ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ وما أسألكم عليه من أجر ﴿ أي لا أطلب منكم جزاءً على نصحي لكم ﴾ ﴿ إن أجرى إلا على رب العالمين ﴾ أي أذخر ثواب ذلك عنده تعالى ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فقد وضح لكم صدقي ونصحي وأماني فأطيعوني فيما أذعركم إليه من توحيد الله تعالى ونيل الشرك .

﴿ قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴾ (١١١) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (١١٢) إِنْ حَسَابِيُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ (١١٥)

كانهم سأله أن يستبعد المستضعفين حتى يتابعوه وذلك استكباراً منهم ، ولهذا : ﴿ قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴾ أي نستوي معهم في الحقوق والواجبات والمكاتبه ﴿ قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴾ أي وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه ، إنما على أن أقبل إيمانهم والله يتولى سرائرهم ﴿ إن حسابهم إلا على ربِّي لو تشعرون ﴾ وما أنا بطارد المؤمنين ﴿ فأبى عليهم ذلك ، لأنه رسول ربه فمن أطاعه واتبعه وصدقته فيما نزل عليه قبله سواء كان شريفاً أو وضعياً ، أو جليلاً أو حقيراً . ﴿ إن أنا إلا نذير مبين ﴾ أي إنما بعثت نذيراً

﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ ﴿ (١١٧) فَاتَّقِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قِتْعاً وَتَجْنِبْنِي وَتَجْنِبْهُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (١١٨) فَاتَّخِذْنَا وَمَنْ مَعَهُ فِي

الْفُلْكَ الْمَشْحُونِ • (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ • (١٢٠) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • (١٢١) وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • (١٢٢)

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم ، يدعوهم إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً ، وكلما دعاهم ازدادوا كضراً وعناداً فيه وإصراراً عليه فقالوا أخيراً : ﴿ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴾ أي لترجمتك ، عندها دعا عليهم دعوة استجابها الله منه فقال : ﴿ رب إن قومي كاذبون . فافتح بيني وبينهم فتحاً ﴾ كقوله : ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴾ إلى آخر الآية ... وقال ههنا : ﴿ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقين ﴾ والمشحون هو المملوء بالأمثلة والأزواج التي حمل فيها من كل زوجين اثنين ، أي أنجينا نوحاً ومن اتبعه كلهم ، وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم أجمعين ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ . وقد تقدم تفسيره .

﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْتَلِينَ • (١٢٣) إِذْ قَالَتْ لَهُمْ أَخَوُهمُ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ • (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ • (١٢٧) أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آتِيَةٍ تَعْثُونَ • (١٢٨) وَتَنْخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ • (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ • (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ • (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ • (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • (١٣٥)

وهذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام ، أنه دعا قومه عاداً وكان قومه يسكنون الأحقاف ، وهي جبال الرمل قريباً من حضرموت ، متاخمة بلاد اليمن وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال تعالى في سورة الأعراف ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ﴾ ذلك أنهم كانوا في غاية القوة والطول المديد والبطش الشديد ، والأبناء والبنات والأنهار والزروع والثمار وكانوا مع كل هذه النعم يشركون بآلهيها جل وعز . فبعث الله اليهم هوداً عليه السلام رسولاً منهم بشيراً ونذيراً ، فدعاهم إلى توحيد الله وحذرهم تقصته وعذابه إلى أن قال : ﴿ أتيتون بكل ربيع آية تعشون ﴾ والربيع المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة ، فينون بكل ربيع بنياناً هائللاً ﴿ تعشون ﴾ أي دون احتياج إليه إنما مجرد اللهو وإظهار القوة بما لا يجدي في الدنيا والآخرة وقال : ﴿ وتتخذون مصانع لعلكم تخللون ﴾ أي تتخذون بنياناً عظيماً زائلاً عنكم كما زال عن قبلكم ، - لأن كفرهم سبب دمارهم واستئصالهم عقاباً على ما فرطوا وسيركون أبنيتهم عبرة لمن بعدهم كان أبو الدرداء يقول لأهل دمشق فيما قاله : ... فمن يشري مني ميراث عاد بدرهمين ؟ ... وقوله : ﴿ واذأ بطشتم بطشتم جبارين ﴾ يصفهم بالقوة والغلظة والجرور ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ أي اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال : ﴿ واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ أي إن كذبتم وخالفتم ، فدعاهم إلى الله بالرغيب والرهيب فما نفع فيهم .

﴿ قَالُوا سَوَاءَ عَلَيْنَا أَوَعظتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ الْوَاعِظِينَ • (١٣٦) إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ • (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ • (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَمْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • (١٤٠) ﴾

يخبر تعالى عن جواب قوم هود عليه السلام له بعدما حذرهم وأنذرهم ، ورغبتهم ورعيتهم وبين لهم الحق ووضحه : ﴿ قَالُوا سَوَاءَ عَلَيْنَا أَوَعظتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾

أي لا نرجع عما نحن عليه ﴿ وما نحن بتاركي آلحنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ﴾ وهكذا الأمر كما قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون ﴾ وقولهم ﴿ إن هذا إلا خلق الأولين ﴾ بضم الحاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأولين من الآباء والأجداد ، ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم ، نصيب كما عاشوا ، ونموت كما ماتوا ، ولا بعث ولا معاد ، ولهذا قالوا : ﴿ وما نحن بمعدّين ﴾ وعن ابن عباس في قولهم : ﴿ إن هذا إلا خلق الأولين ﴾ يقول : دين الأولين وقاله عكرمة وعطاء الخراساني وقتادة وغيرهم ، واختاره ابن جرير .

وقوله تعالى : ﴿ فكذبوه فأهلكناهم ﴾ أي استمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفة وعناده ، فأهلكهم الله بأنه أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية شديدة الهبوب فكان هلاكهم من جنسهم ، فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره ، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة ، وعاد هذه قبيلة من نسل إرم بن سام بن نوح فقوله تعالى ﴿ إرم ذات العماد ﴾ أي القبيلة التي تكن العمدة ، ومن زعم أن إرم مدينة فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال تعالى : ﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدهم وجبروتهم ولو كان المراد بذلك مدينة ، لقال : التي لم يبن مثلها في البلاد . وعلى كل فقد أهلك الله عاداً لما عنت وتكبرت وتجبرت وأصرت على كفرها فأرسل عليها ريحاً عاتية فحصبت بلادهم ، وكل شيء يولم . كما قال تعالى : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ وقال تعالى : ﴿ فرى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ أي بقوا أبداناً بلا رؤوس ، وذلك أن الريح كانت تقتلع الرجل وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ دماغه وتكسر رأسه وتلقيه كأنهم أعجاز نخل متفرط فلم تغر عنهم الجبال والكهوف التي تحصروا فيها من أمر الله شيئاً .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ  
صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ (١٤٣) فَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا  
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (١٤٥)

وهذا إخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله صالح عليه السلام ، أنه بعثه إلى قومه ثمود ، وكانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام ، وماكنهم معروفة مشهورة وقد قدمنا في سورة الأعراف الأحاديث المروية في مرور رسول الله ﷺ بهم حين أراد غزو الشام وكانت ثمود بعد عاد وقبل الخليل عليه السلام . فدعاهم صالح إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة ، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه \* وأخبرهم أنه لا ينبغي بدعوتهم أجراً منهم ، وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ، ثم ذكروهم آلاء الله عليهم . فقال :

﴿ أَتْرُكُونَ فِي مَا هُنَا أَمِينًا ﴾ (١٤٦) فِي تَجَنَاتٍ  
وَعَيْونٍ ﴿ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعًا هَضِيمٌ ﴿ (١٤٨) وَتَنْخُنُونَ  
مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَارِهِينَ ﴿ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ (١٥٠) وَلَا  
تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا  
يُصْلِحُونَ ﴿ (١٥٢) ﴿

يقول لهم واعظاً ، وعذرهم نقم الله أن تحمل بهم ، ومذكراً بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة ، وجعلهم في أمن من المحذورات ، وأثبت لهم من الجنات وفجر لهم من العيون الحاربات ، وأخرج لهم من الزروع والشعرات . ولهذا قال : ﴿ ونخل طلوعها هضم ﴾ أي هو الطلع الرطب اللين إذا كثر حمل الثمرة وركب بعضها بعضاً فهو هضم وقوله : ﴿ وتتنحون من الجبال بيوتاً فارهين ﴾ أي تتحنون من الجبال بيوتاً منحوتة أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكنائها ، وكانوا حاذقين متقين لنحنها ونقشها ، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ولهذا قال : ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ أي أقبِلوا على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم فتعبدوه وتوحدوه ، وتسبحوه بكراً وأصيلاً ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ يعني رؤساءهم وكبراءهم ، الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق .

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٥٢) مَا أَنْتَ إِلَّا

بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّتَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • (١٥٤) قَالَ هَذِهِ  
 نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ • (١٥٥) وَلَا تَمْسُوهَا  
 بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ • (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا  
 نَادِمِينَ • (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ  
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ • (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • (١٥٩)

يغير تعال عن ثمود في جوابهم لسيئهم صالح عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة  
 ربهم عز وجل انهم : ﴿ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴾ أي المسحورين لا عقل لك ؛  
 ثم قالوا : ﴿ ما أنت إلا بشر مثنا ﴾ يعني فكيف أوحى إليك دوننا ؟ كما قالوا في  
 الآية الأخرى : ﴿ أنزل عليه الذكر من بيننا بل هو كذاب أشر . سيعلمون غداً من  
 الكذاب الأشر ﴾ ثم إنهم طلبوا منه تدليلاً على صدقه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة  
 ناقة عشراء ، فأخذ نبيهم عليهم الموائيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم يؤمنون ... ؟ فأعطوه  
 ذلك : فقام نبي الله صالح عليه السلام فصل ثم دعا الله تعالى أن يستجيب إلى سؤالهم  
 فانفطرت الصخرة عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها ، فأمن بعضهم ، وكفر  
 أكثرهم ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ يعني ترد ماءكم يوماً ،  
 ويوماً تردونه أنتم ﴿ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴾ فمكثت الناقة بين  
 أظهرهم حيناً من الدهر ، ترد الماء وتأكل المرعى ويتنفعون بلبنها يحملون منها ما يكفيهم  
 شرباً ورياً ، فلما طال عليهم الأمد وحضر أشقاهم تأمروا على قتلها وعقرها ﴿ فعقروها  
 فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ﴾ وهو أن أرضهم زلزلت زلزلاً شديداً وجاءهم  
 صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها وأصبحوا في ديارهم جائعين ﴿ إن في ذلك لآية  
 وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز ﴾ الذي عز كل شيء وقهره وغلبه  
 ﴿ الرحيم ﴾ بمن تاب إليه وأتاب .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ • (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ

لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ • (١٦١) إِلَيَّ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • (١٦٢) فَاتَّقُوا  
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا • (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ



## إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ • (١٦٤)

بغير تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو ابن هاران بن آزر ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وكان قد بعث إلى أمة ، كانوا يسكنون سدوم وأعمالها، التي أهلكها الله بها وجعل مكانها بحيرة منته خبيثة ، وهي مشهورة ببلاد الغور متاخمةً لجلال البيت المقدس فدعاهم إلى توحيد الله وإطاعة رسوله ونهاهم عن معصية إتيان الذكور دون الإناث فقال:

﴿أَأَتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ • (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ

لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ • (١٦٦) قَالُوا

لَنْ لَمْ تَنْتَه يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ • (١٦٧) قَالَ إِنِّي

لَعَلَّكُمْ مِنَ الْقَالِينَ • (١٦٨) رَبُّ نَجْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ • (١٦٩)

فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ • (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ • (١٧١)

ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ • (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ

الْمُنذَرِينَ • (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ • (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • (١٧٥) ﴿﴾

لما نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش من غشيان الذكور دون النساء ، فقالوا : ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَه يَا لُوطُ﴾ عما جئتنا به ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَخْرَجِينَ﴾ أي نفيك من بين أظهرنا : كما قال تعالى عن قومه ﴿قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ...﴾ فلما رأى أنهم لا يرتدعون عن ضلالتهم تبرأ منهم وقال : ﴿إِنِّي لَعَلَّكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي اليبغضين وأتبرأ منكم ثم دعا الله عليهم فقال : ﴿رَبُّ نَجْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قال الله تعالى : ﴿فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ وهي امرأته ، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الأعراف وهود والحجر حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته ، فأنجى المؤمنين ، وأهلك الكافرين وعمهم بعباد أليم وأمطر عليهم حجارة من سجيل فساء مطر المنذرين .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّيْتِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ  
 شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ • (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • (١٧٨) فَاتَّقُوا  
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا • (١٧٩) وَمَا أَنَا لَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا  
 عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ • (١٨٠) ﴿

أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم  
 والأيكة شجرة ، وقيل شجر ملتف كالقبضة كانوا يعبدونها فأمرهم شعيب بترك  
 عبادتها وعبادة الواحد الأحد ، قيل إن شعيباً بعث إلى ثنتين أو ثلاث أمم والحقيقة ما  
 بعثه الله إلا لأصحاب الأيكة الذين هم أنفسهم أصحاب مدين ولكن وصفوا في كل  
 مقام بشيء ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء الكيل والميزان كما في قصة مدين سواء  
 سواء فدل ذلك على أنهم أمة واحدة .

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ (١٨١)  
 وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ • (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ  
 وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ • (١٨٣) وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
 وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ • (١٨٤) ﴿

بأمرهم عليه السلام بإيفاء الكيل والميزان ، وبيناهم عن التطفيف فيما فقال :  
 ﴿ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ﴾ أي اجعلوه تاما وافيا في البيع والشراء ،  
 خذوا كما تعطون وأعطوا كما تأخذون من غير تطفيف . ﴿ وزنوا بالقسط المستقيم ﴾  
 والقسط هو الميزان ، وقيل : القسط العدل وقوله : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾  
 أي لا تنقصهم أموالهم ﴿ ولا تعتوا في الأرض مفسدين ﴾ يعني قطع الطريق وقوله :  
 ﴿ واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين ﴾ يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم  
 الأوائل كما قال موسى عليه السلام : ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ .



﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (١٨٥) ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (١٨٦) ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٨٧) ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٨) ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٨٩) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩٠) ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٩١) ﴿

يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما اجابت به ثمود لرسولها ، تشابهت قلوبهم فقالوا : ﴿ إنما أنت من المسحورين ﴾ أي المسحورين ﴿ وما أنت إلا بشر مثلنا وإن ظنك لمن الكاذبين ﴾ أي تتعمد الكذب وإنك لست برسلاً ﴿ فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين ﴾ أي أسقط علينا قطعاً من السماء ، كما قالت قريش وأخبر عنهم الله تعالى في قوله عز وجل ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً... ﴾ إلى أن قالوا ... ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي باله والملائكة قبلاً ﴾ وهكذا قال هؤلاء الكفار الجهلاء : ﴿ فأسقط علينا كسفاً من السماء... ﴾ الآية ﴿ قال ربِّي أعلم بما تعملون ﴾ أي الله أعلم بكم وما تستحقون من العذاب ، فوقع بهم ما سألوا جزاءً وفاقاً. ولهذا قال تعالى : ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ قال قتادة : قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : إن الله سلب عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلمهم منه شيء ، ثم إن الله تعالى أنشأ لهم سحابةً فانتقل إليها أحدهم فاستظل بها فأصاب تحتها برداً وراحة ، فأعلم بذلك قومه فاتوا جميعاً فاستظلوا تحتها ، فأججت عليهم ناراً . وهكذا روي عن عكرمة : وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم قال ابن عباس : ... فذلك يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أي العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٩٢) ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (١٩٣) ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (١٩٤)

## يَلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾

يخبر تعالى عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي القرآن ﴿ نُنزِلُ بِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الذي أوحاه إليك ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ أي نزل به على قلبك سالماً من من الزيادة والنقص لتنذر به بأس الله ونقمة على من خالفه وكذبه ، وتبشّر به المؤمنين المتقين له ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ أي أنزلنا القرآن باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون واضحاً قاطعاً للعدو مقبلاً للحجة دليلاً إلى المحجة .

روى ابن أبي حاتم عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال : ٣٨٥ [ بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن إذ قال لهم : « كيف ترون بواسقها ؟ » قالوا : ما أحسنها وأشد تراكها قال : « فكيف ترون قواعدها ؟ » قالوا : ما أحسنها وأشد تمككها ، قال « فكيف ترون جريها ؟ » قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال : « فكيف ترون رحاها استدارت ؟ » قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها . قال : « فكيف ترون برقعها : أوميض أو خفق أم يشق شقاً ؟ » قالوا بل يشق شقاً . قال « الحياء الحياء ان شاء الله » قال : فقال رجل : يا رسول الله ، بأي وأمي ما أفصحك ، ما رأيت الذي هو أعرب منك قال : فقال « حق لي وإنما أنزل القرآن بلساني والله يقول : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ] .

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٩٦) ﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْعِلَ عَنْهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٩٧) ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ (١٩٨) ﴿ فَتَرَاهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩٩) ﴿

يقول تعالى : وان ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين الماثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه ، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطياً في مكة بالبشارة بأحمد : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ والزبور جمع زبور وهو الكتاب ، والزبور الكتاب الذي نزل على داود عليه السلام ومعنى زبور الأولين أي كتب الأولين ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ ﴾

علماء بني اسرائيل ﴿ أي أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن علماء بني اسرائيل يجلدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ، والمراد العدول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمه كعبد الله بن سلام وغيره .

وقوله تعالى : ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ أي أن قربشاً من شدة عنادهم وكفرهم لهذا القرآن : أنه لو نزل على رجل من الأعاجم ممن لا يدري من العربية كلمة وأنزل عليه هذا الكتاب بيانه وفصاحته لا يؤمنون به كما قال تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إن الذين حصت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ﴾ .

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ  
 بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿ (٢٠١) فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا  
 يَشْعُرُونَ ﴿ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿ (٢٠٣) أَفِعْذَابِنَا  
 يُسْتَعْجِلُونَ ﴿ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ  
 مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتِعُونَ ﴿ (٢٠٧)  
 وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿ (٢٠٨) ذِكْرِي وَمَا كُنَّا  
 ظَالِمِينَ ﴿ (٢٠٩)

يقول تعالى : ﴿ كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ﴾ أي كذلك أدخلنا التكذيب والكفر والجحود والعدا في قلوب المجرمين جزاءً وفاقاً لما كذبوا به أول مرة فسلكناه في قلوبهم عقاباً لهم وجعناهم ﴿ لا يؤمنون به ﴾ أي بالحق الذي كفروا به ﴿ حتى يروا العذاب الأليم ﴾ حين لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴿ فيأتيهم بغتة ﴾ أي عذاب الله ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ فيقولوا هل نحن منظرين ﴿ أي يستنون لو يؤجلون ليعملوا في زعمهم بطاعة الله . فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته ندم ندماً شديداً كما حصل لفرعون لعنه الله . ولكن ما ينفع الندم إذا أتى أمر الله .

وقوله تعالى : ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ إنكار عليهم وتهديد لهم ، فقد كانوا

يكذبون بالعذاب ويستبدلون وقوعه ﴿ أفرايت إن متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ أي لو أخرناهم وأملينا لهم حيناً من الزمن ، فما يجدي ذلك إذا جاء أمر الله كما قال تعالى : ﴿ وما ينفي عنه ماله إذا تردى ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلاّ لها مندرون . ذكروا وما كنا ظالمين ﴾ وهذا إخبار عن عدله تعالى أنه لا يهلك أمة إلاّ بعد الإنذار ببعثة الرسل وقيام الحجّة عليهم . كقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ .

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ (٢١٠) ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٢١١) ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴾ (٢١٢)

يخبر تعالى عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ ثم ذكر أنه يمنع عليهم ذلك لأنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لأن من سجاياهم الفساد ، وإضلال العباد ، والقرآن فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فينبه وبين الشياطين منافاة عظيمة . ولهذا قال تعالى : ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما يستطيعون ﴾ أي ولو انبغي لهم ، ما استطاعوا حمله وتأديته لأنهم معزول عن استماع القرآن حال نزوله لأن السماء ملئت حرماً شديداً وشهاً في مدة إنزال القرآن على رسول الله ﷺ فلم يخلص من الشياطين أحد إلى استماع حرف واحد منه لئلا يشبه الأمر ، وهذا من رحمة الله بعباده ، وحفظه لشرعه ، وتأنيده لكتابه ورسوله ولهذا قال عز من قائل : ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ .

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ (٢١٣)  
 وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ  
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ (٢١٦)  
 وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ (٢١٨) وَتَقْلِبُ فِي السَّاجِدِينَ ﴿ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيمُ ﴿ (٢٢٠)

يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له . ويحذر أن من أشرك به عذبه . ثم أمر رسوله ﷺ أن يُنذر عشيرته الأقربين : وأنه لا يخلص أحداً منهم إلا بإيمانه بربه عز وجل . وأمره أن يُبلن جانبه لمن اتبعه من المؤمنين وليتبرأ ممن عصاه كائناً من كان من خلقه ، ولهذا قال تعالى : ﴿فإن عصوك فقل إني بريء مما تعلمون﴾ وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي جزء من أجزائها، كما قال تعالى : ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ وفي صحيح مسلم ٣٨٦ [والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني . ثم لا يؤمن بي إلاّ دخل النار ] .

وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكر ما تيسر منها :  
 الحديث الأول : روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ٣٨٧ [لما أنزل الله عز وجل : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى ﴿يا صباحاه﴾ فاجتمع الناس إليه بين رجل يسمي أباه وبين رجل يسمي رسول الله ﷺ : فقال رسول الله ﷺ : «يا بني عبد المطلب . يا بني فهر ، يا بني لؤي أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً يسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟» قالوا نعم قال «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب ، تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلاّ لهذا؟ وأنزل الله : ﴿تبتّ يدا أبي ذب و تب ...﴾ ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش به .

الحديث الثاني : قال الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ٣٨٨ [لما نزلت هذه الآية : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعمّ وخصّ فقال : «يا معشر قريش اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب اتقوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد اتقذي نفسك من النار فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلاّ أن لكم رحماً سأبليها ببلادها» . ورواه مسلم والترمذي وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة .

الحديث الثالث - : روى الإمام أحمد عن عائشة قالت : ٣٨٩ [لما نزلت : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال : ﴿يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب . يا بني عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً سلوتي من مالي

ما شئتم [ انفراد بإخراجه مسلم . وقوله تعالى : ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ أي في جميع أمورك فإنه مؤيدك وحافظك وناصرك ومعلي كلستك . وقوله تعالى : ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ أي هو يراك ومعين بك حين تقوم إلى الصلاة . وقوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ أي ويراك في الصلاة وحدك ويراك مع الجماعة من صحابتك وقوله تعالى : ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾ أي التسميع لأقوال عباده . العليم بمركاتهم ومكنائهم . كما قال تعالى : ﴿ وما تكون في شأن وما تملو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ الآية ...

هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴿ (٢٢١) تنزل على كل أفّاك أئيم ﴿ (٢٢٢) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴿ (٢٢٣) والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴿ (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ﴿ (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴿ (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وأنصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي مققلب ينقلبون ﴿ (٢٢٧)

يخاطب تعالى الذين زعموا من المشركين أن ما جاء به الرسول ﷺ عن ربه نيس حقاً وإنما فعله من تلقاء نفسه . أو أنه أتاه به رأي من إخوان فتره الله سبحانه وتعالى جناب رسوله ﷺ عن قومه وافتراءهم . ونسبته أن ما جاء به إنما هو من عند الله وأنه تنزيله ووحيه . نزل به ملك كريم أمين عظيم . وأنه نيس من قبل الشياطين . فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم . وإنما ينزلون على من يشاكلهم . ويشابههم من الكهان الكذبة . وهذا قال تعالى : ﴿ هل أنبئكم ﴾ أي أخبركم ﴿ على من تنزل الشياطين ﴾ تنزل على كل أفّاك أئيم ﴿ أي كذوب في قوله وهو الأفّاك ﴿ أئيم ﴾ وهو الفاجر في أفعاله . فهذا الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان . وما جرى مجراهم من الكذبة النسفة . فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة ﴿ يلقون السمع ﴾ من السماء . فيسعون الكلمة من علم الغيب . فيزيدون معها مائة كذبة . ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت



من السماء كما صح بذلك الحديث كما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ٣٩٠ [سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال: «إنهم ليسوا بشيء» قالوا: يا رسول الله فإنهم بعدتوني بالشيء يكون حقاً فقال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطئها الجني فيقرقرها في أذن وليته كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة»] وقوله تعالى: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ يعني الشعراء الكفار يتبعهم ضلالاً الإنس والجن قاله ابن عباس وغيره وقال عكرمة: كان أشاعران يتهاجيان فينصر لهذا فنأتم من الناس. ولهذا فتأتم من الناس. فأُنزل الله تعالى: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر يشده فقال النبي ﷺ: ٣٩١ [خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان. لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً].

وقوله تعالى: ﴿ ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ﴾ أي في كل لغو وكل فن من الكلام يفرغون. مرة في شئمة هذا ومرة في مديحه، فيمدح ويذم باطل، وأكثر قوهم يكذبون فيه. ويتجحون بأقوال وأفعا لم تصدر منهم ولا عنهم فيتكثرون بما ليس لهم. ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حداً هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا.... لأنهم يقولون ما لا يفعلون؟ على قولين والأصح أنه لا يقام عليه الحد إلا إذا قارف فعلاً، يوجب حداً فإن عمر بن الخطاب بلغه أن عاملة على ميسان من أرض البصرة أنه قال شعراً ذكر فيه معاقرة الحمررة والسماع من القيان فعزله ولم يقيم عليه الحد، لأنه تأكد أنه لم يفعل شيئاً مما ذكره بشعره ولما حضر عاملة بين يديه قال: والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شيء طفع على لساني فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لي عملاً أبداً وقد قلت ما قلت.

والمراد: أن الرسول ﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لأن حاله منصف لحالهم كما قال تعالى: ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ وقال تعالى: ﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تدكرون ﴾ تنزيل من رب العالمين ﴿ وهكذا قال ههنا: ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾. نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين ﴿ وقوله تعالى: ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴾ إلى أن قال: ﴿ ... والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، إن هذا استثناء مما تقدم قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم ولا شك أن هذا الاستثناء يدخل فيه كل شاعر مؤمن ولو كان سابقاً مشركاً آمناً وتاب وأناب ورجع وأقنع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في ما تقدم من الكلام السبيء فإن الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه كما قال عبدالله بن الزبير حين أسلم :

يا رسولَ الملِكِ إنَّ لاني • راتقُ ما فتقتُ إذُ أنا بُورُ  
إذ أجاري الشيطانَ في سَتَنِ • الفِئِ ومن مالَ مبلهُ مشبورُ

وقوله تعالى : ﴿وانصروا من بعد ما ظلموا﴾ قال ابن عباس: يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين ، وكذا قال مجاهد وقتادة . وهذا كما ثبت في الصحيح ٣٩٢ [ ان رسول الله ﷺ قال لحسان : اهجهم - أو قال - هاجهم وجبريل معك ] روى الإمام أحمد عن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ : ٣٩٣ [ ان الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به تضح النبل ]

وقوله تعالى : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ ان هذه الآية عامة في كل ظالم من الشعراء وغيرهم . وفي الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : ٣٩٤ [ إياكم والظلم فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة ] .

وإلى هنا آخر اختصار تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين .

٢ ربيع الآخر سنة ١٣٩٠

الموافق ٧ حزيران سنة ١٩٧٠



نزلت بعد الشعراء

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



طس ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَمَا يَعْتَمِدُونَ ﴿٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٦﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٧﴾

قد تقدم الكلام في سورة البقرة على الحروف المقطعة في أوائل السور . وقوله تعالى : ﴿ تلك آيات ﴾ أي هذه آيات ﴿ القرآن وكتاب مبين ﴾ أي بين واضح ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ أي هو بشارة وهدى لمن اتبعه وصدق ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ أي يقيمون الصلاة المكتوبة ويؤتون الزكاة المفروضة وابقنوا بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرا وشرها والجنة والنار . كما قال تعالى : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ﴾ الآية وهذا قال هاهنا : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أي يكذبون بها ﴿ زيناً لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾ أي حسناً لهم ما هم فيه ومددنا لهم في غيبتهم فهم يتبهون في ضلالهم جزاء تكذيبهم بالآخرة . ﴿ أولئك لهم سوء العذاب ﴾ أي في الدارين ﴿ وهم في الآخرة

هم الآخضرون ﴿ أي لا يغير سواهم . وقوله تعالى : ﴿ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ أي إنك يا محمد لتأخذ القرآن من عند حكيم في أمره ونهيه عليم بالأمور جليلها وحقيقها فخيره هو الصدق المحض ، وحكمه هو العدل الشام .

﴿٢٧﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ  
أَوْ آيَةٍكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ  
أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾  
يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا  
رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي  
لَا يَخَافُ لَدَيَّْ الْمُرْتَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ  
سُوءٍ فَإِنِّي عُورُؤُ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ  
يَئِضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا  
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ  
مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَعَلُوا بِهَا وَأَسَدِفًا لَهَا أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴿٢٧﴾

يذكر تعالى نبيه محمداً ﷺ ما كان من أمر موسى عليه السلام ، كيف اصطفاه الله  
وكلمه ، وأعطاه المعجزات الباهرة ، وابتعثه إلى فرعون ومكته فكفروا بها . واستكبروا  
عن اتباعه فقال تعالى : ﴿ إذ قال موسى لأهله ﴾ حين سار بأهله فأضل الطريق في الليل  
﴿ إني آنست نارا ساتيكم منها بخبر ﴾ عن الطريق ﴿ أو آيكم ﴾ بشهاب قبس لعلكم  
تصطلون ﴿ أي تستدفنون به وكان كما قال . فإنه رجع منها بخبر عظيم ، واقتبس منها نوراً  
عظيماً . ولهذا قال تعالى : ﴿ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها ﴾ حيث رأى  
ناراً تضطرم في شجرة خضراء . لا تزداد النار إلا توقداً ، ولا تزداد الشجرة إلا أخضرة

ونضرة ثم رفع رأسه ، فإذا نورها متصل بعنان السماء ، قال ابن عباس وغيره . لم تكن ناراً وإنما كانت نوراً يتوهج ، فوقف موسى متعجباً بما رأى ﴿ في نوذي أن بورك من في النار ﴾ أي تقدس ﴿ ومن حولها ﴾ أي من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة .

وروى ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة ، سمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [٣٩٥] إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه . ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار ، قبل الليل ، زاد المسعودي « وحجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » . ثم قرأ أبو عبيدة ﴿ أن بورك من في النار ومن حولها ﴾ [ وأصل الحديث يخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة . وقوله تعالى : ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ المنزه عن مماثلة المحدثات . وقوله تعالى : ﴿ يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذي عز كل شيء وقهره ، الحكيم في أقواله وأفعاله . ﴿ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ﴾ أي أمره أن يلقى عصاه فلقاها من يده ، انقلبت في الحلال حية عظيمة في غاية الكبر وسرعة الحركة ، والجنان نوع من الحيات أسرعها حركة وأكثرها اضطراباً . وفي الحديث نهي عن قتل جنان البيوت فلما عاين موسى ذلك ﴿ ولى مدبراً ولم يعقب ﴾ من خوفه . فقال تعالى : ﴿ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ﴾ أي لا تخف مما ترى وإني اصطفتك رسولاً ونبياً وحيهاً ، وقوله تعالى : ﴿ إلا من ظلم ﴾ ثم بدل حناً بعد سوم وإني غفورٌ رحيم ﴾ هذا امتناء منقطع ، وفيه إشارة عظيمة للبشر . فمن عمل عملاً ثم أقبل عنه وتاب فالله يتوب عليه كقوله تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وأدخل بلدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله وهي انه إذا أدخل يده في جيب درعه خرجت بيضاء كأنها قطعة قمر ، ما لمعان تلالاً كالبرق الخاطف . وقوله تعالى : ﴿ في تسع آيات ﴾ أي هاتان اثنتان من تسع آيات أو يذكهن وأجعلهن برهاناً لك إلى فرعون وقومه ﴿ لأنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ والتسع آيات هي التي قال الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ (١) كما تقدم تشرير ذلك هنالك . وقوله تعالى : ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴾ أي

(١) أي في سورة الإسراء آية ١٠١ / فليرجع إليها .

واضحة ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا صاغرين ﴿ وجحدوا بها ﴾ ظاهراً ﴿ واستبقنتها أنفسهم ﴾ أي علموها أنها حق من عند الله لكنهم عاندوها ﴿ ظلماً وعلواً ﴾ أي ظلماً من أنفسهم واستكباراً عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى: ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ أي انظر كيف كانت عاقبتهم من الهلاك والفرق عن آخرهم في صبيحة واحدة . وفحوى الخطاب : تحذير قريش والمشركين عامة وسائر الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم من تكذيبهم لمحمد ﷺ أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من باب أولى ، لأن محمداً أعظم من موسى وبرهانه أدل وأقوى ، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به ، وأخذ المواتيق له ، عليه من ربه وعلى الأنبياء عامة أفضل الصلوات وأتم التحيات .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (١٦) وَحَسِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٩)

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة ما جمع لهما بين سعادة الدارين . والملك والتمكين الثمام والنسوة والرسالة . ولهذا قال تعالى: ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي

فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴿ فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام . وقوله تعالى : ﴿ وورث سليمان داود ﴾ أي في الملك والنبوة وليس المراد وراثته المال . فإن الأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله [ ٣٩٦ نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة ] . وقال : ﴿ يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء ﴾ أي أخبر سليمان عليه السلام بنعم الله وما وهبه من الملك التام حتى أنه سخر له الأنس والجن والطير ، وكان يعرف لغة الطير والحیوان أيضاً وهذا ما لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر به الله رسوله ﴿ ان هذا هو الفضل المبين ﴾ أي الظاهر البين علينا . ولما قبض ملك الموت روح داود عليه السلام أمر سليمان عليه السلام الطير أظلي داود فظلمت عليه الطير .

وقوله تعالى : ﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ، يعني ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس فالجن فالطير وكانت الطير تظله في الحر بأجنحتها وقوله : ﴿ فهم يوزعون ﴾ أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزله التي هي مرتبة له .

وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا أتوا على وادي النمل ﴾ أي حتى إذا مرَّ سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل ﴿ قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمتكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ ففهم سليمان مقالتها ﴿ تبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ أي أضمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها عليّ من تعليسي منطلق الطير والحیوان ، وعلى والديّ بالإسلام لك والإيمان بك وإن أعمل عملاً تحبه ويكون مقبلاً عندك ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ أي إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك .

والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكاً من ذلك ، وهذا أمر عظيم جداً .

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْمَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ● (٢٠) لَا تُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا تُجِزِّئُهُ أَوْ يَا بَنِيَّ بِلِسَانٍ مُّبِينٍ ● (٢١) ﴿

قال محمد بن اسحق : كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير ، وكان فيما يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره إلا الهدهد ﴿ فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ﴾ أخطأه بصري من الطير ، أم غاب فلم يحضر ؟ .

وقوله تعالى : ﴿ لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحته ﴾ لأعذبه بنتف ريشه وتشميه أو لأقتلته ﴿ أو ليأتيه سلطان مبین ﴾ أي يعذر واضح . ولما قدم الهدهد قصد مجلس سليمان .

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يُقِينُ ﴾ (٢٢) ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٣) ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَمْتَدُونُ ﴾ (٢٤) ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْغَبَةَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (٢٥) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٦)

يقول تعالى : ﴿ فمكث ﴾ الهدهد ﴿ غير بعيد ﴾ أي غاب زماناً يسيراً ، ثم جاء فقال لسليمان : ﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك ﴿ وجئتك من سبأ بنتاً يقين ﴾ أي بغير صدق حق يقين ، وسبأهم حمير وهم ملوك اليمن ثم قال : ﴿ إنني وجدت امرأة تملكهم ﴾ قال الحسن البصري : وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ، وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثني عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل والله أعلم .

وقوله : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ أي ما يحتاج إليه الملك المتسكن ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ تجلس عليه ، ولها مسألة امرأة



تلى الخدمة وقوله : ﴿ ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصاهم عن السبيل ﴾ أي عن طريق الحق ﴿ فهم لا يتبدون ﴾ وقوله ... ، ﴿ إلا يسجدوا لله ﴾ أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي اخلاص السجود لله تعالى وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها. كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ولا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ والمعنى : ألا يا قوم اسجدوا لله .

وقوله : ﴿ الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ﴾ أي ما جعل فيهما من الأرزاق المطر من السماء . والنبات من الأرض . وهذا مناسب من كلام الهدهد الذي جعل الله فيه من الحساسية ما ذكره ابن عباس وغيره من أن الهدهد يرى الماء يجري في تخوم الأرض وداخلها .

وقوله ﴿ ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴾ أي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال كقوله تعالى : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ وقوله : ﴿ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ الذي ليس في المخلوقات أعظم منه . ولما كان الهدهد داعياً إلى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له سبي عن قتلها ، كما رواه الإمام أحمد وابو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ٣٩٧: [سئى النبي ﷺ عن قتل أربع دواب: النملة والنحلة والهدهد<sup>(١)</sup> والصراد<sup>(٢)</sup> وإسناده صحيح .



- ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ • (٢٧)
- أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ • (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِي بِكِتَابٍ كَرِيمٍ • (٢٩)
- إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ • (٣١) ﴿﴾

يخبر تعالى عن سليمان وقوله للهدهد حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم ﴿ قال منظر

(١) الصرد : طائر نحيم الرأس أبيض البطن أسفر الظهر يصطاد سائر الطير .

أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴿ أي أصدقت في خبرك هذا أم وددت أن تتخلص بالكذب من العقاب ﴾ إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿ فقد كتب سليمان كتابه وأعطاه ذلك المهدد فحمله إلى بلقيس وقومها فجاء قصرها إلى الخلوّة التي تختلّي فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هناك بين يديها ثم تولّى ناحية أدباً فتحيّرت وهالها ما رأت ، ثم عمدت إلى الكتاب فقرأته فإذا فيه : ﴿ إنّه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ﴾ فجمعت الأمراء والوزراء وأكابر مملكتها ، ثم قالت لهم : ﴿ يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم ﴾ تعني بكرمه ما رآته من عجب أمره كون طائر ذهب به فألقاه إليها ، ثم تولّى عنها أدباً وإنه لا يقدر على مثل هذا أحد من الملوك ثم قرأته عليهم ... فعرفوا أنه من نبي الله سليمان عليه السلام ، وأنه لا قبل لهم به وإنه يأمرهم ألا يتكبروا ويتجبروا عليه بل يأتوه مسلمين موحدين مخلصين طائعين . قال ميمون بن مهران كان رسول الله ﷺ يكتب : باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية فكتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ .

قال العلماء : لم يكتب أحد ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قبل سليمان عليه الصلاة والسلام . ﴿ أن لا تعلموا عليّ ﴾ لا تجبروا ﴿ وأتوني مسلمين ﴾ موحدين

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣٥)

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها وما قد نزل بها ، ولهذا قالت : ﴿ يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ﴾ أي حتى تخضروني وتشيروا عليّ ﴿ قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ﴾ أي نوهرا لها بعددهم وعدتهم وقوتهم ثم فوضوا الأمر إليها فقالوا : ﴿ والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴾ إن شئت

حاربه أو هادناه فالأمر إليك تختله ونظيره ، فلما علمت وعلما بأنه لا قبل لهم بمجنوده وما سُخِّرَ له من الأنس والجن والطير وما شاهدت من أمر الهدهد فقالت : إني أخشى أن يقصدنا بمجنوده ويهلكنا ﴿ أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾ أي إذا دخلوها عنوة أفسدوها ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أي أهانوها قتلاً أو أسراً قال الرب عز وجل : ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ ثم عدلت إلى المصالحة والمصالحة فقالت : ﴿ وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة ثم يرجع المرسلون ﴾ فإن قبلها أي قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ أُنَاقِي أَفَنُقَبِّهُ إِذَا جَاءَ بِمَا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (٣٦) أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا تَبَيَّنَتْهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَخُفِجَتْهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٣٧)

إن الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سليمان عليه السلام لم ينظر إليها ولا اعتنى بها بل أعرض عنها وقال منكراً عليهم : ﴿ أتُمِدُّونَ بِمَالِ ؟ أي اتصاعونني بمال لأترككم على شرككم وملكيكم ؟ ﴾ ﴿ فما آتاني الله خير مما آتاكم ﴾ أي الذي اعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما آتم فيه ﴿ بل أنتم بهديكم تفرحون ﴾ بالهدايا والتحف أما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف . قال الأعمش عن ابن عباس : أمر سليمان الشياطين فموتوا له ألف قصر من ذهب وفضة ، فلما رأته رسلها ذلك قالوا : ما يصنع هذا بهديتنا ؟ وفي هذا جواز تهيب الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والتصدق ، قال سليمان : ﴿ إرجع إليهم ﴾ أي بهديتهم ﴿ فلما تبينهم بجنود لا قبل لهم بها ﴾ أي لا طاقة لهم بقاتلهم ﴿ ولخفيجهم منها أذلة ﴾ أي من بلدتهم ﴿ وهم صاغرون ﴾ أي مهانون مدحورون . فلما رجع وفد بلقيس بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها . وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة . معظمة لسليمان نافية متابعته على الإسلام . ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم عليه . ووفودهم إليه فرح بذلك وسره .

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَئْيُكُمُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي قَدْ جَاءَ لَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو فِيكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ﴾ (٣٨)

مُسَلِّينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ  
مِّنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ  
مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ  
مُتَّعِفًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي ؕ أَشْكُرُ أَمْ  
أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ  
كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴿٤٠﴾

فلما رجعت إليها المرسل بما قال سليمان قالت : قد والله عرفت ما هذا بملك . وما لنا به من طاقة وما نضع بمكابرته شيئاً وبعثت إليه : إني قادمة إليك بملوك قومي لأنظر ما أمرك وما تدعوننا إليه من دينك ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب ولؤلؤ ووزبرجد فجعل في سبعة آيات بعضها في بعض وأوصت بحفظه ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن وكانت الجن تأتي لسليمان بأخبار بلقيس كل يوم وليلة حتى إذا قربت جمع من عنده من الجن والإنس فقال : ﴿ يا أيها الملائم أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتيني مسلمين ﴾ ففكر أن يأخذه بعد إسلامهم قبل أن تحرم عليه دماؤهم وأمواهم ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ أي مارد منهم ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أي من مجلسك أي من أول النهار إلى أن تزول الشمس ﴿ واني عليه لقوي أمين ﴾ أي قوي على حملة أمين على ما فيه من الجواهر فأراد سليمان أعجل من ذلك بإظهار إعظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعط أحد من قبله ولا يكون لأحد من بعد ، وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لأن الإتيان بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه أمر خارق عظيم لا سيما وقد حجبتة بالأغلاق والأقفال والحفظه ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ قال ابن عباس : وهو اصف كاتب سليمان وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم <sup>(١)</sup> ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد

(١) نعت : وقيل جبريل عليه السلام ، وقيل ملك أيد الله به سليمان عليه السلام وقيل هو سليمان نفسه كأنه استعمل العفريت فقال له أنا أريدك ما هو أسرع مما تقول . وأرجح أنه سليمان عليه السلام نفسه لأنه نبي ورسول وملك فلا ينبغي أن يكون من حاشيته أعلم بالكتاب منه فالذي عنده علم من الكتاب أي يكون أحد حاشيته أو كاتبه... ؟! ويكون لديه من القدرة أعظم مما لدى سليمان نفسه؟ وكيف يكون ذلك وقد استجاب الله دعوة سليمان «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب» فكيف يكون لكاتبه قوة أقوى -

إليك طرفك ﴿ فلم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه ﴿ قال هذا من فضل ربي ليولني أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ﴿ أي هذا من نعم الله علي ليختبرني أشكر نعمته أم أكفرها .

وقوله : ﴿ ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴿ أي هو غني عن العباد وعبادتهم .  
كريم في نفسه وإن لم يعبدوه فإن عظمت ليست مفتقرة إلى أحد وهذا كما قال موسى :  
﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ﴿

﴿ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَنْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَمْسَلْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (٤٤) ﴿

لما جيء سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدومها أمر به فغيرت بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته أتعرفه أم لا فقال : ﴿ نكروا لها عرشها ننظر أتندي أم تكون من الذين لا يهتدون ﴿ فزادوا فيه ونقصوا ﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ﴿ فكان فيها ثبات وعقل ولها دعاء وحزم فلم تقطع بأنه هو ﴿ قالت كأنه هو ﴿ أي يشبهه ويقاربه ، وهذا غاية في الذكاء والحزم . وقوله : ﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴿ أي كان مسلماً قبلها وما منعها من عبادة الله وحده إلا ان كانت من قوم كافرين . لذا قال سليمان ﴿ وصدعا ما كانت تعبد من دون الله أنها كانت من قوم

= منه أو ليست الفقرة من أهم أسباب الملك ، لا سيما وإنه نبي مؤيد بالمعجزات ... فبدهي أن يكون عند سليمان علم من الكتاب وذلك من باب أول من جميع أفراد ملكته ... وإلا فيكون في ملكته من هو أصله للنبوة والملكته !!! يا سليمان ... نصف يكون عنده علم من الكتاب وسليمان يجعل هذا العلم ... !!!  
فأذا لم يكن سليمان عليه السلام . فلا بد من أن يكون حريص عليه لتسلم أو يكون ملكاً آخر ... ويستبعد جداً أن يكون أحداً من حاشيته ... والله تعالى أعلم .

كافرين ﴿ وهذا من تمام كلام سليمان عليه السلام . في قول مجاهد وسعيد بن جبير ويؤيد قول مجاهد أنها إنما اظهرت الاسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتي ...

وقوله : ﴿ قيل لما ادخل الصرح فلما رأته حسبه لجة ﴾ وكشفت عن ساقها ﴿ وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين . فبنوا لها قصرأ عظيماً من الزجاج وأجرى تحته الماء فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء لكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه . وذلك ليربها ملكاً هو أعرز من ملكها فلما رأته حسبه لجة من ماء وكشفت عن ساقها لتخوضه ﴿ قال إنه صرح حمرد من قوارير ﴾ فلما وقفت على سليمان دعاها الى عبادة الله تعالى . وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمان ساجداً لله إعظاماً لما قالت وسجد معه الناس فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال : ويحك ماذا قلت ؟ فقالت : ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ فأسلمت وحسن إسلامها وأخلصت في عبادة الله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً .

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّفْتِنُونَ ﴾ (٤٧) ﴿

ينبغي تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ فإذا هم فريقان يختصمون ﴾ أي مؤمن وكافر كقوله تعالى : ﴿ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴾ وهاهنا : ﴿ قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ﴾ أي لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته ولهذا قال : ﴿ لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك ﴾ أي ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيراً وذلك أنهم - لشقاؤهم - كان لا يصيب أحداً منهم سوء إلا قال هذا من قبيل صالح



مكراً وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين. فثلث بيوتهم عاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون. وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿

﴿٥٤﴾ **وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾**  
**أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ بِشَهْوَةٍ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ**  
**تُجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾** فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ

لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا

أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مَعَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَسَاءً

مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٨﴾



يغير تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه أنذر قومه نقمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، وهي إتيان الذكور دون الإناث فاستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء. فقال : ﴿ أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴾ أي يرى بعضكم بعضاً ، وتأتون في ناديبكم المنكر ﴿ أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ﴾ أي لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً. ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ ﴾ أي يتخرجون من فعل ما تفعلونهم إقراركم عليه فأخرجوهم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك ، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالهم. قال الله تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مَعَ الْغَابِرِينَ ﴾ أي من المالكين مع قومها ، لأنها كانت ردة لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة ، فكانت تدل قومها على ضيقان لوط ليأتوا إليهم ، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكريمة لنبي الله ﷺ لا كرامة لها (١) . وقوله تعالى :

(١) قلت : وهذا ما يؤيد رأينا لبعضه نساء الأنبياء من اقتراف الزنا حتى لو كانت كافرة فإنه قد يقدر عليها التكفر والشرك ولا يقدر عليها الزنا نكحاً لبيوتهم الطاهرة وأنسبهم الطيبة أن تلوثها الفاحشة فالأنبياء معصومون من أن يكونوا أزواجاً لزانيات فلو لم يكن يساؤهم طاهرات من الزنا ومعصومات منه بعصمتهم أي تبناً لعصمة الأنبياء من هذه الفواحش .



﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ أي حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين بعباد. ولهذا قال : ﴿ فساء مطر المنزّلين ﴾ أي الذين قامت عليهم الحجة ، ووصل إليهم الإنذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم .

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥٩) ﴿ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُم مَعَ اللَّهِ بَلٍ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (٦٠) ﴿

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول : ﴿ الحمد لله ﴾ أي على نعمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما انتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى ، وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم الأنبياء والرسل الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام .

كقوله تعالى : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ والمراد أن الله تعالى بعدما أخبر ما فعل بأوليائه من التأييد والنصر وما أحلّ بأعدائه من الجزى والنكال والقهر أمر رسوله ومن اتبعه أن يحمدوه على جميع أفعاله وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار

وقوله تعالى : ﴿ الله خير أم ما يشركون ﴾ استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آفة أخرى ثم قال تعالى : ﴿ أم من خلق السموات والأرض ﴾ أي خلق السموات وما فيها من الكواكب والأفلاك والشموس التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا هو وخلق الأرض وما جعل فيها من الجبال والسهول والأوعار والقباني والقفار والزروع والأثمار والبراري والبحار وما فيهن ومن فيهن ﴿ وأنزل لكم من السماء ماء ﴾ أي جعله رزقاً للعباد ﴿ فأنبتنا به حدائق ﴾ أي باتين ﴿ ذات بهجة ﴾ أي منظر حسن بهي ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ أي لم تكونوا تقدرون على ذلك فهو تعالى المنفرد بالخلق المستقل بالرزق كما يعرف بذلك المشركون كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ أي هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ، ثم هم يعبدون معه غيره ، فكما أنه خالق ورازق وحده لزم أن يكون معبوداً

وحده لا شريك له ولهذا قال سبحانه: ﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ أي أعبود مع الله فالجواب أن لا أحد فيقال: كيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المنفرد بالخلق والرزق والتدبير؟ كما قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ الآية وقوله تعالى ها هنا ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكلمة ﴿أَمْ مَنْ﴾ في هذه الآيات كلها تقديره أَمْن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها، لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يَشْرِكُونَ؟﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ﴾ أي يعملون لله نظيراً ومثلاً مما لا يسمع ولا يبصر ولا يقدر على شيء من هذه الأصنام التي عبدوها من دون الله؟

﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيّاً وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾ إلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى: ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾ أي لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم فأنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً﴾ أي جعل فيها الأنهار العذبة وسيرها في الأرض بحسب مصالح عباده ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيّاً﴾ أي جبالاً ترسيها وتثبتها لئلا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾ أي بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة العذبة تسقي النبات والشمار، والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء من كل جانب وجعل ماءها أجاباً لئلا يفسد الهواء بريحها ﴿إلهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعبد...؟! ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ

خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ إلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه والذي لا يكشف الضرّ المضروبين سواه. كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ روى الإمام أحمد عن رجل<sup>(١)</sup> من بلهجوم قال: ٣٩٨ قلت

(١) هو جابر بن سليم الهجيمي.

يا رسول الله إلام تدعو؟ قال : « أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إذا أضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك، والذي إن أصابك سنة فدعوته أنبت لك » قال : قلت أوصني ، قال : « لا تسين أحداً ولا ترهدين في المعروف ولو أن تلقى أخاك وابت منبسط إليه وجهك ، ولو أن تفرغ من دلوك في إفاء المستقي وأترز إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعيبين ، وإياك واسبال الإزار فإن اسبال الإزار من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة » [ ومن وجه آخر زاد الصحابي فقال : فما سببت بعده أحداً ولا شاة ولا بعبراً . ]

وحكي أن رجلاً رافق رجلاً آخر في سفر ففقد به وهم بقتله فحاول التخلص منه بالتضرع وبخويفه من الله فما كلان يزداد إلا إصراراً على قتله فقال : إذا دعني أصلي ركعتين قال : فحقتف فوقف يصلي ولكن ارتج عليه من شدة الخوف ولم يحضره من القرآن ولا حرف واحد قال فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول : هيه افرع فأجرى الله على لساني قوله تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ فإذا أنا بفارس قد أقبل من قم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فزاده فخراً صريعاً فتملقت بالفارس وقلت : بالله من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً .

وقوله تعالى : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ أي يخلف قرن قرناً وخلف سلفاً كقوله تعالى : ﴿ واذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً كما قدمنا تقريره (١) وهكذا هذه الآية : أي أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل ﴿ أئله مع الله ﴾ أي بعد هذا التفصيل وإقامة حجج الله البالغة على أولئك الذين يعبدون مع الله إلهة آخر وعلّموا ان الله هو المتفرد بالخلق ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وحده لا شريك له ﴿ قليلاً ما تذكرون ﴾ أي ما أقل تذكركم فيما يرشدكم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٣)

يقول تعالى : ﴿ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ﴾ أي بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية . كما قال تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجدين القنطين ﴿ أله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ .

﴿ أَمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦٤)

أي هو الذي يقدره وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومن يرزقكم من السماء والأرض ﴾ أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرض كما قال تعالى : ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ فهو تبارك وتعالى وينزل من السماء ماء مباركاً فيسلكه يتابع في الأرض : ثم يخرج به منها أنواع الزروع والشمار والأزاهير ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أله مع الله ﴾ الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی التي مرَّ ذكرها في الآيات المتقدمة ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على صحة عبادتكم لغير الله ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في ذلك وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ .

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٦٥) بَلْ آدَارُكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ (٦٦)

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق انه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله . وقوله تعالى : ﴿ إلا الله ﴾ استثناء منقطع ، أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فإنه المنفرد بذلك وحده لا شريك له . كما قال تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾

أى وما يشعر الخلائق جميعاً بوقت الساعة . كما قال تعالى : ﴿ نقلت في السموات والأرض لا تأنيكم إلا بغتة ﴾ روى ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها . قالت : [٣٩٩ من زعم أنه يعلم - يعني النبي ﷺ - ما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية لأن الله تعالى يقول : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ ] .

وقوله تعالى : ﴿ بل ادّرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها ﴾ أي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها . وإن علمهم إنما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا يفهم ذلك وقوله تعالى : ﴿ بل هم في شك منها ﴾ والمراد عائد على الكافرين فهم شاكّون في وجودها ووقوعها ﴿ بل هم منها عمون ﴾ أي في عمية وجهل كبير في أمرها وشأنها .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُنَا إِنَّا لَمُنْجُجُونَ ﴾ (٦٧) ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٦٨) ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٦٩) ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٧٠) ﴿

يخبر تعالى عن المشركين المنكرين للبعث الذين قالوا : ﴿ لقد وُعِدْنَا هذا نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أي نسمع ولا نرى حقيقة ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أي خرافاتهم . فرد الله عليهم : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ أي المكذبين ، وكيف حلّ بهم العذاب والهلاك ، ونجى الله رسله الكرام ومن معهم . فدل على صحة رسالاتهم : ثم قال تعالى مسلماً نبيّه ﷺ ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ أي لا تأسف على المكذبين ﴿ ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴾ في كيدك وتكذيبك فإني سأنصرك وأعلّي دينك .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٧١) ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٧٢) ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكَدْتَهُمْ لَآ يَشْكُرُونَ ﴾ (٧٣)

وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ • (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ • (٧٥)

يخبر تعالى عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ فأجابهم تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ عسى أن يكون رَدِفًا لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ قال ابن عباس : ان يكون قرب لكم بعض الذي تستعجلون كقوله تعالى : ﴿ ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ وإن ربك لذو فضل على الناس ﴾ أي في إيساغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم وهم مع ذلك لا يشكروه إلا القليل منهم ﴿ وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ أي يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر كقوله تعالى : ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما من غائبة في السماء والأرض ﴾ أي كل ما غاب عن العباد علمه في السماء والأرض إلا والله عالم به لا يعزب عن علمه ذرة ، وما من ذلك شيء ﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْعَبِيدَ ﴾ (٧٦) وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْعَبِيدَ ﴿ (٧٧) وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْعَبِيدَ ﴿ (٧٨) وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْعَبِيدَ ﴿ (٧٩) وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْعَبِيدَ ﴿ (٨٠) وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْعَبِيدَ ﴿ (٨١)

يخبر تعالى عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان أنه يقص على بني اسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل ﴿ أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ كاختلافهم في عيسى فاليهود افتروا ، والنصارى غلوا ، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل

أنه عبد من عباد الله وأنبياؤه ورسله الكرام ، عليه أفضل الصلاة والسلام كما قال تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن ربك بفضي بينهم ﴾ أي يوم القيامة ﴿ بحكمه وهو العزيز ﴾ أي في انتقامه ﴿ العليم ﴾ بأفعال عباده وأقوالهم ﴿ فتوكل على الله ﴾ أي في جميع أمورك وبلغ رسالة ربك ﴿ انك على الحق المبين ﴾ وإن خالفك الكافرون الذين لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية . ولهذا قال تعالى : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ لأن حالهم في عدم سماع الحق يشبه حال الموتى الذين تعطل سمعهم بالموت ولهذا قال تعالى : ﴿ ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم . إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ أي إنما يستجيب لك من ينفعه سمعه وبصره الخاضع لله ولما جاء عنه على ألسنة الرسل الكرام على نيتنا وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام .

## وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ • (٨٢)



هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض ، قيل من مكة ، وقيل من غيرها كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى . فتكلم الناس على ذلك ونحاطبهم نحاطبة ؛ وقد ورد في ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة فلنذكر منها ما تيسر والله المستعان .

قال الإمام أحمد عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : ٤٠٠ [ أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفته ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال : لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : ١ - طلوع الشمس من مغربها ، ٢ - الدخان ، ٣ - الدابة ، ٤ - خروج بأجوج ومأجوج ، ٥ - خروج عيسى ابن مريم عليه السلام ، ٦ - الدجال ، وثلاثة خسوف : ٧ - خسف بالمغرب ، ٨ - وخسف بالمشرق ، ٩ - وخسف بجزيرة العرب ، ١٠ - ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ] . وهكذا رواه مسلم وأهل السنن .

• حديث آخر : قال مسلم بن الحجاج عن عبد الله بن عمرو قال : ٤٠١ [ حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما كانت

قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً ] .

• حديث آخر : روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : ٤٠٢ [ بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدجال والدابة ، وخاصة أحدكم وأمر العامة ] .

قال ابن جريج عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فيما وصف ... ثم تقول الدابة لهم : يا فلان ، أبشر أنت من أهل الجنة ، ويا فلان أنت من أهل النار ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا يَمُنُّ بِكَذِبِ آيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِيَمْسِكُنَّ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ (٨٦) ﴿

يخبر تعالى عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ورسله إلى بين يدي الله عز وجل يسألهم عما فعلوه في الدنيا توبيخاً وتحقيراً فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ أي من كل قوم وقرن فوجاً أي جماعة ﴿ مَسَّنْ بِكَذِبِ آيَاتِنَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي يساقون ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ ﴾ ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المسئلة فيسألون عن اعتقادهم وأعمالهم ، فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم : ﴿ فَلَا صَدْقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ ولكن كذب وتولى ﴿ فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به أمام مقام المسئلة المتمثل في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فما كان واقعهم إلا كما قال الله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ وهكذا قال ها هنا : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ أي جهنوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة ، الذي لا تخفى عليه خافية .



ثم قال تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته ، والانقياد لأوامره وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا يحيد عنه فقال تعالى : ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه ﴾ أي في ظلام الليل لتكن حركاتهم بسببه ويستريحون من التعب في نهارهم ﴿ والنهار مبصر ﴾ أي منيراً مشرقاً ، فبسبب ذلك يتصرفون في المعاش والأسفار والتجارات وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون إليها : ﴿ ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون ﴾ .

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهَ دَاخِرِينَ ﴾ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ (٨٨) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ (٩٠) ﴿

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الصور ، وهو كما جاء في الحديث قرن بنفخ فيه . وفي حديث الصور : إن اسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى ، فينفخ فيه أولاً نفخة الفزع ويطولها وذلك في آخر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من في السموات ومن في الأرض ﴿ إلا من شاء الله ﴾ وهم الشهداء ، فلأنهم أحياء عند ربهم يرزقون . روى الإمام مسلم بن الحجاج عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ : [٤٠٣] يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً<sup>(١)</sup> - فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحداً دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى قبضته قال : سمعتها من رسول الله ﷺ قال « فيبقى شرار الناس في خضة الطير وأحلام السباع

لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيمثل الشيطان لهم فيقول : الا تستجيبيون فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيامرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار رزقهم وحسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى ليتأ ورضع ليتأ - قال - أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقتهم أنهم مسؤولون ، ثم يقال : أخرجوا بعث النار فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل المولدان شيئاً ، وذلك يوم يكشف عن ساق ] .

وقوله ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى ليتأ ورضع ليتأ . الليث هو صفحة العنق ، أي أمال عنقه ليستمه من الساء جيداً ، فهذه نفخة الفزع ثم بعد ذلك نفخة الصق وهو الموت ، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور لجميع الخلائق . ولهذا قال تعالى : ﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ أي صاغرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره . كما قال تعالى : ﴿ ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون ﴾ وفي حديث الصور انه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح فتوضع في نقب في الصور ثم ينفخ اسرافيل فيه بعدما تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها ، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح تتوهج أرواح المؤمنين نوراً ، وأرواح الكافرين ظلمة ، فيقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها ، فتجيء الأرواح إلى أجسادها فتدب فيها كما يدب السم في اللدبغ ، ثم يقومون ينفسون التراب من قبورهم ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعى كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ونرى الجبال تحبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴾ أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ أي يفعل ذلك بقدرته العظيمة ﴿ الذي أتقن كل شيء ﴾ أي أتقن كل ما خلق ، وأودع فيه من الحكمة ما أودع : ﴿ انه خبير بما تفعلون ﴾ أي هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه آثم الجزاء .

ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ هي : لا إله الا الله ، ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لا يخزنهم الفزع الأكبر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ﴾ أي من لقي الله ميبأ لا حسنة له ، أو قد رجحت ميثاقه على حسناته كل بحسبه ، ولهذا قال

تعالى : ﴿ هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ والبيئة التي جاءت في قوله تعالى : ﴿ ومن جاء بالبيئة ﴾ قال جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم يعني الشرك .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (٩٢) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَتِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٣)

يخبر تعالى رسوله ويأمره أن يقول : ﴿ إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذي حرَّمها وله كل شيء ﴾ كما قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم ﴾ وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها . كما قال تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ... ﴾ وقوله تعالى : ﴿ الذي حرَّمها ﴾ أي هو الذي حرَّمها فصارت حراماً شرعاً وقدراً . كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : ٤٠٤ [ إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكة ، ولا ينقر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختل خلاها ] وقد ثبت في الصحيح والحسان والمسند من طرق جماعة تفيد القطع ، كما هو مبين في موضعه من كتاب الأحكام ، والله الحمد والمنة .

وقوله تعالى : ﴿ وله كل شيء ﴾ من باب عطف العام على الخاص ، أي هو رب هذه البلدة ورب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ أي المرتدين المطيعين له . وقوله تعالى : ﴿ وأن أتلو القرآن ﴾ أي على الناس أبلغهم آياته ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فقل إنما أنا من المنذرين ﴾ أي لي أسوة بالرسل الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم وحساب أمهم على الله تعالى . كقوله تعالى : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ﴾ أي لله الحمد الذي لا يعذب أحداً إلا بعد قيام

٣٨٠ (٢٧- النمل - ج ٢٠) : لو كان الله غافلاً شيئاً لأغفل البعوضة والجرذلة والذرة

الحجة عليه ، والإنذار إليه . كقوله تعالى : ﴿ سريرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ أي بل هو شهيد على كل شيء . قال ابن أبي حاتم عن أبي هريرة يقول : ٤٠٥ قال رسول الله ﷺ [ يا أيها الناس لا يفترون أحدكم بالله ، فإن الله لو كان غافلاً شيئاً لأغفل البعوضة والجرذلة والذرة ] وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان ينشد هذين البيتين [مأله وإما لغيره .

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل " خلوت ولكن قل علي رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة " ولا أن ما يتخفى عليه يغيب

آخر اختصار تفسير سورة النمل والله الحمد والمنة .

١٣٩٠/٤/٩

١٩٧٠/٦/١٣

## (٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَمَانِينَ وَمِائَتُونَ آيَةً

إلا من الآية ٥٢ - ٥٥ فمدنية نزلت بعد النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَمَّ • (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ • (٢) تَتْلُوا  
عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ • (٣) إِنَّ  
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ  
يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ • (٤)  
وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً  
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ • (٥) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ  
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ • (٦)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة ... وقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ أي هذه آيات الكتاب الواضح الجلي ، الكاشف عن الحقائق ، وعلم ما قد كان وما هو كائن وقوله تعالى : ﴿ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ أي نذكر لك أخبار الأولين كأنك تشاهدها . ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي تكبر وتجبّر ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أي أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يحب من أمور دولته .

وقوله تعالى : ﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴾ يعني بني إسرائيل ، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم ، وقد تسلط فرعون عليهم واستعملهم في أحسن الأعمال ، ليلاً ونهاراً وفوق ذلك يقتل أبناءهم ، ويستحوي نساءهم خشية أن يأتي منهم مولود يكون هلاك فرعون على يديه بناء على البشارة التي بشر بها إبراهيم عليه السلام بعد إنقاذ

الله لزوجته سارة التي أراد أن يقتصبها جبار مصر في زمنه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فأمر بذبح كل مولود ذكر من بني إسرائيل ولكن لن ينفع حنجر من قدر وكل أنجل كتاب ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ - إِلَى قَوْلِهِ - يَحْذَرُونَ ﴾ وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فما نفع فرعون حنجره مع قدرة الملك العظيم جل جلاله بل نفذ حكمه وقتلوه وأهلك فرعون وجنوده لأن ربّ السموات العلى هو القاهر الغالب القوى العزيز .

﴿٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِضَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ

فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ

الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ

فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنِي لِیَ وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ

وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴿٩﴾

أكثر فرعون من قتل ذكور بني إسرائيل حتى ان القبط خافوا أن يفتى بنو إسرائيل فلا يقوم بعدهم من يقوم وقتل بالأعمال الشاقة فكلموا فرعون بذلك فأمر فرعون بقتل الولدان عاماً وتركهم عاماً ، فكان أن قدر الله ولادة هارون في سنة الترك وولد موسى في سنة القتل .  
ومن لطف الله تعالى بأم موسى أنها لم يظهر عليها مخايل الحمل ولم تظن لها اللدابات اللاتي كن يدرن بين نساء بني إسرائيل لمعرفة الحاملات ، فلما وضعت أم موسى ابنتها موسى ضاقت به ذرعا وخافت عليه وأحبته حباً شديداً وكان لا يرى أحد موسى إلا وأحبه . قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَبِيْطُ عَلَيْكَ حَبِيْبٌ مِّنِيْ ﴾ وقد ألهمها الله تعالى ونقش في روعها ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِضَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فلما ألقته في اليم أي في ساحل بحر النيل فذهب مع الماء واحمله حتى مرّ به على دار فرعون فاللقطه البحواري فاحتملته فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه ، وخشين أن يفتحنه



قال تعالى : ﴿ لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه ﴾ أي اتبعي أثره وخذِي خبره فخرجت لذلك ﴿ فبصرت به عن جنب ﴾ أي جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده ، ولما أحبته امرأة فرعون ، واستفدته منه عرضوا عليه المراضع فلم يقبل منها ثدياً فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون مرضعةً تصلح له فلما رآته أخته ، بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك . قال الله تعالى : ﴿ وحرمتنا عليه المراضع من قبل ﴾ أي تحريمها قدرتاً ، وذلك لكرامته عند الله وجعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه ، وهي آمنة بعدما كانت خائفةً ، فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه ﴿ قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ﴾ فوثقوا منها بعد أن شكروا وذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ، ففرحوا جداً وبشروا امرأة فرعون فاستدعت أم موسى وأحسنَت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً ، وتجهل أنها أمه حقيقةً ، وسألتها أن تقيم عندها لترضعه ، فأبت عليها وقالت : إن لي بعلًا وأولاداً فلا أستطيع المقام عندك ، وإن شئت أروضته عندي فقبلت ... وأجرت عليها النفقة والصلوات والكساوي والإحسان الجزيل ، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبلغها الله بعد خوفها أمناً في عز وجاه ورزق كريم . ولهذا جاء في الحديث : ٤٠٦ [ مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ] فسبحان من بيده الأمر ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن أتقاه بعد كل هم فرجاً ، وبعد كل ضيق فرجاً ولهذا قال تعالى : ﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ﴾ أي به ﴿ ولا تحزن ﴾ أي عليه ﴿ ولتعلم أن وعد الله حق ﴾ أي فيما وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين ، فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين ، فعاملته في تربيته ما ينبغي له شرعاً وطبعاً .

وقوله تعالى : ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة . فربما يقع الأمر كريباً إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الأمر كما قال تعالى : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحببوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ

نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ



فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

ذكر تعالى أنه لما بلغ موسى أشده واستوى آتاه الله حكماً وعلماً قال مجاهد : يعني النبوة ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ ثم ذكر تعالى سبب وصوله إلى ما قدره له من النبوة والتكليم في قضية قتله ذلك القبطي الذي تسبب في خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين. فقال تعالى : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ﴾ وقيل كان ذلك بين المغرب والعشاء وقيل نصف النهار ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ﴾ أي إسرائيلي ﴿ وهذا من عدوه ﴾ أي قبطي فاستغاث <sup>(١)</sup> الاسرائيلي موسى عليه السلام ، فوجد موسى فرصة وهي غفلة الناس فعمد إلى القبطي ﴿ فوكره موسى فقضى عليه ﴾ أي طعنه بجمع كفه فقتله ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت عليّ ﴿ بما جعلت من الجاه والعز والنعمة ﴾ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴿ أي معيماً للكافرين بك . المخالفين لأمرك .

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا

(١) استغاث الاسرائيلي موسى عليه السلام بجمع بها جهال زماننا عل جواز الاستغاثة بقبر الله مع علمهم بأن استغاثة الاسرائيلي بموسى عليه السلام هي استغاثة مخلوق بمخلوق في أمر يقدر عليه المستغاث به . أي اغاثته من القتل ، وقد فعل ... فكيف يغيبونه عن استغاثة مخلوق بمخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى ...؟ وشأن بين الاستغاثين ... لأن الأولى عادة يسكن أن يفعلها من يستطيع من الناس أما الثانية كالمفردة وتفريج الكروب والرزق وما إلى ذلك ... فهي عبادة لله تعالى ؛ فمن صرفها لغير الله تعالى فقد وجه عبادة لغيره . وهذا هو الشرك الأكبر . والبياد بالله تعالى فإذا فهم هذا ... تبين الفارق بين الاستغاثين ولا قياس مع الفارق كما هو سلوم والله الموفق للصواب .

أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ  
تَهْتَلِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا  
فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ • (١٩)

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام بعد أن قتل القبطي أصبح ﴿ في المدينة خائفاً يترقب ﴾ أي يتلفت خائفاً من فعله وما يكون منها ، إذ يصادف الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس على القبطي يقاتل قبطياً آخر واستصرخه عليه فقال له موسى : ﴿ إنك لغوي مبين ﴾ أي ظاهر الغواية شرير ، ثم عزم على البطش بالقبطي فظن الإسرائيلي من جنبه أن موسى يريد قتله فقال يدفع عن نفسه ﴿ يا موسى أتريد أن تهتلني كما قتلت نفساً بالأمس ﴾ فلما سح القبطي ذلك لقفها من فمه ثم ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده ، فعلم فرعون بذلك ، فاشتد حنقه وعزم على قتل موسى فطلبوه ، وبعثوا وراءه ليحضروه لذلك .

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْقَى قَالَ يَا مُوسَى  
إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ  
النَّاصِحِينَ • (٢٠) ﴾

قال تعالى : ﴿ وجاء رجل ﴾ وسلك طريقاً أقرب من الطريق الذي بعثوا وراءه منه فسبق إلى موسى فقال له : ﴿ إن الملأ ياتمرون بك ﴾ أي يتشاورون فيك ﴿ ليقتلوك فخرج ﴾ أي من البلد ﴿ إنني لك من الناصحين ﴾ .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ • (٢١) ﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي  
سَوَاءَ السَّبِيلِ • (٢٢) ﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ

الْأَناسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا  
قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ • (٢٣) فَسَقَى  
لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ  
فَقِيرٌ • (٢٤)

لما أخير موسى ذلك الرجل. مؤامرة فرعون وجماعته عليه غادر مصر وحده ، ولم يألف ذلك قبلاً بل كان في نعمة ورياسة ﴿ فخرج منها خائفاً يترقب ﴾ أي تلفت ﴿ قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ أي من فرعون ومكه ﴿ ولما توجه تلقاء مدين ﴾ أي أخذ طريقاً سالكاً فرح بذلك ﴿ قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ أي الطريق الأقوم. فاستجاب الله دعوته فجعله هادياً مهدياً ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ أي بثرها ﴿ وجد عليه أمة من الناس يلقون ﴾ أي جماعة يلقون ﴿ ووجد من دونهم امرأتين قذودان ﴾ أي تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا فرقاً لهما موسى. ﴿ قال ما خطبكما ﴾ ما يمنكما أن تردا مع هؤلاء ؟ ﴿ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ﴾ أي إلا بعد فراغهم ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ قال تعالى : ﴿ فسقى لهما ﴾ قال ابو بكر بن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ... فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطبق رفعها إلا عشرة رجال فأتى موسى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم . إسناده صحيح . قال تعالى : ﴿ ثم تولى إلى الظلِّ فقال ربِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ أي جلس إلى ظل شجرة ، وكان قد خرج من مصر حافياً فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه ، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع وإنه محتاج إلى شق تمره. ولما قال : ﴿ ربِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ أسمع المرأة .

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَهَضَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أُمَّتَ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ • (٢٦) قَالَ

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٨﴾

لما رجعت المرأتان سريعاً بالغنم إلى أبيهما ، استغرب هذه السرعة على غير العادة فقصنا عليه ما فعل موسى عليه السلام ، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها. فقال تعالى : ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴾ أي قائلة بثوبها على وجهها حيية مسترة ﴿ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ هذا تأدب في العبارة أي ليشبك على سقيك غنمنا ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ أي ذكر له الأسباب التي أدت به إلى خروجه من مصر ﴿ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ أي طب نفساً واطمئن فقد خرجت من حكمهم ونجوت من مظلهم .

وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو ... ؟ قيل إنه شعيب النبي عليه السلام وقيل هو ابن أخيه ثيرون والمشهور عند كثير من العلماء القول الأول فقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد الغزي أنه وفد على رسول الله ﷺ فقال له : ٤٠٧ [ مرحباً بقوم شعيب وأختان موسى حديث ] .

وقوله تعالى : ﴿ قالت إحداهما يا أبتِ استأجره إن خيرَ من استأجرتَ القوي الأمين ﴾ قال لها أبوها وما علمك بذلك ؟ قالت له : إنه رفع الصخرة التي لا يطبق حملها إلا عشرة رجال وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي : كوني من ورأتي ، فإذا اختلف علي الطريق فاحذني لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه. ﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمان حجاج فإن أتممت عشرًا فمن عندك ﴾ أي طلب هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى غنمه ثمان سنين وجعل أجره تزويجه إحدى ابنتيه فإن تبرع بزيادة سنتين فهو إليك وإلا ففي الثمان كفاية . وقد استدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على صحة البيع فيما إذا قال : بعثك أحد هذين العبدین بمئة ، فقال اشتريت ، صح البيع والله أعلم كما استدلل أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم في صحة استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية ﴿ وما أريد أن أسئ

عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴿ أي لا أشاقك ولا أؤذيك ولا أماريك ﴾ قال ﴿ موسى ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما تقول وكيل ﴾ أي الأمر على ما قلت من أنك امتأجرتني على ثمان سنين فإن أتممت عشرًا فمن عندي فأنا مني فعلت أقلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط ، ولهذا قال : ﴿ أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ ﴾ .

روى البخاري : عن سعيد بن جبير قال قال سألني يهودي من أهل الحيرة : أي الأجلين قضى موسى ؟ فقلت : لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله ، فقدمت على ابن عباس رضي الله عنه فسألته ، فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل . وهناك أحاديث مراسيل عديدة وضعيفة مرفوعة مجمعة على أن موسى عليه السلام كان قضى أبرد الأجلين وأوفاهما ولا شك أن هذا هو الأليق برسول من رسل الله تعالى وكما قال ابن عباس : إن رسول الله إذا قال فعل . ثم لما أمم موسى الأجلين سألت زوجته أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به . وقد روى ابن جرير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير لونها ، فلك ولدها .



﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِهَا الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٠) ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُحَسِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ (٣١) ﴿ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَدًا مِثْلَ شِمْرٍ سُوًى وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٣٢) ﴿

وقوله تعالى : ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ أي الأكل منهما ﴿ وصار بأهله ﴾ وما وكان معه من الغنم التي وهبها له أبو زوجته فسلك الطريق في ليلة مظلمة مطيرة باردة فترل منزلاً فجعل كلما أوردى زنده لا يضيء شيئاً ، فتمعّب من ذلك فينما هو كذلك : ﴿ آتس من جانب الطور نارا ﴾ تضيء على بعليه ﴿ فقال لأهله امكثوا إني آتست نارا ﴾ أي حتى أذهب اليها ﴿ لعلي آتيكم منها بخبر ﴾ لأنه قد ضل الطريق ﴿ أو جذوة من النار ﴾ أي قطعة منها ﴿ لعلمكم تصطلون ﴾ أي تستدفنون بها من البرد ﴿ فلما أتاها نودي من شاطيء الوادي الأيمن ﴾ أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب . كما قال تعالى : ﴿ وما كنت بجائب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ وجد النار تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي ، فوقف باهتا في أمرها ، فناداه ربه ﴿ من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ أي الذي يخاطبك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا إله إلا هو ولا رب سواه تعالى وتقدس عن بمائلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله .

وقوله تعالى : ﴿ وأن ألقى عصاك ﴾ أي التي في يدك ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أي تضطرب ﴿ كأنها جان ولي مديراً ﴾ أي في حركتها السريعة مع عظم خلقتها وقوايمها ، واتساع قسما واصطكاك أنيابها وأضراسها ، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعها ، تنحدر في فيها تنقع كأنها حادرة في واد . فعند ذلك ﴿ ولي مديراً ولم يعقب ﴾ أي ولم يلبث لأن طبع البشرية ينفر من ذلك . فلما قال الله تعالى : ﴿ يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين ﴾ رجع فوقف في مقامه الأول ، ثم قال تعالى : ﴿ أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أي إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلألأ كأنها قطعة قمر ، في لمعان البرق . ولهذا قال تعالى : ﴿ من غير سوء ﴾ أي من غير برص ، فعرف وتحقق أن الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كن فيكون . وقوله تعالى : ﴿ واضم إليك جناحك من الرهب ﴾ قال مجاهد : من الفرع والمراد أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهو يده فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يده من الخوف ، وربما فعل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فإنه يزول ما يده ، أو يخف أن شاء الله تعالى وقد نزع تعالى ما كان في قلب موسى عليه السلام من الخوف من فرعون ، وجعله في قلب فرعون إذا رأى موسى . وقوله تعالى : ﴿ فذانك برهاتان من ربك ﴾ يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسمى ، وإدخاله اليد

في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء . دليلان قاطعان واضحان على قدرة الله تعالى ، وصحة نبوة من جرى هذا الخارق على يديه . ولهذا قال تعالى : ﴿ إلى فرعون ومكة ﴾ أي قومه من الرؤساء والكبراء والأتباع ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ أي خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٢٣)

وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ (٢٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمُؤْتَمَرًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ (٢٥)

تقدم أن موسى عليه السلام خرج من مصر فراراً من فرعون . فلما أمره الله تعالى بالذهاب إليه ﴿ قال رب إنني قتلت منهم نفساً ﴾ يعني القبطي ﴿ فأخاف أن يقتلوني ﴾ أي إذا رأوني ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ﴾ إذ كان في لسان موسى لثقة بسبب تناوله الحمره حين خبير بينها وبين الثمرة أو الدرّة فتناول الحمره فوضعها على لسانه ، فحصل فيه شدة في التعبير ولهذا قال : ﴿ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشد به أزري وأشركه في أمري ﴿ للقيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتعجب العنيد، ولهذا قال : ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رِدْءًا ﴾ أي وزيراً ومعيناً ومقرباً لأمري وقال محمد بن اسحق : ﴿ رِدْءًا يصدقني ﴾ أي يبين لهم عني ما أكلسهم به ﴿ إنني أخاف أن يكذبوني ﴾ قال الله تعالى : ﴿ سنشد عضدك بأخيك ﴾ أي سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك وأجينا مؤلك بأن جعلناه نبياً معك كما قال تعالى : ﴿ قد أوتيت مؤلك يا موسى ﴾ ولهذا قال بعض اللفظ : ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام ، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً معه إلى فرعون ومكة ولهذا قال تعالى في حق موسى : ﴿ وكان عند الله وجيهاً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ونجعل لكما سلطاناً ﴾ أي حجة قاهرة ﴿ فلا يصلون إليكما بآياتنا ﴾





وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾  
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾  
 وَأَتَيْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه في دعوى الإلهية لنفسه الفبيحة لعنه الله فاعترف قومه له بذلك لقلعة عقولهم وسخافة أذهانهم . ولهذا قال : ﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ أي نادى فيهم بصوته العالي مصرحاً بذلك . فأجابوه : سامعين مطيعين ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة وحتى أنه واجه موسى الكليم بذلك حينما قال له : ﴿ لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى ﴾ أي أمر هامان أن يتخذ له آجراً لبناء الصرح العالي فيناه فلم ير في الدنيا بناءً أعلى منه ، وإنما أراد أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون . ولهذا قال : ﴿ وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ في قوله إن هناك رباً غير فرعون . وقوله تعالى : ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ أي طغوا وأفسدوا وأنكروا القيامة ولهذا قال تعالى : ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ﴾ أي أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ أي لمن أخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل، وتعطيل الصانع ﴿ ويوم القيامة لا ينصرون ﴾ أي فاجتمع عليهم جزئي الدارين ﴿ وأتيناهم في هذه الدنيا لعنة ﴾ أي جعلهم ملعونين على ألسنة المؤمنين في الدنيا ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ أي أيضاً ملعونون يوم القيامة <sup>(١)</sup> .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، من إنزال التوراة عليه بعد إهلاك فرعون وملكه . وقوله تعالى : ﴿ من بعد ما

(١) راجع التلخيص في آخر تفسير الآية رقم /٦٨/ من سورة الشعراء .

أهلكنا القرون الأولى ﴿ يعني أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامَّة ، بل أمر المؤمنين ان يقاتلوا أعداء الله من المشركين . روى ابن جرير عن أبي سعيد الخدري رفعه إلى النبي ﷺ قال : ٤٠٨ [ ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسى ] ثم قرأ : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ بصائر للناس وهدى ورحمة ﴾ أي من العمى والغي ، وهدى إلى الحق ورحمة أي إرشاداً إلى العمل الصالح ﴿ لعلمهم يتذكرون ﴾ لعل الناس يتذكرون به ويبتدون بسببه .

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٤٤) ﴿ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنهَمُ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٦) ﴿ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً مِّمَّا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ لَفَقَرْنَا لَعْنَةً رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧) ﴿

ينبّه تعالى على برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بغيوب الأخبار الماضية كأنه سامع وشاهد لما تقدم مع أنه رجل أمي لا يقرأ شيئاً من الكتب ، ونشأ بين قوم أميين أيضاً وكذلك لما أخبر عن كل من سلف من سيرة الأنبياء مع أقوامهم كما قال تعالى في سورة طه : ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ﴾ وقال ها هنا بعدما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها : وكيف كان ابتداء إيجاء الله إليه وتكليمه له : ﴿ وما كنت بجانب الجبل الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ لذلك . ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ، ليكون حجة

وبرهاناً على قرون تطاول عهدا ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين وقوله تعالى : ﴿ وما كنت ثاويةً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ﴾ أي ما كنت مقيماً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيا شعيب وما كان له مع قومه ﴿ ولكننا كنا مرسلين ﴾ ولكن نحن أوحينا إليك ذلك وأرسلناك إلى الناس رسولا . ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ قال ابو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال : نودوا أن يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني . وعن ابن عمرو بن جرير أنه قال ذلك من كلامه والله أعلم وقوله تعالى : ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ أي ما كنت شاهداً لشيء من ذلك ولكن الله تعالى أوحاه إليك وأخبرك به رحمةً منه بك وبالعباد بإرسالك إليهم ﴿ لتذر قوماً ﴾ ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴿ لعلهم يهتدون بما جشهم به من الله عز وجل ﴾ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ﴿ أي وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ، ولتقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم ، فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير . كما قال تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ الآية ... والآيات في هذا كثيرة .

﴿ فَمَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ سَمَوَاتِنَا أَوْ يَخْتَرِقْ بِضُلْمِنَا أَنْ نَكْفُرَ بِهِ أَنتَ بِأَبْصَارِنَا مُتَكِبٌ لَئِن جَاءَنَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ لَقَدْ عَلَّمْنَا لَوْ أَنَّا كَانُوا يَحْقِرُونَ ﴾ (٤٨) ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهَا أْتِيعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٩) ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٠) ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥١) ﴿

يخبر تعالى عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم ، لاحتجوا بأنهم لم

بأنهم رسول . ولما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد ﷺ قالوا على وجه التعنت والعناد والكفر : ﴿ لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ﴾ الآية ... من المعجزات مثل العصا واليد والطوفان والجراد وغير ذلك من معجزاته الباهرة وحججه القاهرة التي أجراها الله تعالى على يدي موسى عليه السلام حجة وبرهاناً على فرعون ومعه ذلك لم ينجع معهم شيء بل كفروا بموسى وأخيه هارون كما قال تعالى : ﴿ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴾ ولهذا قال مهنا : ﴿ أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴾ أي أو لم يكفر البشر بما أوتي موسى من تلك الآيات العظيمة ﴿ قالوا سحران تظاهرا ﴾ يعنون التوراة والقرآن ﴿ وقالوا إنا بكل كافرين ﴾ أي بكل منها كافرون أي بالتوراة والقرآن وكبيراً ما يقرن الله بين التوراة والقرآن كما في قوله تعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس - إلى أن قال - وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ وقد علم بالضرورة لدوي الأبواب ان الله تعالى لم ينزل كتاباً من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن ، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على موسى بن عمران عليه السلام ، أي التوراة ولهذا قال تعالى : فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه إن كنتم صادقين ﴿ فيما تذاكرون به الحق وتعارضون به من الباطل . قال الله تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾ أي إن لم يتبعوا الحق ، فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ﴿ بلا دليل ولا حجة ﴾ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴿ أي بغير حجة من كتاب الله ﴿ ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ أي أخبرنا قريشاً بمن مضى وكيف صنعنا بهم ﴿ لعلمهم يتذكرون ﴾ .

﴿ الَّذِينَ اتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿ (٥٣) أَوَلَيْكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَمُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةٌ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْظَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

## لَا تَبْتغِي الْجَاهِلِينَ • (٥٥) ﴿﴾

يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْذِئُنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى - إِلَى قَوْلِهِ - فَكُنَّا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ قال سعيد بن جبير : نزلت في سبعين من القسّمين بعثهم النجاشي ، فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم : ﴿ بَسْمَ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمِ ﴾ حتى ختمها ، فجعلوا يبكون وأسلموا ، ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يَتلى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين موحدين مخلصين لله مستجيبين له . قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْتَبِينَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني ولهذا قال عز من قائل : ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي على اتباع الحق وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي ، وعبد مملوك أذى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة ، فأدبها فأحسن تأديبها ، ثم اعتقها فزوجها<sup>(١)</sup> ] وقوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ أي لا يقابلون السيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ أي في الزكاة المفروضة . والمنسحبة من الصدقات والقربات ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلُواكَ لَمَّا نَزَعْنَا مِنْكُمُ الْأَمْوَالَ فَمِنْ أَيْنَ مَا نَأْتِيكُم بِهَا لَنُؤْتِيَنَّكَ مِنْهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَكُلَّمَا أَوْفَدُوا بِهَا مِنْ أَتْرَابِهِمْ يَقُولُونَ إِنَّهَا بَدَّلُوا الْبَدْلَ بَدْلَانِ سَاءَ لَمَّا بُدِّلُوا بِهَا وَأَمْ وَاللَّيْلِ إِنَّهُمْ لَخَائِبُونَ ﴾ ولا يعاشرهم ﴿ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ أي إذا سئف عليهم سفيه ، وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه ، أعرضوا عنه ، ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح . ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب .

قال محمد بن اسحق بعد أن ذكر محبي وفد النجاشي إلى رسول الله ﷺ وخبر إسلامهم قال : فلما قاموا - من مجلس الرسول - اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم : خبيكم الله من ركب ، بعثكم أهل دينكم لتأتوهم بغير الرجل ... فلم تظنن بحالكم حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً .

(١) تمام الحديث : [ ... فله أجران ] أخرجه .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِئِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (٥٧) ﴿

يقول تعالى لرسوله ﷺ : **﴿ إنك يا محمد لا تهدي من أحببت ﴾** أي ليس لك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى : **﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾** وقال هنا : **﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾** أي هو أعلم بمن يستحق الهداية فمن يستحق الغواية وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ وكان يحوطه وينصره ويقوم في صفته ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القبر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر . والله الحكمة التامة . قال الزهري : حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه وهو المسيب ابن حزن المخزومي رضي الله عنه قال : ٤١٠ ] لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله ﷺ « يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويهودان له تلك المقالة حتى كان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ « والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ] فأنزل الله تعالى : **﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾** وأنزل في أبي طالب **﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾** أخرجاه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه .

وقوله تعالى : **﴿ وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا ﴾** أي نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين ، أن يقصدونا بالأذى والمخاربة . ويتخطفونا أيضاً كئنا فأجابهم تعالى : **﴿ أو لم نمكن لهم حرمًا آمناً ﴾** يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل لأن الله تعالى قد جعلهم في بلد أمين وحرم معظم

آمن منذ أن وضع ، فكيف يكون هذا الحرم آمناً لهم في حال كفرهم وشركهم ، ولا يكون آمناً لهم وقد أسلموا وتابوا الحق . وقوله تعالى : ﴿ يَجِيءُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي من سائر الثمار كذلك المتاجر والأمتعة ﴿ رِزْقاً مِّنْ لَّدُنَّا ﴾ أي من عندنا ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ولهذا قالوا ما قالوا .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلَكَّ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (٥٩)

يعترض الله بأهل مكة في قوله جل وعلا : ﴿ وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ أي طغت وكفرت نعمة الله فيما أنعم عليهم من الأرزاق ، كما قال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون - إلى قوله - فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ فتلک مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً ﴾ أي دثرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم : ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ أي رجعت خراباً ليس فيها أحد .

وقوله تعالى : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها ﴾ أي عاصمتها ﴿ رسولاً يتلو عليهم آياتنا ﴾ بيقم الحجّة عليهم بما نزل عليه من الحق . وقيل في قوله تعالى : ﴿ ... حتى يبعث في أمها ﴾ أي في مكة وقوله تعالى : ﴿ رسولاً يتلو عليهم آياتنا ﴾ فيه دلالة على أن نبينا محمداً رسول إلى جميع القرى من عرب وعجم وتمام الدليل بقوله تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً ﴾ فجعل بعثة النبي الأمي شاملة لجميع القرى أي البلاد وفي الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : ٤١١ [ بعثت إلى الأحمر والأسود ] ولهذا ختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده ولا رسول ، بل شرعه باقٍ إلى يوم القيامة .

﴿ وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٠) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَتَّىٰ فَهُوَ لِآفِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

يُخبر تعالى عن حقارة الدنيا وما فيها من البهرج الزائف بالنسبة إلى ما أعدّه الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم المقيم. كما قال تعالى : ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾ وقال رسول الله ﷺ : ٤١٢ [ والله ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم ، فليُنظر ماذا يرجع إليه ] .

وقوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أي ألا تعقلون فتقدمون الآخرة على الدنيا؟ وقوله تعالى : ﴿ أفمن وعدناه وعداً حساً فهو لآفِيهِ كمن متّعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ أي أفمن هو مؤمن مصدّق بما وعده الله على صالح الأعمال من الثواب كمن هو كافر مكذّب بلقاء الله ووعدده ووعدده فهو تمتع في الحياة الدنيا أباماً ثلاثاً . ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ أي من المعذبين .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هُوَ الَّذِي آغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَدَّبَّرُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾



يخبر تعالى عما يورث به الكفار المشركين يوم القيامة يناديهم فيقول سبحانه : ﴿ أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ يعني أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من الأصنام والأنداد هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا على سبيل التقرير والتهديد. كما قال تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما نحولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قال الذين حتىّ عليهم القول ﴾ يعني الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر ﴿ ربنا هؤلاء الذين أغربناهم كما غربنا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ﴾ فشهدوا أنهم أغروهم فاتبعوهم ثم تبرأوا من عبادتهم . كقوله تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلاًّ سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وقيل ادعوا شركاءكم ﴾ أي ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا ﴿ فدعوه فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب ﴾ أي نبتوا أنهم صابرون إلى النار لا محالة .

وقوله تعالى : ﴿ لو أنهم كانوا يتدنون ﴾ أي تمنوا حين رأوا العذاب أنهم لو كانوا مهتدين . وقوله تعالى : ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ وهذا كما يسأل العبد في قبره : من ربك ، ومن نبيك وما دينك فأما المؤمن فينطق بالشهادتين وأما الكافر فيجيب لا أدري ولهذا لا جواب له يوم القيامة إلا السكوت لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ولهذا قال تعالى : ﴿ فعصيت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا ينساءلون ﴾ قال مجاهد : فعصيت عليهم الحجج فهم لا ينساءلون بالأنساب . وقوله تعالى : ﴿ فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً ﴾ أي في الدنيا ﴿ فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ أي يوم القيامة ، وعسى من الله موجبة فإن هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة .

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٧٠)

يُغَيِّرُ تَعَالَى أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْحَلْقِ وَالْإِخْتِيَارِ ، لَا مَنَازِعَ لَهُ وَلَا مَعْتَبَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ أَي مَا يَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا وَمَرَجِعَهَا إِلَيْهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا كَانَ لَهمُ الْخَيْرَةُ ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أَي مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَخْلُقُ وَلَا تَخْتَارُ شَيْئًا .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَنُونَ ﴾ أَي يَعْلَمُ مَا تَكُنُ لِلضَّائِرِ وَالسَّائِرِ وَمَا تَبْدِيهِ الظُّوَاهِرُ مِنَ سَائِرِ الْخَلْقِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الْمُنْفَرِدُ بِالْأَلُوْهِيَّةِ فَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ . كَمَا لَا رَبَّ غَيْرَهُ ﴿ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأَوَّلِي وَالْآخِرَةِ ﴾ أَي فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُ هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ وَحُكْمَتُهُ ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ أَي الَّذِي لَا مَعْتَبَ لَهُ لِقَهْرِهِ وَغَلْبَتِهِ وَحُكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ﴿ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴾ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٣)

بِمَنْنِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا سَخَّرَ لَهُمُ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اللَّذَيْنِ لَا قِوَامَ لَهُمَا بِلَدُنْهُمَا ، وَيَسِّرَ أَنَّهُ لَوْ جَعَلَ اللَّيْلَ دَائِمًا لِأَصْرَهُمْ وَسُيُوءِهِ . وَهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ﴾ تَبْصِرُونَ بِهِ وَتَسْتَأْنِسُونَ ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ وَكَذَلِكَ لَوْ جَعَلَ النَّهَارَ دَائِمًا لِأَصْرَهُمْ وَتَعَبُوا مِنَ الْحَرِّ وَالْعَمَلِ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَكُونُونَ فِيهِ ﴾ أَي تَسْرِيحُونَ مِنَ حَرَكَاتِكُمْ وَأَشْغَالِكُمْ ﴿ أَفَلَا تَبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ بِكُمْ ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ أَي خَلَقَ هَذَا وَهَذَا ﴿ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ أَي فِي اللَّيْلِ ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أَي فِي النَّهَارِ ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أَي تَشْكُرُونَ اللَّهَ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَمِنْ فَائِدَتِهِ شَيْءٌ فِي أَحَدِهِمَا اسْتَدْرَكَهُ فِي الْآخَرِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي

جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴿ والآيات في هذا كثيرة .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٧٤) ﴿ وَتَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٧٥) ﴿

وهذا نداء ثان منه تعالى على سبيل التوبيخ لمن عبد مع الله غيره يناديهم سبحانه علناً فيقول جلي وعلا : ﴿ ابن شركائي الذي كنتم تزعمون ﴾ في الدنيا ﴿ وتزعنا من كل أمة شهيداً ﴾ أي رسلاً ﴿ فقلنا هاتوا برهانكم ﴾ على صحة دعواكم بالشرك ﴿ فعلموا أن الحق لله ﴾ أي لا إله غيره فلم ينطقوا ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ أي ذهبوا فلم يفهمهم .

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُورُ بِالْعَصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٧٦) ﴿ وَأَتْبَعْنَا فِيمَا أُتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧٧) ﴿

وقوله تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى ﴾ أي ابن عمه وقوله تعالى : ﴿ وآتيناه من الكنوز ﴾ أي الأموال ﴿ ما إن مفاتيحه لتنور بالعصبة أولي القوة ﴾ لكثرتها وقيل حملها .

وقوله تعالى : ﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ أي الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم . وقوله تعالى : ﴿ وأتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أي مما أباح الله من المآكل والمشرب والملابس والمناكح والمساكن ، فإن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً فات كل ذي حق حقه ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ أي أحسن



﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ  
يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٨١) وَأَصْبَحَ  
الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسُبُّوا اللَّهَ يَسُبُّوا الرِّزْقَ يَمُنُّونَ  
بِشَاءِ مَنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَسُبُّوا اللَّهَ  
لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٢)

لما ذكر تعالى اختيال قارون في زينتته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأن  
خسف به الأرض وبداره كما ثبت في صحيح البخاري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول  
الله ﷺ قال ٤١٣ [ بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به ... فهو يتجلجل في الأرض  
إلى يوم القيامة ] . وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام  
واختلف في سببه فعن ابن عباس والسدي أن قارون أعطى بعباً مالا على أن تنهم موسى  
عليه السلام بنفسها ففعلت فأرعد موسى من الفرق ثم أقبل عليها بعد أن صل ركعتين  
وناشدها الله أن تقول الحق فقالت إن قارون حملها على ذلك وقالت استخضر الله وأتوب  
إليه فخر موسى ساجداً لله وسأل الله في قارون فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن  
تطيعك فيه ، فأمر موسى الأرض أن تبلعه وداره فكان ذلك ﴿ فما كان له من فئة  
ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ أي ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه  
ولا حشمه ولا دفعوا عنه نعمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو منتصراً لنفسه ، فلا ناصر  
له من نفسه ولا من غيره .

وقوله تعالى : ﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس ﴾ أي الذين رأوه في زينتته  
يقولون ﴿ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾ فلما خسف به أصبحوا يقولون  
﴿ ويكأن الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴾ أي ليس المال بديل على رضا  
الله عن صاحبه ، هذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود ٤١٤ [ إن الله قسم بينكم  
أخلاقكم كما قسم أرزاقكم وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان  
إلا لمن يحب ] وقوله تعالى : ﴿ لولا أن من الله علينا لخسف بنا ﴾ كما خسف بقارون  
لأننا وددنا أن نكون مثله ﴿ ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾ يعنون أنه كان كافراً ولا يفلح  
الكافرون عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة واختلف النحاة في معنى قوله تعالى ﴿ ويكأن ﴾  
ففيها أقوال ، أقواها قول قتادة أي : ( ألم تر أن ) قاله ابن جرير .

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٣) ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٤) ﴿

يغير تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض، أي ترفعاً على الخلق وتعاظماً وتجبّراً، ولا فساداً فيهم أي عملاً بالمعاصي . وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال : « ٤١٥ » [ إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد ] وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجميل ، فهذا لا بأس به . فقد ثبت ٤١٦ [ أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسناً ونعلي حسنةً أفمن الكبر ذلك ؟ فقال « لا ، إن الله جميل يحب الجمال » ] وقال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فله خير منها ﴾ أي ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله يضاعفه ضعافاً كثيرة ، وهذا مقام الفضل ، ثم قال تعالى : ﴿ ومن جاء بالسئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿ ومن جاء بالسئة فكبت وجوههم في النار ، هل تجزؤون إلا ما كنتم تعملون ﴾ وهذا مقام الفضل والعدل .

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِ قُلُوبِ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨٥) ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٨٧) ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨٨) ﴿

يقول تعالى أمراً رسوله صلوات الله عليه وسلامه عليه بيلّغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس . وعجّب أنه بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة ، فيسأله عما استرعاه مسن أعباء النبوة ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ أي افترض عليك أداءه إلى الناس ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ أي إلى يوم القيامة فيألك عن ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾

قال البخاري في التفسير من صحيحه عن ابن عباس ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ أي لرادك إلى مكة وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه ، وابن جرير ، وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس : ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ أي لرادك إلى مكة كما أخرجك منها .

وقد روى ابن أبي حاتم عن نعيم القاري أنه قال في قوله : ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ قال إلى بيت المقدس . وهذا والله أعلم - يرجع إلى قول من فسّر ذلك بيوم القيامة لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمفشر والله الموفق للصواب . ووجه الجمع بين الأقوال أن ابن عباس فسّر ذلك تارة برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي ﷺ . كما فسّر ابن عباس سورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلى آخر السورة أنه أجل رسول الله ﷺ فعي إليه وتارة فسرها ابن عباس بيوم القيامة وتارة بآخرة وكله متقارب ويلتقي بيوم القيامة الذي هو المعاد .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا يَخْتَلِفُ أَلْسِنَتُهُ لِيُذَكِّرَ الْإِنسَانَ ﴾ أي ربي أعلم باليهودي منكم ومني وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار . ثم قال تعالى مذكراً لشيء نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله إليهم ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ ﴾ أي ما كنت تظن قبل إنزال الوحي إليك أنه سينزل عليك ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي إن شاء الله كان إنزال الوحي عليك رحمة من الله بك وبالعباد بسببك فإذا منحك بهذه النعمة العظيمة . ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا ﴾ أي معيناً ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ولكن فارقمهم ونايذهم وخالفهم ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ أي لا تتأثر بصدّهم الناس عن طريقك فلا يقال فإن الله مع كل منك . ومؤيد ذلك ومظهره على سائر الأدبيات ولهذا قال تعالى : ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي إلى عبادته وحده لا شريك له ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا تليق الألوهية إلا له وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ إخباراً بأنه الدائم الباقي الخمي القيوم الذي لا يموت فعبّر بالوجه عن الذات أي كل شيء هالك إلا إياه ، وكل الذوات فانية وزائلة

٤٠٨ (٢٨- القصص - ج ٢٠): هو الأول والآخر، وله الملك والتصرف، وهو المعبود وحده

---

إلا ذاته تعالى وتقدس فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء وقوله تعالى: ﴿ له الحكم ﴾ أي الملك والتصرف ولا معقب حكمه ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أي يوم معادكم فيجزىكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر . آخر اختصار تفسير سورة القصص والله الحمد والمنة .

١٣٩٠ / ٤ / ١٥

١٩٧٠ / ٦ / ١٩



## (٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا السَّمْعُ وَسَمِعُونَ

إلا من الآية ١ - ١١ فمدنية نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَلَمْ • (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا  
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ • (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ • (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ  
السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ • (٤) ﴿٥﴾  
﴿٦﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ  
عَنِ الْعَالَمِينَ • (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ  
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ • (٧) ﴿٨﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة وقوله تعالى : ﴿ أَحْسِبَ  
الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ استفهام انكار ومعناه : إن الله سبحانه  
وتعالى لا بد وأن يختبر عباده المؤمنين بحسب إيمانهم وقد صح الحديث : [ ٤١٧ ] أشد الناس  
بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل يبطل الرجل على حسب دينه فإن كان في  
دينه صلابة زيد له في البلاء [ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم

الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴿ ولهذا قال مهنا ﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة . وقوله تعالى : ﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون ﴾ فإن من ورائهم عقوبة ونكالاً أغلظ . أم حسبوا أنهم سيفلتون من ذلك ؟ بشئ ما يظنون وقوله تعالى : ﴿ من كان يرجو لقاء الله ﴾ أي الدار الآخرة ورجاء ثواب الله فيحقق رجاءه ويوفيه عمله كاملاً فإن ذلك كائن لا محالة ولهذا قال : ﴿ فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ﴾ سميع الدعاء عليم بما يكون .

وقوله تعالى : ﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ﴾ كقوله تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ أي يعود لها فإن الله غني عن أفعال العباد ولو كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد في ملكه شيء ولهذا قال : ﴿ إن الله لغني عن العالمين ﴾ قال الحسن البصري : إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوماً من الدهر بسيف ثم قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴾ أي مع إن الله غني عن العالمين يحازي المؤمنين الصالحين أحسن الجزاء ويكفر عنهم أسوأ ما عملوا بأحسن أعمالهم فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها حتى إلى سبعمائة ضعف ويجزي السينة بمثلاً أو يعفو ويصفح .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ (٩)

يأمر تعالى عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده ، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ولهما عليه غاية الإحسان فالوالد بالإففاق والوالدة بالإشفاق ومع هذه الوصية بالإحسان إليهما قال تعالى : ﴿ وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك بسا علم فلا تطعهما ﴾ أي وإن حرصا على متابعتك لما على دينهما الشركي فلا تطعهما فإن

مرجعكم إلى يوم القيامة فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب أي حبا دينياً، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾

قال الترمذي عن سماك بن حرب يقول : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه قال : نزلت في أربع آيات فذكر قصته وقال : قالت أم سعد : أليس الله قد أمرك بالبر ؟ والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرباً حتى أموت أو تكفر ، قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهاً ، فنزلت : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَبًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ الآية وهذا الحديث رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي فقال حسن صحيح .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿ (١١) ﴾

يخبر تعالى عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم ولم يثبت في قلوبهم ، بأنهم إذا أصابتهم مصيبة اعتقدوا أن هذا انتقام منه تعالى بهم فارتدوا عن الإسلام ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ - لِي قَوْلُهُ - ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي ولئن جاءك يا محمد فتح أو مغنم ليقولون نحن اخوانكم في الدين ملتقاسوهم مغانمكم. ﴿ أُولَئِكَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ أي إنه يعلم ما بكنة الناس أجمعين فكيف هؤلاء... ؟

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ أي ليبليهم بالسراء والضراء لينميز هؤلاء من هؤلاء كما قال تعالى : ﴿ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَيَلْبُوْا أَخْبَارَكُمْ ﴾ وقد امتحن الله هؤلاء وهؤلاء فقال بعد وقعة أحد وما

كان فيها من الاختبار : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ الآية .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ  
خَطَايَاكُمْ وَمَا نُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٢)  
وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا  
كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣)

بغير تعال عن كفار قريش قالوا لمن آمن منهم : ارجعوا عن دينكم إلى دينا ،  
واتبعوا سبيلنا ﴿ ولنحمل خطاياكم ﴾ أي كما يقول القائل : إفعل هذا وخطيتك في  
رقيبتي ، فقال تعالى تكذيباً لهم : ﴿ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ﴾  
فانه لا يحمل أحد وزر أحد . وقوله تعالى : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ كما  
قال تعالى : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾  
الآية .

وفي الصحيح ٤١٨ ] من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم  
القيامة من غير ان ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل  
آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير ان ينقص من آثامهم شيئاً [ وفي الصحيح ٤١٩ ] ما  
قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل . (١)  
وقوله تعالى : ﴿ وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ أي يكذبون ويخلفون  
البهتان .

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا  
خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ  
وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١٥)

(١) أي قابيل الذي قتل أخاه هابيل .

يَسْتَلِي اللهُ تَعَالَى عِبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَخْبَارِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ هَذِهِ الْمُدَّةَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى دَوْمًا فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا فِرَارًا وَإِعْرَاضًا عَنِ الْحَقِّ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا فِيهِمْ أَلْفٌ سِنَةٌ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أي بعد هذه المدّة الطويلة ما نجح فيهم البلاغ والإنذار ، فلا تأسف يا محمد على من كفر من قومك ولا تحزن عليهم فإن الله بهدي من يشاء ويضل من يشاء وسيصرك الله ويذل عدوك ويجعلهم في الأسفلين .

وقوله تعالى : ﴿ فأتبعناه وأصحاب السفينة ﴾ أي الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وتقدم ذكر ذلك في سورة هود بما أغنى عن إعادته .<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ وجعلناها آية للعالمين ﴾ أي جعلناها باقية إما عينها كما قال قتادة : إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي أو نوعها جعله للناس تذكرةً لنعمة الله على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان كما قال تعالى : ﴿ إننا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية ﴾ وهذا تدريج من عين سفينة نوح إلى نوع السفن عامة .

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٦) ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَأَيَّمَكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٧) ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (١٨) ﴿

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليته إبراهيم إمام الحنفاء ، أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له والإخلاص له في التقوى وطلب الرزق منه وحده لا شريك له : ﴿ إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ﴾ أي اخلصوا له العبادة والخوف ﴿ ذلکم خير لکم ان کتم تعلمون ﴾ أي إن فعلتم يحصل لکم خیرا الدنيا والآخرة ويندفع عنکم شرهما ، ثم قال تعالى : ﴿ إنما تعبدون من دون الله اوثاناً وتخلقون إفكاً ﴾ أي أنتم الذين اختلقتم لها أسماء

فيسئروها آفةً ، وإنما هي مخلوقة مثلكم فتصنعونها أصناماً وتعبدونها، وهي لا تملك لكم رزقاً ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ أي فاطلبوا عند الله الرزق، لا عند غيره الذي لا يملك شيئاً. ﴿ واعبدوه واشكروا له ﴾ على ما أنعم به عليكم ﴿ إليه ترجعون ﴾ فيجازي كل عامل بعمله . وقوله تعالى : ﴿ وإن تكذّبوا فقد كذّب أمم من قبلكم ﴾ أي قبلكم ما حلّ بهم من العذاب في مخالفة الرسل ﴿ وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين ﴾ يعني إنّما على الرسول أن يبلغكم أوامر الله تعالى وهو الهادي لمن يشاء والمضل لمن يشاء فاحرصوا أن تكونوا من السعداء .

﴿ أولم يرؤا كيف بيديّ الله أخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴾ • (١٩) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ﴾ • (٢٠) يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تqlبون ﴾ • (٢١) وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ • (٢٢) والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ • (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن الخليل عليه الصلاة والسلام، أنه اثبت لهم المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، فالذي بدأ الخلق من العدم قادر على إعادته وهو يسير لديه . وبالإعتبار من خلق السموات والأرض وما فيها من المخلوقات وما بينهما الدالة على وجود الصانع الفاعل المطلق، يقول للشيء كن فيكون. ولهذا قال جل وعلا : ﴿ أولم يرؤا كيف بيديّ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وهو الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ﴾ أي يوم القيامة ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ سزيمهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ﴾ ولا يشاء إلا العدل فلا يظلم مثقال ذرة ، لأن الظلم حرمه

على نفسه وجعله بيتاً محرماً . ﴿ وإليه تفلتون ﴾ أي ترجعون يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ﴾ أي لا يعجزه أحد في السماء ولا في الأرض وكل شيء مقهور له ، خائف منه ، فقير إليه وهو الغني عما سواه . ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه ﴾ أي جحدوها وكفروا بالمعاد ﴿ أولئك يشوا من رحمي ﴾ أي لا نصيب لهم فيها ﴿ وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ أي موجع شديد في الدارين .

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٤)  
 وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (٢٥)

يقول تعالى مخبراً عن قوم ابراهيم أنهم لم يكن جوابهم بعد مقالته المشتملة على الهدى والبيان : ﴿ إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه ﴾ وذلك لتوجه الحجة عليهم . فعدلوا عنها إلى استعمالهم قوة الملك ، فحشدوا أخطاباً عظيمة وأوقدوها . ولم توقد نار قط أعظم منها ، ثم قدفوا ابراهيم فيها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً بعدما مكث فيها أياماً ، ولهذا أمثاله جعله الله للناس إماماً ، فانه بذل نفسه للرحمن : وجسده للنيران . وسخا بولده للقربان . وجعل ماله للضيفان . ولهذا اجتمع على محبته أهل الأديان . وقوله تعالى : ﴿ فأنجاه الله من النار ﴾ بأن جعلها برداً وسلاماً كما قال تعالى : ﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين . وقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ﴾ يقول لقومه موثقاً لهم على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان . إنما اتخذتم هذاهذه لتجتمع إليكم بينكم عليها في الحياة الدنيا . ﴿ ثم يوم القيامة ﴾ ترجع المودة بغيضاً ثم ﴿ يكفر بعضهم ببعض ﴾ أي تتجاهلون ما كان بينكم ﴿ ويلعن بعضهم بعضاً ﴾ أي يلعن الأتباع المتبوعين وبالعكس . كما قال تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وماؤاكم النار ﴾ أي ومصيركم إلى النار

﴿ وما لكم من ناصرين ﴾ ينصرونكم أو يتقلدونكم منها : هذا حال الكافرين وأما المؤمنون أهل التوحيد يعفون بعضهم عن بعض بعد أن يحاطبهم المنادي : يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض ، وعلى الله الثواب . كما جاء في الحديث ...

﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٦) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢٧)

يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم أنه آمن له لوط . ويقال أنه ابن أخي إبراهيم ، يقولون هو : لوط بن هاران بن آزر . ولم يؤمن به من قومه سواه وسارة امرأة إبراهيم الخليل . لكن يقال كيف الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الوارد في الصحيح إن إبراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل إبراهيم عن سارة ما هي منه ، فقال : أختي . ثم جاء إليها فقال لها : إني قد قلت له إنك أختي فلا تكذبيني . فإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك . فأنت أختي في الدين . وكان المراد من هذا - والله أعلم - أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك (١) . فإن لوطاً عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه إلى بلاد الشام . ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل سدوم واقليمها وكان من أمرهم ما تقدم وما سيأتي .

وقوله تعالى : ﴿ وقال إني مهاجر إلى ربي ﴾ أي من بين أظهر المشركين قومه وابتغاء إظهار الدين والتمسك من ذلك ولهذا قال : ﴿ إنه هو العزيز الحكيم ﴾ أي له العزة ولرسوله وللمؤمنين به ، الحكيم في أقواله وأفعاله وأحكامه التقديرية والشرعية .

وقوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب ﴾ كقولته تعالى : ﴿ فلما اعترفهم وما يعبدون من دون الله ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً ﴾ أي أنه لما فارق قومه ، أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي ، وولده ولد صالح نبي في حياة جده . ومما لا شك فيه أنه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قد نصَّ على ذلك القرآن والسنة وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلاً ،

(١) قلت : ولها أرض الجبار التي كان فيها . وأرواية التاريخية على أنها أرض مصر . والجبار هو فرعون مصر الذي حال الله بينه وبين سارة زوجة إبراهيم .





ويسخرون منهم ، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه . [ ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وحسنه الترمذي . وقوله تعالى : ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ، ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال : ﴿ رب انصرني على القوم المفسدين ﴾ .

﴿ ٢١ ﴾ وَلَمَّا جَاءَتْهُ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا  
أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿ ٢١ ﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا  
لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكُنُ  
مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿ ٢٢ ﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ  
بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنُ  
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿ ٢٣ ﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا  
مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ ٢٤ ﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً  
بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ ٢٥ ﴾

لما استنصر لوط ربه عز وجل ، بعث لضرته ملائكة فمرّوا على إبراهيم عليه السلام في هيئة أضياف فلما قدّم لهم ما ينبغي للأضياف لم يأكلوا ... أوجس منهم خيفة ، فآتسوه وبشروه بولادة ولد له صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة ، فنعجت من ذلك كما تقدم بيانه في سورتي هود والحجر ثم أخبروه بأنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط ، فاستمهل لعاء الله يهديهم . ﴿ قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ أي من المالكين . لأنها كانت تماثلهم على كفرهم . وبغيرهم ، ثم ساروا إلى لوط في صورة شبان حسان . فلما رأهم كذلك : ﴿ سيء بهم وضاق بهم ذرعاً ﴾ أي خاف عليهم من قومه وإن لم يصفهم خشي عليهم منهم ، وما يدري من أمرهم شيئاً ﴿ وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين . إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ وذلك أن جبريل عليه السلام

اقتلع قراهم من قمر الأرض ، ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضودة مسومة عند ربك ، وجعل الله مكانها بحيرة حبيثة منتنة وجعلهم عبرة إلى يوم الدين . وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد . ولهذا قال تعالى : ﴿ ولقد تركنا منها آية بيّنة ﴾ أي واضحة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالُوا يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ  
وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ  
فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴿٣٧﴾ ﴿

يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام . أنه أمر قومه بعبادة الله وحده لا شريك له ، وخوفهم نقمته في الدارين فقال : ﴿ يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾ أي اخشوا اليوم الآخر أي عذاب الله في الآخرة ، وقوله : ﴿ ولا تعبوا في الأرض ﴾ أي لا تفسدوا في الأرض وتبغوا على أهلها بإنقاص المكيال والميزان ، وقطع الطريق ، هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأهلكهم الله بالرجفة المروعة التي زلزلت بلادهم ، والصيحة التي أخرجت القلوب من حناجرها ، وعذاب يوم الظلة العظيم وتقدم ذكر ذلك في سورة الأعراف وهود والشعراء ﴿ فأصبحوا في دارهم جائعين ﴾ ميتين .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّآكِنِهِمْ وَزَيِّنَ لَهُمُ  
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾  
وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا  
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ  
مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ  
حَسَبْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿

يخبر تعالى عن الأمم الغابرة المكذبة للرسل كيف أبادهم ونوع عذابهم . وانضم منهم فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف بالقرب من حضرموت . وثمود قوم صالح عليه السلام كانوا يسكنون الحجر قريباً من وادي القرى . وكانت العرب تعرف مساكنهم جداً وتمر عليها كثيراً . وقارون صاحب الكنوز الحزيلة ، وفرعون ملك مصر زمن موسى عليه السلام ووزيره هامان القبطيان الكافران ﴿ فكللاً اخذنا بذنبه ﴾ أي كانت عقوبته تناسبه ﴿ فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ﴾ وهم عاد فجاءتهم ريح صرصر تحمل حصاء الأرض فتلقاها عليهم وتقتلعهم من الأرض الى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فيبقى بدنأً بلا رأس ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ﴾ وهم ثمود الذين عرفوا ناقة الله بكثرهم ، فجاءتهم الصيحة فأخذت أنفاسهم . ﴿ ومنهم من أخذنا به الأرض ﴾ وهو قارون الذي ضقى وبغى وعصى الرب ، ومشى مرحباً . وفرح ونسأه بنفسه واختال في مشيته ، فخسف به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة . ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما فأغرقوا في صيحة واحدة فلم ينبج منهم غير . ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ أي فيما فعل بهم . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ أي إنما فعل بهم ذلك جزاءً مضافاً بما كسبت أيديهم .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ يَتِيمًا وَإِنِ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴿ (٤٢) **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴿ (٤٣)

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ويرجونهم في الرزق والنصر والشدائد . فهم في ذلك كبيت العنكبوت فمثل من يعتمد على غير الله كمن يتمسك ببيت العنكبوت الواهن الضعيف الذي لا يجدي عنه شيئاً وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله ، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع ، ويتمسك به لقوته وثباته . ثم قال تعالى متوعداً بأن عبد غيره وأشرك به ، إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الشرك وما يشركون به من الأنداد وسيجزئهم وصفهم ، إنه حكيم عليهم . ثم قال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها

للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴿ اي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتصلون منه .

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٤) ﴿ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤٥) ﴿

يخبر تعالى عن قدرته العظيمة أنه خلق السموات والأرض بالحق يعني لا على وجه العبث واللعب .

وقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ أي لدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلمية ، ثم أمر رسوله ﷺ والمؤمنين بتلاوة القرآن أي قراءته وتبليغه للناس ﴿ وأقم الصلاة ﴾ إقامة تامة في خشوعها وأركانها وتدبر ما تقرأ من القرآن فيها ، ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ أي إن الصلاة ذات الوصف المتقدم من الخشية والخضوع واداء الأركان والتدبير بصدق وإخلاص ، هذه الصلاة لها الأثر الفعال في الانتهاء عن الفواحش والمنكرات فالصلاة بهذا الحضور في كل ما ذكر ، هي ذكرخالص لله تعالى يشترك فيه القلب واللسان وتتأثر به الجوارح عامة ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ أي إن ما ذكرت الله به في الصلاة بإخلاص وحضور تية وقصد . يقابله من الله ذكر عبده في الملأ الأعلى . كما قال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ ولا شك أن ذكر الله وتذكره دائماً في كل قول وعمل . سبب في ذكر الله لعبده الذي هو أعظم من ذكر العبد له . والمعنى أنه يجازيه على فعله بأعظم منه وأكبر ، فإذا ذكر العبد ربه ذكر الرب عبده ﴿ ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ أي يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم ونواياكم ويميزكم عنها بما تستحقون .

روى الحافظ أبو بكر البزار عن جابر أو عن رجل قال للنبي ﷺ : ٤٢١ [ إن فلانا يصلّي بالليل ، فإذا أصبح سرق . قال « سينهاه ما تقول » ] روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ قال لها وجهان : قال ذكر الله عند ما حرمه ، قال وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه .

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

قال قتادة هذه الآية منسوخة بآية السيف ... وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن اراد الانصياع منهم في الدين فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أجمع فيه ، كما قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ وهذا القول اختاره ابن جرير . وقوله تعالى : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ أي الذين لم ينفع معهم الجدل ، فيزسرون بالجزية وإلا فقد صاروا أهل حرب فحينئذ يتقل من الجدل إلى الجلاء ويقاثلون بما يمنهم ويردعهم ، كما قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد - إلى قوله - إن الله قوي عزيز ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ﴾ أي إذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا نقدم على تكذيبه فقد يكون حقاً ، ولا تصدقه فقد يكون باطلاً ولكن نؤمن به إيماناً مجملًا معلقاً على شرط ، وهو أن يكون منزلاً لا مبدلاً ولا مؤزلاً .

روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [ ٤٢٢ وكان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلينا وإلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ]

وليُعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل ، وما أقل الصدق فيه ، ثم ما أقل فائدة كثير منه ، لو كان صحيحاً .

قال ابن جرير عن ابن مسعود قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل . وقال ابن عباس : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث ، تقرأونه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن

مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم . رواه البخاري .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ (٤٧) ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٤٨) ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (٤٩) ﴿

يقول ابن جرير : يقول الله تعالى : كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا هذا الكتاب . وهذا الذي قاله حسن جيد . وقوله تعالى : ﴿ فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ﴾ أي الذين أخذوه فتلوه حتى تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء . كعبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وأشابههما . وقوله تعالى : ﴿ ومن هؤلاء من يؤمن به ﴾ أي العرب من قريش وغيرهم ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ﴾ أي ما يكذب بها إلا من استر الحق بالباطل ، ويقطعي ضوء الشمس بالوسائل وهيئات .

ثم قال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن ينزل الله عليك هذا القرآن عمراً لا تقراً ولا تكتب ، وهكذا صفة في الكتب المتقدمة كما قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً إلى يوم الدين لا يخط ولا سطرأ واحداً ولا حرفاً واحداً بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم . ولا صحة لكل ما قيل من أنه تعلم آخر عمره فلا أصل له أئبنة . قال الله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو ﴾ أي تقراً ﴿ من قبله من كتاب ﴾ لتأكيد النفي ﴿ ولا تخطه بيمينك ﴾ أي ما كتبت شيئاً ، لأنه تعالى لم يعلمه لا القراءة ولا الكتابة . وقوله تعالى : ﴿ إذا لا رتاب المبطلون ﴾ أي لو كنت تحسن القراءة والكتابة لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقولون ، إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم انه أمي ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ فرد الله تعالى عليهم ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ﴾ وقال هاهنا : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ أي هذا

القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهياً وخبراً يحفظه العلماء، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوةً وتفسيراً . وقوله تعالى : ﴿ وما يحمد بآياتنا إلا الظالمون ﴾ أي المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويمجدون عنه ، كما قال تعالى : ﴿ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٥٠) أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرِيحَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١) قُلْ كَذَبَ بِاللهِ يَبْنِي وَيَبْنِكُمْ شَيْدَا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٥٢)

يخبر تعالى عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات ، ترشدهم الى ان عمداً رسول الله كما أنى صالح بناتقته . قال الله تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إنما الآيات عند الله ﴾ أي إنما أمر ذلك إلى الله تعالى ، ولو أنهم سيهتدون لأجابه فهذا يسر عليه ، ولكنه يعلم منهم العنت فلا يجيبهم إلى ذلك كقوله تعالى : ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾ وقوله : ﴿ وإنما أنا نذير مبين ﴾ أي إنما بعثت نذيراً لكم فما عليّ إلا إبلاغكم رسالة الله تعالى و ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ ثم قال تعالى مبيناً جهلهم وسخافتهم لطلبهم آيات على صدق محمد ﷺ فيما جاءهم ، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي هو أعظم معجزة ، فقد عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته بل وعن معارضة سورة منه فقال تعالى : ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ أي ألم تكفهم هذه المعجزة الكبرى وهي القرآن الذي أنزلناه عليك الذي فيه خبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم ، وحكم ما بينهم وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب فجتهم بأخبار ما في الصحف الأولى بيان الصواب فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه ﴾



البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة] أخرجاه وقراه تعالى : ﴿ إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ أي بياناً للحق وإزاحةً للباطل وهذا هو الرحمة ، وفيه ذكرى ما حل من النقم بالأمم الخالية مما يتعظُّ به ويزيد المؤمنين إيماناً .

ثم قال تعالى : ﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ﴾ لما تكذبونني به من الأقوال التي أقولها لكم بأنني رسول الله إليكم فلو كنت كاذباً لانتقم مني كما قال سبحانه : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ولهذا أيدي بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات . ﴿ يعلم ما في السموات والأرض ﴾ أي ولا تخفى عليه خافية ﴿ والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾ أي سيجزيهم على ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا في تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله وإيمانهم بالطواغيت وسيصلون سعيراً وساءت مصيراً .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥٣) ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٥٤) ﴿ يَوْمَ يَنْشَأُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥٥)

يخبر تعالى عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم . كما قال تعالى : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ وقال هاهنا : ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ﴾ أي لولا ما قدر الله من تأخير العذاب بجاءهم سريعاً ﴿ وليأتيتهم بغتة ﴾ أي فجأة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴿ أي يستعجلونك بالعذاب وهو واقع بهم لا محالة .

ثم قال عز وجل : ﴿ يوم ينشأهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ أي تنشأهم النار من سائر جهاتهم ﴿ ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ تهديد وتقرع وتوبيخ وهذا عذاب معنوي - أي إخبار به قبل وقوعه حسيّاً ، وتهديد به وميلقونه فعلاً . ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقره . إننا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ (٥٩) وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَائِقَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ (٦٠) ﴿

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرّون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين بأن يوحّدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ولهذا قال عز وجل : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإيَّاي فاعبدون ﴾ ولما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها، خرجوا مهاجرين إلى الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين هناك : أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى فأوهم وأبدهم بنصره . ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ ، والصحابه الباقرن إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة .

ثم قال تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ أي أينما كنتم يدرككم الموت ، فكونوا في طاعة الله خير لكم فإن الموت لا بد منه وإلى الله المرجع فمن أطاع الله جازاه أفضل الجزاء وأتم الثواب ولهذا قال سبحانه ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي لنسكنهم منازل عالية في الجنة تجري الأنهار من تحتها ماءً وخبثاً وعللاً ولبناً على اختلاف أصنافها ﴿ خالدين فيها ﴾ ما كثرين فيها أبداً لا يغيثون عنها حولاً ﴿ نعم أجر العاملين ﴾ أي نعمت هذه الغرف أجرأ على أعمال المؤمنين ﴿ الذين صبروا ﴾ على دينهم وهاجروا إلى الله وناقدوا الأعداء ابتغاء وجهه تعالى ورجاء ما عنده . روى ابن أبي حاتم عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ حدثه [٤٢٤] أن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدتها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام ، وتابع الصلاة والصيام ، وقام بالليل والناس نيام] ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم ، ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة بل عام ، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا ، أكثر

وأوسع وأغيب فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار، ولهذا قال تعالى : ﴿ وكأين من دابة لا تعمل رزقها ﴾ أي لا تطيق جمعه وتحصيله : ولا تدخر شيئاً لغد ﴿ الله يرزقها وإياكم ﴾ أي الله يقبض لها رزقها على ضعفها . فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الدر في قرار الأرض . والطيور في الهواء . والحيتان في الماء فان تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أي السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وسكناتهم .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٦١) اللَّهُ يَنْبُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَآتِيَا بِهِ مِنَ الْأَرْضِ عَالِمٌ ﴿ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبِئَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ (٦٣)

يقرر الله تعالى أن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المنقلب بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وأنه الرازق لعباده المقدر آجالهم . العليم بما يصلح كلاً منهم ومقررون بأنه المنقلب بخلق الأشياء المنفرد بتدبيرها .

فإذا كان الأمر كذلك . فلم بعد غيره ولم يتوكل على غيره ؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته . فالاعتراف بتوحيد الربوبية لا يكفي إذا لم يعترف ايضاً بتوحيد الألوهية ومن أجل ذلك أي الاعتراف بتوحيد الألوهية بالإضافة ال توحيد الربوبية بعث أفضل الخلق محمد ﷺ . وبعث الرسل والأنبياء من قبله عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي

أَلْفَلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا قَوِّفَ يَعْمُونَ ﴿٦٦﴾

يخبر تعالى عن حقارة الدنيا ، وزوالها وانقضائها ، وغاية ما فيها لهو ولعب ، ﴿ وإن الدار الآخرة هي الحيوان ﴾ أي الحياة الدائمة التي لا زوال لها وقوله تعالى : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أي لأنثروا ما يبقى على ما يبقى ؛ ثم أخبر ان المشركين عند الاضطراب يدعونه وحده لا شريك له ، فهلاً يكون هذا منهم دائماً ﴿ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ واذا مستكم الضراء في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم ﴾ وقال تعالى هاهنا ﴿ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ ليكفروا بما آتيناكم وليتمتعوا فسوف يعلمون ﴾ تهديد ما سيرونه وسيلقونه من العذاب الذي يكافئ ما قدموا في الدنيا من شرك وكفر والعباد بالله تعالى .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا أَيْمًا وَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (٦٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

يمتنُّ الله تعالى على قريش فيما أحلهم من حرمة الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي ومن دخله كان آمناً فهم في أمن عظيم ، والأعراب حوهم ينهب بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً كما قال تعالى : ﴿ لإيلاف قريش ﴾ إل آخر السورة ... وقوله تعالى :

(١) قلت : كان مشركو العرب يشركون في الرخاء ويوحّدون في الشدة أما مشركو زماننا فهم يشركون في الحلالين وتشهد عليهم أفعالهم التي منها : / عند الضيق ناد عبد القادر ... / وعبد القادر بريء مما يشركون .

﴿ أقبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ فبدلاً من ان يشكروه تعالى على نعمة الأمن وغيرها بالاعراف بألوهيته وافراده بالعبادة ... قابلوا شكر النعمة بالكفر بها وبمبوليها جل وعلا وعبدوا غيره . ولذا ملبهم ما أنعم عليهم به ، وقتل من قتل بيدر: ثم صارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ففتح الله على رسوله مكة ، وأرغم آتافهم وأذل رقابهم ثم قال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه ﴾ أي لا أحد أشد عقوبة من كذب على الله ، فقال : ان الله أوحى إليهِ ولم يوح إليه بشيء . ومن قال : سأُنزل مثل ما أنزل الله ، وهكذا لا أحد أشد عقوبة من كذب بالحق لما جاءه . فالأول مفترٍ والثاني : مكذب ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ يعني الرسول ﷺ وأصحابه واتباعه الى يوم الدين ﴿ لنهدينهم سبيلنا ﴾ أي طرفنا في الدنيا والآخرة . قال ابن أبي حاتم عن عباس الهمداني أبي أحمد من أهل عكا في قوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ قال : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون . وقال ابن أبي حاتم عن الشعبي قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام إنما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك ، ليس الاحسان ان تحسن لمن أحسن إليك والله أعلم .

آخر اختصار سورة العنكبوت والله الحمد والمنة

١٣٩٠ / ٤ / ٢١

١٩٧٠ / ٦ / ٢٥

## (٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا السُّبْحَانُ

الإية ١٧ / فمدنية نزلت بعد سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿١﴾ أَلَمْ يَغْلِبِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ  
 مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ إِنَّهُ أَمْرٌ مِنْ قَبْلِ  
 وَرَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ  
 يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ  
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾

نزلت هذه الآيات حين غلب مابوز ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد  
 الجزيرة وأقاصي بلاد الروم، فاضطرَّ هرقل ملك الروم حتى أُلجأه إلى القسطنطينية،  
 وحاصره فيها مدةً طويلة، ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتي، روى الإمام أحمد عن  
 ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَغْلِبِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ قال:  
 غلبت وغلبت: قال: ٤٢٥] كان المشركون يعبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم  
 أصحاب أوثان، وكان المسلمون يعبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب،  
 فذكر ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «أما  
 إنهم سيعلمون» فذكره أبو بكر لهم فقالوا: «إجعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهرنا كان لنا  
 كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين، فلم يظهروا،

فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال : « ألا جمعنها إلى دون- أراه قال : العشرة قال سعيد بن جبير : ألبضع ما دون العشر ثم ظهرت الروم بعد ، قال فذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ غَيَّبْتُ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [

وقد ورد في رواية ابن أبي حاتم عن البراء في جملة الحديث وبعد أن كتب أبو بكر الرهان من المشركين بغلبة الروم على فارس - ... ٤٢٦ [ فلم تمض تلك السنين <sup>(١)</sup> حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدان ... فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال : هذا السحت . قال : « تصدق به » [ كما ورد في رواية الترمذي ... فقال الناس من قريش لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم ، زعم صاحبكم ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين . أفلا تراهنك على ذلك ؟ قال بل : - وذلك قبل تحريم الرهان ... - قيل ان انتصار الروم على فارس عام انتصار المسلمين على المشركين بيدر ، وقيل بل كان ذلك عام الحديدية . ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفراه الله بكسرى لمشيئاً من حمص إلى ألبياء وهو بيت المقدس ، شكراً لله تعالى ففعل فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه مع دحية بن خليفة ، فأعطاه دحية لعظيم بصري فدفعه عظيم بصري إلى قيصر فلما وصل إليه ، سأل : من بالشام من عرب الحجاز ، فأحضر له أبو سفيان صخر بن حرب الأموي في جماعة من قريش ... فاستندأوا بهذا على ان نصر الروم على فارس كان عام الحديدية لأن قيصر إنما وفى في نذره بعد الحديدية والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ آمَنَّا مِنْ قَبْلِ مَن بَعَدَ ﴾ أي من قبل ذلك ومن بعده ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ أي للروم أصحاب قيصر ملك الشام على فارس أصحاب كسرى وهم المجوس فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به ، وقوله تعالى : ﴿ ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ العزيز في انتصاره وانتقامه من أعدائه . الرحيم بعباده المؤمنين . وقوله تعالى : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ أي هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أننا سنتنصر الروم على فارس وعداً من الله حق وخير صدق لا يخلف ، ولا بد من كونه ووقوعه . لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتلتين إلى الحق ويجعل لها

العاقبة ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أي بحكم الله في كونه ، وأفعاله المحكمة الحاربة على وفق العدل .

وقوله تعالى : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وشؤونها ، وهم غافلون في أمور الدين وما ينعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم لا ذهن له ولا فكرة . قال الحسن البصري : والله ليبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره ، فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي . قال ابن عباس : يعني الكفار يعرفون عمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جهال .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ  
يَلْقَآءُ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا  
الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ يَمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا  
كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٩) ثُمَّ كَانَ  
عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَتَاهَا السُّرَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا  
يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٠)

ينبه تعالى على التفكير في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراذه بمخلقتها وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه فقال جل ثناؤه : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني ألم ينظروا ويتدبروا ويتأملوا في خلق الله للعالم جميعاً وما فيها من المخلوقات فإنها ما خلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق : وأنها مؤجلة الى يوم القيامة . ولهذا قال سبحانه : ﴿ وإن كثيراً من الناس يلقاؤ ربهم لَكَافِرُونَ ﴾ ثم نبههم على صدق رساله فيما جاءوا به عنه ، وما أيدهم به من المعجزات ، وأهلك من كفر بهم وأنجى من صدقهم . فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين ﴿ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ أي أنهم كانوا أقوى من العرب الذين بعث فيهم محمد ﷺ وأكثر أموالاً وأولاداً وأعماراً وإعماراً واستغلالاً ولما كفروا برسولهم



التي جاءتهم بالبينات أخذهم الله بعذابه الشديد ولم تغر عنهم أموالهم ولا أولادهم ، ولا حالت بينهم وبين بأس الله وعذابه . وما كان الله ظالماً لهم ، ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ وهم الذين اردوا مهالكها بذنوبهم وتكذيبهم للرسل ولهذا قال عز من قائل : ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ أي كانت السوءى عاقبتهم لأنهم كذبوا واستهزأوا بآيات الله .

﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١١)  
 وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ  
 شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءَ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ  
 السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا  
 بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿ (١٦) ﴿

يقول تعالى : ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ أي كما هو قادر على بداءته فهو قادر كذلك على إعادته ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ أي يوم القيامة فيجازي كلاً بعمله وقوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ أي يبهت المجرمون ويأسون ويكثبون ﴿ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ﴾ أي خانهم شفعاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وهم أحوج ما كانوا إليهم وتبرأ شفعاءهم منهم ومن كفرهم ثم قال جل وعلا ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴾ فيرتفع هذا إلى عليين وينخفض هذا إلى أسفلين فذلك الفرقة التي لا اجتماع بعدها ولهذا قال عز من قائل : ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ﴾ = أي ينعمون بما أفاء الله عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقوله تعالى : ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقساء الآخرة ﴾ لما وصف الله تعالى حال المؤمنين من الرضا والحبور في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جزاء ما أسلفوا من الطاعات والأعمال الصالحة ، ذكر تعالى حال الكفار الذين كذبوا بما نزل الله تعالى من آيات هذا القرآن العظيم وبالبعث والجنة والنار ﴿ فأولئك في العذاب محضرون ﴾ أي مجموعون يوم القيامة في نار جهنم مقبضون

فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون . (١٧) =

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (١٧)  
 ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (١٨)  
 يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ  
 بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (١٩) ﴿﴾

هذا تسييح منه تعالى لنفسه المقلّمة ، وإرشاد لعباده إلى تسيحه وتحميده في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته ، ففي المساء وهو اقبال الليل بظلامه ، وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه ، ثم اعترض بحمده مناسبة - للتسييح فقال تعالى : ﴿ وله الحمد في السموات والأرض ﴾ أي هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض ثم قال سبحانه : ﴿ وعشياً وحين تظهرون ﴾ فالعشاء وهو شدة الظلام ، والإظهار قوة الضياء فسبحان خالق هذا وهذا ( وقيل المراد بالتسييح هنا الصلوات الخمس ) ، فقوله حين تمشون صلاة المغرب والعشاء وقوله حين تصبحون صلاة الفجر وقوله وعشياً صلاة العصر وقوله وحين تظهرون صلاة الظهر ( <sup>(١)</sup> ) وقوله تعالى : ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ﴾ هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة وازدادها ، ليدل على كمال قدرته فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من الثبات ، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقوله تعالى : ﴿ ويجيي الأرض بعد موتها ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج - إلى قوله - وإن الله يبعث من في القبور ﴾ ولهذا قال ها هنا ﴿ وكذلك تخرجون ﴾ أي تبعثون .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ (٢٠) ﴿﴾  
 ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾

(١) الكلام الذي ما بين المسويين من هذه الصفحة هو من كلامي فإن المفسر رحمه الله تعالى لم يفسر الآيتين ١٥ و ١٦ فوضعت معناها إتماماً لفائدة والله الموفق . (٢) ما بين القوسين قاله الصالح وسماه بن جبير ولم يذكره المفسر .

لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق أباكم آدم من تراب ﴿ ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ، ثم تسلل : علقة ثم مضغة ثم عظما فكيت لحماً ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ، ثم خرج صغيراً ضعيفاً ثم تكاملت قواه إلى أن بنى المدائن والحصون وجمال في أنظار الأرض برأ ويحراً للكسب . وله مدارك ورأي وعلم في أمور الدنيا والآخرة ، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وصرفهم في فنون المعاش ، وفاوت بينهم في الخلق والعلم . واليسر والعسر ، وقال الإمام أحمد عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ ٤٢٧ [ إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والحيث والطيب ، والسهل والحزن وبين ذلك ] ورواه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح :

وقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ أي من جنسكم إناثاً أزواجاً ﴿ لتكنوا إليها ﴾ أي ليحصل الائتلاف بينهم إذ لو كان من غير جنسهم لحصل الفرة ، فمن رحمته ان جعلهم جميعاً من جنس واحد ذكوراً وإناثاً فحصلت المودة والرحمة والرافة ولهذا قال : ﴿ وجعل بينكم مودةً ورحمةً ﴾ لتبقى أسباب الترابط قائمة ، ويبقى التناسل مستمراً ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٢) ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَتَابِعُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنْتُمْ لَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٣)

يقول تعالى : ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على قدرته العظيمة ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ أي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من المخلوقات وكذلك الأرض بما فيها

ومن فيها وعليها ﴿ واختلاف ألسنتكم ﴾ يعني اختلاف لغات البشر من عرب وعجم الى غير ذلك ﴿ والوانكم ﴾ أي السمات الخاصة بكل انسان التي تختلف عن السمات في الإنسان الآخر وليس يشبه واحد منهم الآخر فلا بد من المقارنة في السمات والهيئة والكلام فلكل منهم أساليب خاص يختلف عن الآخر ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله ﴾ أي ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم الذي تحصل فيه الراحة والسكون ، وجعل لكم الانتشار والسعي في أسباب الرزق والأسفار في النهار ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ أي يعون فيفتشون من معرفته هذه الآيات فتدلهم على مرجدها .

روى الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : [٤٢٨] أصابني أرق من الليل فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : « قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وانت حي قيوم يا حي يا قيوم أقم عيني وأهدى ليلي ، فقلتها فذهب عني [

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (٢٥) ﴿

يقول تعالى ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على عظمته أنه : ﴿ يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ أي تارة تخافون صواعقه وتارة ترجون مطره وغيثه، ولهذا قال تعالى : ﴿ وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها ﴾ أي بعد أن كانت هامدة لا نبات فيها ولما جاءها الماء ﴿ اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد .

ولهذا قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ أي يوم تبدل الأرض غير الأرض وخرجت الأموات من قبورها أحياءً بأمره تعالى ودعائه إياهم ولهذا قال جل وعلا : ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ أي من الأرض كما قال تعالى : ﴿ فلأنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانِتُونَ﴾ (٢٦) ●  
 وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ  
 الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ●

يقول تعالى ﴿وله من في السموات والأرض﴾ أي ملكه وعبده ﴿كل له قانتون﴾ أي خاضعون خاشعون طوعاً وكرهاً . وقوله تعالى : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ أي كل عليه هين ، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٢٩ [ يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقول له لن يعيدني كما بدأتي ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقله : اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ]

وقوله تعالى : ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ قال ابن عباس كقوله تعالى : ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ قال قتادة : مثله بأنه لا إله إلا هو ولا ربّ غيره ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغالب ﴿الحكيم﴾ في أقواله وأفعاله شرعاً وقلماً .

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ  
 أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ  
 كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨) ●  
 بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ  
 اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ●

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به ، وهم مع ذلك معترفون بأن شركاءه من الأنداد عبده كما كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . فقال تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً من أنفسكم﴾ أي تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾ أي أيرضي أحدكم

ان يكون عبدهُ شريكاً له في ماله فهو والعبد سواء في المال ... ؟ ﴿ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي تخافون أن يقاسموكم الأموال ، والمعنى أن أحدكم يأنف ان يكون شريكاً له فكيف يجعلون لله الأنداد من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالى : ﴿ ويجعلون لله ما يكفرون ﴾ أي يسبون لله ما يكفرونه ولا يرتضونه لأنفسهم ، فهذا أغلظ الكفر . ولما كان التنبه بمثل هذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الأولى والأخرى . قال تعالى : ﴿ كذلك تفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ ثم قال تعالى مبيناً ان المشركين إنما عبدوا غيره سفهاً من أنفسهم وجهلاً ﴿ بل اتبع الذين ظلموا ﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم باقترافهم جريمة الشرك اتبعوا ﴿ أمراءهم ﴾ في عبادتهم الأنداد بغير علم ﴿ فمن يهدي من أضلَّ الله ﴾ أي فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أي ليس لهم من قدرة الله منفذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه ، لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٣٢)

يقول تعالى : فسد وجهك واستمرَّ على دينك ملَّة إبراهيم الحنيفة ، التي هداك الله لها ، وأكلها لك غاية الكمال ، وانت مع ذلك ، لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره كما تقدم عند قوله تعالى : ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ وفي الحديث : ٤٣٠ ﴿إني خلقت عبادي حنفاء ، فأجنالتهم الشياطين عن دينهم [ . وسذكر في الأحاديث أنه تعالى فطر خلقه على الإسلام ، ثم طرأ على بعضهم اليهودية والنصرانية والمجوسية .

وقوله تعالى : ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ أي لدين الله أي لا تبديل لدين الإسلام الذي فطر الناس عليه . روى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٣١ ﴿ ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنبع البهيمة بيضا جمعاء هل تحسبون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول : ه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل

خلقت الله ذلك الدين القيم»] ورواه مسلم .

روى الإمام أحمد عن الأسود بن مريع التيمي قال : ٤٣٢ [ أتيت رسول الله ﷺ وغزوت معه فأصبحت ظفراً . فقاتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية ، فقال رجل يا رسول الله أما هم أبناء المشركين ؟ فقال : « لا إنما خياركم أبناء المشركين - ثم قال - لا تقتلوا ذرية ، لا تقتلوا ذرية - وقال - كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها ، فأبواها يهودانها أو ينصرانها »] وقوله تعالى : ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أي التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أي لا يعرفونه ، كقوله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ منيين إليه ﴾ أي راجعين إليه ﴿ واتقوه ﴾ أي خافوه وراقبوه ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ وهي الطاعة العظيمة ﴿ ولا تكونوا من المشركين ﴾ بل وحدوه وأخلصوا العبادة له ولا تريدوا بها الآ وجهه تعالى . قال ابن جرير عن يزيد بن أبي مريم قال : مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمعاذ ابن جبل فقال له عمر : ما قوام هذه الأمة ؟ قال معاذ : ثلاث وهن المنجيات : الإخلاص وهي الفطرة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها . والصلاة هي المللة ، والطاعة وهي العصمة ، فقال عمر : صدقت .

وقوله تعالى : ﴿ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أي لا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً أي بدكوه وغيروه ، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا فرقاً وأحزاباً ... وهذه الأمة اختلفوا فيما بينهم كما اختلف أهل الأديان قبلهم هذا فقد اختلفت هذه الأمة على نحل كلها ضلالة إلا واحدة : وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من قديم الدهر وحديثه كما رواه الحاكم في مستدركه أنه : ٤٣٣ [ سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم . قال : من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي ]

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ • (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَسْتَأْذِنُوا فَرَفَّ تَعْلَمُونَ • (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْا يَتَكَلَّمُونَ ﴾

بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالى عن الناس أنهم في حال الضراء يدعون الله وحده لا شريك له . وانه إذا أسخغ عليهم نعمة إذا فربق منهم يشركون بالله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ من النعم . ثم توعدهم بقوله تعالى : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ قال بعضهم : والله لو توعدني حارس درب لخصت منه ، فكيف والتوعد ههنا هو الذي يقول للشيء كُنْ فيكون ؟ ثم أنكر تعالى على المشركين عبادتهم غيره بلا حجة ولا برهان . فقال سبحانه : ﴿ أم أترلنا عليهم سلطاناً ﴾ أي حجة ﴿ فهو يتكلم ﴾ أي ينطق ﴿ بما كانوا به يشركون ﴾ أي لم يكن لهم شيء من ذلك . ثم قال تعالى : ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصيبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ هذا إنكار على النوع الإنساني إلا من عصمه الله ووفقه فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر . كما ثبت في الصحيح : [٤٣٤] عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكره فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر . فكان خيراً له . [ وقوله تعالى : ﴿ أولم يروا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله فيوسع على قوم . ويضيق على قوم آخرين . ﴿ إن في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون ﴾

﴿ قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾



يأمر تعالى أمراً بإعطاء ﴿ ذي القربى حقته ﴾ أي من البر والصلة ﴿ والمسكين ﴾ وهو الذي لا شيء له ينفق منه ، ﴿ وابن السبيل ﴾ وهو المسافر المحتاج ال نفقة سفره ، ﴿ ذلك خير للذين يريدون وجه الله ﴾ أي الغاية القصوى من نعيم الجنة وهي النظر إليه تعالى ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ في الدنيا والآخرة ، ثم قال تعالى : ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ﴾ أي من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم ، فهذا لا ثواب له عند الله . قال ابن عباس وغيره وقال الضحاك : وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه ، إلا أنه قد نهي عنه رسول الله ﷺ خاصة ، قال تعالى : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ أي لا تعط العطاء تريد أكثر منه .

وإنما الثواب عند الله تعالى في الزكاة ولهذا قال سبحانه : ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ أي الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزء كما جاء في الصحيح : ٤٣٥ [ وما تصدق أحدٌ بعدلٍ بعترةٍ من كعب طيبٍ إلا أخذها الرحمن بيمينه فيرببها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تصير الشرة أعظم من أحدٍ ]

وقوله عز وجل : ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ﴾ أي هو الخالق الرازق روى الإمام أحمد عن حبة وسواء ابني خالد، قالوا : ٤٣٦ [ دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئاً فأعشاه فقال « لا تياسا من الرزق ما تهرزت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمرٌ ليس عليه قشرة ، ثم يورقه الله عز وجل » ] .

وقوله تعالى : ﴿ ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ أي يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم يوم القيامة ، وقوله تعالى : ﴿ هل من شركائكم ﴾ أي الذين تعبدونهم من دون الله ﴿ من يفعل من ذلكم من شيء ﴾ هل يفعلون كما يفعل الله من الخلق والرزق والحياة والموت والبعث سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿ أي تنزه الله وتعالى وتقدس وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو، أو ولد أو والد بل هو لأحد القرد والسمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ  
لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

قال تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ أي بان النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي وقال أبو العالية : من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض . لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : ٤٣٧ [لحديث يقام في الأرض أحب إلي أهلها من أن يُمطروا أربعين صباحاً ]

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت إنكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات ، وإذا تركت المعاصي كان سبباً في حصول البركات من السماء والأرض ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير، وكسر الصليب، ووضع الجزية، وهو تركها. فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه وأجورج ومأجورج ، قيل للأرض أخرجي بركتك ، فإأكل من الرمانة الضام من الناس ويستظلون بقحفها ، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس ، وما ذاك إلا بركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير . ولهذا ثبت في الصحيحين : ٤٣٨ [إن الفاجر إذا مات يسريخ منه العباد والبلاد والشجر والنواب ] .

وقوله تعالى : ﴿ لِيذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ أي يتلهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختياراً منه لهم ومجازاة على صنيعهم ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ أي عن المعاصي كما قال تعالى : ﴿ وبلونا هم بالحنات والسيئات لعلمهم يرجعون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ أي الذين من قبلكم ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ أي فانظر ما حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَنَا يَوْمٌ لَّا مَرَدٍّ لَهُ مِن آلهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدُّعُونَ ﴾ ﴿ (٤٣) ﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿ (٤٤) ﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿ (٤٥) ﴾

يأمر تعالى عبادة بالاستقامة في طاعته والمبادرة إلى الخيرات ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ أي يوم القيامة إذا أراد كونه فلا راد له . ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدَحُّ عُرْسٌ ﴾ أي يتصرفون ، ففرق في الجنة و فریق في السعير ولهذا قال تعالى : ﴿ مِنْ كَفَرٍ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي يجازيهم مجازاة الفضل : الجنة بعشرة أمثالها الى سبعائة ضعف إلى ما يشاء الله ﴿ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ ﴾ ومع هذا ، فإنه العادل فيهم الذي لا يجوز .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتُنْبِتُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤٦) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧) ﴿

يذكر تعالى نعمه على خلقه في إرسال الرياح مبشرات بين يدي رحمته بحجي الغيث عقبها ، ولهذا قال : ﴿ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي المطر الذي ينزل فيحوي به العباد والبلاد ، ﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ﴾ أي في البحر وإنما سيرها بالرياح ﴿ وَلِتُنْبِتُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي بالتجارات والمعاش والسير من إقليم إلى إقليم ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي تشكرون الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى . ثم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ هذه تلبية لرسول الله ﷺ بأنه وإن كذبه قومه فقد كذب المرسلون قبله مع ما معهم من الدلائل الواضحة ، فانتقم الله من المكذبين ، وأنجي المؤمنين برسله ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي حق أحقته على نفسه الكريمة تكراً منه وتفضلاً كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنُفِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَيْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ

بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَاَنْظُرْ إِلَى  
آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِيثُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي  
الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ  
مُضْفَرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴿٥١﴾

بيّن الله تعالى كيف يغاث السحاب الذي ينزل منه الماء فقال تعالى : ﴿ الله الذي يرسل  
الرياح فتثير سحاباً ﴾ من تبخرت البحر ومن تبخرت ما يشاء سبحانه ﴿ فيسطه في  
السماء كيف يشاء ﴾ أي بمدة فيكثره وينميه حتى يملأ أرجاء الأفق ، وتارة يأتي السحاب  
من نحو البحر نقلاً مملوءة . كقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته  
حتى إذا أقلت سحاباً ثقلاً مقناه بلد ميت ﴾ - إلى قوله - ﴿ كذلك نخرج الموتى  
لعلكم تذكرون ﴾ وكذلك قال هاهنا : ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسطه في  
السماء كيف يشاء ويجعله كسفا ﴾ أي قطعاً سواداً ثقيلة قريبة من الأرض . وقوله  
تعالى : ﴿ فترى الورد يخرج من خللاه ﴾ أي ترى المطر ينهمر من السحاب ﴿ فإذا  
أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ أي لحاجتهم إليه وبتزوله ووصوله  
إليهم . وقوله تعالى : ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ أي كانوا  
قائطين فلما جاءهم المطر جاءهم على فاقة ، فوقع منهم موقعاً عظيماً بعد أن انتظروه  
وقتاً بعد وقت ، فترقبوه في أثنائه ، فتأخر ثم مضت مدة فترقبوه فتأخر ثم جاءهم فجأة  
بعد الإياس منه فربت ارضهم بعد الهمود وأنبئت من كل زوج بهيج ولهذا قال تعالى :  
﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله ﴾ يعني المطر ﴿ كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴾ ثم نبه  
بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفريقها فقال تعالى : ﴿ إن ذلك لمحبي الموتى ﴾ أي  
إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الموتى ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ ثم قال تعالى :  
﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون ﴾ يقول تعالى : ﴿ ولئن أرسلنا  
ريحاً ﴾ يابسة على الزرع الذي زرعه وشب واستوى على سوقه فرأوه مصفراً وشرع  
في الفساد لظلوا من بعده يمجدون ما تقدم إليهم من النعم . كقوله تعالى : ﴿ أفأرأيتم ما  
تحرثون ﴾ إلى قوله ﴿ بل نحن محرومون ﴾ .

والرياح ثمانية : أربعة منها رحمة ، وأربعة عذاب . فأما الرحمة : فالنشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات ، وأما العذاب : فالعقيم والصرصر وهما في البر ، والعاصف والقاصف وهما في البحر . فإن شاء الله جعلها رحمةً وبشرى، أو شاء فجعلها عذاباً أليماً .

والرياح مختلفة في مهابتها : صبا ، ودبور ، وجنوب ، وشمالهوفي مضغتها وتأثيرها أعظم اختلاف ، فريح لينة رطبة تغذي النبات وأبدان الحيوان ، وأخرى تجففه ، وأخرى تسيّره وتصلبه ، وأخرى توهنه وتضعفه .

﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وُتُوا مُذِيرِينَ ﴾ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ (٥٣)

يقول تعالى : كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجدائها ، ولا تبلغ كلامك الصمّ الذي لا يسمعون وهم مع ذلك مدبرون عنك ، كذلك لا تقدر على هداية العباد عن الحق وردهم عن ضلالتهم بل ذلك إلى الله تعالى، فإنه عز وجل بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ويهدي من يشاء وبضل من يشاء وليس ذلك لأحد سواه. وهذا قال تعالى : ﴿ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أي خاضعون مستجيبون مطيعون . فأولئك هم الذين يسمعون الحق ويتبعونه وهذا حال المؤمنين ، والأول مثل الكافرين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ على توهيم عبدالله بن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين ألفوا في قلب بدر بعد ثلاثة أيام ، ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم حتى قال له عمر : [٤٣٩] يا رسول الله ما تخاطب من قوم قد جيفوا ، فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يبجيون » وتأولته عائشة على انه قال « انهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » [ وقال قتادة : أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تفرغاً وتويحاً ونقمة<sup>(١)</sup>

(١) قلت : لقد جاء في الطبعة البروتية / طبعة دار الأندلس / لتفسير ابن كثير زيادات على نسخة تفسير ابن كثير الأميرية شيتة في النسخة الملكية ، وهذه الزيادات تشتمل على حديثين واثنين على بعض روايات عن غير المصوم . جاء فيها بعض الطائعات ، التي كانت وأصلها من الحرفات . بسبباً في توهين جسم هذه الأمة التي ..

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (٥٤)

بنيه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار خلقه ، فأصله من تراب ، ثم من نقطة ثم من علقه ثم من مضغة ، ثم يصير عظاماً ثم تكسى لحماً ، ثم ينفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه واهن القوي ، ثم يشب قليلاً حتى يكون صغيراً ، ثم حدثاً ، ثم مراهماً ثم شاباً ، وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ فيهرم ، وهو الضعف بعد القوة ، فتضعف الهمة والحركة والبطش ، وتشيب اللثة ، وتغير الصفات الظاهرة والباطنة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبةً يخلق ما يشاء ﴾ أي يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد ﴿ وهو العليم القدير ﴾

— شأها انه أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، شريعة أن تتخذ الإسلام الصحيح منها ما وصراطاً مستقيماً إنما غابت عصور التأخر وما حملت في طياتها من كيد للإسلام وأهله قد خلعت مثل هذه الطائفت التي تعدل بتسمين عن منهجهم الهادي وطريقهم القويم .

لقد ساء في هذا التفسير (بل أدخل عليه ادخالاً ودس عليه دساً) أن الأموات يسمون ويعلمون وتعرض عليهم أعمال الأحياء ! ثم قال أحد الرواة هذه الطائفت أنه رأى أهل القبور خارجين من قبورهم وجالين عليها ويتكلمون مع هذا الراوي ونادوه بسمه ، ثم ذكرت بعض حكايات مستندة إلى منامات تؤيد سماع الأموات لكلام الأحياء وتلاسمهم ، مما يخالف مخالفة صريحة لجه في الكتاب الكريم ، من أن الأموات لا يسمون كقولته تعالى : « فإنك لا تسمع الموتى » وقوله تعالى : « وما أنت بمسمع من في القبور » وكقولته تعالى : « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطير ان تدعوهم لا يسموا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل غيرهم وأمثال ذلك في القرآن كثير وإذا كان أهل القلب يدبر ، مخاطبهم رسول الله صل الله عليه وسلم ووجههم وقرعهم فهذا خاص بهذه الواقعة فقط لأنه كان معجزة نه صل الله عليه وسلم لا سيما وإن أحد الرواة قال : [أحياء الله له حتى سمعوا مقالته تويخاً وتقريباً وثقمة] فلما رد الله إليهم أسماهم سمعوا مقالة النبي صل الله عليه وسلم فيكون ذلك أبلغ في عذابهم . بل أن أعداء الإسلام يجيئون أن يدسوا سمومهم هذه ، ليسهل عليهم أن يدسوا وراءها عقائد شركية ، تجيز دعوة غير الله والاستغناء بهم ، والتذبح والنذر لهم ، وأمثال هذه الشركيات التي دسها أعداء الإسلام ، حتى ينالوا ما يرجون وما يبتغونه من الكيد للإسلام والمسلمين ، وإنما نعتقد اعتقاداً جازماً أن أمثال هذه الطائفت الخبيثات ؛ مدسوسة على تفسير ابن كثير رحمه الله الذي يعد من أجل الشافعية بل هو أجلها وأهداها . . . ولذا فقد ضررنا صفتاً عن ادخال هذه المنكرات في هذا المختصر التي نحرص على أن يكون مترجماً عن كل ما يدين سمعة هذا الدين الكريم ، وفقاً لتقديراتنا السلفية الهادية المنهية وسوف نفردهم - إن شاء الله - رداً خاصاً على هذه الترفعات . والله الموفق .

﴿٥٥﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْشُوا غَيْرَ سَاعَةٍ  
كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ  
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ  
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ  
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٧﴾

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ، ففى الدنيا عبدوا الأوثان وفي الآخرة  
أنسموا بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا غير ساعة ، ومقصدهم عدم قيام الحجة عليهم وأنهم  
لم ينظروا حتى يعذر إليهم ، قال الله تعالى : ﴿ كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا  
العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ﴾ أي فبرد عليهم المؤمنون العلماء في  
الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين حلفوا أنهم ما لبثوا غير  
ساعة : ﴿ لقد لبثتم في كتاب الله ﴾ أي في كتاب الأعمال : ﴿ إلى يوم البعث ﴾ أي من  
يوم خلقتم إلى يوم بعثتم ﴿ ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ قال الله تعالى : ﴿ فيومئذ ﴾ أي  
يوم القيامة : ﴿ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ﴾ وعما فعلوا ﴿ ولا هم يستنبئون ﴾ أي  
ولا هم يرجعون الى الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وإن يستنبئوا فما هم من المبين ﴾

﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ  
جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ يَقُولُوا كَفَرُوا إِنَّكُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴿٥٨﴾  
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ  
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ أي قد بينا لهم الحق  
ووضّحناه لهم ، وضربنا لهم فيه الأمثال ليسينوا الحق ويتبعوه ﴿ ولئن جئتهم بآية  
يقولون الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ﴾ أي مهما رأوا من آيات سواء كانت بافتراحهم أو

غيره لا يؤمنون بها. كما قال تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون. فأصبر إن وعد الله حق ﴾ أي اصبر على عنادهم ، ومخالفتهم فإن الله وعدك بالنصر عليهم أنت ومن معك في الدنيا والآخرة ﴿ ولا يستخفك الذين لا يوقنون ﴾ أي بل واثبت على ما بعثك الله به فإنه الحق الذي لا مزية فيه ، ولا تعدل عنه ، وليس فيما سواه هدي يتبع بل الحق كله منحصر فيه .

قال سعيد عن قتادة : نادى رجل من الخوارج علياً رضي الله عنه وهو في صلاة الغداة فقال : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ فأنصت له علي حتى فهم ما قال ، فأجابه وهو في الصلاة : ﴿ فأصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون ﴾

آخر اختصار تفسير سورة الروم ، والله الحمد والمنة وتدعوه تعالى

أن يبسر الاختصار الى نهايته أنه سمع قريب مجيب الدعاء

وسيلها اختصار تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين ٢٦ / ٤ / ١٣٩٠

١٩٧٠ / ٦ / ٣٠





إلا الآيات : ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية نزلت بعد الصفات

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى  
وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

تقدم في أول سورة البقرة ، عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة وهو أنه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها ، ووصلوا أرحامهم ، وقرأتهم ، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك فمن فعل فهو من الذين قال الله تعالى ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ أي على بصيرة وبيّنة ومنهج واضح جلي ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي في الدنيا والآخرة .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَهْرَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

مُهَيَّنٌ • (٦) وَإِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَتَى مُتَكَبِّراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا  
كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ فَبِئْسَ مَا بَعْدَ الْإِيمَانِ • (٧)

لما ذكر حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسامعه كما قال تعالى :  
﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً تفشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم  
وقلوبهم إله ذكر الله ﴾ عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسامع  
كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان والآلات الطرب كما قال ابن مسعود:  
في قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ﴾ قال : هو  
والله الغناء وكذلك قال ابن عباس وجابر وعكرمة وغيرهم ... قال الضحاك يعني الشرك،  
واختاره ابن جرير أنه كل كلام يصعد عن آيات الله واتباع سبيله - وقوله تعالى :  
﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ أي إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله - وقوله تعالى :  
﴿ ويتخذها هزواً ﴾ أي يستهزئ بها. وقوله تعالى : ﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾ أي كما  
استهانوا بآيات الله أهينوا يوم القيامة في العذاب المستمر. ثم قال تعالى : ﴿ وإذا تلى عليه  
آياتنا وتلى متكبِّراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ ﴾ أي هذا المقبل على المهر والعب  
والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية وتلى عنها وأعرض ، ونصامم وما به من صمم  
لأنه يتأذى بسامعها ولا أرب له فيها . ﴿ فبئس ما بعد الإيمان ﴾ أي يوم القيامة ، يؤلمه  
كما تألم بسامع كتاب الله وآياته . ولا شك فإن هذا كان جزاءً وفاقاً من نوع العمل ولا  
يظلم ربك أحداً .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ  
الْنَّعِيمِ • (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ • (٩) ﴾

هذا ذكر خاتمة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الصالحات على مراد الله  
﴿ لهم جنات النعيم ﴾ أي يتمتعون فيها بأنواع الملاذ التي لا تخطر ببال أحد مقيمون فيها  
لا يفتنون عنها حولاً . وقوله تعالى : ﴿ وعد الله حقاً ﴾ أي لا محالة كما أن الله لا يخلف  
الميعاد لأنه الكريم المنان ، الفعال لما يشاء القادر على كل شيء . ﴿ وهو العزيز ﴾ الذي قهر  
كل شيء ، ودان له . ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (١٠) هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ (١١) ﴾

يبيّن سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، فقال تعالى : ﴿ خلق السموات بغير عمد ﴾ مرثية أو غير مرثية وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول سورة الرعد بما أغنى عن إعادته <sup>(١)</sup> ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ يعني الجبال أرست الأرض لئلا تضطرب بأهلها ولهذا قال جل وعلا : ﴿ أن تميد بكم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ أي بث فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها . وقد نبّه سبحانه على أنه الرازق بقوله جل وعلا : ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ أي من كل زوج من النباتات وقوله تعالى ﴿ هذا خلق الله ﴾ أي صادر عن خلق الله وفعله وتقديره وحده لا شريك له في ذلك وهذا قال تعالى : ﴿ فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ أي بما تعبدونه وتدعونه من دون الله من الأصنام والأنداد؟! ﴿ بل الظالمون ﴾ يعني المشركين بالله . العابدين غيره معه ﴿ في ضلال ﴾ أي جهل وعسى ﴿ مبين ﴾ أي واضح ظاهر .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١٢) ﴾

اختلف السلف في لقمان : هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة...؟ على قولين ، الأكثرون على الثاني ، وعن ابن عباس أنه كان عبداً حبشياً نجاراً . وعن جابر بن عبد الله قال : كان قصيراً أظلم الأنف من النبوة . وعن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة . وقال ابن جرير : كان لقمان عبداً

حبشياً نجاراً فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال : أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب . ثم مكث ما شاء الله ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة . فذبحها . فقال أخرج أحب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أحب مضغتين فيها فأخرجتهما فقال لقمان : انه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا . ولا أحب منهما إذا خبئا . وقد أتى رجل إليه وسأله : ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث . والصمت عما لا يعني . ومما تقدم يتضح أنه كان عبداً قد مسه الرق . والرق ينافي كونه نبياً . لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها ولذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً . وسئل أيضاً عن أسباب ما وصل إليه فقال : يا ابن أخي إن صغيت إلى ما أقول لك . كنت كذلك قال لقمان : غَضِي بصري . وكفني لساني . وعفني طعمتي . وحفظني فرجي . وقولي بصدق . وقواني بعهدي . وتكرمني ضيفي . وحفظني جاري . وتركي ما لا يعني ، فذاك الذي صيرني إلى ما ترى .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ أي الفهم والعلم والتعبير والفقه في الإسلام ولم يكن نبياً ولم يوح إليه . ﴿ ان اشكر لله ﴾ أي أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه من الفضل الذي خصصه به عن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه . ثم قال تعالى : ﴿ ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ﴾ أي إنما يعود النفع على الشاكرين . لقوله تعالى : ﴿ ومن كفر فإن الله غني حميد ﴾ أي غني عن العباد لا يتضرر بذلك . ولو كفر أهل الأرض جميعاً فإنه الغني عما سواه . فلا إله إلا الله ولا تعبد إلا إياه .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

يخبر تعالى عن وصية لقمان لابنه . ولقمان هو ابن عتقاء بن سدون . واسم ابنة تاران في قول حكاه السهيلي . أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده لا شريك له ثم قال محذراً له ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أي هو أظلم الظلم . روى البخاري عن عبدالله قال : ٤٤٠ [ لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ : وقالوا أيتنا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « انه ليس بذلك ألا تسمع الى قول لقمان : ﴿يَا بَنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ . ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قرن بوصية ابنه بعبادة الله وحده . انبراً بالوالدين وقال ههنا : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن﴾ أي ضعفاً على ضعف . وقوله : ﴿وفصاله في عامين﴾ أي تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ومن ههنا استنبط ابن عباس : أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعيها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهاراً . ليدكر الولد بإحسانها المتقدم إليه ولهذا قال تعالى : ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي فإني سأجزيك على ذلك أوفر الجزاء .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي في متابعتهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك . ولا يمنع أن تحسن إليهما ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ يعني المؤمنين ﴿ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ .

وروى الطبراني في كتاب العشرة بالسند الى سعد بن مالك قال : أنزلت في هذه الآية : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ...﴾ الآية قال كنت رجلاً برأ بأمي فلما أسلمت ، قالت : يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت ، كدع عن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيرني ، فيقال : يا قاتل أمه ، فقلت لا تفعل يا أمه . فإني لا ادع ديني هذا لشيء ، فمكثت يوماً وليلة ولم تأكل فأصبحت وقد جهدت ، فمكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ، فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء فإن شئت فكلني وإن شئت لا تأكلي ، فأكلت .

﴿يَا بَنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي

صَخْرَةً أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمثلها الناس ويقتدوا بها ، فقال : ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴿ أي إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل ﴿ يأت بها الله ﴾ أي يحضرها يوم القيامة ، ويجازي عليهما إن خيراً فخير أو شراً فشر . كقوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ومهما كانت الذرة خافية أي غائبة في أرجاء السموات والأرض ، يأت بها من لا تخفى عليه خافية فيها . ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الله لطيف خبير ﴾ أي لطيف العلم بالأشياء مهما تضاءل أودق . وخبير بكل شيء حتى بدبيب النمل في الليل البهيم ، وكل مخلوق يرى وما لا يرى .

﴿ يا بني أقم الصلاة ﴾ أي بفروضها وحدودها وأركانها وأوقاتها ﴿ وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ﴾ بحسب استطاعتك ﴿ وأصبر على ما أصابك ﴾ أي لأن الداعي إلى الله تعالى لا بد أن يناله الأذى ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ أي إن الصبر على أذى الناس من العزائم التي يوهبها الله لأهل دعوته . وقوله : ﴿ ولا تصعّر خدك للناس ﴾ وأصل الصعّر : دام يأخذ الإبل في أعناقها حتى تفلت عن رؤوسها فشبّه به الرجل المتكبر الذي يعرض بوجهه عن الناس إذا كلمهم أو كلموه احتقاراً منه إليهم ، واستكباراً عليهم وإن الله ينهى عن ذلك : وقوله : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ أي تحيلاً متكبراً ، لا تفعل ذلك بغضك الله ولهذا قال سبحانه : ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أي معجب في نفسه ، فخور على غيره . كقوله تعالى : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ روى الحافظ الطبراني بسنده إلى ثابت بن قيس بن شماس قال : ٤٤١ ذكر الكبير عند رسول الله ﷺ فشدد فيه فقال : ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾

فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله لاني لأغسل ثيابي فبعجني بياضها ، ويعجني شراك نعلي ، وعلاقة سوطي ؛ فقال « ليس ذلك الكبير ، إنما الكبير أن تسفه الحق وتخط الناس » [

وقوله تعالى : ﴿ واقصد في مشيك ﴾ أي لا بطيئاً ولا مسرعاً إنما مقتصد بين وقوله تعالى : ﴿ واغضض من صوتك ﴾ أي لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال : ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ أي أقيح الأصوات أي غايته من رفع صوته أن يشبه بالحمير في علوه ورفعه ومع هذا هو بغض إلى الله تعالى ، والشبيه بالحمير يقتضي تهميمه وذمه غاية الذم لأن رسول الله ﷺ قال : ٤٤٢ [ ليس لنا مثل السوء ... العائد في هبته كالكلب بقيء ثم يعود في قبته ] وروى النسائي عند تفسير هذه الآية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ٤٤٣ [ إذا سمع صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمع نهي الحمير فتمردوا بالله من الشيطان فلأنها رأيت شيطاناً ] وأخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه .

فهذه وصايا نافعة من قصص القرآن الكريم عن لقمان الحكيم . وقد روي عنه من الحكم والمواعظ كثيرة . منها ما روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال : اخبرنا رسول الله ﷺ قال : ٤٤٤ [ إن لقمان الحكيم كان يقول : ان الله إذا استودع شيئاً حفظه ] وعن ابن أبي حاتم عن القاسم بن مخيمرة ان رسول الله ﷺ قال : ٤٤٥ [ قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : يا بني إياك والتضع ، فإنه مخوفة بالليل مذمة بالنهار ]

### « من أقواله لابنه »

- يا بني ان المحكمة أجلت المساكين مجالس الملوك .
- يا بني إذا أتيت نادي قوم ، فارمهم بهم الإسلام يعني السلام ، ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فإن أفاضوا في ذكر الله فأجبل سهمك معهم وإن أفاضوا في غير ذلك ، فتحول عنهم إلى غيرهم .

### « في التواضع »

أحاديث تتعلق بوصية لقمان الحكيم لابنه «

- عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٤٤٦ [ رَبِّبًا اشعث ذي طمرين يصفع عن أبواب الناس إذا أقسم ، على الله لأبره ]

• وعن أنس رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : ٤٤٧ [طوبى للأتقياء الأثرياء الذين إذا حضروا لم يُعْرَفُوا ، وإذا غابوا لم يُفْتَقَدُوا ، أو أئناك مصابيح مجردون من كل فتنة غيراء مشتتة ] .

• وعن معاذ بن جبل قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول : ٤٤٨ [ان اليسير من الرياء شرك ، وإن الله يحب الأتقياء الأثرياء الذين إذا غابوا لم يُفْتَقَدُوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غيراء مظلمة] .

### « في الشهرة ... »

• عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٤٤٩ [حسب امرئ من الشر إلا من عصم الله ، أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم ] فيه ابن طيممة ضعيف لسوء حفظه بعد أن احترقت كتبه .

— قال إبراهيم بن آدم رحمه الله : ما صدق الله من أحب الشهرة .

— قال سليم بن حفظة : بينا نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالبرة وقال : إنها مذلة للتابع وفتنة للمتبع .

— قال إبراهيم النخعي : لا تلبس من الثياب ما يشهر في الفقهاء ولا ما يزدريك السفهاء .

### « في حسن الخلق »

• عن أنس رضي الله عنه : ٤٥٠ [ كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ]

• وعن ابن عمر رضي الله عنه : ٤٥١ [ قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال أحسنهم أخلاقاً ]

• وعن عائشة مرفوعاً ٤٥٢ [ ان العبدَ ليبلغ بحسن خلقه درجةً قائم الليل صائم النهار ]



• وعن أبي هريرة رضي الله عنه : ٤٥٣ [سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « تقوى الله وحسن الخلق »] ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : « الأجرافان : القم والفرج » [ وعن أنس مرفوعاً : ٤٥٤ ] ذهب حسن الخلق بغير الدنيا والآخرة [

• عن الحسن بن علي قال : قال رسول الله ﷺ ٤٥٥ [ان الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يندو عليه الأجر ويروح [

• وعن أبي هريرة مرفوعاً : ٤٥٦ [إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ، ولكن يسمع منكم بسط وجوه وحسن خلق [

### « في ذم الكبر »

• عن ابن مسعود رفعه : ٤٥٧ [لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان [

عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً : ٤٥٨ [من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبته الله على وجهه في النار [

قال محمد بن الحسين بن علي - من ولد علي رضي الله عنه - ما دخل قلب رجل من شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك .

• في الاختيال - : عن بريدة مرفوعاً : ٤٥٩ [من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه [

• وعن أبي هريرة مرفوعاً ٤٦٠ [ لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ أزاره وبينما رجل يتبخّر في بردية أعجبتة نفسه ، خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة [ (١) .

﴿الْم تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾

(١) هو قارون الذي خسف الله به الأرض لكفره وكبره واختياله والعياذ بالله .

فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾

بنيه تعالى خلقه على نعمه بأن سخر لهم كل ما في السموات والأرض ليعينوا بها في معاشهم في الدنيا فتكون معينة لهم على عبادتهم لله تعالى كما أمر ، وأفاض عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب وإزاحة الشبه والعلل ومع كل هذا ما آمن من الناس إلا قليل ، وأكثرهم يجادل في توحيد الله وإرساله الرسل ولكن بغير علم ولا حجة من كتاب من الله مبين مضي . ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ على رسوله من الشرائع المطهرة ﴿ قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ أي ليس لهم أي حجة سوى اتباع الآباء الأقدمين ، فيما ظنكم أيما المقتنون بآبائكم إذا كانوا على ضلالة وأنتم خلقتهم في ذلك؟ وهذا قال : ﴿ أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ - وهكذا حال من يهجر سبيل الله المستقيم ، ويتبع كل شيطان من الخيئة والناس ليقفوا بهم في قرار الجحيم .



وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نَمْتَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

يغير تعالى عمّن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتباع شرعه ولهذا قال تعالى : ﴿ وهو محسن ﴾ أي في عمله باتباع ما أمر به وترك ما زجر عنه ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أي فقد أخذ موثقاً متيناً من الله انه لا يعذبه ﴿ وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ ومن كفر فلا يحزنك كفره ﴿ أي لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم بالله وبما جئت به ، وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا أي فيجزئهم عليه ﴾ إن الله عليم بذات الصدور ﴿ فلا تخفى عليه خافية ثم قال تعالى : ﴿ نمتعهم قليلاً ﴾ أي في الدنيا ﴿ ثم نضطرهم ﴾ أي نلجئهم ﴿ إلى عذاب غليظ ﴾ أي فظيع صعب مشقّ على النفوس .

﴿٢٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ  
 اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ (٢٥) اللَّهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾

يخبر تعالى عن هؤلاء المشركين أنهم يعترفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له ، ﴿ قل الحمد لله ﴾ إذ قامت عليكم الحججة باعترافكم ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ الله ما في السموات والأرض ﴾ أي هو خلقه وملكه ﴿ إن الله هو الغني الحميد ﴾ أي الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه ، الحميد في جميع ما خلق ، له الحمد في السموات على ما خلق وما شرع وهو المحمود في الأمور كلها .

﴿٢٧﴾ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ  
 مِنْ بَعْدِهِ سَبْعُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
 حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَشَأَكُمْ إِلَّا كَفْرٍ وَإِحْدَةٍ إِنَّ  
 اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٨﴾

يخبر سبحانه عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكلماته النامة التي لا يحيط بها أحد ولا يحصيها كما قال سيد البشر : ﴿٤٦٦﴾ [ ... لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ] فقال تعالى : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ أي ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً وجعل البحر مداداً وأمه سبعة أبحر معه فكثبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله ، لتكثرت الأقلام ونفذ ماء البحار ولو جاء أمثالها مدداً إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول . قال قتادة إنها نزلت لما قال المشركون : إنما هذا الكلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ... ﴾ الآية .

وروي عن ابن عباس ٤٦٢ [ أنها نزلت جواباً لليهود فإن أحبارهم قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة : يا محمد أرأيت قولك : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ إيانا تريد أم

فومك ؟ فقال رسول الله ﷺ « كلا كما » قالوا أأنت تتلو فيما جاءك أننا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ « إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم . وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ الآية ] وهذا يقتضي أن الآية مدنية لامكية والمشهور أنها مكية والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله عزيز حكيم ﴾ أي عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه ، حكيم في جميع شؤونه ، وقوله تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ أي ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كخلق نفس واحدة . وقوله تعالى : ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ أي سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرِيلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُرِيلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٣٠)

يجبر تعالى أنه ﴿ يولج الليل في النهار ﴾ يعني يأخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا ، وهذا يكون زمن الصيف بطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى ﴾ أي إلى غاية محدودة كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : ٤٦٣ [ يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنها تذهب فتجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيرشك أن يقال ارجعي ممن حيث جئت ]

وقوله تعالى : ﴿ وإن الله بما تعملون خبير ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ﴾ أي إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق ، أي الموجود الحق ، الإله الحق وإن كل ما سواه باطل والجميع خلقه وعيده ولو اجتمع كل المخلوقات لا يقدر على تحريك ذرة إلا بإذنه ولعجزوا أن يخلقوا ذباباً ، ولذا قال سبحانه : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العليُّ الكبير ﴾

أي العلي الذي لا أعلى منه . الكبير الذي هو أكبر من كل شيء .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَعِينَئِهِمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

يجرّ تعالى أنه هو الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره أي بلفظه وتسخيره . فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت . وهذا قال عز من قائل : ﴿ ليرىكم من آياته ﴾ أي من قدرته ﴿ إن في ذلك لآياتٍ لكل صبار شكور ﴾ أي صبار في الضراء شكور في الرخاء . ثم قال تعالى : ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل ﴾ أي كالجبال والغمام ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ (١) ثم قال جل وعلا : ﴿ فلما نجاهم إلى البر فسنهم مقتصد ﴾ قال مجاهد : أي كافر كأنه فر المقتصد مهنا بإخاخذ وهذا قال سبحانه : ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ﴾ فالختار هو الغدار وهو الذي كلما عاهد نقض عهده . والختار أتم القدر وأبلغه ، قال عمر بن معد يكرب :

وإنك لسو رأيت أباً عسيرٍ ملأت يديك من غدرٍ وخسرٍ

وقوله تعالى : ﴿ كفور ﴾ أي جحود للنعم لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٣٢)

يُنذِرُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْمَعَادِ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَاهِ وَالْحَرَفِ مِنْهُ وَالْحَشْيَةَ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ : ﴿ لا يجزي والد على ولده ﴾ أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه ، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه . ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله تعالى : ﴿ فلا

(١) أي مواعين تمام التوحيد لا يشركون به أحداً

تفرنكم الحياة الدنيا ﴿ أي لا تلهيكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ﴾ ولا يفرنكم بالله الغرور ﴿ الغرور هو الشيطان فانه يغر ابن آدم ويعدّه ويمنّبه وليس من ذلك من شيء بل كان كما قال تعالى : ﴿ يعدمهم ويمنّبههم وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً ﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢٤)

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بالعلم بها فلا يعلمها أحدٌ إلا بعد إعلامه تعالى بها : فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب. ﴿ لا يعلمها لوقتها إلا هو ﴾ وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به عامته الملائكة الموكلون بذلك ، ولا يعلم ما في الأرحام من ذكر أو أنثى أو شقياً أو سعيداً إلا الله ثم يعلم الله الملائكة الموكلين بذلك ، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وآخرها وكذلك ما تدري نفس في أي بلد أو غيره من بلدان الله ستقبض ولا يدري أحد بذلك ولا يعلمه .

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى : ﴿ وعندنا مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ وقد وردت السنة بتسمية هذه الحس مفاتيح الغيب .

روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ٤٦٤ [ مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ ] إنفراد بإخراجه البخاري .

روى الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ٤٦٥ [ من حدثك أنه <sup>(١)</sup> يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ﴾ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ قال قتادة : أشياء استأثر الله بهن ، فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا. ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ فلا

( ٣١ - لقمان - ج ٢١ ) : إذا أراد الله قبض عبدٍ بأرضٍ ، جعل له إليها حاجة ٤٦٣

يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار ﴿ وينزل الغيث ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أو نهاراً. ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ فلا يعلم أحد ما في الأرحام ذكراً أم أنثى ، أحمر أم أسود وما هو ... ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ﴾ أخير أم شر ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت لعلك الميث غداً ، لعلك المصاب غداً ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض ، أي بحر أو بر أو سهل أو جبل وقد جاء في الحديث : ٤٦٦ [ إذا أراد الله قبض عبدٍ بأرضٍ ، جعل له إليها حاجة . ]

آخر اختصار تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين

١٣٩٠ / ٤ / ٢٨

١٩٧٠ / ٧ / ٢

## (٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا نِهَاثُ ثَلَاثُونَ

إِلَّا الْآيَاتِ ١٦ - ٢٠ فَمَدِينِيَّةٌ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ﴾ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَاهُ بَلْ هُوَ الْخُبْرُ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ  
قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا .  
وقوله تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه ﴾ أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل ﴿ من  
رب العالمين ﴾ ثم قال تعالى مخبراً عن المشركين ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَاهُ ﴾ أي اختلفه من عند  
نفسه ﴿ بل هو الخبر من ربك لتنذر قوماً مما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ أي  
يتبعون الحق الذي جاء به .

وقد روى البخاري في كتاب الجمعة عن أبي هريرة قال : ٤٦٧ [ كان النبي ﷺ  
يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿ ألم . تنزيل . . . ﴾ السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ ]  
ورواه مسلم من حديث سفيان الثوري به . روى الإمام أحمد عن جابر قال : ٤٦٨  
[ كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ : ﴿ ألم . تنزيل ﴾ السجدة . و ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ ،  
تفرد به أحمد .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ



أَيَّامٍ نُمُّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ  
 أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ • (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ  
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ • (٥) ذَلِكَ عَالَمُ  
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • (٦)

يخبر تعالى أنه خلق الأشياء فخلق السموات والأرض وما بينهما في سنة أيام ثم استوى على العرش - استواءً يليق بجلاله بلا تكليف ولا تشبيه ولا تجسيم ولا تأويل ولا تعطيل - ﴿ ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾ أي بل هو المالك لأزمة الأمور ، الخالق المدبر لكل شيء ، والقادر على كل شيء فلا ولي لخلقته سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ يعني أيها العابثون غيره ، المتوكلون على من عداه ، تعالى وتقدس وتتره أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل لا إله الا هو ولا رب سواه . وقوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ أي ينتزل أمره من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن منتزلات الأمر بينهما ﴾ الآية وترفع الأعمال إليه تعالى ﴿ في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ ولكن المالك يقطعها بطرفة عين ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ﴾ أي إن الله تعالى هو شهيد على أعمال عباده ترفع إليه جميعاً جليلها وحقيقها وصغيرها وكبيرها . هو العزيز سبحانه الذي عز كل شيء فقهره وغلبه ، والرحيم بعباده المؤمنين ، فهو عزيز في رحمته ، رحيم في عزته وهذا هو الكمال ، العزة مع الرحمة ، والرحمة مع العزة ، فهو رحيم بلا ذل .

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ • (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ • (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ • (٩) ﴾

يقول تعالى مخبراً أنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتمننها وأحكمها ثم لما ذكر خلق

السموات والأرض . شرع في ذكر خلق الإنسان فقال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ يعني خلق أبا البشر آدم عليه السلام من طين ﴿ ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ﴾ أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ﴿ ثم سواه ﴾ يعني آدم لما خلقه من تراب . خلقه سوياً مستقيماً ﴿ ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ يعني العقول ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعته عز وجل .

﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ءإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ (١١) ﴾

يخبر تعالى عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا : ﴿ إذا ضلنا في الأرض ﴾ أي تمزقت أجسادنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت ﴿ أننا لفي خلق جديد ﴾ أي أعود بعد تلك الحال ؟ يستبعدون ذلك بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة فلا إلى الذي يقول للشيء كن فيكون . ولهذا قال تعالى : ﴿ بل هم بقاء ربهم كافرون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم ﴾ الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث براء المتقدم ذكره في سورة ابراهيم : وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل<sup>(١)</sup> وهو المشهور قاله قتادة وغير واحد، وله أعوان، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت . قال مجاهد : حوت له الأرض فجعلت مثل الطست يتناول منها متى يشاء ورواه زهير بن محمد عن النبي ﷺ بشعوه مرسلًا وقوله تعالى : ﴿ ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزاكم .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

(١) لم تصح تسمية ملك الموت بعزرائيل ، فنكتفي ونقف عند التسمية التي ساء الله تعالى : ( ملك الموت )

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ  
هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

غير تعالى عن حال المشركين يوم القيامة ، وقالم حين عابوا البعث وقاموا بين  
يدي الله عز وجل ، حزينين ذليلين ناكسي رؤوسهم ، من الحياء والتعجل يقولون :  
﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ أي الآن نسمع ونطع أمرك وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة  
إذا دخلوا النار بقولهم : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ وهكذا  
هؤلاء يقولون ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا ﴾ إلى دار الدنيا ﴿ نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا  
مُرْقِنُونَ ﴾ أي قد أيقنا أن وعدك حق ولقاءك حق ، ويعلم الله أنه لو أعادهم الى الدنيا  
لكانوا كفاراً يكذبون بآيات الله ويخالقون رسله ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن  
حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ = أي لو أردنا لأجبرنا كل نفس  
على أن تهدي بأمرنا إلى الخير إجباراً وإنا لقادرون على ذلك ولكن حق منا القول ان  
تختار النفوس طريقها إلى الخير أو الشر اختياراً منهم لأنه سبق أن علموا مني ما هي خاتمة  
الظالمين لأوامري وما هي خاتمة العاصين من الجن والإنس فلأملأن جهنم منهم أجمعين  
أما الذين أطاعوا واتبعوا ميل السلام فلأجعلنهم في دار السلام ، والتعم المقيم <sup>(١)</sup> =

نعوذ بالله من حال أهل النار فإنه يقان لهم على سبيل التقرير والتوبيخ : ﴿ فذوقوا  
بما نسيتم لقاء يومكم هذا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ أي ستعاملكم معاملة الناسي من باب المقابلة  
والإفان فإن الله تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء ، كما قال تعالى : ﴿ فاليوم نساكم  
كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾  
أي بسبب كفركم ، وتكذيبكم . كقوله تعالى : ﴿ فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا  
وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ  
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ  
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

(١) قلت : إن بين المسارين ليس من كلام المفسر رحمه الله إنما هو من كلامي والله الموفق .

يقول تعالى : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا ﴾ أي يصدقها ﴿ الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً ﴾ أي استمعوا لها وأطاعوها قولاً وعملاً ﴿ وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ أي عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة . قال الله تعالى : ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفراش الرطبة . قال مجاهد والحسن في قوله تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ يعني بذلك قيام الليل وقيل الصلاة بين العشاءين وعن أنس : هو انتظار صلاة العتمة . ﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ أي خوفاً من وبال عقابه ، وطمعاً في جزيل ثوابه . ﴿ وما ذرناهم ينفقون ﴾ فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ كما قال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه :

وفينا رسول الله يتلو كتابه  
إذا انشق معروف من الصبح ساطع  
أرانا الهدى بعد العمى ، فقلوبنا  
به موقنات أن ما قال واقع  
بيت يحافي جنبه عن فراشه  
إذا استقبلت بالمشركين المضاجع

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : [ ٤٦٩ ] عجب ربنا من رجلين رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله الى صلانه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي . ورجل غزا في سبيل الله تعالى فأنهزموا ، فعلم ما عليه من الفرار وماله في الرجوع فرجع حتى أهرق دمه رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ، ورهبة مما عندي .. حتى أهرق دمه . [

روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل قال : [ ٤٧٠ ] كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال : « لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت - ثم قال - ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم حنة ، والصدقة تطفى الخيطية . وصلاة الرجل في جوف الليل - ثم قرأ - ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ ﴿ ..جزاء ﴾ بما كانوا يعملون ﴾ ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ فقلت : بلى يا رسول الله فقال : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله - ثم قال - : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ فقلت : بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه ثم قال « كفى عليك هذا » فقلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخفون بما نتكلم به ؛

فقال : « ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال : على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » [ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم من طرق عن معمر به وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ الآية أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب : جزاءً وفاقاً فإن الجزاء من جنس العمل ، قال الحسن البصري : أخفى قوم عملهم ، فأخفى الله لهم ما لم ترعين ولم يحطروا على قلب بشر ؛ رواه ابن أبي حاتم .

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : ٤٧١ قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر أخرجاه في الصحيحين بدون زيادة قال أبو هريرة : إقرأوا إن شئتم ...

﴿ أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (١٨)

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿ (٢٠) وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَذِيِّ ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿ (٢٢) ﴿

يغير تعال عن عدله وكرمه أن لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله بمن كان فاسقاً أي خارجاً عن طاعة ربه، مكذباً رسل الله إليه ، كما قال تعال : ﴿ أم حسب الذين اجترحووا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات

سواء بحياهم ومماتهم سواء ما يحكمون ﴿ ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ أفسن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يسترون ﴾ أي عند الله يوم القيامة ، ذكر عطاء بن يسار السدي وغيرهما أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال تعالى : ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات ﴿ فلهم جنات المأوى ﴾ التي فيها المساكن والغرف العالية ﴿ نزلاً ﴾ أي ضيافة وكرامة ﴿ بما كانوا يعملون ، وأما الذين فسقوا ﴾ أي خرجوا عن طاعة الله ﴿ فعأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ قال الفضيل بن عياض : والله إن الأيدي لموثقة ، وإن الأرجل لمقيدة ، وإن اللهب ليرفعهم ، والملائكة تفسعهم ﴿ وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً .

وقوله تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ﴾ قال ابن عباس : يعني مصائب الدنيا وأقسامها وآفاتنا وما يحل بأهلها مما يبئلي الله به عباده ليتوبوا إليه . وروى البخاري عن ابن مسعود : ما أصابهم من القتل أو السبي يوم بدر ، وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره : لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير ، فأصيبوا أو غرموا ، ومنهم من جمع له الأمران . وقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها ﴾ أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضعها . ثم بعد ذلك تركها وجحدتها وأعرض عنها وتناساها ، كأنه لا يعرفها . ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك ﴿ إنا من المجرمين متضمنون ﴾ أي سأنقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَابِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢٣) ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢٤) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْضِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٢٥)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب وهو التوراة . وقوله تعالى : ﴿ فلا تكن في مرية من لقائه ﴾ أي من لقاء موسى ربه عز وجل ﴿ وجعلناه ﴾ أي الكتاب الذي آتياه وهو التوراة . ﴿ هدى لبني اسرائيل ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ أي لما كانوا صابرين على أوامره تعالى وترك زواجره . وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمره ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ثم لما بدتوا وحرفوا وأوكلوا سلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالحاً ولا اعتقاداً صحيحاً. ولهذا قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب ﴾ أي لما أخذوا برأس الأمر وصاروا رؤوساً وقوله تعالى : ﴿ إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أي من الاعتقادات والأعمال .

﴿ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ (٢٦) أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ (٢٧)

يقول تعالى : أولم يهد لهم لؤلؤة المكذبين بالرسول ، ما أهلك قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ، ومخالفتهم إياهم فيما جاءهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر . ﴿ هل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ يمشون في مساكنهم ﴾ أي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها ، ذهبوا منها ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ أي عبرة ومواعظ ودلائل متناظرة بين من كذب وما آلت إليه حاله وبين من آمن وما آلت إليه حاله ﴿ أفلا يسمعون ﴾ أخبار من تقدم كيف كان أمرهم .

وقوله تعالى : ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ﴾ يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء إماماً من السماء أو من ما تحمله الأنهار ويتحدّر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته. ولهذا قال تعالى : ﴿ إلى الأرض الجرز ﴾ وهي التي لا نبات فيها ﴿ فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ وليس المراد أرض مصر فقط ، بل هي بعض المقصود فاتها في نفسها أرض رخوة يسوق الله تعالى إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من امطار الحبشة وفيه طين أحمر فيغشي أرض

مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة الى ذلك الماء وذلك الطين ايضاً لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطر من غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فيسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبداً . ولهذا قال تعالى ها هنا : ﴿ أفلا يبصرون ﴾ ويدخل في ذلك كل أرض جرز وهي التي لا نبات فيها . وهذا كقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ﴾ الآيتين

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٨) ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ ﴾ (٣٠) ﴿

يخبر تعالى عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم تكذيباً واستبعاداً وعناداً ﴿ ويقولون متى هذا الفتح ﴾ أي متى تُنصَرُ علينا يا محمد ؟ كما تزعم ، ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليين . قال الله تعالى : ﴿ قل يوم الفتح ﴾ أي إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا والآخرة ﴿ لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ﴾ ومن زعم ان المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش ، فإن يوم فتح مكة من قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء وقد كانوا قريباً من ألفين ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى : ﴿ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ﴾ وإنما المراد : الفتح يوم القضاء والفصل كقوله تعالى : ﴿ قل يجمع بيننا وبيننا بالحق ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ أي أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل اليك من ربك وانتظر فإن الله تعالى سينجز لك ما وعدك وسيبصرك على مخالفتك إنه لا يخلف الميعاد . وقوله تعالى : ﴿ إنهم منتظرون ﴾ أي أنت منتظر وهم منتظرون ويتربصون

(١) قلت : ويوم الفتح هذا كما قال المفسر رحمه الله تعالى يوم الفصل والقضاء أي يوم القيامة يوم يفصل الله فيما بين الخلق ويقضي بحكمه لهم أو عليهم وذلك بدليل قوله تعالى « قل لا تأملون عما أجرنا ولا نأمل عما تسألون . قل يجمع بيننا وبيننا بالحق ... »



( ٣٢ - السجدة - ج ٢١ ) : سترى ما أعدّ لك من النعم ، وسيرون ما أعدّ لهم من النقم ٤٧٣

---

بكم الدوائر ، وسترى عاقبة صبرك عليهم وسجدون مغبة كفرهم من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحبنا الله ونعم الوكيل .

آخر اختصار تفسير سورة السجدة والله الحمد والمنة .

١٣٩٠ / ٥ / ١

١٩٧٠ / ٧ / ٤

## (٣٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ مَلَانِيَّةٌ وَأَيُّهَا نَشَاكٌ وَسَبْعُونَ

نزلت بعد آل عمران

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* (١) وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا \* (٣)

روى الإمام حمد عن زر قال: ٤٧٢ [ قال لي أبي بن كعب : كأني تقرأ سورة الأحزاب أو كأني تعدّها ؟ قال : قلت ثلاثاً وسبعين آية فقال : فقط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ، ولقد قرأنا فيها : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم ] ورواه النسائي من وجه آخر ، وهذا يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضاً ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى ، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلا بد أن يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأخرى . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ أي لا تسمع منهم ولا تستشرهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فإنه عليم بعراقب الأمور ، حكيم في أقواله وأفعاله . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي من قرآن وسنة ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ أي لا تخفى عليه خافية ، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ في جميع أمورك وأحوالك . ﴿ وَاللَّهُ وَكِيلًا ﴾ وكفى به وكيلاً لمن توكل عليه وأتاب إليه .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ  
 أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ  
 أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي  
 السَّبِيلَ ﴾ (٤) أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْطَعُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا  
 آبَاءَهُمْ فَبَاخُواكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا  
 أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
 رَحِيمًا ﴾ (٥)

يقول تعالى موطناً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسبياً . وهو أنه كما لا يكون  
 للشخص الواحد قلبان في جوفه ، ولا نصير زوجته التي بظاهر منها بقوله : أنت علي  
 كظهر أمي أمماً له . كذلك لا يصبر الدعي ولداً لرجل إذا تبناه فدعاه ابناً له . فقال  
 تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن  
 أمهاتكم ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾ هذا هو  
 المقصود بالنفي . فإنها قولت بشأن زيد بن حارثة رضي الله عنه موثق النبي ﷺ . كان  
 النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة . فكان يقال له زيد بن محمد . فأراد الله تعالى أن يقطع  
 هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى : ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ﴾ كما قال تعالى  
 في أثناء السورة : ﴿ ما كان محمد أب أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين  
 وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ وقال تعالى هنا : ﴿ ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾ يعني تبتئكم  
 لهم قول لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقياً . فانه مخلوق من صلب رجل آخر فكما لا يمكن  
 أن يكون للبشر الواحد قلبان كذلك لا يمكن أن يكون له أبان ﴿ والله يقول الحق  
 وهو يهدي السبيل ﴾ قال سعيد بن جبير ﴿ يقول الحق ﴾ أي العدل . وقال قتادة ﴿ وهو  
 يهدي السبيل ﴾ أي الصراط المستقيم .

وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري في قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل  
 من قلبين في جوفه ﴾ قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل : يقول

٤٧٦ (٣٣-الأحزاب-ج ٢١): نسخ الإسلام جواز ادعاء الأبناء الأجانب وأمر بردّهم إلى آبائهم

ليس ابن رجل آخر ابنك . وقوله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ هذا أمرٌ ناسخٌ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأديعاء فأمر تبارك وتعالى بردّ نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة وإن هذا هو العدل والقسط والبر .

روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال : [ إن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن : ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ ] وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة به . ولهذا لما نسخ هذا الحكم ، أباح تبارك وتعالى زوجة الدعي ، وتزوج رسول الله ﷺ بزَيْنَب بنت جحش مطلقاً زيد بن حارثة رضي الله عنه وقال تبارك وتعالى في آية التحريم : ﴿ وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾ احتراماً عن زوجة الدعي فإنه ليس من الصلب وقوله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان .

وقوله عز وجل : ﴿ فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾ أمر تعالى بردّ أنساب الأديعاء إلى آبائهم إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، أي عرضاً عما فاتهم من النسب . ثم قال تعالى : ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ أي إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع ، فإن الله تعالى قد وضع الخرج في الخطأ ورفع أثمه كما أرشد إليه في قوله تبارك وتعالى : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسبنا أو أخطأنا ﴾ وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : [ ٤٧٤ ] قال الله عز وجل : [ قد فعلت ] وفي الحديث : [ ٤٧٥ ] [ ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ] وفي القرآن المنسوخ « فانه كفر بكم إن ترغبوا عن آبائكم »

روى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه انه قال [ ٤٧٦ ] [ إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل معه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ثم قال قد كنا نقرأ : « ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم . » ]

﴿ النبیؐ اُولٰٓئِیْ بِالْمُؤْمِنِیْنَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ وَاَزْوَاجِهِۦٓ اُمَّهَاتِهِمْ

وَاُولٰٓئِیْ بِالْمُؤْمِنِیْنَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ اُولٰٓئِیْ بِبَعْضِ فِی كِتَابِ اللّٰهِ مِنَ الْمُؤْمِنِیْنَ  
وَالْمُهَاجِرِیْنَ اِلَّا اَنْ تَفْعَلُوْا اِلٰی اَوْلِیَانِكُمْ مَّعْرُوْفًا كَانَ ذٰلِكَ

## في الكتاب منطورياً ﴿٦﴾

قد علم الله تعالى شفقة رسوله على أمته ونصحه لهم ، فجعله أولى بهم من أنفسهم ، وحكمه فيهم كان مقدماً على اختيارهم لأنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ وفي الصحيح [٤٧٧] والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين [ ولهذا قال تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [٤٧٨] ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ فأبى مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتيه فأنا مولاه [ تفرد به البخاري .

وقوله تعالى : ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ أي في المحرمة والاحترام والإعظام . ولكن لا تجوز الخلوة بين ، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع .

وقوله تعالى : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ أي في حكم الله ﴿ من المؤمنين والمهاجرين ﴾ أي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار . وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحليف والمؤاخاة التي كانت بينهم . كما قال ابن عباس : كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ وكذا قال غير واحد من السلف والخلف . روى ابن أبي حاتم عن الزبير بن العوام فقال : أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة ، قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعم الأخوان فواخيناهم ووارثناهم ، فأخى أبو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد ، وأخى عمر رضي الله عنه فلاناً ، وأخى عثمان رضي الله عنه رجلاً من بني زريق ابن سعد الزرقني ، ويقول بعض الناس غيره . قال الزبير رضي الله عنه : وواخيت أنا كعب بن مالك فجبته فابتطلته ، فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى . فوالله يا بُني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مورثينا . وقوله تعالى : ﴿ إلا أن تفعلوا إلى

أوليائكم معروفاً ﴿ أي ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية .  
 وقوله تعالى : ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ أي هذا الحكم مقدر مكتوب في الكتاب  
 الأول الذي لا يتبدل ولا يغير أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض . وإن كان تعالى قد  
 شرع خلافه في وقت... لما له في ذلك من الحكمة البالغة . وهو يعلم أنه سبب دخه إلى ما هو  
 جاز في قدره الأول وقضائه القدري الشرعي . والله أعلم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ  
 وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ (٧)  
 لِيَسْئَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (٨)

نخبر تعالى عن أولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة  
 دين الله تعالى ، وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق . كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ  
 الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن  
 به ولتنصرنه قال أقرررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقرررنا قال فاشهدوا وأنا معكم  
 من الشاهدين ﴾ فأخذ عليهم هذا الميثاق والعهد بعد إرسلهم . وكذلك هذا . ونص من  
 بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص على العام وقد صرح  
 بذكرهم في هذه الآية وفي محل آخر من القرآن فبدأ في هذه الآية بالخاص ثم شرفه صلوات  
 الله عليه . ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم وسلامه .

وقوله تعالى : ﴿ يسأل الصادقين عن صدقتهم ﴾ قال مجاهد : المبلغين المؤذنين عن  
 الرسل وقوله تعالى : ﴿ وأعد للكاافرين ﴾ أي من أمهم ﴿ عذاباً أليماً ﴾ أي موجعاً فنحن  
 نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ، ونصحووا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين  
 الواضح الجلي وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين فما جاءت به الرسل  
 هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال . كما يقول أهل الجنة : ﴿ لقد جاءت رسل ربنا  
 بالحق ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ  
 جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالى عن نعمته وفضله ، وإحسانه إلى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور . وسبب هذه الغزوة ان أشرافاً من يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة إلى خيبر منهم سلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم . وكانه بن الربيع اجتمعوا بأشراف قريش وأنبؤهم على حرب النبي ﷺ فأجابوهم إلى ذلك . ثم خرجوا إلى غطفان فاستجابوا لهم أيضاً . وخرجت قريش في أحابشها ومن تابعها وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب . وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر الحميم قريب من عشرة آلاف . فلما سمع رسول الله ﷺ بتسيرهم . أمر المسلمين بحفر الخندق مما يلي الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه فحفروه . ونقل معهم رسول الله ﷺ التراب وحفر . وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريباً من أحد ، ونزلت طائفة منهم في أعلى أرض المدينة كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف . وقيل سبعائة فاستدوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم نحو العدو . والخندق حفر ليس فيه ماء بحجب الحياة والرجالة أن تصل إليهم ، وجعل النساء والذراري في أطام المدينة . وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة . ولم عهد من النبي ﷺ وذمة وهم قريب من ثمانماية مقاتل ، فذهب إليهم حبي بن أخطب النضري . فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ، ومالوا الأحزاب على رسول الله ﷺ فعظم الخطب ، واشتد الأمر وضاق الحال . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ هُنَاكَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزَلُّوا زَلْلاً شَدِيداً ﴾ ومكث المسلمون محاصرين قريباً من شهر . إلا أنهم لا يصلون إليهم ولم يقع بينهم قتال ، إلا أن عمر بن عبد ود العامري -- وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ، ركب ومعه فرارس . فافتحموا الخندق وخلصوا إلى ناحية المسلمين ، فأمر رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فخرج إليه فتمجأوا ساعة ثم قتله علي رضي الله عنه فكان علامة

النصر . ثم ارسل الله سبحانه على الأحزاب ريحاً شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ، ولم يُوقد لهم نارٌ ولم يتر لهم فرار . حتى ارتحلوا خائبين خاسرين . كما قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ وهي الصبا وفي الحديث : ٤٧٩ [ نصرت بالصبا . وأهلكت عاد بالدبور ]

وقوله تعالى : ﴿ وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ هم الملائكة زلزلتهم . وألقت في قلوبهم الرعب والخوف . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : ٤٨٠ [ كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال له رجل : لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقرت . فقال رسول الله ﷺ : ألا رجل يأتي بخبر القوم يكون معي يوم القيامة « فلم يجبه منا أحد . ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال ﷺ : « يا حذيفة قم فأنا بخبر من القوم » فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال : « إئتني بخبر القوم ولا تدعهم علي » قال فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار . فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه . ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ : لا تدعهم علي . ولو رميته لأصبته . قال فرجعت كأنما أمشي في حمام . فأتيت رسول الله ﷺ . ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت . فأخبرت رسول الله ﷺ . وأبسي من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها . فلم أزل نائماً حتى الصبح . فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : « قم يا ثومان » [ وجاء فيما رواه يونس بن بكير عن زيد بن أسلم فذكر نحوه إلى أن قال : ٤٨١ ] .. وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله أني لأسمع صوت الحجارة في رحالمهم وفرشهم . الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي ﷺ فلما انتصفت الطريق أو نحواً من ذلك إذا أنا بشعور من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين ، فقالوا : أخبر صاحبك ان الله تعالى كفاه القوم . فرجعت إلى رسول الله ﷺ ... فأخبرته خبر القوم وأخبرته أني تركتهم يرتحلون . وانزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [ وأخرج أبو داود في سننه منه : ٤٨٢ ] [ كان رسول الله ﷺ إذا حز به أمر صلى . ] من حديث عكرمة بن عمار به .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ أي الأحزاب ﴿ وَمَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ تقدم عن حذيفة رضي الله عنه أنهم بنو قريظة ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْبَصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ



الحناجر ﴿ أي من شدة الخوف ﴾ وتظنون بالله الظنونا ﴿ ظنون مختلفة تكل ظن ﴾ وظهر النفاق وظن المنافقون أن عمداً ﷺ وأصحابه يستأصلون ، وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق ، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وروى ابن حاتم عن أبي سعيد رضي عنه قال : ٤٨٣ [فلما يوم الخندق : يا رسول الله هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال ﷺ : نعم : قولوا : اللهم أسر عوراتنا وآمن روعتنا قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح ] ، وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي .

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (١١)

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿ (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (١٣)

يغير تعالى عن حال المسلمين حين نزلت الأحزاب حول المدينة ، وهم في غاية الجهد والضيق ورسول الله ﷺ بين أظهرهم أنهم اختبروا وزلزلوا زلزالاً شديداً ، فظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ فالمنافق نجم ثقافه والذي عنده شبهة أو حسكة ضعف حاله وضاق صدره لضعف إيمانه ، وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى : ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب ﴾ يعني المدينة وقوله تعالى : ﴿ لا مقام لكم ﴾ أي المرابطة مع رسول الله ﷺ ﴿ فارجعوا ﴾ أي إلى بيوتكم ومنازلكم . ﴿ ويستأذن فريق منهم النبي ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : هم بنو حارثة قالوا : بيوتنا تخاف عليها السراق يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أي ليس دونها ما يحجبها عن العدو ، ﴿ وما هي بعورة ﴾ أي ليست كما يزعمون ﴿ إن يريدون إلا فراراً ﴾ أي هرباً من الزحف ﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ آفَاطِرِهَا نُمْ سَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَوْتَوْهَا ﴾

وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَبِيراً ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴿١٧﴾

يغير تعالى عن هؤلاء الذين : ﴿ يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ أنهم لو دخل عليهم الأعداء من جانب ، ثم سئلوا الفتنه وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعاً ، وهم لا يستمكون بالإيمان مع أدنى خوف ، وهذا ذم لهم في غاية الذم . ثم قال تعالى يذكرهم بما عاهدوا الله من قبل هذا الخوف ان لا يولّوا الأدبار ﴿ وكان عهد الله مسؤلاً ﴾ أي وان الله سيألمهم عن ذلك العهد ولا بد ، ثم أخبرهم أن فرارهم لا يؤخر آجالهم ولا يقدمها بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ واذا لا تُمْتَعُونَ إلا قليلاً ﴾ أي بعد فراركم ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ قل من ذا الذي يعصمكم من الله ﴾ أي بمنعكم ﴿ إن اراد بكم سوءاً أو اراد بكم رحمة ولا يحيدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ أي ليس لهم من دون الله مجير ولا مغيث .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ﴿١٨﴾ أَسِخَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً ﴿١٩﴾



بغير تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم من شهود الحرب والقائمين لآخواتهم أي أصحابهم ﴿ هلم إلينا ﴾ أي إلى الظلال والثمار . وهم مع ذلك ﴿ ولا يأتون بأس إلا قليلاً أشحة عليكم ﴾ أي بغلاء بالمودة ، والشفقة عليكم ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ﴾ أي من شدة خوفه وجزعه وجبته من القتال ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ﴾ أي استقبلوكم بكلام بليغ ، وادعوا لأنفسهم الشجاعة والتجدة . وهم كاذبون ثم يطلبون من الغنيمة ، يدعوى أنهم شهدوا معكم وهم مع ذلك ﴿ أشحة على الخير ﴾ أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير . ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ أي سهلاً هيناً عنده .

﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢٠)

وهذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور ﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ أي قريبون منهم وسعودون ﴿ وإن يأت الأحزاب يودُّوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنباءكم ﴾ أي ويودُّون إذا جاءت الأحزاب ألا يكونوا حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم ﴿ ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً ﴾ لكثرة جبنهم وضعف يقينهم والله سبحانه العالم بهم .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١) ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٢٢)

هذه الآية الكريمة أصل كبير في الناسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالناسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في مصابرة ومجاهدته وانتظار الفرج من الله عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين . ولهذا قال

للذين تزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي هلاً اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾

ثم قال تعالى غيراً عن عبادة المؤمنين المصدقين بوعدده : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ﴾ أي هذا ما وعدنا الله من الابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصر القريب ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما زادهم إلا إيماناً وتسلماً ﴾ دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم ، كما قال جمهور الأئمة : إنه يزيد وينقص ، وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري ، والله اعلم والمئة <sup>(١)</sup> ومعنى قوله جلّت عظمته ﴿ وما زادهم ﴾ أي ذلك الخال والضيق والشدة ﴿ إلا إيماناً ﴾ بالله ﴿ وتسلماً ﴾ أي انقياداً لأوامره وطاعة له تعالى ورسوله ﷺ .

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٢٣)

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنَا اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢٤)

لما ذكر تعالى المنافقين وكيف نقضوا العهد وولوا الأديار ، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق و ﴿ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نجه ﴾ أي أجله ﴿ ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ أي وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه .

روى البخاري عن زيد بن ثابت قال : [٤٨٤] لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها لم أجد لها مع أحد إلا مع خزيمه بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [ تفرّد به البخاري دون مسلم وأخرجه أحمد والترمذي والنسائي وقال الترمذي : حسن صحيح .

(١) قلت : أن للفسر الملاحظ ابن كثير رحمه الله شرحاً على البهري ولكن لم يكمله كما جاء في ترجمته في المجلد الأول صفحة / ي / من هذا المختصر .

روى البخاري أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ٤٨٥: [نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ انفرد به البخاري] وروى أحمد عن أنس بن مالك قال: (عمي أنس ابن النضر رضي الله عنه سميت به ، لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشقَّ عليه ، وقال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ... لئن أراني الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ، ليرينَّ الله عز وجل ما أصنع . قال قهّاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال له أنس رضي الله عنه : يا أبا عمرو أين واهما لربيع الجنة إنني أجده دون أحد قال : فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه ، قال فوجد في جسده بضع وثمانون بين طعنة وضربة ورمية ، فقالت أخته عمي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا بيناته قال : فنزلت هذه الآية : ﴿من المؤمنين رجال...﴾ إلى قوله - ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم ] ورواه مسلم والترمذي والنسائي .

وروى ابن جرير عن موسى بن طلحة قال: ٤٨٦: [دخلت على معاوية رضي الله عنه ، فلما خرجت دعاني فقال : ألا أضحك عندك يا ابن أخي حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ؟ أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « طلحة من قضى نجه » ]

وقوله تعالى : ﴿ فمنهم من قضى نجه ﴾ أي أجله على الصدق والوفاء ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ يوماً فيه القتال ، فيصدق في اللقاء ﴿ وما بدلوا تبديلاً ﴾ أي ما غيروا بل استمروا على عهدهم لله وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا : ﴿ إن بيوتنا عورة ... ﴾

وقوله تعالى : ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ﴾ أي إنما يختبر عباده بالخوف والزلازل ليميز الخبيث من الطيب مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه . ولكن لا يعذب الله المخلوق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولنبليوكم حتى تعلموا المجاهدين منكم والصابرين ونبليو أخباركم ﴾ فهذا علم بالشيء بعد كونه وأن كان العلم السابق حاصلًا به قبل وجوده . وقوله تعالى : ﴿ بصدقهم ﴾ أي بصبرهم على عهدهم وقيامهم به ﴿ ويعذب المنافقين ﴾ وهم الناقضون لعهد الله فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه . وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى التزوع عن النفاق إلى الإيمان والعمل به . ولما كانت رحمته غالباً لغضبه فقال تعالى : ﴿ إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَدَأُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ  
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (٢٥)

وهكذا نصر الله المؤمنين بالريح والجنود الإلهية ، لقد سلط عليهم الهواء ففرق شملهم . فكما كان الهوى سبب اجتماعهم وهم أخلاط من قبائل شتى احزاب وآراء فناسب ان يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم وردّهم خائين خاسرين بغیظهم وحققهم ، لم ينالوا خيراً في الدنيا مما كان في ظنهم من الظفر والمغم ، ولا في الآخرة ، بما تحمّلوه من الآثام في مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة وهتهم بقتله واستنصال جيشه ، ومن هم بشيء وصدق منه بفضله فهو في الحقيقة كفاعله .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم ، بل كفى الله وحده ، ونصر عبده وأعز جنده ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : ٤٨٧ [ لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده ] أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : ٤٨٨ [ دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، أهزم الأحزاب ، اللهم أهزمهم وذلزمهم » ] روى محمد بن اسحق : لما انصرف أهل الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : ٤٨٩ [ لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم ] روى الإمام احمد عن سليمان بن صرد قال قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : ٤٩٠ [ الآن تغزوه ولا يغزونا ] وهكذا رواه البخاري في صحيحه .

وقوله تعالى : ﴿ وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ أي بحوله وقوته ردهم خائين لم ينالوا خيراً وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فله الحمد والمنة .

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِيهِمْ  
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (٢٦)

وَأَوْزَنَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ  
 اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

تقدم أن بني قريظة نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وكان ذلك بتأثير من حبيبي بن أخطاب النضري لعنه الله ولم يزل بيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جداً، فلما أئده الله تعالى نصره وردداهم خائبين ورجع رسول الله ﷺ مؤيداً منصوراً ٤٩١ ] فبينما هو يغتسل من وعاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة رضي الله عنها إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : أوضعت السلاح يا رسول الله قال ﷺ « نعم » قال لكن الملائكة لم تضع أسلحتنا وهذا الآن رجوعي من طلب القوم ، ثم قال : ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض الى بني قريظة فإن الله تعالى أمرني أن أزلزل عليهم فهض رسول الله ﷺ من فوره وأمر الناس بالمسير الى بني قريظة ، وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر وقال ﷺ « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » فسار الناس فأدركتهم الصلاة في الطريق فصل بعضهم في الطريق و قالوا : لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل المسير ، وقال آخرون : لا نصلبها إلا في بني قريظة فلم يعنف أحداً من الفريقين وتبعهم رسول الله ﷺ ، وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . ثم نازلهم رسول الله ﷺ وحاصروهم خمسا وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه ، لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، واعتقدوا أن يحسب إليهم في ذلك كما فعل عبدالله بن أبي ابن سلول في مواليه بني قينقاع حين استطلقهم من رسول الله ﷺ ، فعند ذلك استدعى رسول الله ﷺ سعداً من المدينة ليحكم فيهم وكان مريضاً فيها من أثر نبل أصيب به في أكحله أيسام الأحزاب ، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطئوا له عليه فجعل الأوس يرفقونه عليهم ، فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه : لقد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم . فعرفوا أنه غير متبقيهم ، فلما دنا من الخيعة التي فيها رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى ميدكم فأنزله » فأنزله قال رسول الله ﷺ « احكم فيهم » قال سعد رضي الله عنه : إني أحكم : أن تقتل مقاتلتهم ، وتسي ذراريهم ، وتقسّم أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ « لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسول الله ﷺ » وفي رواية : « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة » ثم أمر رسول الله

ﷺ بالأحاديث فحدثت في الأرض ، وجيء بهم مكثبين ، فضرب أعناقهم وكانوا بين السبعمائة إلى الثمانمائة وسبئي من لم ينسب منهم ، مع النساء ، وأموالهم . [

ولهذا قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ﴾ أي عاونوهم يوم الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ﷺ ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعني بني قريظة من بعض أسباط بني إسرائيل كان قد نزل أبائهم الحجاز قديماً طمعاً في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ فعليهم لعنة الله .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ صِيَابِهِمْ ﴾ يعني حصونهم ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ وهو الخوف لأنهم كانوا مالأوا المشركين على حرب النبي ﷺ وأيس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم فانعكس عليهم الحال ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا مع شقاوة الآخرة فصارت صفتهم هي العاسرة ولهذا قال تعالى : ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْمُرُونَ بِرِيقًا ﴾ . فالذين قتلوا هم المقاتلة ، والأسراء هم الأصغر والنساء .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ أي جعلها لكم من قتلكم لهم ﴿ وَأَرْضاً لَمْ تَطَّأُوهَا ﴾ قيل خيبر وقيل مكة وقيل فارس والروم ويجوز ان يكون الجميع مراداً ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (٢٨)

﴿ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٩)

هذا أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يخبر نساءه بين أن يفارقهن إن كن يرذن الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله الثواب الجزيل فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة ، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا ومعادة الآخرة .

روى البخاري : [٤٩٢] عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ان رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى أن يخبر أزواجه ، قالت : فبدأني رسول الله ﷺ فقال : «إني



ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجل حتى تستأمرني أبو بك ، وقد علم أن أبوي لم يكونا بأمراني برفاقه ، قالت : ثم قال « إن الله تعالى قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكُمْ ﴾ . إلى تمام الآيتين ، فقلت له : ففي أي هذا استأمر أبو بي ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ] .

وفي رواية لابن جرير زيادة : ٤٩٢ [ ثم استقرأ الحُجْرَ (١) فقال : إن عائشة رضي الله عنها قالت : كذا وكذا ، فقلن : ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن كلهن ] .

وكان تحتها وقتلها نورة : خمس من فريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة وسودة وأم سلمة رضي الله عنهن ، وكانت تحتها عليها السلام : صفية بنت حيي النضيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت (الحارث) المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين .



﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٢٠) وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُنَّ فَلَهُ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ (٢١)

يعطى تعالى نساء النبي عليه السلام اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، واستقر أمرهن تحت رسول الله عليه السلام فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وهي الشوز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط ، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغظلاً صيانة للجنابين وحجابهم الرفيع ولهذا قال تعالى : ﴿ من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ يعني في الدنيا والآخرة قاله زيد بن اسلم ﴿ وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ أي سهلاً هيناً ، ثم ذكر عدله وفضله في قوله تعالى : ﴿ ومن يفتن منكن الله ورسوله ﴾ أي يطع الله ورسوله ويستجب ﴿ نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا ﴾

(١) قلت : أي حجر الزوجات رضي الله عنهن وأرضاهن ، أي سائر الزوجات .

مرتين واعتدنا طارزفاً كريماً ﴿ أي في الجنة فانهم في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين ، فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة الى العرش .

﴿٣٣﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٣﴾  
 وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُورُنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴿٣٤﴾

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ، ونساء الأمة تبع لمن في ذلك ، فقال مخاطباً لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن احد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال ﴿ فلا تخضعن بالقول ﴾ يعني بذلك ترفيق الكلام اذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى : ﴿ فيطعم الذي في قلبه مرض ﴾ أي خيانة وفساد ... ﴿ وقلن قولاً معروفاً ﴾ اي قولاً حسناً معروفاً في الخير ليس فيه ترخيخ كما تخاطب زوجها .

وقوله تعالى : ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ أي لا تخرجن لغير حاجة إلا حاجة شرعية كالذهاب الى المسجد بشرط كما قال رسول الله ﷺ : [ لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن ثفلات ] وفي رواية : « وبيوتن خير لمن » [ وروى ابو داود عن النبي ﷺ قال : ٤٩٥ ] صلاة المرأة في عندعها أفضل من صلاتها في بيتها ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها [ وهذا اسناد جيد .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ أي إذا خرجن من بيوتهن كانت لمن مشية وتكسر وتفتج والتبرج أنها تلقي الحمار على رأسها، ولا تشده فيواري فلتانها وقرطها وعقفا ويبدو ذلك كله منها وذلك هو التبرج ، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج .

والجاهلية الأولى هي ما بين إدريس ونوح عليهما السلام وكانت ألف سنة وهي أول تبرج النساء للرجال والرجال للنساء يستمعون إلى إبليس الذي اتخذ شيئاً مثل الذي يزمر فيه الرعاة فجاه فيه بصوت لم يسمع الناس مثله وكان إبليس يتمثل في صورة غلام ويضم في زمماره فكان سبباً لحضور النساء والرجال للاستماع إليه وسبباً في تبرج النساء والرجال لبعضهم حتى ظهرت فيهم الفاحشة فهو قول الله تعالى ﴿ ولا تبرجن بثيابك الجاهلية الأولى ﴾ مختصراً عن قوله لابن عباس .

وقوله تعالى : ﴿ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ﴾ ناهن أولاً عن الشر <sup>(١)</sup> ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين ﴿ وأطعن الله ورسوله ﴾ وأطعن الله ورسوله وهذا من باب عطف العام على الخاص - أي عطف طاعة الله ورسوله وهي أمر عام على الأمر الذي هو الصلاة والزكاة -

وقوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت مهنا ، لأنهن سبب نزول هذه الآية ، وسبب التزود داخل فيه قولاً واحداً إما وحده على قول ، أو مع غيره على الصحيح .

وروى ابن جرير عن عكرمة ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها نزلت خاصة في نساء النبي ﷺ خاصة وقال عكرمة : ومن شاء باهله إنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ ، فان كان المراد أنهن كن سبب التزود دون غيرهن فصحيح ، وان أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر ، فانه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك .

روى مسلم في صحيحه عن يزيد بن حيان قال : ٤٩٦ [ أنطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن سلمة إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً ، حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي والله قد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا ، وما لا فلا تكلّموا فيه ، ثم قال : قام فينا رسول الله ﷺ

(١) قلت : وهذه قاعدة جلية في الدعوة إلى الله تعالى وهي ان النهي عن الشر مقدم على الأمر بالخير ومنه قوله تعالى : « فمن يكفر بالطغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » فقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ، حتى ينتزع من القلب ما وقر فيه من مانع الإيمان .

يوماً خطيباً بناءً يدعى خماً - بين مكة والمدينة ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه . ووعظ وذكر ثم قال : « أما بعد ، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله تعالى ، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ، ثم قال : « وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي » ثلاثاً فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم ، قال : كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال : نعم [

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ٤٩٧ [ان رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ ] ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عثمان به وقال : حسن غريب .

روى ابن جرير عن أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ٤٩٨ [ جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله بيرمة طاقد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق ، فوضعتها بين يديه ﷺ فقال : أين ابن عمك وابناك ؟ » فقالت رضي الله عنها : في البيت فقال ﷺ : « ادعهم » فجاءت إلى علي رضي الله عنه فقالت : أجب رسول الله ﷺ أنت وابناك . قالت أم سلمة رضي الله عنها : فلما رأهم مقبلين . مد ﷺ يده إلى كساء كان على المنامة . فمده وبسطه . وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله ، فقصمه فوق رؤوسهم ، وأوماً بيده اليمنى إلى ربه فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي . فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » [

والذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ فإن سياق الكلام معهن ، ولهذا قال تعالى : بعد هذا كله : ﴿ واذكرون ما ينزل في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ أي واذكرون هذه النعمة التي خصصت بها من بين الناس ، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن وأحظاهن بهذه النعمة ، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة ، فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه . قال بعض العلماء رحمهم الله : لأنه لم يتزوج بكرأ سواها ، ولم ينم معها رجل في فراشها سواها ﷺ ورضي

الله عنها فناسب ان تخصص بهذه المزية ، وان تفرد بهذه المرتبة العليا ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته ، فقرابته أحق بهذه التسمية كما جاء في الحديث : ٤٩٩ [ وأهل بيتي أحق ] رضي الله عن أزواجه وقرابته فهم أهل بيته أجمعين .

وقوله تعالى : ﴿ ان الله كان لطيفاً خبيراً ﴾ أي ذا لطف بكن . إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة وهي السنة . خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً وقيل بمن عليهم بذلك . رواه ابن جرير .

﴿ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ (٣٥)

روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن أبي شيبة قال : ٥٠٠ [ سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تقول : قلت للنبي ﷺ مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت فلم يرعني منه ذات يوم إلاّ وندأوه على المنبر قالت : وأنا اسرح شعري ، فلففت شعري ثم خرجت الى حجرة بيتي ، فجعلت سمعي عند الجريد ، فإذا هو يقول على المنبر : يا أيها الناس ان الله تعالى يقول : ﴿ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ إلى آخر الآية ] وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله .

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ٥٠١ [ قال النساء للنبي ﷺ : ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات ؟ فأنزّل الله تعالى : ﴿ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ فقوله تعالى : ﴿ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ دليل على أن الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه في لقوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ وفي الصحيحين ٥٠٢ [ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ] قبله الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره بلجماع المسلمين ، فدل على أن الإيمان أخص منه . وقوله تعالى : ﴿ والقانتين والقانتات ﴾ القنوت هو الطاعة في سكون . كما قال تعالى : ﴿ آمننّ هو قانت آناه اللليل ساجداً وقائماً يحذر

الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴿ فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها وهو الإيمان ، ثم القنوت ناشئ ، عنهما . ﴾ والصادقين والصادقات ﴿ هذا في الأقوال ، فان الصادق خصلة محمودة وهو علامة الإيمان . كما أن الكذب أمانة النفاق ، ومن صدق نجما . وفي الحديث : ٥٠٣ [ عليكم بالصدق . فإن الصدق يهدي إلى البر . وإن البر يهدي إلى الجنة . وإياكم والكذب . فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عنه الله كذاباً ] ﴾ والصابرين والصابرات ﴿ هذه سجية الأثبات . وهي الصبر على المصائب ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى . أي أصعبه في أول وهلة . ثم ما بعده أسهل منه ﴾ والخاشعين والخاشعات ﴿ الخشوع : السكون والطمأنينة . والتؤدة والوقار والتواضع ، والحامل عليه خوف الله تعالى ومراقبته . كما في الحديث : ٥٠٤ [ أعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك ] .

﴿ والمتصدقين والمتصدقات ﴾ الصدقة هي الاحسان إلى الناس المحاييج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب ، يعطون من فضول الأموال طاعة لله تعالى وإحساناً إلى خلقه . وقد ثبت في الصحيحين : ٥٠٥ [ سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ] ﴾ والصائمين والصائمات ﴿ في الحديث الذي رواه ابن ماجه : الصوم زكاة البدن أي يزكيه وينقيه من الأبخلاط الرديئة طبعاً وشرعاً . وقوله تعالى : ﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ والصائمين والصائمات ﴾ لأن الصوم من أكبر المعون على كسر الشهوة كما جاء في الحديث : ٥٠٦ [ ... ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ] فناسب ان يذكر بعده ﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ أي عن المحارم والمآثم إلا عن المباح كالزوجة وملك اليمين . وقوله تعالى : ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : ٥٠٧ [ إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ] وقد رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش .

روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠٨ [ ما عمل آدمي عملاً قط أنجي له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل ] . وقوله تعالى : ﴿ أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً ﴾ خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي

أن الله تعالى قد أعد لهم أي هيا لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرأ عظيماً وهو الجنة . - اللهم أغفر لنا وادخلنا جنتك التي وعدت المتقين - <sup>(١)</sup>

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (٣٦)

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿ وما كان للمؤمن ولا مؤمنة ﴾ الآية وذلك [ ٥٠٩ ] أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأمدية رضي الله عنها فخطبها . فقالت : لست بنا كحنته . فقال رسول الله ﷺ « بلى فانكحيه » قالت يا رسول الله أؤمر في نفسي ؟ فبينما هما يتحادثان أنزل الله تعالى هذه الآية على رسول الله ﷺ قالت قد رضيت لي يا رسول الله منكحاً ؟ قال رسول الله ﷺ « نعم » قالت إذا لا أعصى رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي [ وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان أنها نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وهي أول امرأة هاجرت بعد صلح الحديبية . فوهبت نفسها للنبي ﷺ فقال قد قبلت . فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني - والله أعلم - بعد فراقه زينب .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب أن البخارية التي خطبها رسول الله ﷺ من أبيها أبي برزة الأسلمي بخلييب رضي الله عنه لما قالت في خدرها : أتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ نزلت هذه الآية : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾

وقال ابن جريج عن طاووس إنه سأل : ابن عباس عن ركعتين بعد العصر : فتناه ، وقرأ ابن عباس رضي الله عنه ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ... ﴾ الآية .

فهذه الآية عامة في جميع الأمور . وذلك انه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا . ولا رأي ولا قول . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ تشديداً على من خالف ذلك وهو كقولته تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ - اللهم قنا عذابك واجعلنا طائعين لأمرك وأمر رسولاك . ونعوذ بك من الخذلان وسوء المنقلب (١) -

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣٧)

يخبر تعالى عن نبيه ﷺ انه قال لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو الذي أنعم الله عليه بالإسلام ومتابعة الرسول ﷺ ﴿ وأنعمت عليه ﴾ أي بالعتق من الرق ، وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر ، حبیباً إلى رسول الله ﷺ يقال له الحبيب ويقال لابنه أمامة : الحبيب ابن الحبيب . قالت عائشة رضي الله عنها : ما بعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا أمره عليهم . ولو عاش بعده لاستخلفه ، رواه الامام أحمد .

وكان رسول الله ﷺ قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهماً ، وخماراً ، وملحفةً ودرعاً ، وخمسين مداً من طعام ، وعشرة أمداد من تمر . قاله مقاتل بن حيان . فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما... فجاء زيد يشكرها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول له ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾



روى ابن أبي حاتم عن علي بن يزيد بن جدعان إسألني علي بن الحسين رضي الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ . فذكرت له فقالت : « ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه قال : اتق الله وأمسك عليك زوجك فقال : قد أخبرتك أنني مزوجتها وتخفي في نفسك ما الله مبديه . » وهكذا روي عن السدي .

قال ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لو كنتم محمد ﷺ شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله تعالى لكنتم : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾

وقوله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها ﴾ الوطر : هو الحاجة والأرب أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكمها وكان الذي وُلِّيَ تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر .

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : ٥١٠ ] لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة « اذهب فاذا ذكرها عليّ » فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجبتيها قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ، وأقول ان رسول الله ﷺ ذكرها فولبتها ظهري ونكصت على عقبي ، وقلت : يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك فقالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أمر ربي عز وجل ، فقامت إلى مسجدنا ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن . ولقد رأينا حين دخلت على رسول الله ﷺ وأطعمنا عليها الخبز واللحم . فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته ، فجعل ﷺ يتبع حُجْرَ نِسائه يسلم عليهن ويقولن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أن أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر ، فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فألقى السر بي وبنيه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وُعظوا به : ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾ الآية كلها ] . ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به . وقد سبق في سورة النور تفاخراً عائشة وزينب <sup>(١)</sup> رضي الله عنهما

روى ابن جرير عن الشعبي قال : كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي ﷺ إني لأدُلُّ عليك بثلاث إما من نسائك امرأة تدلُّ بهن : إن جدي وجدك واحد ، وإني

(١) قت : عند تفسير الآية رقم ١١١ من سورة النور عند قوله تعالى : « لا تحبوه شرّاً لكم بل هو خير لكم » .

أنكحنيك الله عز وجل من السماء ، وإنَّ السفيرَ جبريلُ عليه الصلاة والسلام .  
 وقوله تعالى : ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ أي أبعنا لك تزويجها ، وفعلنا ذلك لتلايقى حرجَ على المؤمنين في تزويج مطلقات الأديعاء ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى : ﴿ وما جعل أديعاءكم أبناءكم - إلى قوله تعالى - أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾ ثم زاد ذلك بياناً وتأكيذاً بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش رضي الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه ، ولهذا قال تعالى في آية التحريم : ﴿ وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾ ليحترزَ من الابن الدعوي فإن ذلك كان كثيراً فيهم وقوله تعالى : ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ أي وكان هذا الأمر الذي وقع كائناً لا بحالة ، بأن زينب رضي الله عنها في علم الله مستصير من أزواجه ﷺ .

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (٣٨)

يقول تعالى : ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾ أي فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعبه زيد بن حارثة رضي الله عنه وقوله تعالى : ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج ، وهذا رد على من توهم من المناقضين نقصاً في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعبه الذي كان قد تبناه ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ أي وكان أمر الله الذي بقدره كائناً لا بحالة وواقعاً لا محيداً عنه ولا معيداً ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

﴿ الَّذِينَ يُتْلُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَيًّا ﴾ (٣٩) ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٤٠)

يمدح تبارك وتعالى : ﴿الذين يبلغون رسالات الله ﴾ أي إلى خلقه . ويؤذونها -  
بأماناتها ﴿ ويخشونها ﴾ أي يخافونه . ولا يخافون أحداً سواه . فلا تمنعهم سطوة أحد عن  
إبلاغ رسالات الله تعالى ﴿ وكفى بالله حسيباً ﴾ أي ناصرأ ومعيماً . وسيد الناس في هذا  
المقام وفي كل مقام محمد ﷺ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشرق والمغرب  
إلى جميع أبناء آدم وأظهر الله دينه على جميع الأديان فإنه قد كان النبي قبله إنما يُبعث إلى  
قومه خاصة . وأما هو ﷺ فإنه بُعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم ﴿ قل يا أيها  
الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ ثم ورث مقام البلاغ عنه . أمته من بعده فكان  
أعلى من قام بها بعده . أصحابه رضي الله عنهم . بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله  
وأفعاله وأحواله . في ليله ونهاره . وحضره وسفره . وسره وعلايته . فرضي الله عنهم  
وأرضاهم . ثم ورثه كل خلف عن صلغهم إلى زماننا هذا . فينورهم يقندي المهتدون :  
وعلى منهجهم يسلك الموفقون (١) . فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلائقهم .

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
٥١١ [ لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله . فيقول الله ما يمنحك  
أن تقول منه ؟ فيقول : رب خشيته الناس . فيقول : فأنا أحق أن يُخشى ] ورواه  
أيضاً عبد الرزاق . وابن ماجه .

وقوله تعالى : ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ﴾ نهي أن يقال بعد هذا زيد بن  
محمد . أي لم يكن أباه وإن كان قد نبأه فإنه ﷺ لم يُعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم فإنه  
ﷺ ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي الله عنها فماتوا صغاراً . وولد له  
ﷺ ابراهيم من مارية القبطية . فمات أيضاً رضيعاً . وكان له ﷺ من خديجة أربع  
بنات زينب ورقية وأم كلثوم . وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين : فمات في حياته ﷺ  
ثلاث وتآخرت فاطمة رضي الله عنها حتى أصيبت به ﷺ ثم ماتت بعده بستة أشهر .

وقوله تعالى : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ فهذه  
تنص في أنه لا نبي بعده . ومن باب أولى ألا يكون رسول بعده لأن مقام الرسالة أخص  
من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا عكس . وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن  
رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ثبت منها ما يلي :

(١) قلت : لكن في عصرنا هذا . هم حكام المسلمين هذا المنهج وسلكوا نهج الكفرة اللهم يدهم إلى دينك رداً جميلاً .  
ووجد شملهم واجمع كلشهم على الحق في دولة واحد تحكم بما أدرت من قديك وستة نبيك .

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
 [ ٥١٢ ] « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » قال : فشق ذلك على  
 الناس : فقال : « ولكن المبشرات » قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا  
 الرجل المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة . » [ وهكذا رواه الترمذي وقال : صحيح  
 غريب من حديث المختار بن قلفل .

روى أبو داود الطيالسي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله  
 ﷺ : [ ٥١٣ ] « مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكلها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فكان  
 من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا موضع اللبنة ختمت  
 به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ] . ورواه البخاري ومسلم والترمذي .

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [ ٥١٤ ] « فضلت  
 على الأنبياء بسبب : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الفنائم ،  
 وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون »  
 ورواه الترمذي وابن ماجه .

روى الزهري عن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال : سمعت رسول  
 الله ﷺ يقول : [ ٥١٥ ] « إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو  
 الله تعالى به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس  
 بعده نبي » [ أخرجاه في الصحيحين .

وهكذا فلقد أخبر تعالى في كتابه ، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه : أنه لا نبي بعده  
 ليعلم الثقلان أن كل من ادّعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، ولو  
 تفرّق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم فكلها محال وضلال عند أولي الألباب ، كما  
 أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ، وميلعة الكذاب باليمامة مسن  
 الأحوال الفاسدة ، والأقوال الباردة ما عكس كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كذابان  
 ضالان لعنهما الله ، وكذلك كل مدّعٍ لذلك إلى يوم القيامة <sup>(١)</sup> حتى ينجسوا بالمسيح الدجال

(١) قلت : ومن هؤلاء الكذابين الأفاكين رجل زنديق كافر مشرك ادّعى النبوة بالمهد في قرية / قديان / اسمه :  
 مرزا غلام أحمد القادياني لعنه الله لعنات من بعثت إلى يوم القيامة ، فقد زعم النبوة وإن له قرآناً يزعم  
 أن الله قد أنزله عليه ومن جملة أقواله فيه : ( يا أحمد أنت بمنزلة ولدي أنت بمنزلة توحيدي وقريدي )  
 وقد هلك هذا الكافر الخبيث ، خلفه ابنته ، وهذه الدعوة الفسالة جاسعات في بعض البلدان ، وهي صنيعة الأنكليز  
 في الهند . ومن جملة وصايا هذا الخبيث الكافر / مرزا غلام أحمد / أنه إذا وقعت الواقعة بين المسلمين والآنكليز -

(٣٣ - الأحزاب - ج ٢٢) : الذكر الحقيقي قربة إلى الله . والذكر البدعي بعد عنه ٥٠١

قال الله تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أنبئكم ﴾ وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فلهم في غاية البر والصدق والرشد والامتقانة ، والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به ، وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الحقائق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات ، فصولات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ  
بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿ (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ  
يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿ (٤٤)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بذكره تعالى لتعمه الجزيلة ومنته العظيمة ولهم في ذلك جزيل الثواب وجميل المآب .

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الحمصي قال : سمعت أبا هريرة يقول : دعاء سمعته من رسول الله ﷺ لا أدعه : ٥١٦ [ اللهم اجعلني أعظم شكرك . وأتبع نصيحتك . وأكثر ذكرك<sup>(١)</sup> . وأحفظ وصيتك ] ورواه الترمذي .

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [ ما من قوم جلسوا مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة ]

وقال تعالى : ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته

صلى أتباعه القادسيين ان يكونوا من أنصار الأتكليل ... ! ولهم جماعة في دمشق قليلاً جداً وحاولوا أن ينشروا سمومهم بحلف فأرسلوا أحد دعاةهم : /غلام أحمد/ فنشلت دعوتنا السلفية له واستطاعت بفضل الله وحده ، ثم بمعونة بعض طلاب العلم ومعونة الحكومة عام ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م أن تنف الدعوة السلفية تجاه هذا الداعية الخبيث الكافر ، وقفة صامدة . فلاسفته في كل مكان وسدت عليه كل منافذ دعوته الكافرة الفاجرة حتى قبض الله لنا النصر فطرده من حلب مرده لا رجعة له بعدها إن شاء الله وظهرت الشهادة من رجس دعوته القاديانية الخبيثة الكافرة . انهم تقبل ساماً نوبهت الكرم وأنب من أعاننا من عبادك .

(١) قلت : وليس الذكر هو الترقص والتواجد وما يفعله بعض أهل الطرق والتصوف إنما الذكر هو الموسوم بالكينة والغشوع وجعل القلوب وفيض الدموع من خشية الله .

أي سبحوه عند الصباح والمساء ، كقوله عز وجل : ﴿ فبِحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ وهذا تهيج إلى الذكر ، أي أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم . كقوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ . وقال النبي ﷺ : ٥١٧ [ يقول الله تعالى : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ] .

والصلاة من الله تعالى ثأؤه على العبد عند الملائكة ، حكاها البخاري عن أبي العالية ، وقال غيره : الصلاة من الله عز وجل الرحمة . وقد يقال : لا منافاة بين القولين والله أعلم .

وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الاستغفار والدعاء للناس ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وفيهم السيئات ﴾ وقوله تعالى ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم ، وبصرهم الطريق الذي ضل وحاد عنه من سواهم من الدعوة إلى الكفر أو البدعة ، وأتباعهم من الطغام ؛ وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر وأمر ملائكته بيلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم .

وفي صحيح البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ٥١٨ [ إن رسول الله ﷺ رأى امرأة من النبي قد أخذت صبياً لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته ، فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك » ؟ قالوا : لا . قال رسول الله ﷺ : « فوالله لك أرحم بعباده من هذه بولدها » [ وقوله تعالى : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ الظاهر أن المراد - والله أعلم - تحيتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يوم يعلم عليهم ، كما قال عز وجل : ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وأعدّ لهم أجراً كريماً ﴾ يعني الجنة وما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ (٤٥)  
 وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴿ (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ  
 اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴿ (٤٧) وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ  
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿ (٤٨) ﴾

روى الإمام أحمد عن عطاء بن يمار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي  
 الله عنهما فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجل والله إنه  
 لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً  
 وَنَذِيراً ﴾ وحرزاً للإيمانيين ، أنت عبيدي ورسولي ، سبكت المتوكل ، ليس بفظير ولا  
 غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع البيضة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويعفو .  
 ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعيناً عمياً  
 وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وقد رواه البخاري ، ورواه ابن أبي حاتم .

قال ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا  
 أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ وقد كان أمر علياً ومعاذاً رضي الله عنهما أن يسيرا إلى  
 اليمن فقال : ٥١٩ [ انطلقا مبشراً ولا تنفرا ، يسيرا ولا تصبرا ، إنه قد أنزل علي ﴿ يَا أَيُّهَا  
 النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ ] فقوله تعالى : ﴿ شَاهِداً ﴾ أي لله بالوحدانية  
 وأنه لا إله غيره ، وشاهداً على الناس بأعمالهم يوم القيامة وقوله عز وجل : ﴿ وَمُبَشِّراً  
 وَنَذِيراً ﴾ أي مبشراً للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيراً للكافرين من وبيل العقاب . وقوله  
 جلَّت عظمته : ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه ﴾ أي داعياً للخلق إلى عبادة ربه عن أمره لك  
 بذلك ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في  
 إشراتها وإضاءتها لا يجدها إلا معانداً . وقوله جل وعلا ﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ  
 وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ أي لا تطعمهم وتمنع منهم في الذي يقولونه ﴿ ودع أذاهم ﴾ أي اصفع  
 وتجاوز عنهم ، وكل أمرهم إلى الله تعالى ، فإن فيه كفاية لهم . ولهذا قال تعالى جل جلاله :  
 ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ ﴾

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا

فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿ (٤٩) ﴾

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها إطلاق النكاح على العقد وحده ، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها . وقد اختلفوا في النكاح . هل هو حقيقة في العقد وحده ، أو في الروطم أو فيهما ؟ واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية . فإنه استعمل في العقد وحده . لقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ وفيها إباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها . وقوله تعالى : ﴿ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ خرج مخرج الغالب إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتيبة في ذلك بالاتفاق . وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة من السلف على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح ، لأن الله تعالى قال : ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ ﴾ فعقَّب النكاح بالطلاق . فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد ، وطائفة من السلف والخلف كثيرة . وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال : **إِنْ تَزَوَّجْتُ فُلَانَةَ فَهِيَ طَالِقٌ** . واختلفا فيما إذا قال : **كُلُّ امْرَأَةٍ أَتَزَوَّجُهَا فَهِيَ طَالِقٌ** فقال مالك : لا تطلق حتى يعين المرأة ، وقال أبو حنيفة رحمه الله : كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه . والجمهور على عدم وقوع الطلاق مستدلين بهذه الآية ... وبالحديث الذي رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : **٥٢٠ [ لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك ]** رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وهو أحسن شيء روي في هذا الباب . وهكذا روى ابن ماجه عن علي والمصور بن مخرمة رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : **٥٢١ [ لا طلاق قبل النكاح ]** .

وقوله عز وجل : ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾ هذا أمر مجمع عليه بين العلماء ، أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عِدَّةَ عليها ، فتذهب فتزوج من فورها من شاءت ، ولا يشئى من هذا إلا المتوقئ عنها زوجها فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً . وقوله تعالى : ﴿ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ المنعة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المشئى أو المنعة الخاصة إن لم يكن قد سمي لها . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ



ما فرضتم ﴿ وقال عز وجل : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعهن على الموضع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين ﴾ وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالوا : ٥٢٢ [ إن رسول الله ﷺ تزوج أميمة بنت شراحيل ، فلما أن دخلت عليه ﷺ بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين ] ، قال علي بن طلحة طلحة رضي الله عنهما ، إن كان سئى لها صدقاً فليس لها إلا النصف وإن لم يكن سئى لها صدقاً امتعتها على قدر عمره ويسره ، وهو السراح الجليل .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أٰحْلٰنَا لَكَ اٰزْوَاجَكَ اَللّٰتِي اٰتٰتَيْتَ اٰجُوْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْنِكَ مِمَّا اٰفَاةَ اَللّٰهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ اَللّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَاَمْرَاةٌ مُّؤْمِنَةٌ اِنْ وَّهَبْتَ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ اِنْ اَرَادَ النَّبِيُّ اَنْ يَنْتٰكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيْ اٰزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُوْنَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَّكَانَ اَللّٰهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ﴿ ٥٠ ﴾

يخاطب تعالى نبيّه ﷺ بأنه قد أحلّ له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن أجورهن أي مهرهن وقد كان مهره لثائه اثني عشرة أوقية ونشر. وهو نصف أوقية ، فالجمع خمائة درهم إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فانه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربعمائة دينار والإضافة بنت حبيج فانه اصطفاها من مي خيبر ، ثم أعتقها وجعل عتقها صدقتها ، وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية أدت عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها رضي الله عنهن أجمعين .

وقوله تعالى : ﴿ وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ﴾ أي وأباح لك التصرّي بما أخذت من الغنائم وكما تقدم فقد ملك صفيّة وجويرية فأعتقهما وتزوجهما ، وملك ريمحانة بنت شمعون النضرية ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليهما السلام وكانت من السراري رضي الله عنهما .

وقوله تعالى : ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ﴾ هذا عدل وسط بين إفراط النصارى الذين لا يتزوجون المرأة إلا بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً وتفريط اليهود بتزوج أحدهم بنت أخيه أو بنت أخته وهذا شنيع فظيع .. وقوله تعالى : ﴿ اللاتي هاجرن معك ﴾ أي إلى المدينة . وقوله تعالى : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك ﴾ أي ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . قال ابن أبي حاتم عن عائشة قالت : التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم ، وكانت امرأة صالحة . وقد قال ابن أبي حاتم عن ابن عباس : لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها بينا اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وإن ذلك مباحاً له ومخصوصاً به لأنه مردود إلى مشيئته كما قال تعالى : ﴿ إن أراد النبي أن يستنكحها ﴾ أي إن اختار ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ قال عكرمة أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو ان امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئاً وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي أنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فإنه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها ، كما حرم به رسول الله ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت ، بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها . والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ . فأما هو عليه الصلاة والسلام فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها . لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود ، كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها .

وقوله تعالى : ﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم ﴾ أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر ، وما شاعوا من الإماء واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم ، وهم الأمة وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئاً منه ﴿ لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ﴾

تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ  
 ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزْلِكَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ آيَاتِنَا  
 وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ



## وَكَانَ اللَّهُ عَلِيًّا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

قوله تعالى ﴿ترجي من تشاء منهم ونزوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ اختار ابن جرير ان هذه الآية عامة في الواهبات أنفسهن له ﷺ وفي أزواجه ﷺ اي النساء واللاتي عنده انه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم. وهو جمع بين الأحاديث الواردة عن عائشة تارة في الواهبات أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها. ومن رددتها فأنت فيها بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها. ولهذا قال : ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ تارة أخرى يرد الحديث عن معاذ عن عائشة أيضاً : ٥٢٣ [ ان رسول الله ﷺ كان يسأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت الآية : ﴿ترجي من تشاء منهم ونزوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ فقلت لها ما كنت تعلمين ؟ فقالت : كنت أقول : ان كان ذلك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحداً ] . فهذا الحديث عنها يدل على ان المراد من ذلك عدم وجود القسم . وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم . وهذا الذي اختاره ابن جرير جيد وقوي وقد جمع بين الأحاديث . ولهذا قال تعالى : ﴿ذلك أدنى أن تفر أعينهن ولا يعزنن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾ أي إذا علمن أن الله تعالى قد وضع عنك الحرج في القسم فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم : ثم مع هذا أن تقسم لمن اختياراً منك . فرحنَ بذلك واستبشرنَ به واعترفنَ بحملك ومثك عليهن في قسمتك . وتسويتك بينهن . وإنصافك لمن وعدتك فيهن .

وقوله تعالى : ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ أي من الميل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما روى الإمام أحمد عن عائشة قالت . ٥٢٤ [ كان رسول الله ﷺ يقسم بين نساءه فيعدل ، ثم يقول : اللهم هذا فعلى فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ] يعني القلب ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى ﴿وكان الله عليماً﴾ أي بضمائر السرائر ﴿حايماً﴾ أي يعلم ويغفر

﴿لَا يَجِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيًّا﴾

## كُلُّ شَيْءٍ رَقِيبٌ • (٥٢)

ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس وغيره. أن هذه الآية نزلت مكافأة لأزواجه عليهم السلام على حسن صنعهم في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما غيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية فكان جزاؤهن أن قصره الله تعالى عليهن وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حرج عليه فيهن ثم إنه رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له التزوج ، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج ، لتكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن .

روى الإمام أحمد عن عائشة قالت : ٥٢٥ [ ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ] ورواه الترمذي والنسائي .

روى ابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت : ٥٢٦ [ لم يمض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم ] ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ ترجي من نشاء منهن ﴾ الآية .. فجعلت هذه ناسخة لتلي بعدها في التلاوة كتابي عدة الوفاة في البقرة ، الأولى ناسخة لتلي بعدها . والله أعلم .

وروى ابن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها ، وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة ، ثم قال بأن هذا كان قبل نزول قوله تعالى : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ الآية ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية صحيح ، ولكن لا يحتاج إلى ذلك فإن الآية إنما دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ، ولا يدل على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ﴾ فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدال غيرها بها ، إلا ما ملكت يمينه <sup>(١)</sup> .

(١) قلت : هذا هو التفسير الشفهي لآية إنما إذا صح تفسير المفسر رحمه الله من أن آية «ترجي من نشاء منهن وتزوي عليك من نشاء» أنها ناسخة لما بعدها : « لا يحل لك النساء من بعد » فيكون لرسول الخيرة في التزوج أو عدمه لا سيما إذا صح أيضاً الحديث عن حديث عائشة وأم سلمة فيكون النسخ واقفاً حصاً ، فيتغير حكم تفسير الآية المتأخرة من المنع إلى الإباحة وإن كان لم يقع فعل الإباحة منه صل الله عليه وسلم أي لم يتزوج بعد ذلك أبداً لتكون له صل الله عليه وسلم المنة على أزواجه « ذلك أدنى أن تفر أميئهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتن كلهن ... »

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْتِنَا لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِفِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُوَدَّى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْخَلْقِ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تُبْذُوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية . وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كاتبت ذلك في الصحيحين عنه انه قال : ٥٢٧ [ وافقت ربي عز وجل في ثلاث . قلت : يا رسول الله : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتن . فأنزل الله آية الحجاب . وقلت لأزواج النبي ﷺ لما تحالأن عليه في الغيرة : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ﴾ فنزلت كذلك [ وفي رواية لمسلم ذكر اسارى بدر وهي قضية رابعة . وقد روى البخاري عن أنس بن مالك قال ٥٢٨ [ قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله : بدخل عليك البر والفاجر . فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب . فأنزل الله آية الحجاب ] وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش التي تولت الله تعالى تزويجها بنفسه . وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة والله أعلم .

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ٥٢٩ [ لما تزوج رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش . دعا القوم فطعموا . ثم جلسوا يتحدثون . فإذا هو ينتهياً للقيام فلم يقوموا . فلما رأى ذلك قام . فلما قام . قام من قام وقعد ثلاثة نفر . فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس . ثم أنهم قاموا فانطلقوا . فحبست فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل . فذهبت أدخل فألقى الحجاب بي وبينه . فأنزل الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ [ ورواه مسلم والنسائي .

فقوله تعالى : ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ حظر على المؤمنين ان يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في الجاهلية وابتداء الإسلام في بيوتهم . حتى غار الله تعالى هذه الأمة فأمرهم بذلك . إكراماً لهم . ولهذا قال رسول الله ﷺ : ٥٣٠ [ إياكم والدخول على النساء ] ثم إن الله تعالى استثنى من ذلك فقال عز وجل : ﴿ إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ﴾ قال مجاهد وغيره : أي غير متحبين نضجه واستواءه حتى إذا قارب ذلك تعرضتم للدخول ، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه . وهذا دليل على تحريم التطويل وهو الذي تسميه العرب الضيفن . ثم قال تعالى : ﴿ ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ : ٥٣١ [ لو دعيت إلى ذراع الإحيت ، وواهدني إلى كراع لقبلت ، فإذا فرغتم من الذي دعيت إليه فحنفوا عن أهل المنزل . وانتشروا في الأرض ] ولهذا قال تعالى : ﴿ ولا مستأنسين لحديث ﴾ أي كما وقع لأولئك نفر الثلاثة الذين نسا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ . كما قال تعالى : ﴿ إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ﴾ وقيل إن الدخول بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ولكن كان يكره ان ينهاهم لشدة حياته عليه الصلاة والسلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك . ولهذا قال تعالى : ﴿ والله لا يستحي من الحق ﴾ أي ولهذا نهاكم وزجركم عنه .

ثم قال تعالى : ﴿ واذا سألتن من متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ﴾ أي لا ينظر إليهن ولا يسألن حاجة إلا من وراء حجاب . ﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ أي هذا الذي شرعته لكم وأمرتكم به من الحجاب أطهر وأطيب . وقوله تعالى : ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾ لهذا أجمع العلماء قاطبةً على أنه يحرم على أي كان أن يتزوج أياً من أزواج النبي ﷺ من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وهن أمهات المؤمنين كما تقدم . وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله تعالى : ﴿ إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ أي يعلم كل شيء ولا يخفى عليه خافية .

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِكُمْ وَلَا أَبْنَائِكُمْ وَلَا إِخْوَانِكُمْ وَلَا  
أَبْنَاؤُكُمْ وَلَا إِخْوَانُكُمْ وَلَا بَنَاتُكُمْ وَلَا نِسَائِكُمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُكُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴾ (٥٥)

لقد استثنى الله تعالى هؤلاء الأقارب فلا يجب الاحتجاب منهم كما ورد ذلك في سورة  
النور عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْرِي زَيْنَتُهُنَّ الْإِبْرَعَاتُ ﴾ - إلى قوله تعالى - على عورات  
النساء ﴿ الآيات ٣١ / وقد سأل بعضُ السلف فقال : لم لم يذكر العم والحال في هاتين  
الآيتين ؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرتا لأنهما قد بصفان ذلك لبيهما . وقوله  
تعالى : ﴿ وَلَا نِسَاءَهُنَّ ﴾ يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات ، وقوله تعالى :  
﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ يعني به أرقاءهن من الذكور والإناث ، كما تقدم التنبيه عليه  
وايراد الحديث فيه <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴾  
أي واخشينه في الخلوة والعلانية ، فانه شهيد على كل شيء ، لا تخفى عليه خافية فراقبين  
الرقيب سبحانه وتعالى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦)

قال البخاري : قال أبو العالية : صلاة الله تعالى : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة  
الملائكة الدعاء . وقال ابن عباس : يصلون بيزكون ، وقال أبو عيسى الترمذي : وروي  
عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم ، قالوا : صلاة الرب الرحمة ، وصلاة  
الملائكة الاستغفار . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ أي ان الله تعالى  
أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه بشي عليه عند الملائكة المقربين وان  
الملائكة تصلّي عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجمع الثناء عليه  
من أهل العالمين : العلوي والسفلي جميعاً .

(١) قلت : عند قوله تعالى : « أو ما ملكت ايمانهم » في سورة النور : الآية رقم ٣١ / وقوله (ص) لفاطمة  
( انه ليس عليك بأس ، انما هو أبوك وغلامك )

وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ ... هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ﴾ الآية ... وفي الحديث : ٥٣٢ [ إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف ] وقال : ٥٣٣ اللهم صل على آل أبي أوفى ] وقد سأله امرأة جابر أن يصلي عليها وعلى زوجها فقال : ٥٣٤ [ صل الله عليك وعلى زوجك ] وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ، ونحن نذكر منها أن شاء الله تعالى ما تيسر والله المستعان .

• روى البخاري عن كعب بن عميرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة ؟ قال : ٥٣٥ [ قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ]

• روى ابن أبي حاتم عن كعب بن عميرة قال : لما نزلت : ٥٣٦ [ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ] قال : [ قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » ] ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه كما يعلمهم السورة من القرآن ، وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

• روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال : ٥٣٧ [ أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة . فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . والسلام كما قد علمتم » ] وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث مالك به وقال الترمذي : حسن صحيح .

وروى الإمام أحمد عن أبي مسعود البديري أنهم قالوا : ٥٣٨ [ يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه ، فكيف نصلي عليك إذا نحن صايناً في صلاتنا ؟ فقال : قولوا « اللهم صل على



محمد وعلى آل محمد ة] وذكره ورواه الشافعي رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة بمثله ، ومن هنا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلّي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير فإن تركه لم تصح صلاته . والقول بالوجوب مؤيد بظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود ، وأبو مسعود البصري وجابر بن عبد الله ومن التابعين : الشعبي ، وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان وإليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً وإليه ذهب أحمد أخيراً . والصحيح أنه وجه على أن الجمهور على خلافه والقول بوجوبه ، ظواهر الحديث والله أعلم وإن الشافعي رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة سلفاً وخلفاً والله الحمد والمنة فلا إجماع على خلافه في هذه المسألة لا قديماً ولا حديثاً . وما يؤيد ذلك ، الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصحّحه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من رواية حيوة بن شريح بسنده عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : ٥٣٩ [سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجّد الله ولم يصلّ على النبي فقال رسول الله ﷺ عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ، ثم ليصلّ على النبي ثم يدعُ بعد بما شاء . » ]

• روى ابن جرير عن يونس بن حبيب قال : ٥٤٠ [خطبنا بفارس فقال : أباي من سمع ابن عباس يقول : هكذا أنزل ، فقلنا : أو قالوا يا رسول الله علّمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . وارحم محمد وآل محمد كما رحمت آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد . » ] فيستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي ﷺ كما هو قول الجمهور ؛ ويعضده حديث الأعرابي الذي قال : ٥٤١ [ اللهم ارحمني ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحداً ؛ فقال رسول الله ﷺ « لقد حجرت وأسعأ » ]

• روى أبو عيسى الترمذي عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : ٥٤٢ [ أولي الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة ] تفرد به الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب .

• روى اسماعيل القاضي عن أبي بن كعب عن أبيه قال : ٥٤٣ [ كان رسول الله ﷺ يخرج في جوف الليل فيقول : « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه فقال أبي : يا رسول الله [ في أصل من الليل ، أفجعل لك ثلث صلاتي قال رسول الله ﷺ والشره

٥١٤ (٣٣-الأحزاب-ج٢٢): كل صلاة عليه ﷺ بعشر من الله، البخيل من لم يصل عليه

قال : أفأجعل لك شطر صلاتي ؟ قال رسول الله ﷺ « التثان » قال : أفأجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : « اذن يغفرلك الله ذنبك كله » [

• روى الإمام أحمد عن الطخيل بن أنبي عن أبيه : ٥٤٤ [قال رجل يا رسول الله أرأيت ان جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال : « اذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك »]

• روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٤٥ [ من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً . ] وقال الترمذي حسن صحيح .

• روى الإمام أحمد عن أبي طلحة الأنصاري قال : ٥٤٦ [ أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشرى ، قالوا : يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشرى : قال : [ « أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال : من صلى عليك من أمتك صلاة ، كتب الله له بها عشر حسانت ، ومحا عنه عشر ميات ، ورفع له عشر درجات ، وردَّ عليه مثلها » ] وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه .

• روى الإمام أحمد عن علي بن الحسين عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : ٥٤٧ [ البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي ] ورواه الترمذي .

• روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ٥٤٨ [ قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبير فلم يدخلا الجنة » ] ثم قال حسن غريب ورواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه . وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي ﷺ كلما ذكر ، وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوي والحلي . وذهب آخرون إلى وجوب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ، وتستحب في بقية ذلك المجلس . ويتأيد هذا القول بالحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ٥٤٩ [ ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ] وحكى عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - في العمر مرة واحدة امتثالاً لأمر الآية ثم هي مستحبة في كل حال ( قلت ) وهذا قول غريب فإنه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة .

• فمنه بعد النداء للصلاة الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص

يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ٥٥٠ [ إذا سمعتم مؤذناً يقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لي الله الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ] وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة .

• ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه للحديث الذي رواه الإمام أحمد عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: ٥٥١ [ كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى علي محمد وسلم ثم قال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك ، وإذا خرج صلى علي محمد وسلم ثم قال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك . ]

ومن ذلك الصلاة عليه ﷺ في صلاة الجنائز فإن السنة أن يقرأ في التكبير الأول فاتحة الكتاب ، وفي الثانية أن يصلي على النبي ﷺ وفي الثالثة يدعو للميت ، وفي الرابعة يقول اللهم لا تعرنا أجره ، ولا تقنا بعده .

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ بين تكبيرات العيد في صلاة العيد ، ونعم الدعاء ودعاء القنوت كما رواه النسائي في سنه ، ومن ذلك الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة ومن ذلك حين زيارة قبره ﷺ . وان الصلاة والسلام عليه يُبلغها لقوله ﷺ: ٥٥٢ [ ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام ] رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود وهكذا رواه النسائي وقالوا : ويستحب الصلاة على النبي ﷺ مع ذكر الله عند الذبج . واستأسوا بقوله تعالى : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ قال بعض المفسرين : يقول الله تعالى : لا أذكر إلاّ وذكرت معي ، وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا : هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الأكل والدخول والوقاع وغير ذلك مما لم ترد به السنة بالصلاة على النبي ﷺ .

ويجوز الصلاة على غير الأنبياء بالتبعية كما جاء في الحديث: ٥٥٣ [ اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته ] ويؤيده قوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم ﴾ وقوله ﷺ: [ ٥٥٤ اللهم صل على آل أبي أوفى ] أخرجاه في الصحيحين .

قال الجمهور من العلماء لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غير ؛ فلا يقال : قال أبو بكر صلى الله عليه ، أو ، قال علي صلى الله عليه وان كان المعنى صحيحاً ، كما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزاً وجليلاً لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في الكتاب والسنة

على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعاراً لآل أبي أوفى ولا بلخابر وامرأته . وهذا ملك حسن .  
وأما إفراد السلام على غير الأنبياء قال : الشيخ محمد الجوزي من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به لغير الأنبياء فلا يقال علي عليه السلام وسواء في هذا الأحياء والأموات ، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال : سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه . ( قلت ) وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علياً رضي الله عنه يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه وهذا وإن كان معناه صحيحاً ، لكن ينبغي أن يسوّى بين الصحابة في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين .

قال التروي : إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول : صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط وهذا الذي قاله متزاع من هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ فالأول أن يقال : صلى الله عليه وسلم تسليماً .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَتَبْنَا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُهِينًا ﴾ (٥٨)

يقول تعالى متهدداً متوعداً من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وإيذاء رسوله ﷺ بعبث أو بنقص - عياداً بالله من ذلك - قال عكرمة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ نزلت في المصوّرين . وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٥٥ [يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، سبب الدهر وأنا الدهر أغلب ليلة وسأراه ] أي إن الجاهلية كانوا يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسدون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه ، وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فهوى عن ذلك هكذا قرره الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما وقيل أنها نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في تزويجه صفية بنت خنيس بن أخطب والظاهر أن الآية علة في كل من آذاه بشيء ، ومن آذاه فقد آذى الله ، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله ، كما روى الإمام أحمد

عن عبد الله بن الفضل المزني قال : قال رسول الله ﷺ ٥٥٦ الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم . ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم . ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه [ وقد رواه الترمذي .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه ﴿ فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ وهذا هو البهت الكبير ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد ، الكفرة بالله ورسوله ، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة وبعيوتهم بما قد برأهم الله منه ، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله تعالى عنهم فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قدرضي عنهم وهم المهاجرون والأنصار ومدحهم ، وهؤلاء الحملة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم وينهجونهم بما لم يفعلوا ، فهم في الحقيقة منكرو القلوب يذمون المدوحين ويمدحون المذمومين . وروى أبو داود عن أبي هريرة ٥٥٧ [ انه قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » ] وهكذا رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وقد روى ابن أبي حاتم عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه ٥٥٨ [ أي الربا أربى عند الله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : « أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم » ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ ]

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدِينِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِينَ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً • (٥٩) لَتَنُ لِمَ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ يَوْمَ تُمُتُ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا • (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا • (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا • (٦٢)



يأمر الله تعالى رسوله ﷺ تعليماً ، أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدين عليهن من جلابيهن ليشتمرن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإمام ، والجلاب هو الرداء فوق الخمار ؛ قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة وغيرهم وهو بمثالة الإزار اليوم قال الجوهري الجلاب الملقفة . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويدين عينا واحدة ، وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل ﴿ يدين عليهن من جلابيهن ﴾ فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة : تغطي ثغرة نحرها بجلابها تدينه عليها وقال ابن حاتم عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية ... خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكمة سود يلبسها . وسئل الزهري عن الوليدة قال عليها الخمار دون الجلاب وقوله تعالى : ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ قال مجاهد يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى أو ريبة . وقوله تعالى : ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهم علم بذلك . ثم توعد الله المنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويطنون الكفر : ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ هم الزناة ﴿ والمرحفون في المدينة ﴾ أي الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء لأن لم يتبها عن ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿ لنفريتكم بهم ﴾ أي لنسلطنتك عليهم ﴿ ثم لا يجاورونك فيها ﴾ أي في المدينة ﴿ إلا قليلاً مملعين ﴾ مطرودين مبغدين ﴿ أينما تقفوا ﴾ أي وجدوا ﴿ أخذوا ﴾ لذلتهم وقتلتهم ﴿ وقتلوا قتيلاً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفروهم فإن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم ﴿ ولن نجد لسنة الله تبديلاً ﴾ أي سنة الله قهر المنافقين لا تبدل ولا تتغير .

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا

يُذَرِّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾ • (٦٣) **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ**

**وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً** • (٦٤) **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِيَاءً وَلَا**

**نَصيراً** • (٦٥) **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا**

**اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ** • (٦٦) **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا**

وَكَبْرَاءَنَا فَأَصْلُونَا السَّيْلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا أَنْتُمْ ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ  
وَالْعَنُومِ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

غير تعالى رسوله ﷺ أنه إن سأله الناس عن الساعة - أرشده تعالى ان يرد علمها إلى الله عز وجل. كما قال تعالى في سورة الأعراف وهي مكية - وهذه مدنية فاستمر الحال في ردة علمها إلى الذي يقبمها لكن أخبره أنها قريبة بقوله تعالى : ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ كما قال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ .  
ثم قال تعالى ﴿ ان الله لمن الكافرين ﴾ أي أبعدهم من رحمته ﴿ وأعد لهم سعيراً ﴾ أي في الدار الآخرة ﴿ خالدين فيها أبداً ﴾ أي ما كين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها ﴿ لا يعدون ولياً ولا نصيراً ﴾ أي ليس لهم من يتقدمهم مما هم فيه ﴿ ثم قال تعالى ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ أي يسحبون في النار على وجوههم وتلوى على جهنم . يقولون وهم كذلك . ليتنا كنا في الدنيا ممن اطاعوا الله والرسول . كقولته تعالى : ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه يتمنون لو كانوا من المؤمنين ﴿ وقالوا ربنا انما أطعنا سادتنا وكبراءنا فأصلونا السيلا ﴾ قال طاووس : سادتنا يعني الأشراف ، وكبراءنا يعني العلماء رواه ابن أبي حاتم اي اتبعنا أمراءنا . واتبعنا علماء السوء وخالفنا الرسل ، فإذا هم ليسوا على شيء . ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴾ أي بكفرهم وإغواهم إيانا ﴿ والعنهم لعناً كبيراً ﴾ قرأ بعض القراء : ﴿ كبيراً ﴾ وقرأ البعض الآخر ﴿ كبيراً ﴾ وكلاهما بمعنى صحيح ، والآولى أن القارىء غير بين القراءتين ، لا أن يجمع بينهما أي أن يقول مثلاً : كبيراً كبيراً .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ  
فَبَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ ﴿٦٩﴾

روى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٥٩٧ [ان موسى عليه السلام كان رجلاً حياً سبراً لا يرى من جلده شيء استجابه منه فأذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يتسر هذا التسر إلا من عيب في جلده إما برص وأما أذرة وإما آفة وان الله عز وجل أراد أن يبراه ما قالوا لموسى عليه السلام فخلع يوماً وحده فخلع ثيابه على

حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه قلبه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً - قال - فذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾ [ وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم .

روى الإمام أحمد عن عبدالله - ابن مسعود - قال ٥٦٠ [نسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار إن هذه القصة ما أريد بها وجه الله ، قال : فقلت يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فاحمر وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر » [ أخرجاه في الصحيحين .  
وقوله تعالى : ﴿ وكان عند الله وجيهاً ﴾ أي له وجاهة وجاء عند الله عز وجل وقال جماعة من السلف : لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ولكن منع من الرقبة لما يشاء عز وجل ، وقال بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله تعالى انه شفيع في أخيه هارون ان يرسله معه فأجاب الله سؤاله فقال تعالى : ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ (٧٠)  
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿ (٧١) ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا ﴿ قولاً سديداً ﴾ أي مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم اذا فعلوا ذلك أنابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية . وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ وذلك أنه يعمد من نار جهنم ويصير إلى النعيم المقيم . روى ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال : ٥٦١ [ صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر ، فلما انصرف أوماً إلينا بيده فجلسنا فقال : « إن الله تعالى أمرني ان آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً » ثم أتى النساء فقال : « ان الله أمرني أن آمركن ان تتقين الله وتقلن قولاً سديداً » [ .



قال عكرمة : القول السديد : لا إله الا الله ، وقال غيره : السديد الصدق ، وقال غيره : هو الصدق ، والكل حق .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ (٧٣)

روى العوفي عن ابن عباس : يعني بالأمانة الطاعة ، عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها ، فقال لآدم : إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها ، فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال : يا رب وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ يعني غرأ بأمر الله .

روى ابن جرير عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس : ... فما كان إلا مقدار ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة والضحاك والحسن البصري وغير واحد : ان الأمانة هي الفرائض ، وقال آخرون : هي الطاعة . وقيل : هي الدين والفرائض والحدود ، وقيل الغسل من الجنابة ، وقيل الصلاة والصوم والاعتزال من الجنابة ، وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ... وهو أنه ان قام بذلك أتيب وان تركها عولب ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله إلا من وفق الله ، والله المستعان .

روى ابن جرير عن عبادة بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ٥٦٢ [ القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها - أو قال - يكفر كل شيء إلا الأمانة ، يؤتى بصاحب الأمانة ، فيقال له : أد أمانتك ، فيقول أنتي يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له أد أمانتك ، فيقول أنتي يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له أد أمانتك ، فيقول أنتي يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقول اذهبوا به إلى أمه الهاوية ، فيذهب به إلى الهاوية ، فيهوي فيها حتى يتهي إلى قعرها فيجلدها هنالك كهيتها ، فيحملها فيضعها على عاتقه ،

فيصعد بها إلى شفير جهنم ، حتى إذا رأى أنه خرج ، زلّت قدمه فهوى في أثرها أيد الأبدن ، قال : والأمانة في الصلاة ، والأمانة في الصوم ، والأمانة في الوضوء ، والأمانة في الحديث ، وأشد ذلك الودائع ، فلقيت البراء فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله فقال صدق [

ومما يتعلق بالأمانة ، الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال :  
 ٥٢٣ [ حدثنا رسول الله ﷺ حديثين ، قد رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا ان الأمانة نزلت في جنس قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : وبنام الرجل النومة تنقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر المجمل <sup>(١)</sup> كجمر دحرجته على رجلك ، تراه متبرأ وليس فيه شيء - قال : ثم أخذ حصي فدحرجه على رجله قال - فيصبح الناس يتبايعون <sup>(٢)</sup> لا يكاد أحد يؤدّي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلاً أميناً ، حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة عردل من إيمان ، ولقد أتني علي زمان وما أبالي أياكم بايعت ، ان كان مسلماً ليردّته عليّ دينه ، وان كان نصرانياً أو يهودياً ليردّته عليّ ساعيه فأما اليوم فما كنت أبابع منكم إلا فلاناً وفلاناً ] وأخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به وقد ورد النهي عن الحلف بالأمانة حديث مرفوع . روى أبو داود عن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٥٦٤ [ من حلف بالأمانة فليس منّا ] تفرد به ، وقوله تعالى : ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ أي إنما حمل بني آدم وهي الكافرين ، ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويطنون الكفر متابعة لأهله . ﴿ والمشركون والمشركات ﴾ وهم الذين ظاهراً وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسوله ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ أي وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ آخر اختصار تفسير سورة الأحزاب والله الحمد والمآة

١٣٩٠ / ٥ / ٢٣

١٩٧٠ / ٧ / ٢٦

(١) المجمل : أن يكون بين الجلد واللحم ماء من كثرة غسل أو لغار . (٢) من البيع .

## (٣٤) سُورَةُ سَبِّحِ مَكِّيَّةٌ وَأَسْمَانُهَا الرَّبِّعُ وَخَمْسُونَ

إلا الآيات ٦ / فمدنية نزلت بعد سورة لقمان

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ • (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ  
فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا  
وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ • (٢)

يجبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة وهو المنعم على أهلها فهو الحاكم المتصرف وحده لا شريك له ، والجمع ملكه وعيده وتحب تصرفه وقهره ، فلا رب غيره ولا معبود سواه . وهو الحكيم في أموره وأفعاله وشرعه وقدره ، والخبير بخلقه لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء . ولهذا قال سبحانه ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ﴾ أي يعلم ما يدخل في الأرض من الحب والبذور الكامن فيها ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ من قطر أو رزق وما يخرج فيها من الأعمال الصالحة ﴿ وهو الرحيم ﴾ بعباده ﴿ الغفور ﴾ عن ذنوب التائبين إليه التوكلين عليه .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي  
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا  
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيُعْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 أَوْلِيكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا  
 مُعَاجِزِينَ أَوْلِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ  
 أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ  
 الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾

هذه إحدى الآيات الثلاث التي أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع  
 المعاد ، لما أنكره من أنكره فإحداهن في سورة يونس ، وهي : ﴿ ويستبشرونك أحق هو  
 قل إي وربّي إنه لحق ... ﴾ والثانية هذه : ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى  
 وربّي لتأتينكم ﴾ والثالثة في سورة التغابن وهي : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل  
 بلى وربّي لتبعثن ... ﴾ ولما قال تعالى ها هنا ﴿ قل بلى وربّي لتأتينكم ﴾ عقب بما يؤكد  
 ذلك ويقرره فقال عز من قائل : ﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا  
 في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ أي لا ينسب عنه وجميع مخلوقاته  
 تحت علمه لا يخفى عليه شيء . فالعظام وإن تلاشت ، فهو جل جلاله عالم أين استقرت  
 ذراتها ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليم . ثم بيّن حكته من البعث فقال  
 تعالى : ﴿ ليعزّي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين  
 سعوا في آياتنا معاجزين ﴾ أي صدّوا عن سبيله تعالى وكذبوا رسله ﴿ أولئك لهم عذاب  
 من رجز أليم ﴾ كقوله تعالى : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة  
 هم القاترون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ﴾ وهذه  
 حكمة أخرى مضافة إلى ما قبلها . وهي أن المؤمنين لما يشاهدون قيام الساعة وإثابة الأبرار  
 وعقوبة الفجار . كما وعد الله تماماً . يروّون ذلك عين اليقين . كما قال تعالى : ﴿ هذا ما وعد  
 الرحمن وصدق المرسلون ﴾

وقوله تعالى : ﴿ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ أي إن هذا القرآن هو الحق في  
 كافّة ما أخبر ويهدي إلى طريق ﴿ العزيز ﴾ الذي لا يغالب ﴿ الحميد ﴾ في جميع أقواله  
 وأفعاله وشرعه وقدره والمحمود في ذلك كله جل جلاله .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُبَشِّرُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلٌّ مُمَرِّقٌ إِنَّكُمْ لَعِني خَلْقٌ جَدِيدٌ ﴾ (٧) افترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴿ (٨) أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ﴿ (٩) ﴿

يستعد المشركون قيام الساعة ويستهنئون بالرسول ﷺ في إخباره بذلك : ﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل يبشركم إذا مرقتم كل ممزق ﴾ أي تفشت ذرات أجسادكم ﴿ إنكم ﴾ أي بعد هذه الحال ﴿ لفي خلق جديد ﴾ أي تعودون أحياء ترزقون ! ولا يخلو هذا الإخبار من قسمين : إما أن يكون قد تعود الافتراء على الله بأنه أوحى إليه ذلك ، أو أن الرجل به جنون. ولهذا قالوا : ﴿ افترى على الله كذباً أم به جنة ﴾ فرداً تعالى عليهم : ﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الأمين ، الذي جاء بالحق ، وهم الكذبة الأغبياء ﴿ في العذاب ﴾ أي في الكفر المفضي إلى العذاب ﴿ والضلال البعيد ﴾ من الحق في الدنيا. ثم قال تعالى : ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ﴾ أي ألا يرون قدرة الله تعالى بإيجاد هذه المخلوقات العظيمة فما الذي يوجب أن يستعدوا بعث الأجساد مرة ثانية وأرسل لهم رسولاً ينقذهم ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ﴿ إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ﴾ أي لو شئنا لعاقبتهم على تكذيبهم بأن نخسف بهم الأرض أو نرجمهم من السماء بعذاب غليظ، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا ﴿ إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ﴾ أي إن في هذا الحلم والعمى عند القدرة العظيمة لدلالة على أن ما يقوله الله ورسوله هو الحق ، ودافع إلى الرجوع عن الباطل إلى الحق والتوبة النصوح ، وهذا حصن على التوبة والإيمان والتصديق والتسليم .



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ  
وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ  
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام بما آتاه من الفضل  
المبين وجمع له الثبوة والملك التمكن ، والجنود ذوي العُدَد والعُدَد ، وما أعطاه من  
الصوت الرحيم العظيم الذي كان إذا سبَّح به ، تسبَّح معه الجبال ، وتقف له المطير السارحات ،  
وتحاو به بأنواع اللغات .

وفي الصحيح : ٥٦٥ [أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري رضي الله  
عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال ﷺ : « لقد أوتي هذا زميراً من  
زمامير آل داود » ]

وقوله تعالى ﴿أَوِّبِي﴾ أي رجعت مسبحة معه فأمرت الجبال والمطير أن ترجع معه  
بأصواتها .

وقوله تعالى : ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ قال الحسن البصري وغيره : كان لا يحتاج أن  
يدخل الحديد النار ولا يضره بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ولهذا قال تعالى :  
﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ وهي الدروع ، وهو أول من عملها من الخلق وإنما كانت قبل  
ذلك صفائح ﴿وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ﴾ أي لا تدق المسار فيقلق في الحلقة ، ولا تغلظه  
فيقصمها واجعله بقدر . والسرد حلق الحديد يقال : درع مسرودة إذا كانت مسمورة  
اخلت . وكان يستغي بضمن الدروع التي بصنعها عن الراتب من بيت مال المسلمين . فقيل  
أنه كان يبيع الدرع بأربعة آلاف درهم ، يتصدق بثلاثها ويشري بثلاثها ما يكفيه وعياله ،  
وأسك الثلث يتصدق به يوماً إلى أن يعمل غيرها . وإن الله تعالى أعطاه شيئاً لم يعطه غيره  
من حسن الصوت فكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما أعطي سبعين زميراً في حلقه .

وقوله تعالى : ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي في الذي أعطاكم الله تعالى من النعم ﴿إِنِّي  
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي مراقب لكم ، بصير بأعمالكم وأقوالكم لا يخفى علي من ذلك  
شيء .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوِّهَا شَرٌّْ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسْنَا لَهُ﴾

عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّمِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الريح له ، تحمل بساطه غدوؤها شهر ، ورواحها شهر . وقوله تعالى : ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من التابعين : القطر : النحاس . وقال قتادة وكانت باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ أي سخر له الجن فدانوا له بسخرهم بإذن الله لما يشاء من حمل البنايات . والجن ولد إبليس ، كما أن الإنس من ولد آدم ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون . وهم شركاء في الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمناً فهو ولي الله تعالى ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً فهو شيطان . وقوله تعالى : ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ أي ومن يعدل من الجن عن أمرنا له ويخرج منهم عن الطاعة ﴿نذقه من عذاب السمير﴾ وهو الحريق . ﴿يعملون له ما يشاء من محارِبٍ وتماثيلٍ﴾ أما المحارِبُ قال الضحاك: هي المساجد<sup>(١)</sup> وأما التماثيل فهي الصور وكانت من نحاس وقيل من طين وزجاج وقوله تعالى : ﴿وجفان كالجواب وقدر راسيات﴾ الجواب هي الأحواض ، والقدر الراسيات أي الثابتات لا تتحرك لعظمتها وأثافها منها . وقوله تعالى : ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ قال أبو عبد الرحمن السلمي : الصلاة شكر والصيام شكر ، وكل خير عمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد قال : الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل ، وكان آل داود عليهم السلام كذلك فأمعن بشكره تعالى قولاً وعملاً . قال ابن أبي حاتم عن ثابت البناني قال : كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل أو النهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فحمرتهم هذه الآية : ﴿واعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾ وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(١) نعم .. المهراب هو السجد كله ، وليس هو الفجرة التي يعف فيها الإمام فإنها مأخوذة عن مذابح

٥٦٦] إن أحب الصلاة إلى الله تعالى : صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود ، كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام . وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة . فإنه مكث متوكفاً على عصاه وهي منسأته مدة طويلة نحواً من سنة<sup>(١)</sup> فلما أكلتها دابة الأرض ، وهي الأرضة . ضعفت وسقطت إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون وبوهمون الناس ذلك . فذلك قوله تعالى : ﴿ فلما خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ فأيقن الناس عند ذلك ان الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يظلمون على الغيب . لعلوا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله تعالى : ﴿ ما دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ قال أصبغ : بلغني أنها قامت سنة تأكل منها قبل ان يخر ، وذكر غير واحد من السلف نحو هذا ، والله أعلم .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آيَةٌ جِئْنَاهُمْ بِحَبْلٍ مِنْ سَمَاءٍ فَأَلْقَوْا بِالْحَبْلِ إِسْخَارًا لِحَبْلِ آلِهَتِهِمْ هُنَّ أُولَئِكَ مَنْكُومُونَ ﴿١٥﴾ كَلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ مِنْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ ﴾

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه السلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغيطة في بلادهم وعيشتهم واتساع أرزاقهم وزروعهم

(١) وهذا دليل سمي<sup>٢</sup> على أن أجساد الأنبياء لا تبلى .



( ٣٤ - سبأ - ج ٢٢ ) : سبأ رجل تولد منه عشر قبائل ، هُنَّ أصول عرب اليمن ٥٢٩

وثمارهم وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه ، بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ، ثم أعرضوا عما أمروا به ، فعوقبوا بإرسال السيل والفرق في البلاد أبدي سبأ شذر مذر . كما سيأتي إن شاء الله تفصيله وبيانه قريباً وبه الثقة .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس يقول : [ إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو ... أرجل أم امرأة أم أرض ؟ فقال ﷺ : « بل هو رجل ولد له عشرة ، فكان اليمن منهم ستة ، والثام منهم اربعة . فأما اليمانيون فمدحج وكندة والأزد والأشعريون والنمير وحمير . وأما الشامية : فلحخم وجذام وعاملة وثمان » ] وهو حديث حسن لما له من الشواهد فقووي وحسن قال علماء النسب - منهم محمد بن اسحق - إسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ (١) - فقد ذكروا أنه بشر برسول الله ﷺ في زمانه المتقدم ، وقال في ذلك شعراً جاء فيه :

... ويملك بعد قحطان نبي  
تقي عجت خير الأنعام  
يسمى أحمداً ياليت أني  
أعمر بعد مبعثه بعام  
فأعضده وأحبوه بنصري  
بكل مدحج وبكل رام  
مى يظهر فكونوا ناصريه  
ومن يلقاه يلقه سلامي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب - الأكليل - وهكذا فسبأ هذا كان من نسل هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن لا أنهم ولدوا من صلبه . بل منهم من بينه وبينه الأيوان والثلاثة والأقل والأكثر .

فجاءتهم الرسل تأمرهم بتوحيد الله تعالى فكانوا لذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال سيل العرم . فمنهم من أقام بيلاذهم ومنهم من نزع إلى غيرها . وكان من أمر السدان الماء كان يأتيهم من بين جبلين ، وتجتمع إليه أيضاً سيول أمطارهم وأوديتهم . فعمد ملوكهم الأقدام . فبنوا بينهما سداً عظيماً محكمماً . حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذنك الجبلين . ففرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن . كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة ان المرأة كانت تمشي تحت الأشجار . وعلى رأسها مكنل أو زنبيل وهو الذي تعرف فيه الثمار . فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير كلفة ولا قطف لكثرة ونضجه واستوائه . وكان

(١) قلت : وأسبأ في الغاموس يعني عجت إلى الله ولعنه رجوع عن وثنيته إلى عبادة الله وسده كما هو ظاهر من شعره أعلاه .

هذا السد بأرب ، بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ويعرف بسد مأرب . وذكر آخرون أنه لم يكن يبلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا اليراع ، ولا شيء من الهواء ، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وهذا كله فضل من الله وعنايته بهم ليوحّدوه ويعبدوه . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ لقد كان لبياً في مكنتهم آية ﴾ ثم فسرها بقوله عز وجل : ﴿ جنتان عن يمين وشمال ﴾ أي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ أي غفور لكم إن استمررتم عسى التوحيد .

وقوله تعالى : ﴿ فأعرضوا ﴾ أي عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم . وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال المدهد لسليمان عليه السلام : ﴿ وجنتك من سبأ بنياً يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهدون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم سيل العرم ﴾ المراد بالعرم : المياه . قال قتادة وغيره : ضعف السد ووهى وجاءت أيام النبول فصدم الماء البناء فسقط ... فانساب الماء في أسفل الوادي وحرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك . ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الأشجار المشجرة الأبقية النضرة كما قال تعالى : ﴿ وبدلناهم بحجبتهم جنتين ذواتي أكل خمط ﴾ قال ابن عباس وهو الأراك وأكلة البربر ﴿ وائل ﴾ قال ابن عباس : هو الطرفاء وقيل هو السم والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ وهو أجود هذه الأشجار المبدل بها . فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة . والمناظر الحسنة ، والظلال العميقة ، والأنهار الجارية ، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل ، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله تعالى . وتكذيبهم الحق وعدوهم عنه إلى الباطل . ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك جزيتاهم بما كفروا وهل تجازي إلاّ الكفور ﴾ قال مجاهد : ولا يعاقب إلاّ الكفور وقال ابن حاتم عن ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال : جزاء المعصية : الوهن في العبادة . والضيق في المعيشة ، والتعسر في اللذة : قيل : وما التعسر في اللذة قال : لا يصادف لذة حلال إلاّ جاءه من ينقصه إياها .

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَاهِرَةً  
 وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيحَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ (١٨) فَقَالُوا  
 رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا مِنْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ  
 كُلَّ مُزَقٍّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١٩) ﴿

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغيطة . والأماكن الآمنة . والقرى المتراصة المتقاربة مع كثرة أشجارها وزروعها ونمازها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء . بل حيث نزل وجد ماءً وثمرًا . ويقبل في قرية ويبيت في أخرى . بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم . ولهذا قال سبحانه : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ أي كانوا يسبرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة . وقيل هي قرى بصنعاء ﴿ قرى ظاهرة ﴾ أي واضحة يقولون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى : ﴿ وقدرنا فيها السبحة ﴾ أي جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿ سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين ﴾ أي كان أمنهم دائمًا ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة ، وأحجروا مفاوز وصحارى يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل ، والسير في الحرور والمخاوف . كما قال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ وقال هؤلاء : ﴿ ربنا باعد بين أسفارنا ... ﴾ ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾ أي جعلناهم حديثاً للناس وسراً يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وقرق شملهم بعد الاجتساع والإلفة والعيش المنيع . تفرقوا في البلاد ههنا وههنا حتى صاروا مضرب المثل ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا : تفرقوا أيدي سبأ ... وهكذا فقد تفرقوا ... فمنهم من خرج إلى عُمان . وخرجت غثان إلى بصرى . وخرجت الأوس والخزرج إلى يثرب ذات نخل . فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان : هذا مكان صالح لا ينبغي به بدلاً فأقاموا فيه فسموا لذلك خزاعة لأنهم انخرعوا من أصحابهم ، واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة . ونزلت ازد السراة السراة . ونزلت ازد عمان عمان ، ثم أرسل الله تعالى على السد فهدمه . وفي ذلك أنزل الله تعالى هذه الآيات . قال الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة واسمه ميمون بن قيس :

وفي ذلك للمؤتسي أسوة\*  
 ومأرب قفى عليها العرم\*  
 رجام بنته فم حمير  
 إذا جاء مأؤهم لم يرم\*  
 فأروى الزروع وأعنا بها  
 على سعة مأؤهم إذ قسم\*  
 فصاروا أبادي ما يقدرون  
 منه على شرب طفل قطيم\*

وقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ أي أن في هذا الذي حلَّ بهؤلاء من النعمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبه من الكفر والآثام ، لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب . شكور على النعم . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً [٥٦٧] عجبا للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيراً له : إن أصابته سرآه شكر فكان خيراً له . وإن أصابته ضرآه صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن [ كان مطرف يقول : نعم العبد الصبار المشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر .

﴿ وَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْمٍ مِّنْ يُّومِنُ بِالْآخِرَةِ يَمُنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿ (٢١) ﴿

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم المهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم من اتبع إبليس والمهوى ، وخالف الرشاد والهدى . فقال تعالى : ﴿ وقد صدق عليهم إبليس ظنه ﴾ كقوله : ﴿ رأيتك هذا الذي كرمت عليّ لأن آخرتني إلى يوم القيامة لأحتكنّ ذرئته إلا قليلاً ﴾ وقال ﴿ ثم لايتهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾ أي من حجة . قال الحسن البصري : والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شيء . وما كان إلا غروراً وأمانى دعاهم إليها فأجابوه . وقوله عز وجل : ﴿ إلا لتعلمن من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ﴾ أي إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء ، فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا . ممن هو منها في شك ( وربك على كل شيء حفيظ ) أي ومع حفظه ضل من ضل وسلم من سلم

﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَمِيرٍ ﴾ (٢٢) ﴿ وَلَا تَتَفَعَّلُوا الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٢٣) ﴿

بِسْمِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ ، بَلْ هُوَ مُسْتَقَلٌّ بِالْأَمْرِ وَحْدَهُ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أَي مِنَ الْأَلِهَةِ الَّتِي عَبَدْتُمْ مِنْ دُونِهِ : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ ﴾ أَي لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً مُسْتَقِلًّا وَلَا عَلَى سَبِيلِ الشَّرِكَةِ ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَمِيرٍ ﴾ أَي وَبِسْمِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ مِنْ ظَهِيرٍ يَسْتَضَاهُ فِي الْأُمُورِ أَي يُسَاعِدُهُ ، بَلِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فَقَرَاءٌ إِلَيْهِ ، عَبِيدٌ لَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَتَفَعَّلُوا الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ ﴾ أَي لِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ لَا يَجْعُرِيهِ أَحَدٌ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ وَلِهَذَا نَبَتْ فِي الصَّحِيحِينَ قَالَ : ( ... فَاسْجُدْ لِلَّهِ تَعَالَى فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي . وَيَفْتَحَ عَلَيَّ بِمَحَامِدٍ لَا أَحْصِيهَا الْآنَ ثُمَّ يَقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ . وَقُلْ تَسْمَعُ . وَمَلَأْ تَعَطُّهُ . وَاشْفَعُ تَشْفَعُ ... ) (١)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ ﴾ وَهَذَا أَيْضاً مَقَامٌ رَفِيعٌ فِي الْعِظَمَةِ . وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى إِذَا تَكَلَّمَ بِالرُّوحِيِّ فَسَمِعَ أَهْلَ السَّمَوَاتِ كَلَامَهُ ، أُرْعَدُوا مِنَ الْهَيْبَةِ حَتَّىٰ يَلْحَقُهُمْ مِثْلُ الْغَشْيِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ... ﴾ أَي خَلَّتْ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَزَالَ الْفَرْعُ عَنْهَا سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ فَيُخْبِرُ بِذَلِكَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ لِمَنْ تَحْتَهُمْ . حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ الْخَبْرُ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا الْحَقُّ ﴾ أَي أَخْبَرُوا بِمَا قَالَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ .

رَوَى الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ

(١) رابع آية الكرمي رقم /٢٥٥/ من سورة البقرة عند قوله تعالى : « من ذا الذي يشفع ... »

عنه يقول: إن نبي الله ﷺ قال ٥٦٨ [ إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله . كأنه سلسلة على صفوان فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ، قالوا لنبي قال الحق وهو العلي الكبير ، فبسمعها مسروق السمع . ومسروق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده فحرفها ونشر بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته . ثم يلقىها الآخر إلى من تحته . حتى يلقىها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقىها . وربما ألقاها قبل أن يدركه . فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا . كذا وكذا . فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ] انفراد باخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه . وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم .



﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ • (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ • (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ • (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • (٢٧)

يقرر تعالى أنه مفرد بالخلق والرزق والالوهية فكما أنهم أقرروا بأنه لا يرزقهم من السماء والأرض إلا الله . فكذلك فليعلموا أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له أي لا معبود سواه . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أي واحد من الفريقين مبطل . والآخر حق ، لا بد من ذلك . ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي لستم منا ولا نحن منكم . بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيدهِ وإفراد العبادة له . فإن أجبت فأنتم منا ونحن منكم ، وإن كذبت فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا . كما قال تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ﴾ أي يوم القيامة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ﴿ ثُمَّ يَضَعُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي يحكم بيننا بالعدل فيجزئ كل عامل بعمله إن خيراً أو فقيراً وإن شراً فشر ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ أي الحاكم العادل العالم بمخاتق الأمور . وقوله

تبارك وتعالى : ﴿ قل أروني الذين ألحقتم به شركاء ﴾ أي أين الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً ﴿ كلاً ﴾ أي ليس له شريك ولا عديل . ولهذا قال تعالى : ﴿ بل هو الله ﴾ أي الواحد الأحد الذي لا شريك له ﴿ العزيز الحكيم ﴾ أي ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء ، وغلبت كل شيء ، الحكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِزُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٠)

يقول الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ تسليماً : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ أي إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ بشيراً ونذيراً ﴾ أي نبشراً من أطاعك بالجنة ، وتنذيراً من عصاك بالنار . ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ كقوله عز وجل ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [ ٥٦٩ ] أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فإيما رجل من أممي أدركته الصلاة فليصل . وأحدثت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة [ وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال [ ٥٧٠ ] بعثت إلى الأسود والأحمر ] قال مجاهد : يعني الجن والإنس . ثم أخبر تعالى عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ﴾ الآية ثم قال تعالى : ﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ أي لكم ميعاد موجد محدود لا يؤخر ولا يقدم ، كما قال تعالى : ﴿ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ﴾ .





تعالى : ﴿ لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ .

قال ابن حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٧١  
[ إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقاهم طيبها ، ثم لفتحهم لفتح قلم يبق لحم إلا سقط  
على العرقوب ] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا  
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٢٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا  
نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿ (٢٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ  
بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ  
جِزَاءٌ أَلْفُ عَشْرِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَالَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ مَالَهُمْ  
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿ (٢٨)  
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا  
أُنْفِقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٢٩) ﴿

بلسي الله نبيه ورسوله عمداً ﷺ : بأن ما أنت فيه من تكذيب المرفين من قومك  
لك ، إنما هذا حصل مع كل نبي قبلك . فما من نبي إلا كذبه المرفون واتبعه الضعفاء ،  
كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأردلون ﴾ وقال جل  
وعلاها هنا : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير ﴾ أي رسول ﴿ إلا قال مترفوها ﴾ وهم  
أولو النعمة والحشمة والرؤة والرياسة ، قال قتادة : هم جبارتهم وقادتهم ورؤوس  
الشر فيهم : ﴿ إننا بما أرسلتم به كافرون ﴾ أي لا تؤمن به ولا تتبعه .

روى ابن أبي حاتم عن أبي رزین قال ٥٧٢ [ كان رجلاً شريكاً خرج أحدهما إلى  
الساحل وبقي الآخر ، فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله : ما فعلت ... ؟  
فكتب إليه : أنه لم يتبعه أحد من قريش ، إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم . قال فترك  
تجارته ثم أتى صاحبه فقال : دلتني عليه ، قال : وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب ،

قال فأتى النبي ﷺ فقال : إلام تدعو ؟ قال : « أدعو إلى كذا وكذا ... » قال : أشهد أنك رسول الله . قال ﷺ « وما علمك بذلك ؟ » قال : إنه لم يبعث نبي إلا أتبعه أراذل الناس ومساكينهم ، قال : فترلت هذه الآية : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إننا بما أرسلتم به كافرون ﴾ الآية قال فأرسل إليه النبي ﷺ : « إن الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت » [

ويخبر تعالى عن المترفين المكذابين : ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴾ أي افتخروا بكثرة الأموال والأولاد ، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم ، وأنه ما كان ليعطيهم هذه الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة ، ولكن هيهات لهم ذلك . قال الله تعالى : ﴿ أحسبون أننا نخدمهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ وقال ها هنا : ﴿ قل إن ربي يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب ، فيفقر من يشاء ويعني من يشاء ، وله الحكمة التامة البالغة ، والحجة القاطعة الدامغة ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ﴾ أي ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم .

قال الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ٥٧٣ [إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ] ورواه مسلم وابن ماجه ولهذا قال تعالى : ﴿ إلا من آمن وعمل صالحاً ﴾ أي إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح : ﴿ فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ﴾ أي تضاعف لهم الحسنه بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿ وهم في الغرفات آمنون ﴾ أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ، ﴿ والذين يسمعون في آياتنا معاجزين ﴾ أي يسمعون في الصّد عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته ﴿ أولئك في العذاب محضرون ﴾ أي جميعهم محضرون بأعمالهم فيها بحسبهم .

وقوله تعالى : ﴿ قل إن ربي يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ أي بحسب ما له في ذلك من الحكمة ، يسط على هذا . ويقدر على هذا وحكمته لا يدركها غيره وكما هم متفاوتون في الدنيا فكذلك هم في الآخرة ، هذا في الغرفات في أعلى الدرجات ، وهذا في الغرفات في أسفل الدرجات . وأطيب الناس في الدنيا كما قال ﷺ : ٥٧٤ [ قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه ] ورواه مسلم . وقوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ أي مهما أنفقتم مما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم

في الدنيا بالبدن . وفي الآخرة بالجزاء والثواب وفي الحديث ٥٧٥ [ ان ملكين يُصباحان كل يوم يقول أحدهما : اللهم أعط ممكياً ثلغاً . ويقول الآخر : اللهم أعط منفقاً خلفاً ] قال سفيان الثوري : عن مجاهد : لا يتأولن أحدكم هذه الآية : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ إن كان عند أحدكم ما بقيمه ، فليقصد فيه فإن الرزق مقسوم .

﴿ وَتَوْمَ نَخُذُكُمْ بَٰرِعِمًا نُّمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰئِكَةِ أَهٗلَآءَ ۖ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴾ (٤٠) ﴿ قَالُوا سُبْحٰنَكَ ۖ أَنْتَ وَرَبُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ۚ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْحِجْنَ ۚ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٤١) ﴿ قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ وَتَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۖ ٱلَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (٤٢)

يغير تعالى أنه يفرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقرّبوهم إلى الله زلفى ، فيقول للملائكة : ﴿ أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ أي أنتم أمرتموهم بذلك؟ كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ أنتم أضلّتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل ﴾ ﴿ قالوا سبحانك ﴾ أي تنزهت وتقدست عن ان يكون معك إله ﴿ أنت ولينا من دونهم ﴾ أي نبرأ إليك من هؤلاء ونحن عبيدك ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ يعنون الشياطين لأنهم هم الذين أضلّوهم وزينوا لهم عبادة الأوثان ﴿ أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ أي تيرأ الملائكة من عابديهم بغير حق . قال الله عز وجل : ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ﴾ أي لا ينفعكم ما كنتم ترجون نفعه . وادخرتم عبادتهم لئلا هذا اليوم . ﴿ ونقول للذين ظلموا ﴾ أي أنفسهم بعبادة غير الله ﴿ ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي هذا جزاء من عبد غير الله تعالى وكذب بعبادته ولقائه .

﴿ وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ۖ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۖ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْذُوكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُ ۖ أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱللَّهُ لَأَخْلُقَنَّ لَكَ ۖ أَتَبٰرَكُ ٱللَّهُ ۖ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ

مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ  
قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا  
مَعْتَارًا مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

يخبر تعالى عن استحقاق الكفار للعذاب عندما يسمعون آيات الله من لسان رسوله ﷺ ﴿ قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ﴾ يعنون أن دين آباؤهم هو الحق ، ودين محمد هو الباطل عليهم وعلى من كفر من آباؤهم لعائن الله تعالى ﴿ وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى ﴾ يعنون القرآن ﴿ وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ - أي إنهم وصفوا القرآن بأنه سحر واضح ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾ أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسلنا إليهم نبياً قبل محمد ﷺ <sup>(١)</sup> . وقد كانوا يودون أن يعث فيهم نبي فلما من الله عليهم به كذبوه .

ثم قال تعالى : ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ أي من الأمم ﴿ وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ أي من القوة في الدنيا فجحذوا بآيات الله فدمرهم الله وزلزل بلادهم ولهذا قال

(١) قلت : أي ما أنزل الله على العرب بعد إبراهيم صلياً إلا القرآن ولا نبياً بعد اسماعيل إلا محمداً عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام فقد كان العرب منذ زمن اسماعيل عبيد للإسلام إلى زمن عمرو بن لحي ملك العرب على التوحيد وعلى دين إبراهيم واسماعيل وما دخل الشرك وعبادة الأوثان إلا في زمن عمرو بن لحي وقد رآه رسول الله صل الله عليه وسلم في جهنم يتمر في آتائه جزاء إذعانه الشرك عن جزيرة العرب وعبادة الأوثان فيها يومئذ على هذا فإن العرب كانوا مكلفين بدين إبراهيم الذي يدكوه وغيره كما فعل اليهود والنصارى بدين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وإن يكن بين عمرو بن لحي وبين محمد صل الله عليه وسلم أكثر من أربعمائة سنة تقريباً تدريج خلافة الشرك شيئاً شيئاً في جزيرة العرب ، إنما دخل زمان خلال هذه المدة من بلهه الله تعالى فيه تكسر بدين إبراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام وكان العرب يزعمون أنهم ما يزالون على دين إبراهيم صل الله عليه وسلم وكان أولئك الذين أظلموا بتكفير الناس لا يعرفهم موسم ولا سوق من أسواق العرب إلا ويعتقون خطيئة، ويعتقون الناس أنهم على دين غير دين إبراهيم أمثال : قس بن ساعدة الأيادي ، وزيد بن عمرو بن نقيب ، وورقة بن نوفل وغيرهم كثير ون... وكانوا يسؤن بالحنفاء ، فهؤلاء ولا شك قامت بهم الحجة على كل من سمعهم من أهل زمانهم ... حتى أن أمية بن أبي الصلت كان يبشر ويدعو إلى نبي حياقي قريباً ، وكان يظن أنه سيكون ذلك النبي فلما من الله على الثقلين ببعثة محمد صل الله عليه وسلم كثر أمية به لأن النبوة ، وأنه ؟؟؟ والحلاصة أن العرب كانوا مكلفين بدين إبراهيم فكلم من اتبعه فهو موحد ناج ، وأزل من رآه فهو مشرك في الذر والأعداء الصحيحة تنطق بذلك طليع اليها من شاء وصل الله على محمد وآله وصحبه وأحمد لله رب العالمين .

(٣٤- سبأ- ج ٢٢): أيها المشركون تجردوا عن هواكم واحكموا: هل محمد به جنة!!! ٥٤١

تعالى: ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير﴾ أي فانظروا وانعظوا كيف كان عقابي ونكالي وانتصاري لرسلي.



﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفِرَادَىٰ ۖ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ ۚ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦)

يقول تبارك وتعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين بأنك مجنون ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ وهي ﴿أن تقوموا لله مشنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ أي فتموا موقفاً خالصاً لوجه الله تعالى من غير هوى ولا عصبية. واسألوا بعضكم بعضاً ثم اجيبوا بإخلاص: هل محمد به جنون؟ ثم انصحوا بعضكم بعضاً بالحق أي بالاعتراف بأن محمداً عاقل ما به فقط من جنة ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ٥٧٦ [صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش. فقالوا: مالك؟ فقال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني» قالوا: بلى قال ﷺ «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تب يدا أبي لهب وتب﴾ [وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾<sup>(١)</sup>

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۚ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٧) ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْفُؤَادِ﴾ (٤٨) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩) ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَأِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠)

بأمر تعالى نبه محمداً ﷺ أن يقول للمشركين ﴿ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ أي لا أريد منكم أجراً على أداء رسالة الله عز وجل إليكم وأمركم بعبادة الله ﴿إن

أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴿ أي عالم بجميع الأمور وما أنا عليه من تبليغ دينه إليكم . وما أنتم عليه من العمل . وقوله عز وجل : ﴿ قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ من أهل الأرض بالرسالة وهو علام الغيوب فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . وقوله تعالى : ﴿ قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعبد ﴾ أي جاء الحق والشرع العظيم من الله تعالى واضمحل الباطل . ولهذا : ٥٧٧ [ لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح . ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة . جعل يطمئن الضم منها بسية قومه ويقرأ : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ﴿ قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعبد ﴾ [ رواه البخاري ومسلم والترمذي .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ قل إن ضللت فإنا م أضل على نفسي وإن اهديت فيما يوحي إليّ ربّي ﴾ أي الخبير كله من عند الله وما أنزل الله فيه من الهدى والبيان والرشاد ومن ضلّ فإنا م يضلّ من تلقاء نفسه . كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، لما سئل عن تلك المسألة في « المفوضة » أقول فيها برأبي فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنّي ومن الشيطان والله ورسوله بريثان منه . وقوله تعالى : ﴿ انه مسيح قريب ﴾ أي مسيح لأقوال عباده ، قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ ﴿ إِذْ فَرَعُوا ﴾ ﴿ فَلَا قُوَّةَ ﴾ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿ (٥٤) ﴾

يقول تعالى : ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ إذ فرعوا ﴾ أي هؤلاء المكذبون يوم القيامة ﴿ فلا قوت ﴾ أي فلا مفر لهم ولا ملجأ ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ أي أخذوا من أول وهلة حين خرجوا من قبورهم يوم القيامة ، وهو الطامة العظمى ﴿ وقالوا آمنا به ﴾ أي يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسوله . كما قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ ولهذا

( ٣٤ - سبأ - ج ٢٢ ) : لا ينفع الإيمان عند معاينة العذاب ، لانتهاء وقت الإيمان ٥٤٣

قال تعالى ﴿ وأنتى لهم اتناوش من مكان بعيد ﴾ أي لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد . وقوله تعالى : ﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ أي كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل ﴿ ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ كما قال تعالى : ﴿ رجماً بالغيب ﴾ فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن . وتارة يقولون ساحر ، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ويكذبون بالبعث والشور والمعاد ﴿ إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ﴾ أي بالبعث ولا بالجنة ولا بالنار . وقوله تعالى : ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ من الإيمان والتوبة . ولكن أنتى لهم ذلك وليس قوتهم ذلك بوقت إيمان أو توبة إن لم يكونوا قد آمنوا من قبل . وقوله تعالى : ﴿ كما فعل بأشياهم من قبل ﴾ أي كما جرى للأمم الماضية المكذبة من قبل بالرسول لما جاءهم بأسنا . تمنوا لو أنهم آمنوا فلم يقبل منهم ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلقت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنهم كانوا في شكٍ مريبٍ ﴾ فلماذا لم يتقبلوا إيمانهم عند معاينة العذاب : قال قتادة :

إياكم والشك والريبة ، فإن من مات على شكٍ بُعث عليه ، ومن مات على يقينٍ بعث عليه .

آخر اختصار تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

١٣٩٠ / ٥ / ٣٠



نزلت بعد الفرقان

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكُوتِ  
رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ  
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

قوله تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ أي مبدعهما من العدم ﴿ جاعل الملائكة رسلاً ﴾ أي بينه وبين أنبيائه ﴿ أولي أجنحة ﴾ أي يطرون بها ليلفوا ما أمروا به سريعاً ﴿ مثنى وثلث وارباع ﴾ أي منهم من له جناحان ، ومنهم له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك ، كما جاء في الحديث : ٥٧٨ [ أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ] ولهذا قال جل وعلا : ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ﴾ قال السدي . يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء .

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا نُمِرُّكَ لَهَا وَمَا يُمِرُّكَ  
فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢)

يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، روى الإمام أحمد عن وراد مولى المفيرة بن شعبة قال : ٥٧٩ [ إن معاوية كتب إلى



المغيرة بن شعبة ، أكتب لي بما سمعت من رسول الله ﷺ فدعاني المغيرة فكثبت إليه :  
إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا انصرف من الصلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك  
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما  
لمنت ولا ينفع ذا الجند منك الجند وسمعته ينهى عن قبل وقال وكثرة السؤال وإضاعة  
المال ، وعن وأد البنات ، وعقوق الأمهات ، ومنع وهات [ . وأخرجاه وقال الإمام  
مالك رحمة الله عليه : كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا مطروا يقول : مطروا بنوه  
الفتح ، ثم يقرأ هذه الآية ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمك فلا  
مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم )

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَالِقِي  
غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِي  
تَوْفِكُونَ ﴾ (٣) وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ  
تَرْجِعُ الْأُمُورُ • (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ • (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ  
عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ  
النَّارِ • (٦) ﴿

ينبئ تعالى عباده ، ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيدهم في إفراد العبادة له ، كما أنه  
المستقل بالخلق والرزق ، فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد  
والأوثان ، ولهذا قال تعالى ﴿ لا إله إلا هو قاتى توفكون ﴾ أي فكيف تكذبون بعد هذا  
البيان ووضوح هذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان والله أعلم .

ويقول تبارك وتعالى : ﴿ وان يكذبوك ﴾ يا محمد وبخالفوك فيما جنتهم به من التوحيد  
فلك أسوة بمن سلفك من الرسل ، فكذلك كذبهم أقوامهم بما جاؤوا به من البينات ﴿ وإلى  
الله ترجع الأمور ﴾ وسوف يجازيهم بما يستحقون . ثم قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن وعد  
الله حق ﴾ أي المعاد كأن لا محالة ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ أي فلا تلهوا بزهره

الدنيا الغاية . عن الحياة الخالدة المائنة الباقية . ﴿ ولا يفرنكم بالله الغرور ﴾ أي لا يفتنكم الشيطان بعروده . ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته . والغرور هو الشيطان . ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال جل وعلا : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ أي عادوه أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يفرنكم به . ﴿ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه عذاب جهنم نسأله تعالى ان يجعلنا أعداء الشيطان . وان يرزقنا اتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ انه مسيح مجيب .

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

لما ذكر تعالى أن اتباع إبليس مصيرهم الى السعير ، ذكر بعد ذلك أن للكافرين عذاباً شديداً لإطاعتهم الشيطان وعصيانهم الرحمن . وان الذين آمنوا بالله ورسله ﴿ وعملوا الصالحات لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ على أعمالهم الصالحة . ثم قال عز من قائل : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ كالكفار الذين يسيئون ، ويعتقدون أنهم يحسنون صنفاً فمثل هؤلاء ليس لك حيلة فيه ﴿ فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ أي بقدره كان ذلك ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ أي لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره إنما يضل ويهدي من يشاء لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى : ﴿ ان الله عليم بما يصنعون ﴾ له أي علم بذلك وما سيكون منهم قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام .

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِيْرُ سَحَاباً فَسُقْتَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ

الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْرَأُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ  
نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ  
وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ  
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

كثيراً ما يتدلُّ عبادهُ على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها ، كما في سورة الحج  
يَبِّهَ عبادةً أن يعتبروا بهذا على ذلك ، فإن الأرض تكون ميتةً هامدة لا نبات فيها ، فإذا  
أرسل إليها السحاب تحمل الماء ، وأنزله عليها ﴿ اهترت وربت وأنبئت من كل زوج  
بيح ﴾ كذلك الأجساد إذا أراد الله بعثها ونشورها ، أنزل من تحت العرش مطراً يعم  
الأرض جميعاً ، ونبتت الأجساد من قبورها كما نبتت الحبة في الأرض ، ولهذا جاء في  
الصحيح : ٥٨٠ [ كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب ] ولهذا قال  
تعالى : ﴿ كذلك النشور ﴾ وتقدم في سورة الحج حديث أبي رزين ٥٨١ [ قلت : يا  
رسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال ﷺ : يا أبا رزين أما  
مررت بوادي قومك محملاً ثم مررت به بهتز خضراً ؟ قلت : بلى قال ﷺ : فكذلك  
يحيي الله الموتى ]

وقوله تعالى : ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً ﴾ أي من يجب أن يكون عزيزاً  
في الدنيا والآخرة فليزِم طاعة الله تعالى ، فإنه يحصل له مقصوده . لأن الله تعالى مالك الدنيا  
والآخرة ، وله العزة جميعاً . كما قال تعالى : ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون  
المؤمنين إيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾ وقال جل جلاله : ﴿ لله العزة  
ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ فليتعرز المؤمن بطاعة الله عز وجل .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ يعني الذكر والتلاوة والدعاء قاله  
غير واحد من السلف ، وقوله تعالى : ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ قال مجاهد : العمل  
الصالح يرفع الكلام الطيب . وقال ، إياس القاضي : لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام ،  
وقال الحسن وقادة : لا يقبل قول بلا عمل .

وقوله تعالى : ﴿ والذين يمكرون السيئات ﴾ هم المرءون بأعمالهم أي يوهمون أنهم

في طاعة الله تعالى وهم بغضاء إلى الله عز وجل يرايون بأعمالهم . ويدخل في ذلك المشركون وغيرهم ... والمشركون داخلون بطريق الأولى. ولهذا قال تعالى : ﴿ لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ أي يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والتهى . فإنه ما أسراً أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وقلبات لسانه . وكساه الله تعالى رداءها إن خيراً فخير أو شراً فشر . فالمرائي لا يروج أمره ولا ينسر إلا على نهي أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم . بل ينكشف لهم عن قريب . وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ﴾ أي ابتداء خلق أبيكم آدم من تراب . ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ﴿ ثم جعلكم أزواجاً ﴾ أي ذكراً وأنثى . لطفاً منه ورحمة أن جعل لكم أزواجاً من جنسكم لتسكنوا إليها ، وقوله عز وجل : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ أي هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل : ﴿ ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾

وقوله عز وجل : ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴾ أي ما يعطي بعض النطف من العمر الطويل يعلمه وهو عنده في الكتاب الأول ﴿ وما ينقص من عمره ﴾ الضمير عائد على الجنس لا على العين لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره ، وإنما عاد الضمير على الجنس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ يقول : ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزداد عليه ، وليس أحد قدرت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له فذلك قوله تعالى : ﴿ ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ يقول كل ذلك في كتاب عنده وهكذا قال الضحاك . وقال النسائي عند تفسير هذه الآية عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٥٨٢ [ \* من سره أن يسط له في رزقه ويسأله في أثره فليصل رحمه \* ] وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود . روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ٥٨٣ [ ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال : \* إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالذريسة الصالحة يترزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر \* ] وقوله عز وجل : ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ أي سهل عليه ، يسير لديه علمه بذلك

وبتفصيله في جميع مخلوقاته فان علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ  
وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ  
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢)

يبه تعال على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة ، خلق البحرين العذب الزلال وهو الأنهار السارحة العذبة السائغة الشراب ﴿ وهذا ملح أجاج ﴾ أي مرّ وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار وانما تكون مالحة مرة ثم قال تعالى : ﴿ ومن كل تأكلون لحماً طرياً ﴾ يعني السمك ﴿ وتستخرجون حلية تلبسونها ﴾ كما قال تعالى : ﴿ يخرج منها اللؤلؤ والمرجان ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ وترى الفلك فيه مواجر ﴾ أي تمخره وتشقه بمقدمها المسم. وقوله جل وعلا : ﴿ لتبغوا من فضله ﴾ أي بأسفاركم بالتجارة من قطر الى آخر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي تشكرون ربكم على تسخيره لكم وتصرفون فيه كيف شئتم ، وتذهبون أين أردتم . ولا يمنع عليكم شيء منه بل بقدرته تعال قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، الجميع من فضله ورحمته .

﴿ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ  
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ  
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ (١٣) إن  
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُبَشِّرُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ (١٤)

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم في تسخيره الليل بظلامه ، والنهار بضائه ، وبطول كل منهما ويقصر بحسب الفصول ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ والنجوم السيارات والثوابت الثاقبات ، الجميع يسرون بمقدار معين ، وعلى منهاج مقنن محرر ، تقديراً من عزيز عليم ﴿ كل يجري لأجل مسمى ﴾ أي إلى يوم القيامة ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾

أي الذي فعل هذا هو الرب العظيم لا إله غيره ﴿ والذين تدعون من دونه ﴾ أي من الملائكة والصالحين الذين صورت أصنامهم على صورهم أي ﴿ ما يملكون من قطمير ﴾ هؤلاء الذين تدعونهم من الملائكة المقربين والأولياء والصالحين ما يملكون من السموات والأرض شيئاً ولا بمقدار هذا القطمير - وهو اللقافة الرقيقة التي تكون على نواة التمرة - ثم قال تعالى : ﴿ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ﴾ يعني هذه الآلهة التي اتخذتموها من دون الله لا تسمع دعاءكم لأنهم ميتون وتمثيلهم كذلك جماد لا أرواح فيها ﴿ ولو سمعوا ما استجابوا لكم ﴾ أي وعلى افتراض المنحيل إنه وقع وسمعوا ... فإنهم لا يستطيعون الإجابة على ما تطلبون منهم إذ لا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى وحده لا شريك له . كما قال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا ينشئك مثل خبير ﴾ ولا يخبرك بحقائق الأمور وظواهرها وخفاياها ، وعواقبها ومآلها ، مثل ما يخبرك بها خبير بصير ، وهل هو إلا الله تبارك وتعالى ، فانه أخبر بالواقع لا بحالة .



يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْمَتَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى بقوله عز من قائل : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ﴾ أي أنتم المحتاجون إليه في جميع الحركات وهو تعالى الغني عنكم بالذات ، ولهذا قال عز وجل ﴿ والله هو الغني الحميد ﴾ أي المفرد بالغنى وحده لا شريك له وهو الحميد في جميع أحواله وأفعاله قدراً وشرعاً وقوله تعالى : ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾ أي لو شاء لأذهبكم وأتى بغيركم وما ذلك عليه صعب أو ممنوع . ولهذا قال تعالى : ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي يوم القيامة ﴿ وإن تدع مثقلة إلى

حملها ﴿ أي وان تدع نفس مثقنة بأوزارها لتساعد على حمل ولو بعض شيء منه ﴿ لا يُحْمَلُ منه شيء ولو كان ذا قرين ﴾ أي حتى ولو كان أبها أو ابنها أو أخاها أو زوجها أو جارها تتعلق به ليحمل عنها شيئاً من حملها فيقول ما أيسر ما طلبت ولكنني أخوف مثل حوفك فلا استطع ان أعطيك شيئاً وتطلب من جميع من ذكر فيكون الجواب هو هو فذلك قوله تعالى : ﴿ لا يُحْمَلُ منه شيء ولو كان ذا قرين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغيب ﴾ ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ﴾ أي إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنهي . الخائفون من ربهم . الفاعلون ما أمرهم به ﴿ ومن تركني فإني أتركي لنفسه ﴾ أي ومن عمل صالحاً فلإنما يعود نفعه على نفسه ﴿ وإلى الله المصير ﴾ أي إليه المآب وسيجزي كلاً بما يستحق .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ (١٩) وَلَا الظلمات وَلَا

النور ﴿ (٢٠) وَلَا الظلُّ وَلَا الحرور ﴾ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبورِ ﴿ (٢٢) إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿ (٢٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿ (٢٦)

يقول تعالى : كما لا تستوي الأشياء المتباينة المختلفة ، كالأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات ، وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين الذين مثلهم بالأحياء ، والكافرين الذين مثلهم بالأموات ، فلا يستوون . فالؤمن بصير يمضي في نور على صراط مستقيم في الدارين ، حتى ينتهي الى الجنات ذات الظلال والعيون ، والكافر أعمى أصم يمضي في ظلمات لا خروج له منها ، تائه في غيه وضلاله في الدارين حتى يفضي به ذلك الى الحرور والسعوم والحميم ، وظل من محسوم لا بارد ولا

كريم . وقوله تعالى : ﴿ إن الله يُسمع من يشاء ﴾ أي يهديهم إلى سماع الحجّة وقبولها والانتقاد لها ﴿ وما أنت بمسمعٍ من في القبور ﴾ أي كما لا ينتفع الموتى بعد موتهم وهم كفاراً باغداية والدعوة إليها ، كذلك المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم <sup>(١)</sup> ﴿ إن أنت إلا نذير ﴾ أي إنما عليك البلاغ والإنذار ، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ﴾ أي بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ أي وما من أمة خلت من نبي آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العليل . كما قال تعالى : ﴿ إنما أنت منظر ولكل قوم هاد ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ وهي المعجزات الباهرات ﴿ وبالزبُر ﴾ وهي الكتب ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ أي الواضح البين ﴿ ثم أخذت الذين كفروا ﴾ بالعقاب والنكال ﴿ فكيف كان تكبير ﴾ أي فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيماً شديداً بليغاً . والله تعالى أعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿ (٢٨) ﴾

ينبه تعالى على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد ، وهو الماء الذي ينزله من السماء ، يخرج به ثمرات مختلفة الألوان من أصفر وأحمر وأخضر

(١) قلت : لما كان الأموات لا يسمعون لأن حاسة السمع وسائر حواسهم قد تعطلت وفنيت بسبب الموت ، كذلك فإن حال الكفار الذين اختاروا الكفر على الإيمان ، صوا آذانهم عن كل حجة . فلم يسمروا بها كمر الداعي حبيبه ويراهيه . . . نشبه الله حالهم التي هم عليها ، كحال الأموات الذين لا يسمعون . فكما أن الأموات لا يسمعون الدعوة هما كمرت عليهم ، كذلك هؤلاء الكفار صار حالهم كحال الأموات من حيث عدم السماع . ولو أن الأموات يسمعون لما صح التشبيه بهم . ولكن لما شبه الله الكافرين بالأموات علم قطعاً أن الأموات لا يسمعون ، لا سيما وإن الله تعالى يقول : ﴿ وما أنت بمسمعٍ من في القبور ﴾ والله أصدق القائلين .



وأبيض الى غير ذلك من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها ، كما قال تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون ﴾

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ﴾ أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة فمن الجبال ما هو ابيض وأحمر ، ﴿ وغرايب سود ﴾ قال عكرمة : الغرايب الجبال الطوال السود ، وقوله تعالى : ﴿ ومن الناس والبهائم والأنعام مختلف ألوانه كذلك ﴾ أي كذلك الحيوانات من الأناسي والبهائم والأنعام هي مختلفة أيضاً فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم في غاية السواد وصقالبه وروم في غاية البياض والعرب بين ذلك والمنود دون ذلك ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآياتٍ للعالمين ﴾ وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منهم يختلف الألوان بل الحيوان الواحد يكون أبلق فيه من هذا اللون ومن هذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ أي اتعنا يخشاه حتى خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة بالعظيم التقدير العلم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى ، أمم ... والعلم به أكمل ... كانت الخشية له أكبر وأعظم وأكثر . وقال الحسن البصري : العالم من يخشى الرحمن بالغيب ، ورغب فيما رغب الله فيه ، وزهد فيما سخط الله فيه ثم تلا الحسن : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾

﴿ إِنَّا الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (٢٩) لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿ (٣٠) ﴾

يخبر تعالى عن المؤمنين الذين يتلون كتابه ويعملون بها فيه من اقام الصلاة والإنفاق بما رزقهم الله تعالى في الأوقات المشروعة ليلاً ونهاراً ﴿ سرّاً وعلانية ﴾ يرجون تجارة لن

تور ﴿ أي يرجون ثواباً لا بد من حصوله من عند الله تعالى لأن القرآن يقول لصاحبه : ان كل تاجر من وراء تجارته . واثك اليوم من وراء كل تجارة . وهذا قال تعالى : ﴿ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ أي ليوفيهم ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تحظر لهم ﴿ انه غفور ﴾ أي لذنوبهم ﴿ شكور ﴾ لتقليل من أعمالهم . وقال قتادة : كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول : هذه آية القراء .

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (٣١)

يقول تعالى : ﴿ والذي أوحينا اليك ﴾ يا محمد ﴿ من الكتاب ﴾ وهو القرآن . ﴿ هو الحق مصدقاً لما بين يديه ﴾ من الكتب المتقدمة يصدقها كما شهدت له بالتبويه . وأنه منزل من رب العالمين ﴿ إن الله بعاده لخبير بصير ﴾ أي خير بهم ، بصير عن يستحق ما يفضله به على من سواه . ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر . وفضل النبيين بعضهم على بعض ، ورفع منزلة محمد ﷺ فوق جميعهم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٣٢)

يقول تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ أي هذه الأمة فقد أورثها هذا القرآن العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ وهو المفرط يفعل بعض الواجبات ويرتكب بعض المحرمات ﴿ ومنهم مقتصد ﴾ وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات . وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات ، ﴿ ومنهم سابق بالخيرات ياذن الله ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات .

روى الحافظ أبو القاسم الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ﴿ فمنهم ظالم

لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴿ قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٨٤ [ كلهم من هذه الأمة ] .

روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٥٨٥ [ قال الله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حساباً يسيراً ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحاسبون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون : ﴿ الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ [

قال بعضهم ان الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ، والصحيح ان الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير ، كما هو ظاهر الآية وكما تقدمت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً واكتفينا بإيراد ما تيسر ... فاذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة في هذه الأمة فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة ٥٨٦ [ ... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يرثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ] (١) .

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ  
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ • (٢٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ  
عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ • (٢٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ  
الْمَقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ • (٣٥) ﴿

يخبر تعالى أن هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة ، مأواهم جنات عدن يدخلونها يوم قدومهم على الله عز وجل ﴿ يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ﴾ كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٥٨٧ [ تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء . ] ﴿ ولباسهم

(١) من حديث رواه الإمام أحمد عن أبي الدرداء مرفوعاً .

فيها حرير ﴿ ولهذا كان محظوراً عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ٥٨٨ [ من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ] وقال الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٨٩ [ ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في النشور ، وكأني أنظر اليهم عند الصيحة يفضون رؤوسهم من التراب يقولون : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور ﴾ ] قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : غفر لهم الكثير من السيئات ، وشكر لهم اليسير من الحسنات ﴿ الذي أحلنا دار المقامة من فضله ﴾ يقولون أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته ، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك . كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ٥٩٠ [ لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « لا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمته متوفضاً ] ﴿ لا يمنا فيها نصب ولا يمنا فيها لغوب ﴾ أي لا يمنا فيها عناء ولا إعياء ، أي لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم . وصاروا في راحة دائمة مسترة ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ ﴿ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْتَرِكُمْ مَا يَنْذَرُكُمْ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَتَجَاءُكُمْ الْأَنْذَارُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ ﴿ (٣٧) ﴾

لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء ، شرع في بيان ما للأشقياء ، فقال جل وعلا : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضي عليهم فموتوا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ وثبت في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ قال : ٥٩١ [ « أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ] فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ، ولكن لا سبيل إلى ذلك ثم قال تعالى : ﴿ كذلك نجزي كل كافر ﴾ أي هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق . وقوله جلت عظمته : ﴿ وهم يصرخون فيها ﴾ أي ينادون فيها يجارون إلى الله عز وجل بأصواتهم : ﴿ ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي



يخبر تعالى أنه يعلم غيب السموات والأرض وأنه يعلم ما تخفيه السموات، وسيجازي كل عامل بعمله ثم قال تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي يخلف قوم الآخرين قبلهم. كما قال تعالى: ﴿ويجعلكم خلائف الأرض فمن كفر فعليه كفره﴾ أي فإنا يعود وبال ذلك عليه، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقادير، كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طاب عملهم حسن عملهم، وارتفعت درجاتهم ومنزلهم في الجنة وزاد أجرهم وأحبهم خالقهم وبارئهم رب العالمين.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يُبَدِّئُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِن أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾



يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ هذا تحدي من الله للذين يعبدون سواه وإعجاز لهم بأنه هو خالق السموات والأرض، وكل شيء... فماذا خلق الذين من دونه حتى تعبدوهم؟ والجواب ليس للأنداد والمعبودين معه أي ملك، وكيف وأنهم هم المملوكون المرئوبون لله تعالى، أنهم ما يملكون من قطير ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ أي أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر؟ الجواب ليس: الأمر كذلك ﴿بَلْ إِن يُبَدِّئُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ أي بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وما هي إلا غرور وباطل وزور. ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السموات والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي تضطربا عن أماكنهما كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ولئن زالتا إن أمسكتهما من أحد من بعده ﴿أَي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ دَوَامِهِمَا وَإِقَامِهِمَا إِلَّا هُوَ﴾

ومع ذلك حلیم غفوره أي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه ، وهو يحلم فيؤخر .  
وينظر ويؤجل ولا يعجل ، ويستأخرين ويفقر. ولهذا قال تعالى ﴿ إنه كان حلیماً  
غفوراً ﴾

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ  
أَهْدَىٰ مِنْ إِهْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا  
فُجُورًا ۝ (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ  
الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ فَلَنْ نَجِدَ  
لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝ (٤٣) ﴾

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم  
لئن جاءهم نذير ليكُوننَّ أهدي من إهدى الامم كقوله تعالى ﴿ وان كانوا ليقولون لو أن  
عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ﴾ قال تعالى :  
﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ وهو محمد ﷺ بما أنزل معه من الكتاب العظيم ﴿ ما زادهم إلا  
فجوراً ﴾ أي ما ازدادوا إلا كفراً إلى كفرهم . ثم بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ استكباراً في  
الأرض ﴾ عن اتباع آيات الله ﴿ ومكر السيئ ﴾ أي مكروا بالناس في صدقهم إيمانهم عن  
سبل الله ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ أي وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم  
دون غيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين ﴾ يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم  
رسله ومخالفتهم أمره ﴿ ولن نجد لسنة الله تبديلاً ﴾ أي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية  
كذلك في كل مكذب. ﴿ ولن نجد لسنة الله تحويلاً ﴾ أي ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوء فلا  
مرده ﴾ .

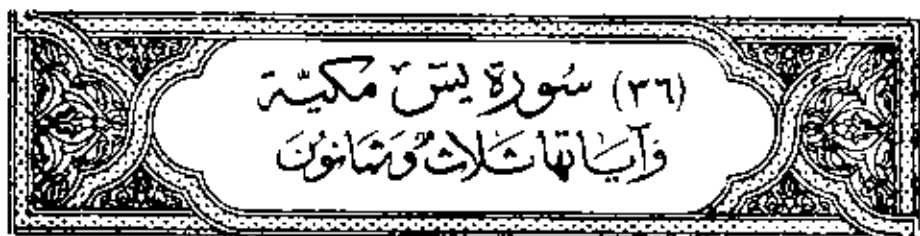
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُجْزَهُ مِنْ

شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيرًا ﴿٤٤﴾  
 وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ  
 وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ  
 بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بك وبرسالتك ، سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة مكذبي الرسل ، كيف دمرهم الله ، فخلت منهم منازلهم وملبسوا نعيمهم برغم كثرة الأولاد والأموال والعديد والعديد فما أغنى كل ذلك شيئاً ، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء . ﴿ إنه كان عليماً قديراً ﴾ عليهم بكل الكائنات قدير على مجموعها . ثم قال تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك أهل الأرض وما يملكونه من دواب وأرزاق قال سعيد بن جبير والسدي في قوله تعالى ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ أي لما سقاهم المطر فماتت جميع الدواب . ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ ولكن يؤجلهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويثيب أو يعاقب كللاً بما يستحق . ولهذا قال تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ أي يعطي كل ذي حق حقه .

آخر اختصار تفسير سورة فاطر والله الحمد والمنة وهو الموفق وعليه التكلان





إِلَّا آيَةَ / ٤٥ / فمذنية نزلت بعد سورة الجن

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ﴿يس﴾ (١) • وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ • (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • (٣) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ • (٥) لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ • (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • (٧) ﴿﴾

قد تقدم الكلام على الأحرف المقطعة في أول سورة البقرة . ﴿والقرآن الحكيم﴾ أي المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿إلك﴾ يا محمد ﴿لمن المرسلين﴾ على صراط مستقيم ﴿أي على منهج ودين قويم وشرع مستقيم﴾ ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ أي هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به تنزيل من رب العالمين رب العزة الرحيم بعباده المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿وإنك لتنهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ . وقوله تعالى : ﴿لننذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ يعني بهم العرب فإنه ما أتاهم من نذير قبله <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ قال ابن جرير : لقد وجب العذاب على أكثرهم بأن الله تعالى قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون ﴿فهم لا يؤمنون﴾ بالله . ولا يصدقون رسله <sup>(٢)</sup> .

(١) راجع التعليق . سورة سبأ الآية / ١١ /

(٢) نيس في هذه الآية الكريمة مفهوماً سببياً فط وسبعون الله عن ذلك . أما الحتم التوارد في كلام ابن جرير المنزور إلى الله سبحانه وتعالى فالمقصود منه ان الله تعالى حتم عليهم أنهم لا يؤمنون . لأنه علم تعالى -

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَقُونَ ﴾ (٨)  
 وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا  
 يُبْصِرُونَ • (٩) وَسِوَاهُ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا  
 يُؤْمِنُونَ • (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذَّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ  
 بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ • (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى  
 وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ  
 مُبِينٍ • (١٢) ﴿

يقول تعالى : إِنَّا جَعَلْنَا نَسَبَ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَمِ عَلَيْهِم بِالثَّقَاءِ كَنَسَبِ مَنْ جُعِلَ فِي عُنُقِهِ  
 غُلٌّ ، فَجَمَعَ يَدَيْهِ مَعَ عُنُقِهِ نَحْتِ ذِقْفِهِ فَارْتَفَعَ رَأْسُهُ فَصَارَ مُقْمَعًا وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَهُمْ  
 مُقْمَقُونَ ﴾ . وَالْمَقْمَعُ هُوَ الرَّافِعُ رَأْسَهُ ، كَمَا قَالَتْ أُمُّ زُرْعٍ فِي كَلَامِهَا : وَأَشْرَبَ فَأَنْقَمَحَ ،  
 أَي أَشْرَبَ فَأَرَوَى وَأَرَفَعَ رَأْسِي تَهْنِئًا وَتَرَوِيًّا . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً  
 إِلَى عُنُقِكَ ﴾ . يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ أَيْدِيَهُمْ مَوْثِقَةٌ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْطُورُوا بِمُخِيرٍ .  
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾ . عَنِ الْحَقِّ ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ . عَنِ الْحَقِّ  
 أَيْضًا ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . أَي أَغْشَيْنَا أَبْصَارَهُمْ عَنِ الْحَقِّ فَلَا يَتَفَعَّلُونَ بِغَيْرِ وَلَا  
 يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ أَي إِلَى الْإِسْلَامِ . قَالَ عِكْرِمَةُ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : لَنْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا لَأَفْطَلَنَ  
 وَلَا فُطْلَنَ فَأَنْزَلَتْ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . قَالَ :  
 وَكَانُوا يَقُولُونَ لَهُ : هَذَا مُحَمَّدٌ ، يَقُولُ : أَيْنَ هُوَ أَيْنَ هُوَ ؟ لَا يُبْصِرُهُ . رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ .  
 وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَسِوَاهُ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . أَي قَدْ  
 خَتَمَ عَلَيْهِمُ بِالضَّلَالَةِ فَمَا يَفِيدُ فِيهِمُ الْإِنذَارَ ، وَلَا يَتَأَثَّرُونَ بِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَظِيرُهَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ  
 الْبَقَرَةِ .

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذَّكْرَ ﴾ . أَي إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْإِنذَارِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّبِعُونَ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

= منهم أنه ستمرض عليهم دعوة الحق، وسيختارون الكفر على الإيمان بعد قيام الحجة عليهم من قبل الرسل،  
 أو من سيكونون على قدم الرسل في الحياة الدنيا... أجل علم الله تعالى منهم كل ذلك... وأهم سيختارون  
 الكفر وأنه يقع منهم ضللا في الحياة الدنيا... فكتب عليهم ما سيفعلونه وقدره . وذلك قبل أن يخلق  
 السموات والأرض بخمسين ألف عام، فكل من علم الله منه ذلك وكتبه وقدره عليه، فلا بد فاعله في الدنيا .

﴿ وخشي الرحمن بالغيب ﴾ أي من حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى . ويعلم أن الله مطلع عليه ﴿ فبشره بمغفرة ﴾ أي لذنوبه ﴿ وأجر كريم ﴾ أي كبير . كما قال تعالى : ﴿ إن الذين ينجسون ثيابهم بالغيث لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ ثم قال عز وجل : ﴿ إننا نحن نحيي الموتى ﴾ أي يوم القيامة . ﴿ ونكتب ما قدموا ﴾ أي من الأعمال . وفي قوله تعالى : ﴿ وآثارهم ﴾ قولان :

الأول : نكتب أعمالهم التي يباشرونها بأنفسهم . وآثارهم التي تركوها من بعدهم : كقوله ﷺ : ٥٩٤ ] من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً [ رواه مسلم عن جرير بن عبدالله الجلي مرفوعاً وفيه قصة : مجتاهي التمار المضربين ، ورواه ابن أبي حاتم عن جرير رضي الله عنه مرفوعاً .

الثاني : أن المراد بذلك : آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية وقد وردت أحاديث في هذا المعنى نورد منها ما يسر : قال الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : دخلت البقاع حول المسجد ، فأراد بنو سلمة أن يتنقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم إنه بلغني أنكم تريدون أن تتنقلوا قرب المسجد ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : ٥٩٥ ] يا بني سلمة ، دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم [ . وهكذا رواه مسلم عن جابر (١) .

ولا تنافي بين القولين بل في القول الثاني تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأوّل والأخرى فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلأن تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأول والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ ، والإمام المبين مهتد هو أم الكتاب . أما كتاب الأعمال فهو الذي تحصى فيه أعمال المكلفين من خير أو شر وهو المعنى في قوله تعالى : ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾

(١) يعني : التزموا دياركم فإن آثار خطاكم إذ تسعدت تكتب لكم بعدد حداث . وتحط منكم بعدد سيئات . وفي رواية الترمذي : فتم يتنقلوا ...

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾  
 إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ  
 مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ  
 شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ  
 لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى: ﴿واضرب لهم﴾ أي لقومك الذين كذبوك ﴿مثلاً﴾ أصحاب القرية إذ  
 جاءها المرسلون ﴿يقال﴾ إنها مدينة انطاكية وكان بها ملك يعبد الأصنام اسمه انطيوخس ،  
 بعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل فكذبهم وقد استشكل بعض الأئمة كونها انطاكية  
 بما سذكروه بعد تمام القصة ان شاء الله تعالى . وقوله تعالى : ﴿اذ أرسلنا إليهم اثنين  
 فكذبوهما﴾ أي بادروهما بالتكذيب ﴿فعززنا بثالث﴾ أي شددنا أزرهما برسول ثالث  
 ﴿فقالوا﴾ أي لأهل تلك القرية ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ أي من ربكم الذي خلقكم بأمركم  
 بعبادته وحده لا شريك له، ﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثنا﴾ أي فكيف أوحى إليكم وأنتم  
 بشر مثنا؟! ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة ، وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة . كما  
 أخبر تعالى عنهم: ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا﴾ ؟! أي  
 استعجبوا من ذلك ، وفي ذلك آيات عديدة ولذا قال هؤلاء: ﴿ما أنتم إلا بشر مثنا وما  
 أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذيبون قالوا ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون﴾ أي  
 أجابهم الرسل الثلاثة : الله يعلم أننا رسله إليكم ولو كنا كذبة عليه لانقمنا أشد الانتقام  
 ولكنه سينصرنا عليكم. ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ أي ما علينا إلا إبلاغكم ما أرسلنا  
 به إليكم فإن أظعم فلكم سعادة الدارين وإن عصيتم فعليكم مغبة ذلك .

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِنَمَسِّنَنَّكُمْ  
 مِنْهَا عَذَابَ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ  
 أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

عندها قال لهم أهل القرية ﴿إننا تطيّرنا بكم﴾ أي نشاء منا بكم فإن أصابنا شر فمن

أجلكم ﴿ لئن لم تنتهوا لرجمنكم ﴾ بالحجارة ﴿ وليسننكم منا عذاب اليم ﴾ أي عقوبة شديدة فقالت لهم رسلهم ﴿ طائركم معكم ﴾ أي مردود عليكم ﴿ أن ذكرتم ﴾ أي من أجل أننا ذكرناكم بالحق قابلتمونا بالتهديد والوعيد ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَأْتِيكُمُ الْبُرْهَانُ وَأَنْتُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدُّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْ أَرَادَنِيَ كِتَابٌ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ آمَنُتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾

قال ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة ساعياً لينصرهم من قومه ﴿ قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ أي يعض على أتباع رسلهم ﴿ اتبعوا من لا يأتيكم البرهان ﴾ أي على إبلاغكم رسالة الله ﴿ وهم مهتدون ﴾ فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني ﴾ أي ما يعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أي يوم المعاد ليجزي كلاً بعمله ﴿ أتخذ من دونه آله ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ﴿ إن يردي الرحمن بضرٍ لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ﴾ أي هذه الآلهة التي تعبدونها لا يملكون من الأمر شيئاً ، فلو أرادني الله تعالى بسوء لا تستطيع هذه الآلهة النقاذي ﴿ إني إذا لفي ضلال مبين ﴾ أي إن اتفقت آلهة من دون الله تعالى . ﴿ إني آمنت بربكم ﴾ أي يخاطب الرسل : إني آمنت بربكم الذي أرسلكم ﴿ فاسمعون ﴾ أي اسمعوا ما أقول لشهدوا لي بما آمنت به من توحيد الله تعالى ، وما اتبعتم عليه من الحق . فلما قال ذلك للرسول عليهم الصلاة والسلام وثب عليه قومه فقتلوه ولم يكن أحد له يمنع عنه . وقال قتادة : جعلوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون فلم يزل يقول حتى لفظ أنفاسه رضي الله عنه وأرضاه . ﴿ قيل ﴾ أي قال الله له ﴿ أدخل الجنة ﴾ فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها ، فلما رأى ثوابه ﴿ قال يا ليت قومي يعلمون ﴾

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ يَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٧) ﴿ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ (٢٨) ﴿ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ (٢٩) ﴿

قيل ، أي قال الله تعالى له : ﴿ ادخل الجنة ﴾ فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها فلما رأى ما من الله عليه من الثواب العظيم : ﴿ قال يا ليت قومي يعلمون ﴾ قال ابن عباس : نصح قومه في حياته بقوله : ﴿ يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ وبعد مماته في قوله : ﴿ يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربِّي وجعلني من المكرمين ﴾ . ومراده : أنهم لو اطلعوا على ما حصل لي من النعم المقيم ، والثواب العظيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل فرحمه الله ورضي عنه كم كان حريصاً على هداية قومه .

روى ابن أبي حاتم عن ابن عمير قال : قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه للنبي ﷺ : ٥٩٦ [ ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام ؛ فقال رسول الله ﷺ : إني أخاف أن يقتلوك ] فقال : لو وجدوني نائماً لما أيقظوني . فقال له رسول الله ﷺ « انطلق » فانطلق ، فمر على اللات والعزى ، فقال : لأصحبك غداً بما يسوءك فغضبت ثقيف فقال : يا معشر ثقيف إن اللات لا لات ، وإن العزى لا عزى وأسلموا تسلموا ، يا معشر الأحلاف إن العزى لا عزى وإن اللات لا لات أسلموا تسلموا ، فقال ذلك ثلاث مرات ، فرماه رجل فأصاب أكحله (١) فقتله فبلغ رسول الله ﷺ فقال : ه هذا مثله كمثل صاحب يس . ﴿ قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربِّي وجعلني من المكرمين ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ﴾ يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضباً منه تبارك وتعالى عليهم ، لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه ، ويذكر عز وجل أنه ما أنزل عليهم من أجل إهلاكهم جنداً من الملائكة بل الأمر كان أيسر من ذلك ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ أي فصاح عليهم صائح - قيل جبريل عليه السلام - صيحة واحدة ﴿ فإذا هم خامدون ﴾ عن آخرهم لم يبق بهم روح تردد في جسد .

(١) الأكحل عرق في اللداع .

قبل ان الرسل الثلاثة رسل المسيح عليه السلام الى بلدة انطاكية وهذا غير صحيح من وجوه :

- ١ - لو كانوا رسلاً للمسيح عليه السلام لقالوا عبارة تناسب أنهم مرسلون من قبله .
- ٢ - المعلوم أن أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح وهي أول مدينة آمنت بالمسيح بينما ذكر الله ان أهل هذه القرية كذبوا رسله وأنه أهلكتهم بصيحة واحدة أخذتهم
- ٣ - ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغير واحد من السلف أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين فعلى هذا يتعين ان هذه القرية غير انطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف فإن انطاكية لم يعرف أنها أهلكت في النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ • (٢٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ • (٢١) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِعُ لَدَيْنَا مُحَضَّرُونَ • (٢٢) ﴿

قال الله تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ أي يا حسرتهم على أنفسهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب كيف ضيعوا أمر الله تعالى وفرطوا في جنبه ولكن لا تنفعهم إذ ذلك الحسرات فصرف يلقون العذاب الأليم لأنهم : ﴿ ما يأتيتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ أي يكذبونه ويسخرون منه ويحسدون ما أرسل به من الحق . ثم قال تعالى : ﴿ ألم يروا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي ألم يتعظوا بمن أهلكت قبلهم من المكذبين بالرسل كيف لم يكن لهم إلى الدنيا كرة ولا رجعة . كما قال الله عنهم : ﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ وهم القائلون بالدور من الدهرية ويعودتهم الى الدنيا ثانية فذكرهم بمن خلا من قبلهم هل عادوا ؟ ... فكيف هم يعودون ...؟! ﴿ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها . والقيامة هي هذه ليس قبلها قيامة وعودة

إلى الدنيا (١).

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنْهَا مِنْ الْعِيُونِ ﴾ (٢٤) ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢٥) ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٦) ﴿

يقول تبارك وتعالى : ﴿ وآية لهم ﴾ أي دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى ﴿ الأرض الميتة ﴾ أي إذا كانت هامة لا نبات فيها فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء أنبت كل ما فيها. ولهذا قال تعالى : ﴿ أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴾ أي جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم ﴿ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴾ أي جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة يحتاجون إليها لياكلوا من ثمره. وقوله جل وعلا : ﴿ وما عملت أيديهم ﴾ أي غرسوه ونصروه. وإلا ففي الحقيقة ما كان إلا رحمة الله تعالى بهم. لا بسعيهم ولا كدهم ولا يحولهم وقوتهم، ولهذا قال تعالى : ﴿ أفلا يشكرون ﴾ أي فهلا يشكرونه على ما أنعم عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى ، ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ﴾ أي من زروع وثمرات ونبات ﴿ ومن أنفسهم ﴾ فجعلهم ذكرا وأنثى ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ أي من مخلوقات شئ لا يعرفونها كما قال جل جلت عظمته : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾

(١) قلت : إن فكرة العودة إلى الدنيا مرة ثانية مع أنها عقيدة الكافرين الأول... ما يزال بين المسلمين من يقول بهذه العودة إلى الدنيا ويجعلون هذا لأوليائهم عندما يتأدوهم ويستغيثون بهم كترجيع الكرب !! أليست هذه أمهم يحضرون حالا لنجدهم في حيات مختلفة ويدعون أنهم يرونهم ويكلمونهم فأهل يا أيها المسلم كم هو أثر إبليس العيين في نفوسهم إلى درجة جعلهم يعتقدون بعقيدة الكفار السابقين وهم يظنون أنهم ما يزالون من أمة محمد صل الله عليه وسلم ويقولون : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يقولونها ترداداً من غير فهم بدليل أنهم يتفلسفونها وهم لا يشعرون وذلك بدعائهم واستغاثتهم بغير الله في أمور لا يكشفها عنهم إلا الله تعالى وإن ما يرونه من الخيالات ما هي إلا الشيطان تمكّل لهم بمن يتأدون ليزيدهم ظمئاً وتضيئاً في الشرك نموذجاً بالله من الخلال وسوء المنقلب. اللهم ثبتنا على : « إياك نعبد وإياك نستعين » .



﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَلْخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴾ (٣٧)  
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ (٣٨)  
 وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ نَازِلٍ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ (٣٩) لَا  
 الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ تُسَابِقُ النَّهَارَ وَكُلٌّ فِي  
 فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿ (٤٠) ﴿

يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة . خلق الليل والنهار يتعاقبان بالظلام والضياء والمحيء والذهاب . كما قال تعالى : ﴿ يعنى الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ أي تقطعه منه فيذهب فيقبل الليل ﴿ فإذا هم مظلمون ﴾ كما جاء في الحديث : ٥٩٧ [ إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس . فقد أفطر الصائم ] وقوله جل جلاله : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ المراد مستقرها المكاني ، وهو تحت العرش .

روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : ٥٩٨ [ كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال ﷺ « يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس » قلت : الله ورسوله أعلم قال ﷺ « فإنها تذهب حتى تجدد تحت العرش . فذلك قوله تعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ ] وقيل : المراد بمسقرها هو انتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو انخفاض ثم قال جل وعلا : ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ أي جعلناه يسير سيراً آخر يستدل به على مضيّ الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار . كما قال عز وجل : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ وقال تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ فجعل الشمس لها ضوء ينحصها ، والقمر له نور ينحصه . وفاوت بين سير هذه وهذا فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ، ولكن تنقل في مطالعها ومغاربها صيفاً وشتاءً . يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل . ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار فهي كوكب ناري . وأما القمر فقدرة منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضيلاً قليل النور ، ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزلة . ثم كلما ارتفع ازداد ضياءً وان كان مقبلاً

من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم أي كعنتق التمر اليابس المنحني \* ثم بعد هذا يديه الله تعالى جديداً في أول الشهر الآخر وهكذا ... وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ﴾ قال المجاهد : لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه ، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا .

وقوله تعالى : ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ أي لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ ، لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلباً حثيثاً .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء . كفضلك المغزل لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به .

﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (٤١)  
 وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُفْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿ (٤٤) ﴿

يقول تبارك وتعالى : ودلالة لهم أيضاً على قدرته تبارك وتعالى تسخيره البحر ليحمل السفن ، فمن ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ، التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ، ولهذا قال عز وجل : ﴿ وآية لهم أننا حملنا ذريتهم ﴾ أي آباءهم ﴿ في الفلك المشحون ﴾ أي في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات التي أمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وقال الضحاك وابن زيد : وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام . وقوله جل وعلا : ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ يعني بذلك الأبل فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبوها والأنعام جميعاً <sup>(١)</sup> قال ابن عباس هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه السلام على مثلها. وقوله عز وجل : ﴿ وإن نشأ نفرقهم ﴾ يعني الذين في السفن ﴿ فلا

(١) وقد امتن الله تعالى على عباده بأن هداهم إلى عمل النجارات والطائرات وجميع المركب الآتية .

صريح لهم ﴿ اي لا مغيث لهم ﴾ ﴿ ولا هم يُنقذون ﴾ أي مما أصابهم : ﴿ الا رحمة منا ﴾ أي لا تغفرون الا برحمة منا. ولهذا قال تعالى : ﴿ ومتاعاً الى حين ﴾ أي الى أجل مسمى ووقت معلوم عنده عز وجل .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٤٥) ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (٤٦) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِمُ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٤٧)

يخبر تعالى عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم ، فقال جل وعلا : ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم ﴾ أي ما بين أيديكم من الذنوب التي تقترفونها وما ستقبلون من العذاب يوم القيامة ﴿ لعلمكم ﴾ رجاء أن يغفر لكم باتقائكم ذلك ﴿ ترحمون ﴾ فتأمنون من عذابه ، ولكنهم أعرضوا عن ذلك ولهذا قال عز وجل : ﴿ وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم ﴾ على صدق الرسل بما جاؤا به من عند ربهم ، ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾ أي لا يقبلونها ولا ينتفعون بها ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا مما رزقكم الله ﴾ أي على الفقراء والمحاويج من المسلمين ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق عما جين لهم فيما أمرهم به : ﴿ أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾ أي نحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم ﴿ إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾ أي في أمركم لنا بالإنفاق .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨) ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (٤٩) ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٥٠)

يخبر تعالى عن استبعاد الكفار لقيام الساعة في قولهم ﴿ متى هذا الوعد ﴾ كقولهم تعالى : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ قال الله عز وجل ﴿ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴾ أي ما ينظرون إلا صيحة واحدة، وهذه - والله أعلم -

نفخة القزع . ينفخ في الصور نفخة القزع . والناس في اسواقهم ومعابشهم يختصمون وينشاجرون على عادتهم . فبينما هم كذلك إذ أمر الله إسماعيل فتنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصفى لينا ورفع لينا وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء . ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولذا قال تعالى : ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ أي على ما يملكونه ، الأمر أهم من ذلك ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ من أعمالهم وأسواقهم ، ثم يكون بعد هذه النفخة الصعق التي تموت فيها المخالين ، ثم بعد ذلك نفخة البعث .

﴿ وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَنَا الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث وهذا قال تعالى : ﴿ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ والنسلان هو المشي السريع كما قال تعالى : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يعثون منها ، فلما عابنوا ما كذبوا به في محشرهم : ﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ وهذا لا ينفي صوابهم في قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد فيقول المؤمنون منهم محبين : ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ وقيل تجيبهم الملائكة . وقوله تعالى : ﴿ ان كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ فانما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ أي انما تأمرهم أمراً واحداً ، فإذا الجميع محضرون ﴿ فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ﴾ أي من عملها ﴿ ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ (٥٥) هُمْ

وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ • (٥٦) لَّهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ  
وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ • (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ • (٥٨)

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات ، فنزلوا في  
روضات الجنات . ﴿ في شغل فاكهون ﴾ بما هم فيه من التعم المقيم والفرح العظيم .  
﴿ هم وأزواجهم ﴾ أي حلاللهم ﴿ في ظلال ﴾ أي ظلال الأشجار ﴿ على الأرائك ﴾  
متكثون ﴿ الأرائك هي السرر في الحجال <sup>(١)</sup> وقوله عز وجل ﴿ لهم فيها فاكهة ﴾ أي  
من جميع أنواعها ﴿ ولهم ما يدعون ﴾ أي فيها كل ما يطلبون من جميع الملاذ . روى ابن  
أبي حاتم عن أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ : « ألا هل مشر إلى  
الجنة ؟ فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور كلها بتلألاً ، وريحانة تهتر ، وقصر  
مشيد ونهر مطرد ، وثمره نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في  
أبد في دار سلامة ، وفاكهة خضرة ، وخير ونعمة ، في محلة عالية بية » قالوا نعم يا  
رسول الله نحن المشمرون لها قال ﷺ : « قولوا إن شاء الله » فقال القوم : « إن شاء الله »  
وقوله تعالى : ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما في  
قوله تعالى : ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ فان الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وقيل  
أنه تعالى وتقدس يحييهم بالسلام .



وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ • (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ  
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ • (٦٠)  
وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ • (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ  
جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ • (٦٢)

يخبر تعالى عما يؤول إليه الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا أي يفترقوا عن  
المؤمنين في موقفهم كقوله عز وجل : ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون ﴾ وقوله  
تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ هذا

(١) الحجال جمع حجلة محركة وهي موضع يزين بالثياب والستور للعرس (القموس) .

تفريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين . وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعضيان الشيطان . وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فخالفتهم أمرى وأطعتم الشيطان ولهذا قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾ أي خلقاً كثيراً ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ أي أفما كان لكم عقل لما خالفتم ربكم وعبدتم معه غيره وأطعتم الشيطان وهو عدوكم الظاهر العداوة .

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٦٣) ﴿ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٦٤) ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٦٥) ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾ (٦٦) ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٦٧) ﴿

يقال للكفار تويحاً : هذه جهنم التي كنتم تكذبون الرسل بوجودها . والتي كنتم بها توعدون ذوقوا عذابها وحريقها جزاء كفركم وتكذيبكم ، كيف رأيت عذابها بل كما وصفت لكم ، ﴿ أصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴿ هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه . فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت .

روى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ٦٠٠ [ كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه . ثم قال ﷺ : « أتدرون مما أضحكك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال ﷺ : « من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى . فيقول : لا أجزى عليّ إلا شاهداً من نفسي . فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً . فيختم على فيه ، ويقال لأركانهم انظري فتنتطق بعمله . ثم يخلفي بينه وبين الكلام . فيقول : بعداً لكُنْ وسحقاً فعنك كنت أناضل ه ] . ورواه مسلم والنسائي .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُسَمِعُونَ ﴾

يصفرون ﴿ يقول ابن عباس : ولو نشاء لأضللتناهم عن الهدى فكيف يهدون ﴾ ولسو نشاء لمسخناهم على مكائهم ﴿ قال ابن عباس : لأهلكناهم وقال الحسن البصري : لأتقدمهم على أرجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ فما استطاعوا مضياً ﴾ إلى الأمام ﴿ ولا يرجعون ﴾ إلى الورا بل يلزمون حالاً واحداً لا يتقدمون ولا يتأخرون .

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٦٨) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ (٧٠) ﴿

يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رُدَّ إلى الضعف بعد القوة . والعجز بعد النشاط . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبةً يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ وقال عز وجل : ﴿ ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ والمراد من هذه - والله أعلم - الأخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال . لا دار دوام واستقرار . ولهذا قال عز وجل : ﴿ أفلا يعقلون ﴾ أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم . ثم صيرورهم إلى سن الشيبة . ثم إلى الشيخوخة ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها . ولا محجد عنها وهي الدار الآخرة .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ يقول عز وجل مخبراً عن نبيه محمد ﷺ أنه ما علمه الشعر ﴿ وما ينبغي له ﴾ أي ما هو في طبيعته فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته . وهذا أورد أنه ﷺ كان لا يحتفظ بيتاً عنى وزن منتظم بل إن أنشده زحمته أو لم يثمته .

روى البيهقي في الدلائل : ٦٠١ [ ان رسول الله ﷺ قال للعباس بن مرداس رضي الله عنه : أنت القائل : « أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيبته - » فقال إنما هو بين عيبته والأقرع فقال ﷺ : « الكحل سواء » ] يعني في المعنى . صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم . وروى الأموي في مغازيه : ٦٠٢ [ ان رسول الله ﷺ جعل يمشي بين القتل يوم بدر وهو يقول « تفلن هاماً » فيقول الصديق رضي الله عنه متعماً للبيت . . .

من رجال أعرّة . علينا وهم كانوا أعرّ وأظلماء ] وهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له وهي في الحماسة .

وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة : ٦٠٣ [ قيل لعائشة رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت رضي الله عنها : كان أبغض الحديث إليه غير أنه ﷺ كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل أوله آخره وآخره أوله فقال أبو بكر رضي الله عنه : ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي ] رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه .

ووقع معه اتفاقاً وبلا قصد قوله يوم حنين وهو راكب بغلته يقدم بها في تحور العدو :

٦٠٤ [ أنا النبي لا كـذـبُ أنا ابن عبدِ المطلب ]

وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : ٦٠٥ [ كنت مع رسول الله ﷺ في غار فنكيت أصبعه فقال ﷺ :

هل أنت إلا أصبع دميـتِ وفي سبيل الله ما لقيت ]

لكن قالوا وقع اتفاقاً من غير قصد لوزن الشعر وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما علم شعراً وما ينبغي له فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم ﴿ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة قريش : ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر .

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ٦٠٩ [ لأن يمتليء جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن يمتليء شعراً ] انفرد به في هذا الوجه وإسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه . على أن الشعر فيه ما هو مشروع وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة وأمثالهم رضي الله عنهم أجمعين ومنه ما فيه حكم ومواعظ ، وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ، ومنهم امية ابن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله ﷺ : ٦٠٧ [ آمن شعره وكفر قلبه ]

وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : ٦٠٨ [ إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة ] ولهذا قال تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ أي وما يصلح له ﴿ إن هو إلا





وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وهم لهم جند محضرون ﴾ يعني عند الحساب يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة عند حساب عابديها ، ليكون ذلك أبلغ في إقاسة الحجة عليهم ﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾ أي تكذيبهم وكفرهم بالله ﴿ إنا نعلم ما يُسرّون وما يعلنون ﴾ أي نحن نعلم جميع ما هم فيه ، وسنجزيم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلاً ولا حقيراً ولا صغيراً ولا كبيراً بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديماً وحديثاً .

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿ (٨٠) ﴿

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقناة : ٦٠٩ [ جاء أبي بن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول : يا محمد أترعم ان الله يعث هذا ؟ قال ﷺ : نعم بينك الله تعالى ، ثم يعثك ثم يعثرك إلى النار ] ونزلت هذه الآيات من آخر يس ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ... ﴾ إلى آخرهن

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن العاصي بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ... وذكر الحديث وسواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاصي بن وائل أو فيهما فهي عامة في كل من أنكر البعث ﴿ أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ أي أو لم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين ، كما قال عز وجل ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم ﴾ فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته .

وقال تعالى : ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ أي استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض للأجساد والعظام

الرميمة ، ونسي نفسه ، وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحدته ولهذا قال عز وجل : ﴿ قُلْ يَحْيَى الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ أي يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت .

روى الإمام أحمد عن عتبة بن عمرو قال تخذيفة رضي الله عنهما : ٦١٠ [ هـ ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعته ﷺ يقول : « ان رجلاً حضره الموت فلما آيس من الحياة أوصى أهله إذا أتت فاجتمعوا لي خطباً كثيراً جزلاً ، ثم أوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت . فمخذوها فدفنوها فدفروها في البهيم ففعلوا فجمعه الله تعالى إليهم ثم قال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك ، فغفر الله عز وجل له » فقال عمرو : وأنا سمعته ﷺ يقول ذلك وكان نبياً ] وقد أخرجاه في الصحيحين .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً إِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوَفَّدُونَ ﴾ أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر وينبع ثم أعاده إلى أن صار خطباً يابساً توقد به النار ، كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء .

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ (٨٢) فَبَيِّنَانَ الَّذِي يَبْدُوهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣)

يخبر تعالى وينبه على قدرته في خلق السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن جميعاً وما بينهما ويرشد إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة كقوله تعالى : ﴿ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ وقال عز وجل ههنا : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ أي مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ أي إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ أَمْرًا وَاحِدًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكَرُّرٍ أَوْ تَأْكِيدٍ . وروى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال : ٦١١ [ ان الله تعالى يقول : يا عبدي

٥٨٠ (٣٦- يس -ج ٢٣) : سبحان مالك كل شيء ، عما يقول المشركون وتعالى علواً كبيراً

كلكم مذنب إلا من عافيت ، فاستغفروني اغفره لكم ، وكلكم فقير إلا من أغنيت ،  
إني جواد ما جد واجد أفضل ما أشاء عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فأنطق  
له كن فيكون . ]

وقوله تعالى : ﴿ سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ أي تنزيه  
وتقديس وتبرئة من سوء المحي القوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه يرجع  
الأمر كله ، وله الخلق والأمر وإليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله وهو  
العادل المنعم المتفضل .

ومعنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ ، كقوله عز  
وجل ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾  
والملك والملكوت واحد في المعنى ، كرحمة ورحموت ، ورهبة ورهبوت وجبر  
وجبروت ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجساد ، والملكوت هو عالم الأرواح  
والصحيح الأول ، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم .

قال ابو داود عن عرف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : ٦١٢ [ قست مع  
رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية  
عذاب إلا وقف وتعوذ قال : ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه : « سبحان ذي الجبروت  
والملكوت والكبرياء والعظمة » ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ، ثم قام  
فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة [ ورواه الترمذي في الشمائل والناسي من حديث  
معاوية بن صالح به .

آخر اختصار تفسير سورة يس والله الحمد والمنة والشكر

انتهى المجلد الثالث ويليه المجلد الرابع

## فهرس محتربات المجلد الثالث

الصفحة	أهم ما ورد في الصفحة من مواضع الآيات المقررة
١٧	سورة الإسراء مكية نزلت بعد سورة القصص . . . . .
٤	الإسراء والمعراج تكريم الله لعبيده ورسوله محمد ، لم ينله رسول قبله . . . . .
٥	إرتقاؤه ﷺ سماء فسماء واجتماعه بالأنبياء ﷺ . . . . .
٦	فرضت الصلاة خمسين ثم خففت إلى خمس . . . . .
٧	لم ير محمد ﷺ ربّه ، والذي دنا فتدلى هو جبريل ﷺ . . . . .
٨	رفع الله لمحمد ﷺ المسجد الأقصى ، وبدأ يصفه لقريش . . . . .
٩	كان المعراج حقيقةً بدأً وروحاً ، بقظة لا مناماً . . . . .
١٠	أدلة الكتاب على أن الإسراء والمعراج وقعا حقيقةً . . . . .
١١	تواتر خبر الإسراء والمعراج . . . . .
١٢	فسد بنو اسرائيل ، فسلط الله عليهم الذل والأسر . . . . .
١٣	القرآن يهدي لأقوم الطرق ، وأوضح السبل ويبشر المؤمنين . . . . .
١٤	إمتنان الله تعالى على عباده بخلق الليل والنهار . . . . .
١٥	يجمع عمل الإنسان في كتاب يكون عليه حسيباً . . . . .
١٦	لا يعذب الله أحداً قبل إنذاره برسول . . . «اقرأ التعليق» . . . . .
١٧	أحكام في أطفال المشركين والأصم والأحمق والمهرم وأهل الفترة . . . . .

- ١٨ . . . . . أصح الأقوال في هؤلاء أنهم مؤجلون إلى الموقف . . . . .
- ١٩ . . . . . كذَّب المشركون أشرف الرسل ، فصاروا أول من سبقهم بالعقوبة . . . . .
- ٢٠ . . . . . التفاوت بين درجات أهل الجنة ، وكذلك بين أهل النار . . . . .
- ٢١ . . . . . قرن الله عبادته بعبادة الوالدين ، ليعرف عباده بحقهما الكبير . . . . .
- ٢٢ . . . . . يوصي الرسول بالأب مرة ، وبالأم ثلاثاً لعظم حقهما . . . . .
- ٢٣ . . . . . لا تبتذّر ، وصل الأقرب فالأقرب ، وعيدٌ خيراً من لم تعطه . . . . .
- ٢٤ . . . . . من العباد من لا يصلح لهم إلاّ الفقر ، ومنهم من لا يصلحه إلاّ الغنى . . . . .
- ٢٥ . . . . . لا تقتل ولدك خشية إطعامه ، ولا تقرب الزنى ولا دواعيه . . . . .
- ٢٦ . . . . . لا تقتل النفس ، لا تقرب مال اليتيم ، أوف بالعهد ، والكيل . . . . .
- ٢٧ . . . . . لا تتكلم بما لا تعلم ، لا تتختر بحديثك ، تواضع لله . . . . .
- ٢٨ . . . . . كل السيئات عند الله تعال مكرهة ، فلا تفعلوا ما يكره . . . . .
- ٢٩ . . . . . ما من شيء - حتى الجسادات - إلاّ ويبتغى بحمد الله ، حقيقة . . . . .
- ٣٠ . . . . . حال الله بينهم وبين فهم القرآن ، جزاء كفرهم جزاءً وفاقاً . . . . .
- ٣١ . . . . . ما كفر الكافرون بحمد ﷺ إلاّ عناداً وحسداً . . . . .
- ٣٢ . . . . . لو استحالتم رفاتكم إلى حجارة أو حديد ، فالله قادر على إعادتكم . . . . .
- ٣٣ . . . . . لا يشير المسلم بسلحه إلى أخيه المسلم . . . . .
- ٣٤ . . . . . إذا دلّ الدليل على شيء وجب اتباعه . . . . .
- ٣٥ . . . . . الذين تعبدونهم عبدوا الله ، أفلا تعبدون ما يعبدون ؟ . . . . .
- ٣٦ . . . . . لو أن الصفا صارت ذهباً ولم يؤمنوا ... لاستأصلهم الله . . . . .
- ٣٧ . . . . . من اتبع الشيطان فإنه معه في النار . . . . .
- ٣٨ . . . . . لو سسى المؤمن عند الجماع ، وقدر له ولد ، لا يضره الشيطان . . . . .
- ٣٩ . . . . . إن كان لا ينفع في البحر غيره ، كذلك لا ينفع في البر غيره . . . . .
- ٤٠ . . . . . صالحو ذرية آدم أفضل من سائر المخلوقات . . . . .
- ٤١ . . . . . الإمام : هو كتاب الأعمال الذي يعطاه العبد يوم القيامة . . . . .
- ٤٢ . . . . . عصمة الرسول ﷺ وتبنيته ونصره ، وتمكينه من رقاب أعدائه . . . . .
- ٤٣ . . . . . أوقات الصلوات الخمس ، وفضل صلاتي العصر والفجر . . . . .
- ٤٤ . . . . . المقام المحمود هو الشفاعة العظمى وهو للرسول الأعظم . . . . .
- ٤٥ . . . . . كل الرسل يقولون نفسي نفسي إلاّ الرسول الأعظم فيقول : أمّي . . . . .

أهم ما ورد في الصفحة من مواضع الآيات المفسرة

- ٤٦ . . . . . إن الله ليخضع بالسلطان عن الذنوب ما لا يمنح ذلك بالقرآن
- ٤٧ . . . . . القرآن شفاء للقلوب من الشك والشرك والتفارق والزيغ
- ٤٨ . . . . . استأثر الله بعلمه بماهية الروح . . . . .
- ٤٩ . . . . . الإنس والجن لا يطيقون الإتيان بمثل القرآن
- ٥٠ . . . . . ما جاء به ﷺ ليس للملك أو المال أو الشرف ، إنما هي الرسالة
- ٥١ . . . . . كلما دعا الرسول قريشاً كلما ازدادوا عناداً وكفراً وصدوداً
- ٥٢ . . . . . من رحمته تعالى أن بعث في كل قوم رسولاً منهم
- ٥٣ . . . . . سيحشر الكفار على وجوههم عُماً بكمماً صُماً وماوهم جهنم
- ٥٤ . . . . . ما شأن بعث الأجساد إلى جانب خلق السموات والأرض !!!
- ٥٥ . . . . . الآيات والمعجزات من الله خلقاً وبجربها على يد رسوله تأييداً
- ٥٦ . . . . . نزل القرآن بالحق ، محفوظاً لا زيد فيه ، ولا نقص منه
- ٥٧ . . . . . ادعوا الله بأي اسم من أسمائه فله الأسماء الحسنى
- ٥٨ . . . . . ليس لله ولد ولا شريك ولا معين تعالى عن ذلك علواً كبيراً
- ١٨ سورة الكهف مكية نزلت بعد الفاشية . . . . .
- ٥٩ . . . . . العشر آيات من أول أواخر الكهف عصمة من الدجال
- ٦٠ . . . . . القرآن نذارة للكافرين وبشارة للمؤمنين العاملين
- ٦١ . . . . . يا محمد : لا تأسف على عدم إيمانهم ، بل تابع دعوتك
- ٦٢ . . . . . ليس أمر أصحاب الكهف عجباً بالنسبة لقدرته تعالى
- ٦٣ . . . . . الشباب أقبل للحق من الشيوخ الذين انغمسوا في الباطل
- ٦٤ . . . . . تعارف أصحاب الكهف بالإيمان الذي جمع قلوبهم على الهدى
- ٦٥ . . . . . لا تشرع العزلة إلا عند وقوع الفتن بين الناس
- ٦٦ . . . . . ناموا مفتحة أعينهم ، من رآهم يتلى منهم رعباً
- ٦٧ . . . . . رقدة أهل الكهف دامت (٣٠٩/ سنة قمرية أو /٣٠٠/ شمسية والله تعالى أعلم
- ٦٨ . . . . . قصة أهل الكهف دليل على البعث والنشور
- ٦٩ . . . . . حذر الرسول ﷺ من اتخاذ القبور مساجد ولعن فاعل ذلك
- ٧٠ . . . . . إذا نسيت أن تقول إن شاء الله فقلها متى تذكرت
- ٧١ . . . . . أمر الله نبيه ﷺ أن يجلس مع الضعفاء ويدنيههم منه
- ٧٢ . . . . . لا تطع الكافرين في طرد المسلمين الضعفاء من مجلسك

- ٧٣ . . . . . بغاث الكافرون بالمهل ، ويرفل المؤمنون في حلق السندس . . . . .
- ٧٤ . . . . . إذا استدرج الله الكافر بكثرة الرزق فلا يظن هذا كرامة له !!! . . . . .
- ٧٥ . . . . . مردود حسن نظر المؤمن بربه تعالى ، خير من المال والولد . . . . .
- ٧٦ . . . . . إذا وقع العذاب بسوي المؤمن والكافر في مولاة الله . . . . .
- ٧٧ . . . . . التسيح والتحميد والتهليل والتكبير من الباقيات الصالحات . . . . .
- ٧٨ . . . . . تجتمع الذنوب على الرجل يوم القيامة كما تجمع ركام الحطب . . . . .
- ٧٩ . . . . . ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين وإنته لأصل الجن . . . . .
- ٨٠ . . . . . يفرق الله بين المشركين وآلهم يوم القيامة . . . . .
- ٨١ . . . . . توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه ، عذاب ناجز . . . . .
- ٨٢ . . . . . جزاء الإعراض عن الحق ، الخيلولة دون تفهمه جزاءً وفاقاً . . . . .
- ٨٣ . . . . . مشروعية السفر المنصب لطلب العلم . . . . .
- ٨٤ . . . . . عتب الله على موسى لأنه لم يرد العلم إليه سبحانه . . . . .
- ٨٥ . . . . . ثبت أن موسى الخضير هو موسى صاحب بني اسرائيل . . . . .
- ٨٦ . . . . . وعد موسى الخضير أن يبصر عليه لا يعصي له أمراً . . . . .
- ٨٧ . . . . . لم يبصر موسى على كل ما فعله الخضير فحصلت المفارقة . . . . .
- ٨٨ . . . . . تفسير الخضير لموسى الأمور التي لم يستطع عليها صبراً . . . . .
- ٨٩ . . . . . الخضير نبي ﷺ وتوفاه الله في حينه ، وأخبار حياته موضوعة ! . . . . .
- ٩٠ . . . . . ذو القرنين ملك مؤمن مرشد أوتي ملكاً عظيماً . . . . .
- ٩١ . . . . . دعا ذو القرنين إلى الله تعالى في فتوحاته المغربية . . . . .
- ٩٢ . . . . . ودعا إلى الله وتوحيده تعالى في فتوحاته الشرقية . . . . .
- ٩٣ . . . . . ثم نبى سداً عظيماً بين يأجوج ومأجوج وبلاد الترك . . . . .
- ٩٤ . . . . . إنضم إسرائيل الصور ، وحنى جبهته ، واستمع متى يؤمر ؟ . . . . .
- ٩٥ . . . . . الضالون هم الأخسرون أعمالاً وبحسبون أنهم على حق . . . . .
- ٩٦ . . . . . كلام الله أجل وأعلى وأمنع من أن يحصى . . . . .
- ٩٧ . . . . . من كان يؤمن بالآخرة فليعمل لها ، ولا يشرك به أحداً . . . . .
- ٩٨ . . . . . ١٩ سورة مريم مكية نزلت بعد سورة فاطر . . . . .
- ٩٩ . . . . . دعا زكريا ربه أن يهبه ولداً رضيعاً وارثاً نبياً . . . . .
- ١٠٠ . . . . . من خلقتك من العدم ، قادر أن يبك مولوداً رغم الهرم . . . . .



## أهم ما ورد في الصفحة من مواضع الآيات المفردة

- ١٠١ . . . . . يوحي الله بحسب بالتوراة ، وبرّ والديه ، ويلقي عليه أماناً منه . . . . .
- ١٠٢ . . . . . وجود الرزق عند مريم إثبات لوجود الكرامات . . . . .
- ١٠٣ . . . . . هبّ على الله تعالى أن يخلق مولوداً من غير أب . . . . .
- ١٠٤ . . . . . مدة حمل مريم بعيسى تسعة أشهر كالمعتاد . . . . .
- ١٠٥ . . . . . هزّت مريم جذع النخلة اليابس فأفرغ وتساقت عليها رطباً جنيباً . . . . .
- ١٠٦ . . . . . تكلم عيسى في المهدي ، أنبت عبوديته ، وبراً أمّه مريم العذراء . . . . .
- ١٠٧ . . . . . ليس عيسى الله ، ولا ابنه . ولا ثالث ثلاثة . بل عبده ورسوله . . . . .
- ١٠٨ . . . . . مات الموت فالحياة خالدة في الجنة والنار . . . . .
- ١٠٩ . . . . . نبى إبراهيم أباه عن عبادة الأصنام . . . . .
- ١١٠ . . . . . صدود أبي إبراهيم عن الحق الذي دعاه إليه . . . . .
- ١١١ . . . . . إعتزال مايراهيم أباه وقومه - شفع موسى بها روى فكان نبياً . . . . .
- ١١٢ . . . . . كان إسماعيل صادق الوعد آمراً أهله بالصلاة والزكاة . . . . .
- ١١٣ . . . . . الأنبياء قدوة البشر في جميع أعمالهم . . . . .
- ١١٤ . . . . . من أضع الصلاة فهو لسواها أضع . ومن إضعها إضعها مواقيتها . . . . .
- ١١٥ . . . . . من تاب وأتاب فله الجنة ولا يظلم شيئاً . . . . .
- ١١٦ . . . . . الجنة منازل الأتقياء . سلام ونور ، ونعيم خالد . . . . .
- ١١٧ . . . . . من خلق الخلق من عدم ، ألا يعيده من وجود ؟ ! وهما هون عليه . . . . .
- ١١٨ . . . . . تدخل الحلائق النار ، فتكون برّداً على المؤمنين وجحيماً على الكافرين . . . . .
- ١١٩ . . . . . يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان . . . . .
- ١٢٠ . . . . . سيعلم الكافرون في الآخرة أي الفريقين خير مقاماً وأحسن تدبيراً . . . . .
- ١٢١ . . . . . كلاً . . . سئله ماله وولده وبأيتنا فرداً . . . . .
- ١٢٢ . . . . . الكافرون المؤمنون النجاة بأكتهم ، يُصبحون عليهم ضدّاً . . . . .
- ١٢٣ . . . . . المؤمنون يحشرون إلى الجنة على ركائب من نور ، رحائلها الذهب . . . . .
- ١٢٤ . . . . . الإنكار على من زعم أن الله ولدأ سبحانه وتعالى . . . . .
- ١٢٥ . . . . . إذا أحب الله عبداً أمر جبريل بحبّه وأن ينادي الناس : أحبوه . . . . .
- ١٢٦ . . . . . يسّر الله القرآن باللسان العربي المبين . . . . .

٢٠ - سورة طه مكية نزلت بعد سورة مريم

- ١٢٧ . . . . . القرآن لا يشقى تابعه لأنه يقوده إلى الجنة . . . . .
- ١٢٨ . . . . . السرُّ : ما أسررتَه في نفسك ، والأخفى : ما لم تعلمه بعد . . . . .
- ١٢٩ . . . . . لا إله إلاَّ الله : أول واجب على المكلفين أن يعلموه . . . . .
- ١٣٠ . . . . . عصا موسى عندما ألقاها انقلبت إلى ثعبان كبير هائل عظيم . . . . .
- ١٣١ . . . . . معجزتا العصا واليد طمأنتا موسى بحقيقة لقائه مع الله . . . . .
- ١٣٢ . . . . . أجيب مؤلُّ موسى بحلِّ عقدة لسانه ، وإرسال هارون نبياً معه . . . . .
- ١٣٣ . . . . . ذكر من الله على موسى ، وأوطأ نجاته من ذبح فرعون . . . . .
- ١٣٤ . . . . . تحريم المراضع عليه إلاَّ أمته وردُّه إليها . . . . .
- ١٣٥ . . . . . قتله القبطي ، فراره ، زواجه ، نبوته ، دعوته لفرعون ، إيمان السحرة . . . . .
- ١٣٦ . . . . . عرق فرعون ، الميقات ، عبادة اليهود للعجل ، قتل أنفسهم ، التيه . . . . .
- ١٣٧ . . . . . يوصي الله الدعاء إليه : باللين والملاطفة والرفق . . . . .
- ١٣٨ . . . . . الله فوق سبع سمواته حقيقة بلا كيف ، وهو مع خلقه بصفاته . . . . .
- ١٣٩ . . . . . ذكر موسى فرعون بنعم ربه ، ولكنه آثر الكفر على الشكر . . . . .
- ١٤٠ . . . . . أنكر فرعون معجزتي العصا واليد وتواعدا يوم الزينة ضحى . . . . .
- ١٤١ . . . . . أُنذر موسى السحرة ، ألاَّ يفترؤا على الله كذباً ببحرهم . . . . .
- ١٤٢ . . . . . ملأ السحرة الوادي حياتٍ تسمى وعصا موسى تبتلع ما يأفكون . . . . .
- ١٤٣ . . . . . الله أكبر !! كانوا أول النهار سحرة ، وفي آخره شهداء بررة !!! . . . . .
- ١٤٤ . . . . . الكافر لا يموت فيها ولا يحيى ، والمؤمن له الدرجات العلى . . . . .
- ١٤٥ . . . . . من مستقرِّ البحار إلى قرار النار ، فبئس المستقرُّ وبئس القرار . . . . .
- ١٤٦ . . . . . أمر الرسول ﷺ بصوم عاشوراء فالمسلمون أولى بموسى ﷺ من اليهود . . . . .
- ١٤٧ . . . . . بدلاً من أن يشكر اليهود الله على نعمه ، عبدوا العجل ... !!! . . . . .
- ١٤٨ . . . . . تورع اليهود عن الأمر الحقيق ، واقترفوا الذنب الكبير . . . . .
- ١٤٩ . . . . . نوم موسى لهارون على ما وقع من شرك قومه . . . . .
- ١٥٠ . . . . . أحرق موسى العجل ، ونسف ذراته في اليم . . . . .
- ١٥١ . . . . . من أعرض عن القرآن شقي في الدنيا ، وخالد في النار في الآخرة . . . . .
- ١٥٢ . . . . . ينبع الناس يوم القيامة الداعي مسرعين خائفين . . . . .

١٥٣	الحية وانحران لمن يلقي الله مشركاً به . . . . .
١٥٤	حدّر الله آدم من إغواء الشيطان له فوقع فيما حدّره منه . . . . .
١٥٥	توبة آدم وتلقيه من ربه كلمات فتاب عليه . راجع التعليق على الصفحة /٤٥/ المجلد الأول
١٥٦	من أعرض عن آيات الله في الدنيا ، أعرض عنه في الآخرة . . . . .
١٥٧	ألم يتعظ الكفار برؤيتهم مساكن الكفار قبلهم . . . . .
١٥٨	من تفرغ لعبادة الله ملاً صدره غنى وسد فقره . . . . .
١٥٩	لرسول الله ﷺ معجزات لا تحصر أعظمها هذا القرآن المبين . . . . .

٢١ - الأنبياء نزلت بعد سورة إبراهيم

١٦٠	القرآن محدث التنزيل ، وكونه كلام الله صفة له غير مخلوق . . . . .
١٦١	المشركون يتحيرون . يصفون القرآن سحراً ، ونارة شعراً ، وطوراً مفترى . . . . .
١٦٢	سلوا علماء اليهود والنصارى . أكان أنبيأؤهم بشراً أم ملائكة ؟ . . . . .
١٦٣	التوبة تنفع قبل الموت - وسبحان الله عن الولد والصاحبة . . . . .
١٦٤	هل آلهتهم تحيي الموتى . حتى جعلوها أنداداً لله !!! . . . . .
١٦٥	جميع رسالات الأنبياء دعت إلى ( لا إله إلا الله ) . . . . .
١٦٦	كانت الأرض والنسما وات متصلتين فانفصلتا وجعل الماء أصلاً لكل حي . . . . .
١٦٧	الحضرة عليّ عليه السلام ميت . بدليل : ( وما جعلنا لشر من قبلك الخلد ) . . . . .
١٦٨	سيرى الكافرون جزاء استهزأهم وتكذيبهم . . . . .
١٦٩	آلهتهم عاجزة عن حماية نفسها . فكيف تستطيع حمايتهم . . . . .
١٧٠	يعترف الكافرون بظلمهم وكفرهم يوم لا ينفعهم ذلك . . . . .
١٧١	كلمة التوحيد ترجح في الميزان على الذنوب جميعاً . . . . .
١٧٢	كُتب الله واحدة في مبادئها وغاياتها لأن مرتزهاً واحد سبحانه . . . . .
١٦٣	أمر إبراهيم قومه بنيذ الأصنام . وعبادة الرحمن . . . . .
١٧٤	إبراهيم يتدرج بقومه ليعترفوا بعدم أهلية الأصنام للعبادة . . . . .
١٧٥	نساء الأنبياء معصومات من الزنى بعصمة الله تبعاً لأزواجهن . . . . .
١٧٦	صارت النار برداً وسلاماً على إبراهيم بإذن الله وأمره . . . . .
١٧٧	هجرة إبراهيم وسارة ثم لوط . إلى فلسطين ونبوة لوط . . . . .
١٧٨	كذب قوم نوح نوحاً فأغرقهم الله أجمعين بدعائه . . . . .
١٧٩	صحّح الله حكم داود بما أفهمه سليمان من الحكم . . . . .

١٨٠	.....	إلآن الله الحديد لداود ، وسخر الريخ والشياطين لسليمان
١٨١	.....	إبتلاء أيوب والأنبياء أشد الناس بلاءً
١٨٢	.....	ذو الكفل مختلف في نبوته والظاهر أنه نبي ﷺ
١٨٣	.....	( لن تقدر عليه ) من التقدير لا من القدرة
١٨٤	.....	دعاء يونس وإن كان له خاصة فإنه كذلك لعامة المؤمنين
١٨٥	.....	قصة زكريا عجيبة ولكن قصة مريم أعجب
١٨٦	.....	أيام الدجال أربعون : يوم كفة ويوم كشمه ويوم كجمعة و
١٨٧	.....	خروج يأجوج ومأجوج قبيل يوم القيامة
١٨٨	.....	الكفار ومعبوداتهم في النار : إلا من عبد بدون رضاه
١٨٩	.....	من ابتداء الخلق من عدم ، أقدر على إعادته من وجوده
١٩٠	.....	تعهد الله للتصالحين بوراة الأرض في الدارين
١٩١	.....	محمد رسول الله رحمة مهداة للعالمين
١٩٢	.....	أعلموا الأعداء قبل البدء بالحرب بأنكم ستحاربونهم

٢٢ - سورة الحج نزلت بعد سورة النور

١٩٣	.....	إن زلزلة الساعة تذهل الأمم عن رضيعها من الفرع الأكبر
١٩٤	.....	القيامة : أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق مفرع ، وحادث هائل
١٩٥	.....	من يتولى الشيطان بضله في الدنيا ، ويزديه جهنم في الآخرة
١٩٦	.....	تطور خلق الإنسان والنبات دليل من الله على القدرة والبعث
١٩٧	.....	العذاب في الدارين لمن يجادل بلا علم بل بالرأي والهوى
١٩٨	.....	يعبد الله على حرف : إن انتفع بقي مسلماً وإلا كفر
١٩٩	.....	من يغيظه إنتصار محمد ودينه فليأخذ حيلاً وليخترق نفسه
٢٠٠	.....	كل مخلوق في السموات والأرض يسجد لله تعالى
٢٠١	.....	فصلت للكفار ثياب من نار ، والحميم يصهر رؤوسهم إلى الأقدام
٢٠٢	.....	ولباس المؤمنين في الجنة ، سندس واستبرق وحليتهم الذهب واللؤلؤ
٢٠٣	.....	أي عمل سيء في الحرم ، عقابه بما يناسب حرمة الحرم
٢٠٤	.....	على إبراهيم النداء بالحج ، وعلى الله تعالى البلاغ
٢٠٥	.....	في الحج منافع أخروية كالغفرة ، ودنيوية كالتجارة وغيرها
٢٠٦	.....	الأيام المعلومات والمعدودات هن : يوم النحر وثلاثة بعده

- عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله ! . . . . . ٢٠٧
- مثل المشرك كالحاوي من السماء تقطعه الطير - استمان البُدن . . . . . ٢٠٨
- الأوصاف التي يجب أن تتوفر بالهدي والأصاحي . . . . . ٢٠٩
- المخبتون : الخائفة قلوبهم ، الصابرون المصلون المتفقون . . . . . ٢١٠
- تذبح البذنة أو البقرة عن سبعة ، قائمة معقولة يسراها . . . . . ٢١١
- تقسم الأضحية ثلاثاً : ثلث لصاحبها ، وثلث يدخره ، وثلث يتصدق به . . . . . ٢١٢
- النحر بعد الصلاة ، ما يجزي من الإبل والبقرة والمعز والضأن . . . . . ٢١٣
- لا ينصر الله ولا يدافع إلاّ عن من ينصر دينه ويعلي كلمته . . . . . ٢١٤
- الإذن بالجهاد - واجب الحاكم وماله وما عليه . . . . . ٢١٥
- لئن كذبوك يا محمد فلقد كذب الأنبياء قبلت . . . . . ٢١٦
- يستعجلون بالعذاب والله تعالى يجهل ولا يهمل . . . . . ٢١٧
- العذاب المقيم للمقيم على الكفر ، والمفقرة والرزق الكريم للذين آمنوا . . . . . ٢١٨
- قصة الغرائق وضعها الرنادقة تحت إشراف الشيطان الرجيم . . . . . ٢١٩
- الرسول معصوم من إمكانية إدخال الشيطان عليه غير كلام الله . . . . . ٢٢٠
- لا تأت الساعة إلاّ فجأة ، وفي أوج اغترار الناس بالنعمة . . . . . ٢٢١
- القتيل في سبيل الله ، ومن مات مهاجراً إلى الله ... سيان . . . . . ٢٢٢
- الله تعالى السميع البصير هو الحق ، وما يدعى مواه الباطل . . . . . ٢٢٣
- كيف تعدون غيره وهو الذي خلق ورزق وأمات وأحيا !!! ٢ . . . . . ٢٢٤
- علم الله قبل الخلق ، من سيطع باختياره ومن سيمصى باختياره . . . . . ٢٢٥
- سيعذب الله المشركين . بأعظم مما عذبوا به المؤمنين . . . . . ٢٢٦
- إن مجرداتكم أضعف من أن تسترجع شيئاً مما سلها الذباب . . . . . ٢٢٧
- فضلت سورة الحج بسجديتين - ليس في تكاليف الدين من حرج . . . . . ٢٢٨
- أمة محمد تشهد للأنبياء جميعاً أنهم بلغوا رسالات ربهم ! . . . . . ٢٢٩
- ٢٣ - سورة المومنون مكية نزلت بعد سورة الأنبياء
- كان خلق النبي ﷺ في الصفات الواردة في ( قد أفلح المؤمنون ) . . . . . ٢٣٠
- ورثة الفردوس : بالإيمان ، والصلاة والزكاة ، وترك اللغو وحفظ الفرج . . . . . ٢٣١
- فكأن كل مسلم من النار : يهودي أو نصراني . . . . . ٢٣٢
- مراحل خلق الإنسان ثم موته ثم بعثه . . . . . ٢٣٣

٢٣٤	خلق الله السموات والأرض ويعلم كل حركة فيها
٢٣٥	نعمة الله على عباده بالمطر ، وبالحواري في البر والبحر والفضاء
٢٣٦	استعظم قوم نوح أن يكون الأنبياء من البشر
٢٣٧	أهله : من آمن به لا من كفر ، ولو كان ابنه
٢٣٨	قوم عاد أنكروا البعث وكذبوا الرسول
٢٣٩	كلما أرسل الله رسولا للكفار، استهزأوا به وكذبوه
٢٤٠	الأنبياء في صغرهم يرعون الغنم وفي كبرهم يرعون الأمم
٢٤١	أوجب الكافرون أن عطاء الله لكرامتهم عليه ؟ كلاً
٢٤٢	المؤمنون الموحدون الشاكرون المنفقون الخائفون ، هم السابقون إلى الخيرات
٢٤٣	يفتخر المشركون بعمارة البيت ، ويكفرون برب البيت !!!
٢٤٤	علم الله من الكافرين أنهم لا يؤمنون
٢٤٥	أرسل الله على قريش سبعاً كسب يوسف حتى أكلوا العلهز (الوير مزوجاً مع الدّم)
٢٤٦	يعترفون بأن الله هو الخالق ، إنما يتوسلون بصالحهم زلفى إليه
٢٤٧	لا جوار بوجود جوار سيد القوم ، فكيف بجوار سيد العالمين
٢٤٨	إصبر يا محمد وادفع السيئة بالحسنة
٢٤٩	وليفترض أحدكم أنه احتضر ، وطلب الرجعة فأرجع ... فليعمل بطاعة الله
٢٥٠	الفلاح بالأعمال لا بالأنساب
٢٥١	لا رجعة لأحد ما بعد الموت ، مؤمناً كان أو كافراً
٢٥٢	إذا طلب الكفار الرجعة ، قال الله : إحصأوا فيها ولا تكلمون
٢٥٣	ما خلق الله الخلق عبثاً ... إنما للعبادة
٢٥٤	الدعاء هو العبادة ، فمن دعا غير الله فقد كفر وأشرك

٢٤ - سورة النور مدنية نزلت بعد سورة الحشر

٢٥٥	الزاني البكر جلد مئة وتعزيب عام
٢٥٦	الزاني المحصن الحر البالغ العاقل ، يرحم
٢٥٧	لا تأخذكم الرأفة في الحد ولينفذ علانية بين الناس
٢٥٨	حرام على المؤمن أن ينكح زانية ، والمؤمنة أن ينكحها زان
٢٥٩	القاذف يجلد ثمانين جلدة ، وترد شهادته ويحكم بنفسه إلا أن يتوب
٢٦٠	كيفية اللعان ، بين الزوج والزوجة

- ٢٦١ . . . . . المتلاعنان يفرق بينهما . . . . .
- ٢٦٢ . . . . . ففتشت عائشة (رض) عن عقد أضعته، ففاتها العسكر . . . . .
- ٢٦٣ . . . . . إثمهما المنافقون بصفوان - تحقيق رسول الله ﷺ . . . . .
- ٢٦٤ . . . . . إن برأت نفسي لا تصدقوني، وإن اتهمتكم يعلم الله ببراءتي . . . . .
- ٢٦٥ . . . . . برأ الله عائشة بعشر آيات من فوق سبع سمواته . . . . .
- ٢٦٦ . . . . . لكل امرئ من رَمَى عائشة نصيبه من الإثم . . . . .
- ٢٦٧ . . . . . أتحمبون الخوض في ما لا علم لكم به هيناً...!!؟ . . . . .
- ٢٦٨ . . . . . المؤمن أخو المؤمن لا يجب أن يشيع عنه الفاحشة . . . . .
- ٢٦٩ . . . . . لا تتبعوا خطوات الشيطان وخاصة برمي المحصنات الغافلات . . . . .
- ٢٧٠ . . . . . لا تحولوا بالهلف دون منفعة عامة من أجل إساءة خاصة . . . . .
- ٢٧١ . . . . . الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ملعونون في الدارين . . . . .
- ٢٧٢ . . . . . لو كانت عائشة خبيثة لما صلحت لرسول الله شرعاً ولا قدراً . . . . .
- ٢٧٣ . . . . . لا يقف المتأذّن لتقاء الباب ولكن يمينا أو شمالاً - ولا يقل أنا أنا . . . . .
- ٢٧٤ . . . . . لا يدخل البيت إذا لم يكن فيه أحد . . . . .
- ٢٧٥ . . . . . على المؤمن أن يفضّ بصره عن النساء . . . . .
- ٢٧٦ . . . . . وعلى المؤمنات أن يفضضن أبصارهن عن الرجال . . . . .
- ٢٧٧ . . . . . وأن لا يتكفن أمام الكتابيات والمشركات . . . . .
- ٢٧٨ . . . . . لا بأس من دخول الأطفال الخدم الذين لا شهوة لهم . . . . .
- ٢٧٩ . . . . . منع الله كل امرأة أن تلبس الرجال إلى زينتها بأية واسطة . . . . .
- ٢٨٠ . . . . . الأمر بالزواج والتكاثر، وبالعفة عند فقده، وبمكاتبه الرقيق . . . . .
- ٢٨١ . . . . . أعينوا الرقيق على التحرر بالمكاتب، ولا تكرر هو الإمام على البغاء . . . . .
- ٢٨٢ . . . . . الله هادي السموات والأرض ونوره هو الهدى . . . . .
- ٢٨٣ . . . . . نور إيمان العبد ونور عمله (نور على نور) . . . . .
- ٢٨٤ . . . . . مثل القلوب الشفافة بهدي الله، كالتقاديل تلالاً في بيوت الله . . . . .
- ٢٨٥ . . . . . المساجد لا تزخرف ولا يبتاع فيها، ولا ينشد عن الضالة . . . . .
- ٢٨٦ . . . . . صلاة الرجال في المساجد أفضل، وصلاة النساء في البيوت أفضل . . . . .
- ٢٨٧ . . . . . الكفار القدوة... أعماهم كسراب جعلها الله هباءً منثوراً . . . . .
- ٢٨٨ . . . . . أما الكفار المقلدة... فهم ضالون لا يدرون إلى أين يذهبون . . . . .

٢٨٩	كل مخلوق في السموات والأرض وما بينهما يسبح الله تعالى . . . . .
٢٩٠	قدرة الله ظاهرة في مخلوقاته المتنوعة . . . . .
٢٩١	دليل الإيمان بالله ورسوله طاعتها ، والثولي عنها كفر ونفاق . . . . .
٢٩٢	إطيعوا رسول الله تهتدوا ، وما على الرسول إلا البلاغ . . . . .
٢٩٣	أنجز الله وعده للمؤمنين بالفتح والاستخلاف والتحكين . . . . .
٢٩٤	على عباد الله ألا يشركوا بالله ، وعلى الله ألا يعذبهم . . . . .
٢٩٥	الطائفة المنصورة هم المتبعون رسول الله ﷺ فيما أمر . . . . .
٢٩٦	ليتأذنكم الأطفال والخدم ، في الفجر والظهر والعشاء . . . . .
٢٩٧	إباحة الأكل من بيت الأبوين والإبن والسيد والأعمام والأخوال . . . . .
٢٩٨	السلام على الأهل ، وعلى النفس عند دخول البيوت الخالية . . . . .
٢٩٩	السلام عند الدخول ، والسلام عند الخروج . . . . .
٣٠٠	التحذير الشديد من مخالفة أمر رسول الله ﷺ . . . . .
٣٠١	يعرض على الإنسان كتاب عمله يوم القيامة . . . . .

٢٥ - سورة الفرقان مكية نزلت بعد سورة يس

٣٠٢	القرآن أنزله الله نذيراً للعالمين . . . . .
٣٠٣	الله خالق السموات والأرض ، واتخذ الكفار من مخلوقاته آلهة ؟!!!! . . . . .
٣٠٤	يفترون على رسول الله الكذب ، ومتيقنون بأنه الصادق الأمين . . . . .
٣٠٥	يريدون أن تنزل ملائكة من السماء يشهدون بصدقه . . . . .
٣٠٦	أحوال الأشقياء في جهنم خير ، أم حال المتقين في النعيم ؟!!!! . . . . .
٣٠٧	يتبرأ يوم القيامة المعبودون من العابدين . . . . .
٣٠٨	كل الأنبياء والرسل بشر يأكلون ، ويمشون بين الناس . . . . .
٣٠٩	أهل الجنة يقبلون مع الحور العين ، وأهل النار مع الشياطين . . . . .
٣١٠	يسئ الكفار يوم القيامة لو كانوا أتبعوا الرسل . . . . .
٣١١	من يخلص باتباع الرسول لن يستطيع أحد صدّه عن ذلك . . . . .
٣١٢	تنزيل القرآن منجماً حسب الوقائع تنبئ للقلوب وتمكين لها . . . . .
٣١٣	ذكر أخبار الأمم الخالية للعظة والتذكر والاعتبار . . . . .
٣١٤	يستخفون بالرسول ﷺ ويعلمون أنه أسماهم خلقاً وأعلامهم شرفاً . . . . .
٣١٥	ذكر نعم الله تعالى وقدرته على الخلق والإيجاد . . . . .



- ٣١٦ . . . . . الأمر بالجهاد بالقرآن ، ثم بالسلاح جهاداً غليظاً .
- ٣١٧ . . . . . الرسول ﷺ بشير للمؤمنين بالجنة ونذير للكافرين من النار .
- ٣١٨ . . . . . ما وافق سنته ﷺ فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل .
- ٣١٩ . . . . . بمجدد الله ونبارك وتعالى على بديع صنعه وعظيم خلقه .
- ٣٢٠ . . . . . ذكر صفات عباد الرحمن لمعرفة الإقضاء والتخلُّق بها ، والعمل بموجبها .
- ٣٢١ . . . . . أعظم الذنوب الشرك ، ثم قتل الولد ، ثم الزنى بحليلة الجار .
- ٣٢٢ . . . . . الله يقبل التوبة مهما عظمت . ويبدل السيئات حسنات .
- ٣٢٣ . . . . . المؤمن لا يشهد مجالس الزور ، بصير آيات ربه فهماً وتطبيقاً .
- ٣٢٤ . . . . . ويستوهب الله ذريةً أئمةً للناس في الحق والخير والهدى .
- ٣٢٥ . . . . . من كانت هذه صفاتهم يُجزَّون غرف الجنات خالدين فيها أبداً .

## ٢٦ - سورة الشعراء مكية نزلت بعد سورة الواقعة

- ٣٢٦ . . . . . يسلي الله نبيته بالآية يهلك نفسه حرصاً على هداهم .
- ٣٢٧ . . . . . سبحانه بالكافرين عذاب ما كانوا به يكذبون .
- ٣٢٨ . . . . . أعان الله موسى بهارون وطعانهما بأنه معهما بسمعه وبصره .
- ٣٢٩ . . . . . إذ أعى فرعون الربوبية والألوهية فكذبه موسى ﷺ .
- ٣٣٠ . . . . . كفر فرعون بالمعجزتين وحشر السحرة لمبارزة موسى ﷺ .
- ٣٣١ . . . . . كفر السحرة بفرعون ، وآمنوا وسجدوا للرب العالمين .
- ٣٣٢ . . . . . فرعون يقطع أوصال السحرة ، وهم يرددون : إنا إلى ربنا لنقلبون .
- ٣٣٣ . . . . . سرى موسى بقومه بني اسرائيل من مصر إلى حيث أمر .
- ٣٣٤ . . . . . نجاة موسى وبني اسرائيل وغرق فرعون وقومه وكذلك نهاية الظالمين .
- ٣٣٥ . . . . . قال ابراهيم ، لقومه ، إني عدوٌّ لأصنامكم ولا أخافها .
- ٣٣٦ . . . . . الله وحده يخلق ويهدي ويطلع ويغفر ويحيي ويفقر ويفني .
- ٣٣٧ . . . . . لا يجوز الاستغفار لمن مات مشركاً ولو كان أباً أو أمّاً .
- ٣٣٨ . . . . . المجرمون المتجبرون في كل زمان هم الضالُّون المضللون .
- ٣٣٩ . . . . . يريد المتجبرون أن يستبعدوا المستضعفين حتى يؤمنوا .
- ٣٤٠ . . . . . دعا نوح على قومه فاستجيب دعوته ، فأغرقوا إلا المؤمنين .
- ٣٤١ . . . . . كذبت عاد هوداً برغم نعم الله التي غمرهم .
- ٣٤٢ . . . . . كانت عاد أعنى شيء فأرسل عليهم ربيعاً أعنى منهم .

٣٤٣	النبي أو المصلح لا يسأل الناس أجراً ، إنما أجره على الله . . . . .
٣٤٤	طلبوا إخراج ناقة من الصخرة فأخرجها الله فعقروها فأبادهم . . . . .
٣٤٥	قوم لوط مشركون ويأتون الذكور دون النساء فأهلكهم الله . . . . .
٣٤٦	قوم شعيب مشركون ، ومخسرون الكيل والميزان . . . . .
٣٤٧	أهلك الله قوم شعيب بعذاب يوم المظلة . . . . .
٣٤٨	القرآن عربي ، لينذر المشركين بأس الله وبقمته ، ويبشر المؤمنين . . . . .
٣٤٩	ثبت الله في قلوب المشركين التكذيب والجهود جزاءً وفاقاً . . . . .
٣٥٠	الشياطين معزولون عن التدخل بالقرآن والنبي ﷺ معصوم منهم . . . . .
٣٥١	لما نزلت : ( وأنذر عشيرتلك الأقرين ) جمع قومه وبلغهم رسالة الله . . . . .
٣٥٢	تنزل الشياطين على المشعوذين دعاء استطلاع علم الغيب الأفاكين الآمنين . . . . .
٣٥٣	الآية تعني الشعراء الكفار ، الذين يذكرون الحمرة والقيان والهجاء في أشعارهم . . . . .
٣٥٤	استثنى الله الشعراء المؤمنين المدافعين عن الإسلام كحسان وغيره . . . . .

٢٧ - سورة النمل مكية نزلت بعد سورة الشعراء

٣٥٥	القرآن هدى للمؤمنين وشفاء من الأمراض القلبية كالشرك وغيره . . . . .
٣٥٦	النار تنوقد في الشجرة الخضراء ولا تزداد إلا اخضراراً . . . . .
٣٥٧	المعجزة والكرامة تأتيان فجأة والدليل خوف موسى وهربه . . . . .
٣٥٨	كلما رأى الكفار معجزة جعلوها استكباراً عن اتباع الحق . . . . .
٣٥٩	ملك سليمان الإنس والجن وعلم منطق الطير والخيران . . . . .
٣٦٠	أبناً المهدهد سليمان بنأ سبأ وملكهم بلقيس باليمن . . . . .
٣٦١	كانت بلقيس هي وقومها يعبدون الشمس ويدرون خالقها وكل شيء . . . . .
٣٦٢	وصول كتاب سليمان إلى بلقيس وقومها يدعوهم فيه إلى الإسلام . . . . .
٣٦٣	هادوه فأبى إلا الإسلام أو الحرب فصاروا إليه مذعنين . . . . .
٣٦٤	قال : سليمان مَن يأتيني بعرشها ؟ قال العفريت : أنا ... وقبل قيامك . . . . .
٣٦٥	فأجابه سليمان : بينا آت به ... قبل ارتداد طرفك !! فإذا العرش مائل ! . . . . .
٣٦٦	دعا سليمان بلقيس وقومها إلى الإسلام فأسلمت وأسلموا . . . . .
٣٦٧	قوم ثمود يتطيرون بصالح وأتباعه وينسبون سوء إليهم . . . . .
٣٦٨	زوجة النبي معصومة من الزنى ولو كانت كافرة تكرمه له . . . . .
٣٦٩	انفرد الله بخلقكم ورزقكم ، ثم تعبثون سواه ... ؟ !!! . . . . .

- ٣٧٠ . . . . . يا من تفترون لله مخلق السموات والأرض ... أيعبد معه غيره ؟!
- ٣٧١ . . . . . أنار رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . . . . .
- ٣٧٢ . . . . . إن كنتم على حق فيما تشركون فهاتوا برهانكم . . . . .
- ٣٧٣ . . . . . كذبوا بالبعث فليظنظروا آثار ما حلّ بالمكذبين ، وكيف نحى المؤمنين . . . . .
- ٣٧٤ . . . . . يسبح الله نعمة على عباده ، ولا يشكره عليها إلا القليل . . . . .
- ٣٧٥ . . . . . الكفار كالموتى لا يسعون - من علامات الساعة خروج دابة تكلم الناس . . . . .
- ٣٧٦ . . . . . يوم القيامة لا ينطق الكافر ولا يؤذن له فيعتذر . . . . .
- ٣٧٧ . . . . . لا تقوم الساعة إلا على أشرار الناس لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً . . . . .
- ٣٧٨ . . . . . صفحات الصور ثلاث : نفخة الفرع ، ونفخة الصق ، ونفخة البعث . . . . .
- ٣٧٩ . . . . . من يهتدي يفتد نفسه ، ومن يضل يضل بها النار . . . . .
- ٣٨٠ . . . . . لو كان الله غافلاً شيئاً لأغفل البعوضة والجرذ والذرة . . . . .

### ٢٨ - سورة القصص مكية نزلت بعد سورة النمل

- ٣٨١ . . . . . الحكام الظالمون يفترون الأمة ويعملونها شيعاً . . . . .
- ٣٨٢ . . . . . ألهم الله أم موسى أن تلقي ابنها في اليم ضمن نابوت . . . . .
- ٣٨٣ . . . . . شفعت امرأة فرعون بموسى الوليد كيلا يقتله فرعون . . . . .
- ٣٨٤ . . . . . أرجع الله إلى أم موسى وليدها ، ترضعه وتأخذ أجره ! . . . . .
- ٣٨٥ . . . . . لا تقيسوا استغاثة العادة على استغاثة العباد وقرّوا بينهما فظنوا . . . . .
- ٣٨٦ . . . . . أخبر موسى بقصد فرعون للقبض عليه وقتله بالقبطي الذي قتله . . . . .
- ٣٨٧ . . . . . هرب موسى إلى مدين ، وأعان ابنتي شعيب على سقي الغنم . . . . .
- ٣٨٨ . . . . . شعيب يزوج موسى ابنته على أن يرعى غنمه ثماني سنوات . . . . .
- ٣٨٩ . . . . . قضى موسى أمم الأجلين ورعى غنم شعيب عشر سنين . . . . .
- ٣٩٠ . . . . . خصص الله موسى بالتكليم ، وبمعجزتي العصا واليد . . . . .
- ٣٩١ . . . . . شد الله عضد موسى بأخيه هارون وجعله نبياً مثله . . . . .
- ٣٩٢ . . . . . علم فرعون وقومه بصدق موسى ولكنهم كضروا عناداً واستكباراً . . . . .
- ٣٩٣ . . . . . فرعون خالده في النار برغم « محبيه المشفقين عليه ؟!!! » . . . . .
- ٣٩٤ . . . . . لم يهلك الله قوماً بعدذاب بعد موسى سوى من مسخ . . . . .
- ٣٩٥ . . . . . من دلائل نبوة محمد ﷺ إخباره عن أنبياء الأولين . . . . .
- ٣٩٦ . . . . . قال المشركون عن التوراة والقرآن سحران تظاهرا . . . . .

- ٣٩٧ . . . . . القسيون وفد النجاشي ، يحضرون مجلس الرسول ﷺ ويؤمنون . . . . .
- ٣٩٨ . . . . . كان آخر كلام أبي طالب : أنا على دين عبد المطلب . . . . .
- ٣٩٩ . . . . . لا عذاب قبل التبليغ ، ساكن الظالمين ما تزال عبرة للمعتبرين . . . . .
- ٤٠٠ . . . . . قدّموا الآخرة على الدنيا ، وما الدنيا إلا بهرج زائف زائل . . . . .
- ٤٠١ . . . . . يتادى الله تعالى في الآخرة موتجأ : أين شركائي ... ما نراهم معكم ... !؟ . . . . .
- ٤٠٢ . . . . . من غير الله تعالى يقلب الليل والنهار . . . . .
- ٤٠٣ . . . . . قارون أسوأ مثل للأغنياء المفسدين . . . . .
- ٤٠٤ . . . . . ما كان الغنى وحده دليلاً على رضائه تعالى . . . . .
- ٤٠٥ . . . . . أمر الله الأرض أن تطيع موسى بقارون فأمرها فابتلعت وداره . . . . .
- ٤٠٦ . . . . . الجنة للذين لا يريدون علواً في الأرض ، لا للمتكبرين . . . . .
- ٤٠٧ . . . . . ما كنت تعلم يا محمد أن سينزل عليك الوحي والرسالة . . . . .
- ٤٠٨ . . . . . الله هو الأول والآخر ، وله الملك والتصرف وهو المعبود وحده . . . . .

٢٩ - سورة العنكبوت مكية نزلت بعد سورة الروم

- ٤٠٩ . . . . . الله يتلى عباده بحسب إيمانهم وصيرهم . . . . .
- ٤١٠ . . . . . أياظن المسيئون بأعمالهم سيفلتون من عقاب الله ؟ . . . . .
- ٤١١ . . . . . وجوب طاعة الوالدين بسوى المعصية . ويل لمن يعبد الله على حرف . . . . .
- ٤١٢ . . . . . المظلون يحملون أوزارهم وأوزار من أضلّوهم . . . . .
- ٤١٣ . . . . . نوح وإبراهيم دعا كل إلى عبادة المتفرد بالخلق والرزق . . . . .
- ٤١٤ . . . . . عجيب لمن آمن بالخلق ... كيف يكفر بالمعاد ... ؟!!! . . . . .
- ٤١٥ . . . . . أقتلوه ... حرّموه : هكنا يجيب المبطون عندما تقمهم الحجة . . . . .
- ٤١٦ . . . . . أقر الله عين إبراهيم بولد ، وولد ولد ، كل صالح وني . . . . .
- ٤١٧ . . . . . جعل الله في ذريته النبوة ، فما من نبي إلا من سلالة ( بعده ) . . . . .
- ٤١٨ . . . . . دعا لوط قومه إلى الله ، فأبوا فاستصر الله عليهم . . . . .
- ٤١٩ . . . . . حل بقوم لوط عذاب عظيم . وانتقم الله من قوم شعيب . . . . .
- ٤٢٠ . . . . . مثل حجج المشركين كمثل بيت العنكبوت وهنا وضعفاً . . . . .
- ٤٢١ . . . . . ذكر الله إياكم ، أكبر وأعظم من ذكركم إياه . . . . .
- ٤٢٢ . . . . . بعد إبلاغ الدعوة لأهل الكتاب ، الإسلام أو الجزية أو الحرب . . . . .
- ٤٢٣ . . . . . محمد أمي وبني أمي حتى التحق بالرفيق الأعلى . . . . .

- ٤٢٤ . . . . . القرآن أعظم معجزة أبد الله بها عبده ورسوله محمداً ﷺ
- ٤٢٥ . . . . . التهديد بالعذاب ، عذاب معنوي قبل الحسي
- ٤٢٦ . . . . . الصبر في الله ، والتوكل عليه ، رأس كل نجاح
- ٤٢٧ . . . . . عرب الجاهلية مؤمنون بالربوبية مشركون بالألوهية
- ٤٢٨ . . . . . الجاهليون يشركون في الرخاء ، ويوحّدون في الشدة
- ٤٢٩ . . . . . سلب الله المشركين نعمة الأمن ، جزاء تكذيبهم بالحق
- ٣٠ - سورة الروم مكية نزلت بعد سورة الانشقاق
- ٤٣٠ . . . . . كان المشركون يودّون انتصارَ فارس ، والمسلمون يودّون انتصارَ الروم
- ٤٣١ . . . . . حقق الله وعده ، فقد نصر الروم أقرب الطائفتين إلى الحق
- ٤٣٢ . . . . . سبّحوا في الأرض وانظروا عاقبة من كانوا أشدّ منكم قوة
- ٤٣٣ . . . . . الأنداد يوم القيامة ، يتخلّصون عن عابديهم ويتبرّأون منهم
- ٤٣٤ . . . . . إرشاد الله لعباده أن يسبحوه ويمجدوه ويصلوا له الصلوات الخمس
- ٤٣٥ . . . . . مراحل خلق الإنسان : من ماء مهين إلى كمال القوة والقدرة
- ٤٣٦ . . . . . اختلاف الألسنة والألوان والنوم ليلاً والسعي نهاراً والموت والبعث
- ٤٣٧ . . . . . الكائنات خاضعة لله جميعاً حتى المشركين مقرّون بأن أربابهم عبده
- ٤٣٨ . . . . . أتجنّون أن يقاسمكم عبيدكم أمواؤكم ؟ فتتزيه الله عن ذلك أولى
- ٤٣٩ . . . . . المولود على الفطرة ، حتى يعرب لسانه شاكرًا أو كفورًا
- ٤٤٠ . . . . . الله هو المتصرّف بحكمته وعدله ، يعطي أقواماً ويمنع آخرين
- ٤٤١ . . . . . الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ، هل من شركائكم يفعل ذلك ؟
- ٤٤٢ . . . . . إذا تركت المعاصي حصلت البركات من السماء والأرض
- ٤٤٣ . . . . . لا تيأس يا محمد ، فكما كذبتك قومك ، كذب المرسلين أقوامهم
- ٤٤٤ . . . . . يقيت الله عباده بالمطر فجأة ، بعد قنوطهم منه
- ٤٤٥ . . . . . الموتى لا يسمعون وليس لهم أي اتصال مع أهل الدنيا
- ٤٤٦ . . . . . مراحل خالق الإنسان من الحياة إلى الموت
- ٤٤٧ . . . . . كتاب الأعمال سجلٌ يحصي على الإنسان عمله ويسجله
- ٤٤٨ . . . . . أصبر يا محمد واثبت ، فإنك على الحق

## ٣١ - سورة لقمان مكية نزلت بعد سورة الصافات

- ٤٤٩ . . . . . من آمن وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأيقن بالبعث فقد أفلح . . . . .
- ٤٥٠ . . . . . من ألهاه هو الدنيا عن القرآن فله العذاب الأليم . . . . .
- ٤٥١ . . . . . أنا خالق السموات والأرض أروني ماذا خلق الذي تعبدون من دوني . . . . .
- ٤٥٢ . . . . . لقمان كان عبداً صالحاً حكيماً ولم يكن نبياً . . . . .
- ٤٥٣ . . . . . طاعة الوالدين واجبة إلا في الشرك فلا يجوز الطاعة فيه . . . . .
- ٤٥٤ . . . . . لقمان يوصي ابنه بالتوحيد والصلاة والتواضع . . . . .
- ٤٥٥ . . . . . اقتصد في مشبك أخفض صورتك - الحكمة أجلت المساكين مجالس الملوك . . . . .
- ٤٥٦ . . . . . أجرُ حسن الخلق كأجر الجهاد ، والتكبر المختال لا ينظر الله إليه . . . . .
- ٤٥٧ . . . . . من كان في قلبه ذرة من كبر ، أكبه الله في النار . . . . .
- ٤٥٨ . . . . . إذا دعي الكفار إلى الإيمان ، آثروا ما كان عليه آباؤهم . . . . .
- ٤٥٩ . . . . . المشركون موحدون بالربوبية - كلمات الله لا تفقد . . . . .
- ٤٦٠ . . . . . ما خلق الكائنات ولا بعثها ، إلا كنفس واحدة . . . . .
- ٤٦١ . . . . . إتقوا يوماً لا يفدي الوالد ولده ، ولا الولد ولده . . . . .
- ٤٦٢ . . . . . مفاتيح الغيب الخمسة ، لا يعلمهن أحد إلا الله تعالى وحده . . . . .
- ٤٦٣ . . . . . إذا أراد الله قبض عبد بارئ ، جعل له إليها حاجة . . . . .

## ٣٢ - سورة السجدة مكية نزلت بعد سورة (المرتنون)

- ٤٦٤ . . . . . كان النبي ﷺ يقرأ في فجر الجمعة ( بالسجدة ) و ( هل أتى ) . . . . .
- ٤٦٥ . . . . . لا ولي لخلق الله تعالى سواه ، ولا شفيع إلا بإذنه . . . . .
- ٤٦٦ . . . . . استبعاد المشركين للبعث بعد الموت . . . . .
- ٤٦٧ . . . . . ينصى الكافر يوم القيامة أن يعود ليعمل صالحاً ، ولكن هيهات . . . . .
- ٤٦٨ . . . . . الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، هم : قرأمو الليل . . . . .
- ٤٦٩ . . . . . كما أنغى المؤمنون أعمالهم الصالحة ، أنغى الله لهم ما لا عين رأت . . . . .
- ٤٧٠ . . . . . هل يستوي المؤمن البِرُّ والفاسق الفاجر ؟ ! . . . . .
- ٤٧١ . . . . . ألم يعتبر المكذبون ، بما حلَّ فيمن كذبوا قبلهم . . . من الهلاك والدمار . . . . .
- ٤٧٢ . . . . . يرزقهم الله من الثمرات ، ويحبي أرضهم الجديدة ، ثم يستعجلونه بالعذاب !!! . . . . .
- ٤٧٣ . . . . . سترى ما أعدَّ لك من النعم ، وسيرون ما أعدَّ لهم من النقم . . . . .

## ٣٣ - سورة الأحزاب مدنية نزلت بعد سورة آل عمران

- ٤٧٤ . . . . . يأمر الله رسوله بالتقوى وبتأباع الوحي ، والمؤمنون بطريق الأول . . . . .
- ٤٧٥ . . . . . فكما لا يكون لبشر قلبان ، لا يكون لولد أبان . . . . .
- ٤٧٦ . . . . . نسخ الاسلام جواز ، ادعاء الأبناء الأجانب ، وأمرهم برد نسبهم إلى آبائهم
- ٤٧٧ . . . . . أزواج الرسول أمهات المؤمنين ، ولا يشمل التحريم بناتهن وأخواتهن بالإجماع
- ٤٧٨ . . . . . التوارث بالأرحام ، نسخ التوارث بالمواخاة بين المهاجرين والأنصار . . . . .
- ٤٧٩ . . . . . حضر الخندق ، حشود الأحزاب ، اليهود يقضون العهد (عليّ) يقتل (ابن ود)
- ٤٨٠ . . . . . نصر الله المسلمين بالريح والملائكة . . . . .
- ٤٨١ . . . . . نكول المنافقين عن الجهاد ، إدعاؤهم : بيوتهم عورة ، وليت كذلك . . . . .
- ٤٨٢ . . . . . الفرار من الجهاد لا يؤخر الآجال ، والإقدام لا يقدّمها . . . . .
- ٤٨٣ . . . . . الهاربون من الجهاد ، أحبط الله أعمالهم . . . . .
- ٤٨٤ . . . . . الرسول أسوة في قوله وفعله للمؤمنين في الحرب وفي السلم . . . . .
- ٤٨٥ . . . . . الله لا يعذب عبده بعلمه بما سيعمل . . . . . ولكن حتى يعمل . . . . .
- ٤٨٦ . . . . . صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده . . . . .
- ٤٨٧ . . . . . حكم سعد بقريظة بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم وتقسيم الأموال . . . . .
- ٤٨٨ . . . . . إنكشف حكم سعد (رض) عن ضرب أعناق ٨٠٠ يهودي قريظي . . . . .
- ٤٨٩ . . . . . إن كان يمكن للرسول أن يشرك ، فيمكن لزوجته أن تزني . . . . .
- ٤٩٠ . . . . . يطعم الذي في قلبه مرض ، وإنما قلبها معصوم من (المرض . . . . .)
- ٤٩١ . . . . . أذهب الله الرجس عن أهل البيت وطهرهم تطهيراً . . . . .
- ٤٩٢ . . . . . نساء النبي من أهل بيته ، وفاطمة وعليّ والحسن والحسين كذلك . . . . .
- ٤٩٣ . . . . . علم الله كيف ينتقي لرسوله زوجات لا تقات بشرف بيت النبوة . . . . .
- ٤٩٤ . . . . . الجنة : للمسلم المؤمن القانت الصادق الصابر الخاشع المنصدق الصائم العفيف الذاكر
- ٤٩٥ . . . . . ليس المؤمن مختاراً في تنفيذ أمر الله ورسوله ، بل ملزماً . . . . .
- ٤٩٦ . . . . . لو عاش زيد بن حارثة بعد رسول الله ﷺ لاستخلفه . . . . .
- ٤٩٧ . . . . . لو كنتم محمد ﷺ شيئاً من القرآن لكنتم (وتخفي في نفسك . . . . .)
- ٤٩٨ . . . . . حكمة زواجه ﷺ بزَيْنَب : تشريع محلّ زوجة الدعوى بعد طلاقها وعدتها . . . . .
- ٤٩٩ . . . . . محمد ﷺ رسول الله إلى أهل الأرض كافة إنسهم وجنهم . . . . .
- ٥٠٠ . . . . . خصت النبوات والرسالات بمحمد ﷺ وكل مدّع ذلك بعده كذاب . . . . .

- ٥٠١ . . . . . الذكر الحقيقي، قربة إلى الله ، والذكر البدعي بعد عنه .
- ٥٠٢ . . . . . الله أرحم بعباده المؤمنين من الأم الرؤوم بولدها .
- ٥٠٣ . . . . . صفته ﷺ في التوراة ، شاهداً بالوحدانية ، مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين .
- ٥٠٤ . . . . . عدة المتوفى زوجها ولو قبل الدخول أربعة أشهر وعشرة أيام .
- ٥٠٥ . . . . . لا عدة على المطلقة قبل الدخول ولها نصف المهر .
- ٥٠٦ . . . . . لا تحل الموهوبة لغير النبي ﷺ إلا بمهر .
- ٥٠٧ . . . . . خيبره الله بتسريح من يشاء من نسائه ، وتزوج من يشاء .
- ٥٠٨ . . . . . ( لا يحل لك النساء من بعده ) منسوخة بـ ( ترجي من تشاء ممنهن ) .
- ٥٠٩ . . . . . وافق عمرُ ربه في ثلاث : منها آية حجاب نساء الرسول ﷺ .
- ٥١٠ . . . . . حرام : دخول بيوته ﷺ بلا إذنه ، وتزوج نسائه من بعده .
- ٥١١ . . . . . المحارم الذي لا يجب الاحتجاب منهم .
- ٥١٢ . . . . . الصلاة من الله ، ثناء على عبده في الملأ الأعلى .
- ٥١٣ . . . . . وجوب الصلاة على الرسول ﷺ في الصلاة . الصيغ الواردة منها .
- ٥١٤ . . . . . كل صلاة عليه ﷺ بعشر ، البخيل من لم يصل عليه .
- ٥١٥ . . . . . الصلاة عليه الصلاة (الشرعية) بعد الأذان جزاؤها شفاعته ﷺ .
- ٥١٦ . . . . . لا يجوز إفراد السلام على أحد من غير الأنبياء ﷺ .
- ٥١٧ . . . . . الأمر بالحجاب لنساء النبي ﷺ ويشمل نساء المؤمنين .
- ٥١٨ . . . . . هدّد الله المنافقين والزناة ومرّوجي الشائعات بالنفي والتقتيل .
- ٥١٩ . . . . . علم الساعة عند الله - يتمنى الكافرون لو كانوا مسلمين .
- ٥٢٠ . . . . . من يتق الله ويقل الحق يصلح عمله ويعفر ذنبه .
- ٥٢١ . . . . . الأمانة هي التكليف وقبول الأوامر والنواهي .
- ٥٢٢ . . . . . الحلف بالأمانة حلف بغير الله ، والحلف بغير الله شرك .

## ٣٤ - سورة سبأ مكية نزلت بعد سورة لقمان

- ٥٢٣ . . . . . لله الحمد المطلق على نعماته ، فهو الخالق الرازق المعبود وحده .
- ٥٢٤ . . . . . الحكمة من البعث ، أن يجزي تعالى كلاً بما يستحق .
- ٥٢٥ . . . . . التفكير في خلق السموات والأرض حافز لتفهم قدرته تعالى والتوبة إليه .
- ٥٢٦ . . . . . كان داود يكفي بطن الدروع عن الراتب من بيت المال .
- ٥٢٧ . . . . . سخر الله لسليمان الريح ، وكذلك الجن يعملون بين يديه .



- ٥٢٨ . . . . . بقاء سليمان سنة ميتاً متوكناً عصاه ، ينفي معرفة الجن بالغيب .
- ٥٢٩ . . . . . سباً رجلاً توأد منه عشر قبائل ، هن أصل عرب اليمن .
- ٥٣٠ . . . . . يدال الله ظلّهم بالأشواك والبلاقع ، وجعلهم شذر مذر .
- ٥٣١ . . . . . وهكذا تفرقت قبائل سبأ في الجزيرة والشام والعراق .
- ٥٣٢ . . . . . المؤمن إذا أصابته سرآء شكر ، وإذا أصابته ضرآء صبر .
- ٥٣٣ . . . . . الذين تدعونهم من دون الله لا يملكون شيئاً معه .
- ٥٣٤ . . . . . يسرق الجنّي الكلمة ثم يكذب معها مئة كذبة ، ويلقيها للكاهن .
- ٥٣٥ . . . . . محمّد ﷺ رسول الله إلى الجن والإنس أجمعين .
- ٥٣٦ . . . . . لا حجة بالجهل وتوريط الكبراء لأتباعهم ، فالكل معذبون .
- ٥٣٧ . . . . . كل نبيّ كثر به المرفون ، واتبعه المستضعفون .
- ٥٣٨ . . . . . الأموال والأولاد لا تقرب إلى الله ، إنما هي الأعمال الصالحة .
- ٥٣٩ . . . . . تبرؤ الملائكة المكرمين من عابديهم .
- ٥٤٠ . . . . . المشركون يصفون القرآن بأنه مفترى ، ويعترفون بأنه فوق كلام البشر .
- ٥٤١ . . . . . تبرّدوا عن هواكم واحكموا : هل محمّد به جنة !!؟
- ٥٤٢ . . . . . زلزل رسول الله ﷺ الأصنام المنصوبة حول الكعبة يوم الفتح .
- ٥٤٣ . . . . . لا يرفع الإيمان عند معاينة العذاب ، لانتهاء وقت الإيمان .
- ٥٤٤ . . . . . الملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر من ذلك .
- ٥٤٥ . . . . . إن أراد الله منك بضر ، أو أراد كشفه ، فلا راداً لذلك .
- ٥٤٦ . . . . . الله يضلّ من علم منه اختيار طريق الضلال على الهدى .
- ٥٤٧ . . . . . لا يقبل الكلم الطيب ، إلا بعمل صالح يرضى الله عنه .
- ٥٤٨ . . . . . يعلم الله ما تحمل الأنثى وما تضع ، والأعمار في كتاب عنده .
- ٥٤٩ . . . . . الشكر لله على ما سخّر من نعم في السموات والأرض .
- ٥٥٠ . . . . . أتدعون من لا يملك شيئاً ، وتذرون الفتيّ الحميد !!؟
- ٥٥١ . . . . . يوم القيامة لا يحمل أحد وزر أحد ، ولو أقرب الأقربين .
- ٥٥٢ . . . . . الكفار كأهل القبور (وما أنت بسمع من في القبور) .
- ٥٥٣ . . . . . العلماء أشد خشية لله من سواهم لأنهم أعلم به منهم .

٣٥ - سورة فاطر مكية نزلت بعد سورة الفرقان

- ٥٥٢ . . . . . ليسع المسلم جاهداً أن يكون سابقاً للخيرات
- ٥٥٥ . . . . . فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب
- ٥٥٦ . . . . . يتجاوز الله للمؤمن عن كثير السيئات ، وتشكر له حسنة القليلة
- ٥٥٧ . . . . . الكافر لو أعاده الله بعد المعاد لكفر ثانية
- ٥٥٨ . . . . . أنا خالق كل شيء أروني الذين عبدواهم من دوني ، فاذا خلقوا
- ٥٥٩ . . . . . أقسمت قريش لئن جاءهم نذير ليشعنه فلما جاءهم ازدادوا كفرا
- ٥٦٠ . . . . . ألا ترون فيمن كفر من قبلكم عظة وعبرة

٣٦ - سورة يس مكية نزلت بعد سورة الجن

- ٥٦١ . . . . . ( منهم غافلون ) ليست العقلة عن التوحيا عذراً مقبولاً عند الله
- ٥٦٢ . . . . . لما رفض المشركون دعوة محمد ﷺ حرم عليهم الإيمان
- ٥٦٣ . . . . . والذين قبلوا دعوة محمد ﷺ ينفعهم القرآن ويورثهم الجنة والغفران
- ٥٦٤ . . . . . ضرب الله مثلاً بأصحاب القرية الذين كذبوا برسولهم الثلاثة
- ٥٦٥ . . . . . صاحب يس آمن بالمرسل ونصح قومه بالإيمان بهم فقتلوه
- ٥٦٦ . . . . . نصح قومه في حياته ، وبعدما قتلوه تمتنى أن يؤمنوا
- ٥٦٧ . . . . . لا رجعة إلى الدنيا بعد الموت إنما هي قيامة واحدة
- ٥٦٨ . . . . . الأيدي تفرس الحبة والله يحییها ويخرج ثمرها . فهو المستحق للشكر
- ٥٦٩ . . . . . الشمس تسجد تحت العرش حتى يؤذن لها بالإشراق
- ٥٧٠ . . . . . من نعمه تعالى : جريان الشمس والقمر ، والمركوبات جواً وبراً وبحراً
- ٥٧١ . . . . . إذا ركبتم البحر وشاء الله إغراقكم ، أتتقلون إلا برحمة منه
- ٥٧٢ . . . . . الكافرون بالبعث يرون حقيقة ما كانوا يكذبون به
- ٥٧٣ . . . . . المؤمنون ينعمون فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت و . . .
- ٥٧٤ . . . . . يحتم على أفواه الكفار ويُطلق الله أركانهم فتشهد عليهم
- ٥٧٥ . . . . . أليس في بداية الانسان ونهايته عبرة للمعتبرين ؟
- ٥٧٦ . . . . . ما علم الله رسوله ﷺ الشعر ، ولا يصلح له
- ٥٧٧ . . . . . القرآن رحمة للمؤمنين ، وحجة على الكافرين ، وأنزل للأحياء لا للأموات
- ٥٧٨ . . . . . أقر الكافر بأن الله خلقه من العدم ، وكفر بمعاده من الرمم
- ٥٧٩ . . . . . الذي خلق السموات والأرض قادر على خلق البشر وإعادته
- ٥٨٠ . . . . . وسبحان مالك كل شيء عما يقول المشركون وتعالى علواً كبيراً

## فهرس الأحاديث للمجلد الثالث

رقمه	الحديث النبوي الشريف	الصفحة درجة الحديث
١٧ - سورة الإسراء		
١	أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون	ص ٥
٢	... ثم رفعت إلى سدره المنتهى ، قال وإذا أربعة أنهار	ص ٥
٣	... قلت قد سألت ربي فاستحييت ولكن أرضى وأسلم	ص ٦
٤	... ثم انطلق بي حتى انتهيت إلى سدره المنتهى . . .	ص ٦
٥	... سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال : نور	ص ٦
٦	لورأيت رسول الله لسأله . فقال : عن أي شيء . . .	ص ٦
٧	ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف	ص ٧
٨	لما كذبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس . . .	ص ٧
٩	... فتجهز فأس من قريش إلى أبي بكر فقالوا : هل لك	ص ٧
١٠	لما كان ليلة أسري بي فأصبحت بمكة . . . . .	ص ٧
١١	... لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي .	ص ٨
١٢	ان الله ليرضى عن العبد أن يأكل ... فيحمد الله عليها	ص ١١
١٣	انا ميد ولد آدم يوم القيامة . . . . .	ص ١١
١٤	لا تدعوا على أنفسكم . ولا على أموالكم أن توافقوا	ص ١٤
١٥	اختصمت الجنة والنار ... الجنة دار فضل ... والنار دار	ص ١٧
١٦	... فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع قدمه فتقول . . . . .	ص ١٧
١٧	أربعة يحتجون يوم القيامة ، رجل أصم لا يسمع شيئاً .	ص ١٧
١٨	... فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها	ص ١٧
١٩	سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين قال : هم مع	ص ١٧
٢٠	يؤتى بالمسوخ عقلاً وبالخالك في الفترة وبالخالك صغيراً	ص ١٧
٢١	كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه	ص ٢٢

رقمه	الحديث النبوي الشريف	الصفحة	درجة الحديث
٢٢	يا رسول الله أرأيت من يموت صغيراً . . . . .	١٨	صح فق
٢٣	ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم ابراهيم عليه السلام . . . . .	١٨	صح
٢٤	إني خنقت عبادي حنفاء - وفي رواية - مسلمين . . . . .	١٨	صح م
٢٥	كل مولود يولد على الفطرة . فناداه الناس . . . . .	١٨	صح
٢٦	سألنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال : هم . . . . .	١٨	صح
٢٧	يا رسول الله من في الجنة ؟ قال : النبي في الجنة . . . . .	١٨	صح
٢٨	... هذا ابراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد المسلمين . . . . .	١٨	صح بخ
٢٩	الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له . . . . .	٢٠	صح
٣٠	إن أهل الدرجات الأعلى ليرون أهل عليين كما ترون . . . . .	٢٠	صح فق
٣١	من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته . . . . .	٢١	صح
٣٢	صعد المنبر ثم قال « آمين . آمين آمين » يا رسول الله . . . . .	٢٢	صح
٣٣	... يا رسول الله هل بقي عليّ من بر أبيي شيء . . . . .	٢٢	صح
٣٤	... يا رسول الله أردت الغزو وجنتك استشيرك فقال : . . . . .	٢٢	صح
٣٥	... إن الله يوصيكم بآبائكم . إن الله يوصيكم بأمهاتكم . . . . .	٢٢	صح
٣٦	... كان إذا رجع من سفر قال : آيبون تأيبون عابدون . . . . .	٢٣	صح
٣٧	... أملك وأباك ثم أدناك ثم أدناك . . . . .	٢٣	صح
٣٨	من أحب أن يسقط له في رزقه ويسأله في أجله . . . . .	٢٣	صح
٣٩	مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جتان من حديد . . . . .	٢٤	صح فق
٤٠	انفقي هكذا وهكذا وهكذا ولا توعي فيوعي الله عليك . . . . .	٢٤	صح فق
٤١	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء . . . . .	٢٤	صح فق
٤٢	ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً نفق إلا عزاً . . . . .	٢٤	صح م
٤٣	ما عال من اقتصد . . . . .	٢٤	صح
٤٤	إن من عبادي لمن لا يصلح له إلا الفقر ولو اغنيته لأفدت . . . . .	٢٤	صح
٤٥	يا رسول الله : أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً . . . . .	٢٥	صح فق
٤٦	إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنذن لي . . . . .	٢٥	صح
٤٧	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله . . . . .	٢٦	صح فق
٤٨	لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم . . . . .	٢٦	صح
٤٩	يا أبا ذر أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي . . . . .	٢٦	صح م

رقمه	الحديث النبوي الشريف	الصفحة	درجة الحديث
٥٠	من تواضع لله رفعه الله ، فهو في نفسه حقير . . . . .	٢٧	صح
٥١	سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير . . . . .	٢٩	
٥٢	كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . . . . .	٣٠	صحیح
٥٣	إن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لمن تسبيح . . . . .	٣٠	
٥٤	نهي رسول الله ﷺ عن قتل الضفادع وقال : نقيضها . . . . .	٣٠	صح
٥٥	وأمر كما سبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء . . . . .	٣٠	
٥٦	إن الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . . . . .	٣٠	صح فق
٥٧	ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم . . . . .	٣٣	
٥٨	- وفي رواية - الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . . . . .	٣٣	صح
٥٩	لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح . . . . .	٣٣	صح
٦٠	لا تفضلوا بين الأنبياء . . . . .	٣٤	صح
٦١	ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً . . . . .	٣٥	صح
٦٢	والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتكم ولو شئت لكان . . . . .	٣٥	صح
٦٣	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : اللهم . . . . .	٣٨	صح فق
٦٤	إن الملائكة قالت : يا ربنا أعطيت نبي آدم الدنيا . . . . .	٤١	
٦٥	... يدعى أحدكم فيعطى بيمينه ، ويمد له في جسمه . . . . .	٤١	
٦٦	... اخرج يا أبا بكر فهذا حين ذلكت الشمس . . . . .	٤٣	صح
٦٧	فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون . . . . .	٤٣	صح
٦٨	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة في النهار . . . . .	٤٣	صح فق
٦٩	إنه شل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ، قال صلاة الليل . . . . .	٤٤	صح م
٧٠	إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء ، كل أمة تتبع نبيها . . . . .	٤٤	صحیح
٧١	من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة . . . . .	٤٥	صحیح
٧٢	إذا كان يوم القيامة كنتُ إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب . . . . .	٤٥	صح
٧٣	... أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك . . . . .	٤٥	صح فق
٧٤	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر . . . . .	٤٥	صح
٧٥	إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . . . . .	٤٦	صح
٧٦	دخل النبي مكة وحول البيت ستون وثلاثمئة نصب . . . . .	٤٦	صح فق

٧٧	... يا محمد ما الروح ؟	صح فق	٤٨
٧٨	قالت قريش ليهود أعطونا شيئاً نسال عنه هذا الرجل .	صح	٤٨
٧٩	نزلت بمكة : ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً . . . . . )	صح	٤٨
٨٠	دعا أكابر قريش محمداً ﷺ فجاءهم سريعاً وهو يظن	صح	٥٠
٨١	قبيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم . . .	صح فق	٥٣
٨٢	ان رجلاً من المشركين سمع النبي ﷺ يقول في سجوده		٥٧
٨٣	... إذا صلى بأصحابه رفع صوته ... فنزلت ولا تجهر	صح فق	٥٧
٨٤	فلما هاجر إلى المدينة سقط ذلك ، يفعل أي ذلك شاء . . .		٥٨

## ١٨ - سورة الكهف

٨٥	قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر . . . . .	صح فق	٥٩
٨٦	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من	صح م	٥٩
٨٧	من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف . . . . .	صح	٥٩
٨٨	من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة	صح م	٥٩
٨٩	من قرأ عشر آيات من الكهف . . . . .	صح	٥٩
٩٠	من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بين	صح	٥٩
٩١	بعثت قريش النضر بن الحارث ابن أبي معيط إلى أحبار	صح	٦١
٩٢	... وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً . . .	صح	٦٣
٩٣	الأرواح جنود مجنونة ، فما تعارف منها ائتلف . . . . .	صح فق	٦٤
٩٤	يوشك أن يكون خير قال أحدكم غنماً يتبع بها شعف	صح	٦٥
٩٥	يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما . . . . .	صح	٦٥
٩٦	ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ، ويباعدكم من النار	صح	٦٦
٩٧	... الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب . . . . .	صح	٦٦
٩٨	... ولا صورة ولا جنب ولا كافر . . . . .	حسن	٦٦
٩٩	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .	صح	٦٩
١٠٠	كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون أطرد هؤلاء	صح	٧١
١٠١	... هذا المجلس الذي أمرت أن أصير نفسي معهم . . .	صح	٧١
١٠٢	... فوجد قوماً يذكرون الله تعالى ، منهم ثائر الرأس		٧١

رقمه	الحديث النبوي الشريف	الصفحة درجة الحديث
١٠٣	ألا أدلتك على كثير من كنوز الجنة . ( لا حول ولا قوة )	٧٥
١٠٤	الدنيا خضرة حلوة . . . . .	ص ٧٦
١٠٥	... من توطأ وضوئي هذا ثم قام فصلّى صلاة الظهر	٧٧
١٠٦	من قام من الليل فتوطأ ومضمض فاه ثم قال : . . . . .	٧٧
١٠٧	... وعلمي هؤلاء الكلمات : سبحان الله والحمد لله	٧٧
١٠٨	... فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم	ص ٧٨
١٠٩	ان الجمعاء لتقتص من القرناء يوم القيامة . . . . .	ص ٧٩
١١٠	خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار و... .	ص ٧٩
١١١	إن الكافر يرى جهنم فيظن أنها مواقته من مسيرة أربعين	٨١
١١٢	... فقال ألا تصليان ؟ فقلت يا رسول الله إنما أنفستا بيد	ص ٨١
١١٣	ان موسى قام خطيباً في بني اسرائيل فمثل أي الناس أعلم	ص ٨٤
١١٤	... رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر	ص ٨٧
١١٥	الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً . . . . .	ص ٨٨
١١٦	لا يقضي الله لمؤمن قضاءً إلاّ كان خيراً له . . . . .	ص ٨٨
١١٧	اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض . . . . .	ص ٨٩
١١٨	لو كان موسى حياً لما وسعه إلاّ اتباعي . . . . .	ص ٨٩
١١٩	لا يبقى ممن على وجه الأرض إلى مئة سنة . . . . .	ص ٨٩
١٢٠	إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز . . . . .	ص ٨٩
١٢١	إن الله تعالى يقول : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك	ص ٩٣
١٢٢	كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني جبهته	ص ٩٤
١٢٣	ليأني الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله	ص ٩٥
١٢٤	إذا سألت الله الجنة فأسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة . . . . .	ص ٩٦
١٢٥	... الشرك المنفي أن يقوم الرجل يصلّي لمكان الرجل	ص ٩٧
١٢٦	أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري . . . . .	ص ٩٧
١٢٧	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . . . . .	ص ٩٧
١٢٨	من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو	ص ٩٧

## ١٩ - سورة مريم

١٢٩	... لا نورث ما تركناه وصدقة . . . . .	صح	٩٩
١٣٠	ان الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . . . . .	صح	١٠٧
١٣١	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . . . .	صح فق	١٠٨
١٣٢	إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار يُمَاء بالموت	صح فق	١٠٨
١٣٣	إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل . . . . .	صح م	١١٢
١٣٤	رحم الله رجلاً قام من الليل فضلى فأيقظ امرأته . . . . .	صح	١١٢
١٣٥	إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصلياً ركعتين	صح	١١٢
١٣٦	التوبة نجب ما قبلها . . . . .	صح	١١٥
١٣٧	الثائب من الذنب كمن لا ذنب له . . . . .	صح	١١٥
١٣٨	قال محمد بن جبريل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا	صح بخ	١١٦
١٣٩	ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرمه فهو حرام . . . . .	صح	١١٧
١٤٠	يقول تعالى : كذَّبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني . . . . .	صح	١١٧
١٤١	اختلفنا في الورد فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن . . . . .	صح	١١٨
١٤٢	يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم . . . . .		١١٨
١٤٣	لا يموت لأحد المسلمين ثلاثة من الولد تمشه النار إلا نَحْلَة	صح فق	١١٨
١٤٤	كنت رجلاً قيناً وكان لي علي العاصم بن وائل دين . . . . .	صح فق	١٢١
١٤٥	لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله . . . . .	صح	١٢٢
١٤٦	لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله . . . . .	صح	١٢٢
١٤٧	ان الله إذا أحب عبداً دعا جبريل في أحب فلاناً . . . . .	صح	١٢٥
١٤٨	إذا أحب الله عبداً نادى جبريل في قد أحبيت فلاناً . . . . .	صح	١٢٥



## ٢٠ - سورة طه

١٤٩	من نام عن صلاة أو نسيها فكفارها إذا صلىها إذا ذكرها	صح	١٢٩
١٥٠	مثل الصانع الذي يختبئ في صنعة الخبير كشئ أم موسى	صح	١٣٣
١٥١	إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ساجز قرنه .	صح	١٣٧
١٥٢	أن رسول الله ﷺ حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ	صح	١٣٩
١٥٣	إذا أخذتم - يعني الساحر - فاقتلوه ثم قرأ ( ولا يفلح	صح	١٤٢
١٥٤	أقام أهل النار الذين هم أهلها فأنهم لا يموتون فيها و ...	صح	١٤٤
١٥٥	الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء	صح	١٤٤
١٥٦	أن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر	صح فق	١٤٤
١٥٧	لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء	صح فق	١٤٦
١٥٨	إنه سئل عن الصور فقال : قرن يفتح فيه . . . . .	صح	١٥١
١٥٩	إنه قرن عظيم الدائرة منه يقدر السموات والأرض . . .	.	١٥١
١٦٠	أتى تحت العرش وأنحر ساجداً ويفتح علياً بمحامد لا	صح فق	١٥٢
١٦١	إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . . . . .	صح	١٥٣
١٦٢	إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما	صح	١٥٣
١٦٣	اللوم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني وزدني علماً	.	١٥٣
١٦٤	وأعوذ بالله من حال أهل النار . . . . .	صح	١٥٣
١٦٥	حاج موسى آدم فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من	صح فق	١٥٥

١٦٦	المعيشة الضنك الذي قال الله انه يسلط عليه تسعة وتسعين	١٥٥
١٦٧	ما من رجل قرأ القرآن فغسيه إلا لقي الله . . . . .	١٥٦
١٦٨	ان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . . . . .	صح ١٥٦
١٦٩	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في	صح فق ١٥٧
١٧٠	يقول الله تعالى ، يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا	صح ١٥٧
١٧١	يا أهل الجنة ان لكم عند الله وعداً يريد أن . . . . .	صح ١٥٧
١٧٢	إن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ . . . . .	صح ١٥٨
١٧٣	كان النبي اذا أصابته خصاصة نادى أهله يا أهله صلوا	صح ١٥٨
١٧٤	يقول الله تعالى : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي مملأ صدرك	صح ١٥٨
١٧٥	رأيت الليلة كأنني في دار عقبة بن رافع وأنا أتينا برطب	صح ١٥٨
١٧٦	ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر	صح فق ١٥٩

## ٢١ - سورة الانبياء

١٧٧	( في غفلة معرضون ) قال « في الدنيا » . . . . .	١٦٠
١٧٨	قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقررت	صح ١٦٦
١٧٩	كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان	صح ١٧١
١٨٠	ان الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمي على رؤوس	صح ١٧١
١٨١	وإن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث . اثنتين في	صح ١٧٤
١٨٢	حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقوه في النار	صح يخ ١٧٦
١٨٣	لما ألقى إبراهيم في النار قال : اللهم أنك في السماء واحد	صح ١٧٦
١٨٤	دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رجلاً طويلاً قلت :	صح ١٧٦
١٨٥	إذا اجتهد الحاكم فأصاب ، فله أجران . . . . .	صح يخ ١٧٩
١٨٦	القصة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار . . . . .	صح ١٧٩
١٨٧	لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داوود . . . . .	صح ١٧٩
١٨٨	أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون . . . . .	صح ١٨٠
١٨٩	لما عاقب الله أيوب أمطر عليه جراداً من ذهب . . . . .	صح فق ١٨١
١٩٠	دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت : ﴿ لا إله إلا أنت ﴾	صح ١٨٤
١٩١	اسم الله الذي اذا دعي به أجاب . . . . .	صح ١٨٤

رقمه	الحديث النبوي الشريف	الصفحة درجة الحديث
١٩٢	نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ودينا واحد . . . . .	ص ١٨٥
١٩٣	غير الدجال أخوفني عليكم . فإن يخرج وأنا فيكم فأنا	ص ١٨٦
١٩٤	فتطردهم بالمهيل . . . . .	١٨٧
١٩٥	إن عيسى بن مريم يحج البيت العتيق . . . . .	ص ١٨٧
١٩٦	ليحجن هذا البيت وليعمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج	ص بخ ١٨٧
١٩٧	إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات	ص بخ ١٨٩
١٩٨	إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً . . . . .	ص فق ١٩٠
١٩٩	إني لم أبعث لعاناً وإني بعثت رحمة . . . . .	ص م ١٩١
٢٠٠	أبما رجل سبته في غضبي ، أولعته لعنة . . . . .	ص ١٩١
٢٢ - سورة الحج		
٢٠١	والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك . . . . .	ص ١٩٣
٢٠٢	يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم فيقول : لبيك يا ربنا	ص بخ ١٩٣
٢٠٣	إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلاً . . . . .	ص ١٩٤
٢٠٤	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة . . . . .	ص فق ١٩٦
٢٠٥	يا رسول الله أكلتنا يرى الله عز وجل يوم القيامة . . . . .	١٩٧
٢٠٦	أتندري أين تذهب هذه الشمس ؟ قلت الله ورسوله أعلم	ص فق ٢٠٠
٢٠٧	إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان . . . . .	ص م ٢٠٠
٢٠٨	قلت يا رسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن	ص ٢٠١
٢٠٩	إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمه . . . . .	ص ٢٠١
٢١٠	تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء . . . . .	ص فق ٢٠٢
٢١١	لا تلبسوا الحرير ولا الدباج في الدنيا . . . . .	ص ٢٠٢
٢١٢	قلت يا رسول الله أنزل غدا في دارك بمكة ؟ . . . . .	ص فق ٢٠٣
١١٣	قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال : المسجد	ص فق ٢٠٤
٢١٤	ما العمل في أيام أفضل منها في هذه . . . . .	ص بخ ٢٠٥
٢١٥	ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن . . . . .	ص ٢٠٥
٢١٦	إن هذا هو العشر الذي أقسم الله به . . . . .	ص ٢٠٦
٢١٧	مثل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفه . . . . .	ص م ٢٠٦

٢١٨	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال :	صح فق	٢٠٧
٢١٩	إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى		٢٠٨
٢٢٠	أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن . . .	صح	٢٠٨
٢٢١	نهي رسول الله ﷺ أن نضحي بأعضب القرن والأذن	صح	٢٠٨
٢٢٢	أربع لا تجوز في الأضاحي : العوراء البين عورها ،	صح	٢٠٩
٢٢٣	اشترت كبشا أضحي به فعدا الذئب فأخذ الإلية . . .	صح	٢٠٩
٢٢٤	أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة قال اركبها	صح	٢٠٩
٢٢٥	قال رسول الله ﷺ اركبها بالمعروف إذا أبلت إليها	صح	٢٠٩
٢٢٦	أنى رسول الله ﷺ بكشين أملحين أقرنين فسمى وكبر	صح	٢١٠
٢٢٧	قلت يا رسول الله ما هذه الأضاحي ؟ قال سنة أبيكم	صح	٢١٠
٢٢٨	أمرنا رسول الله ﷺ أن نشرك في الأضاحي . . . . .	صح	٢١٠
٢٢٩	ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله . . . . .	حسن	٢١١
٢٣٠	ما انفقت الورق في شيء أفضل من نخيرة في يوم عيد	صح	٢١١
٢٣١	بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني وعن من لم يضع . . .	صح	٢١١
٢٣٢	إبعثها قياماً مقيدة ، سنة أبي القاسم محمد ﷺ . . . . .	صح فق	٢١١
٢٣٣	لا تعجلوا النفوس أن تزحق . . . . .	صح	٢١١
٢٣٤	إن الله كعب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم . . . . .	صح م	٢١١
٢٣٥	ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة . . . . .	صح	٢١١
٢٣٦	إني كنت أنهيكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث	صح	٢١١
٢٣٧	فكلوا وادخروا وتصدقوا . . . . .	صح	٢١٢
٢٣٨	فكلوا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها . . .	صح	٢١٢
٢٣٩	إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي . . . . .	صح	٢١٢
٢٤٠	لا تذبحوا قبل أن يذبح الإمام . . . . .	صح م	٢١٢
٢٤١	إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم . . . . .	صح	٢١٢
٢٤٢	ليس في المال حق سوى الزكاة . . . . .		٢١٣
٢٤٣	كما بابغ أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ . . . . .		٢١٤
٢٤٤	إن الله ليعلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . . . . .	صح فق	٢١٦

رقمه	مطلع الحديث النبوي	الصفحة درجة الحديث
٢٤٥	يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم	٢١٧ حسن صح
٢٤٦	إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض	٢٢٥ صح م
٢٤٧	أول ما خلق الله القلم قال له اكتب ، قال وما أكتب ؟	٢٢٥ صح
٢٤٨	قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلق ،	٢٢٦ صح
٢٤٩	فضلت سورة الحج بسجدين فمن لم يسجد بهما فلا	٢٢٨ صح
٢٥٠	بعثت بالحنيفية السمحة . . . . .	٢٢٨ صح
٢٥١	بشراً ولا تنفراً ، ويستراً ولا تعصراً . . . . .	٢٢٨ صح
٢٥٢	من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جني جهنم . . . . .	٢٢٩ صح
<b>٢٣ - سورة المؤمنون</b>		
٢٥٣	... وقال اللهم زدنا ولا نقصنا ، واكرمنا ولا تنهنا ،	٢٣٠ ض
٢٥٤	... قالت : كان خلقه القرآن فقرأت ( قد أفلع المؤمنون )	٢٣١ صح
٢٥٥	حبب إليّ الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة	٢٣١ صح
٢٥٦	... سمعت رسول الله ﷺ يقول : قم يا بلال فأرحنا	٢٣١ صح
٢٥٧	آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف	٢٣٢ صح
٢٥٨	... أي العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها ..	٢٣٢ صح فن
٢٥٩	إذا سألت الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة	٢٣٢ صح فن
٢٦٠	ما من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ، ومنزل . . .	٢٣٢ صح
٢٦١	يحيىء نامس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أشغال الجبال	٢٣٢ صح ح
٢٦٢	إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً . . . . .	٢٣٢ صح
٢٦٣	إن الله خلق آدم من قبضة من جميع الأرض . . . . .	٢٣٣ صح ح
٢٦٤	إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً	٢٣٣ صح فن
٢٦٥	كلوا الزيت وادهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة . . . . .	٢٣٥
٢٦٦	ان داود كان يأكل من كسب يده . . . . .	٢٤٠ صح
٢٦٧	ما من نبي إلا رمى الغم . . . . .	٢٤٠ صح
٢٦٨	يا أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً . . . . .	٢٤٠ صح م
٢٦٩	... ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله	٢٤٢
٢٧٠	ان النبي ﷺ لقي رجلاً فقال له : أسلم فقال الرجل ...	٢٤٤

رقمه	مطلع الحديث النبوي	الصفحة درجة الحديث
٢٧١	... يا محمد أشدك الله والرحم فقد أكلنا العله <sup>(١)</sup> - يعني	ص ٢٤٥
٢٧٢	... اللهم أعني عليهم ببع كعب يوسف . . . . .	ص ٢٤٥
٢٧٣	... شأن الله أعظم من ذلك إن عرشه على سمواته . . . . .	ص ٢٤٧
٢٧٤	... ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما	ص ٢٤٧
٢٧٥	... وإذا أزدت بقوم فتنة فتوقني إليك غير مفتون . . . . .	ص ٢٤٨
٢٧٦	... أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه	ص ٢٤٨
٢٧٧	... اللهم إني أعوذ بك من المدم ومن الفرق . . . . .	ص ٢٤٨
٢٧٨	... فلا يزال معذباً فيها . . . . .	٢٤٩
٢٧٩	... بل إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة . . . . .	ص ٢٥٠
٢٨٠	... تفلح وجوههم النار قال : تفلحهم لقحة تلبس لحومهم	٢٥١
٢٨١	... قال تشويه النار فتخلص شفته العليا حتى تبلغ . . . . .	٢٥١
٢٨٢	... إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة . وأهل النار النار . . .	ص ٢٥٣
٢٨٣	... بعثنا رسول الله ﷺ في سرية . وأمرنا أن نقول ...	٢٥٣
٢٨٤	... أمان أمي من الفرق إذا ركبوا السمينة باسم الله الملك .	٢٥٣
٢٨٥	... فقال رسول الله ﷺ فأبهم إذا أصابك ضر فدعوته	ص ٢٥٤
	٢٤ - سورة النور	
٢٨٦	... الوليدة والتم رد عليك . وعلى ابنك مئة جلدة .	ص ٢٥٥
٢٨٧	... فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأها ووعيناها	ص ٢٥٦
٢٨٨	... كنا نقرأ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة	ص ٢٥٦
٢٨٩	... خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا . البكر بالبكر	ص ٢٥٦
٢٩٠	... لحد يقيم على الأرض خير لأهلها من أن يمظروا أربعين	٢٥٧
٢٩١	... حديث ام مهزول . . . . .	ص ٢٥٨
٢٩٢	... لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله . . . . .	ص ٢٥٨
٢٩٣	... ثلاثة حرم الله عليهم الجنة . مدمن الخمر . والعاق	٢٥٨
٢٩٤	... إني كنت ألمّ بامرأة أتت منها ما حرم الله . . . فأردت	ص ٢٥٨
٢٩٥	... سلت عن الثلاثين أفرق بينهما في إمارة ابن الزبير	ص ٢٥٨
٢٩٦	... فقال النبي ﷺ البيئنة أو حد في ظهرك . . . . .	ص ٢٦١
٢٩٧	... حديث الإفك ( اللفظ لمسلم ) . . . . .	ص ٢٦٢

(١) قلت : يعني الزبير تزوجاً مع الدثم .

رقمه	مطلع الحديث النبوي الحديث	الصفحة درجة الحديث
٢٩٨	قام رسول الله ... وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين	٢٦٥ حسن
٢٩٩	إن الرجل لبتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ	٢٦٧ صح فق
٣٠٠	إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها ما لم تقل أو	٢٦٨ صح فق
٣٠١	لا تؤذوا عباد الله ولا تعيبروهم ولا تطلبوا عوراتهم . . .	٢٦٩ صح
٣٠٢	اجتنبوا السبع المرقبات : قبل وما هنّ يا رسول الله ؟	٢٧١ صح فق
٣٠٣	قذف المحصنة يهدم عمل مئة سنة . . . . .	٢٧١ صح
٣٠٤	إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعلمه فيجحد . . . . .	٢٧١ صح
٣٠٥	فيختم على فيه ويقال لأركانه : انظقي ، . . . . .	٢٧١ صح م
٣٠٦	... إذا استأذن أحدكم فلم يؤذن له فليصرف . . . . .	٢٧٣ صح
٣٠٧	... أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وأفطر	٢٧٣ صح
٣٠٨	... إنما الاستئذان من أجل النظر . . . . .	٢٧٣ صح
٣٠٩	لو أن امرأةً اطّلع عليك بغير إذن، فحذفته بحصاة ففقات...	٢٧٣ صح فق
٣١٠	!... من ذا... ؟ فقلت : أنا . قال : أنا أنا ... !!!	٢٧٣ صح
٣١١	... فقال النبي ﷺ لخادمه : اخرج إلى هذا فعلمته	٢٧٣ صح
٣١٢	أسباب نزول الآية ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً )	٢٧٤
٣١٣	سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصدق	٢٧٥ صح م
٣١٤	... يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى ، وليس	٢٧٥ حسن صح
٣١٥	إياكم والجلوس على الطرقات . . . . .	٢٧٥ صح
٣١٦	احفظ عورتك إلا من زوجتك . . . . .	٢٧٥ صح
٣١٧	كُتِبَ على ابن آدم حفظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة	٢٧٥ صح
٣١٨	... أنتما عمياوان ... ؟ . . . . .	٢٧٥ صح
٣١٩	إن رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الخبثه وهم يلعبون	٢٧٥ صح
٣٢٠	يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى...	٢٧٧ منقطع
٣٢١	لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها	٢٧٧ صح فق
٣٢٢	ان النبي ﷺ أنى فاطمة بعد قد وهبه لها . . . . .	٢٧٨ صح
٣٢٣	دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها مخث . . . . .	٢٧٨ صح
٣٢٤	اياكم والدخول على النساء « قيل يا رسول الله أفرأيت	٢٧٨ صح فق

٣٢٥	كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرّت بالمجلس .	حسن صحيح	٢٧٩
٣٢٦	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج . . .	صح فق	٢٨٠
٣٢٧	تزوّجوا الولود تأسلوا فلاني مباح بكم الأمم يوم القيامة	صح	٢٨٠
٣٢٨	ثلاثة حق على الله عونهم : الناكح يريد العفاف . . .	صح	٢٨٠
٣٢٩	... مهر البغي خبيث ، وكسب الحجام خبيث . . . . .	صح	٢٨١
٣٣٠	رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . . . . .	صح	٢٨١
٣٣١	... يقول : « اللهم لك الحمد ، انت نور السموات	صح فق	٢٨٢
٣٣٢	ان الله تعالى خلق خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى . . . . .		٢٨٣
٣٣٣	القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر . . .	صح	٢٨٣
٣٣٤	من بنى لله مسجداً يبغني به وجه الله بنى . . . . .	صح فق	٢٨٤
٣٣٥	أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن . . . . .	صح	٢٨٤
٣٣٦	لا تقوم الداعة حتى يتباهى الناس في المساجد . . . . .	صح	٢٨٥
٣٣٧	إذا رأيت من يبيع أو يتاع في المسجد ، فقولوا . . . . .	صح	٢٨٥
٣٣٨	صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته . . . . .	صح فق	٢٨٥
٣٣٩	بشر المشائين إلى المساجد في الظلم ، بالنور التام يوم القيامة	صح	٢٨٥
٣٤٠	إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح أبواب	صح م	٢٨٥
٣٤١	يا رسول الله إني أحب الصلاة معك . قال : قد علمت	صح	٢٨٥
٣٤٢	لا تمنعوا إماء الله عن مساجد الله . . . . .	صح فق	٢٨٦
٣٤٣	بيوتهم خير لمن . وليخرجن تغلات . . . . .	صح	٢٨٦
٣٤٤	لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من	صح فق	٢٨٦
٣٤٥	أنه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون ؟ . . . . .	صح فق	٢٨٧
٣٤٦	من دعي إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له . . . . .	صح	٢٩١
٣٤٧	... إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها . . .	صح	٢٩٣
٣٤٨	يا رسول الله : أبرد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ . . . . .		٢٩٤
٣٤٩	بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة ، والدين بالنصر . . . . .	صح	٢٩٤
٣٥٠	حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . . . . .	صح فق	٢٩٤
٣٥١	لا تزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق . . . . .	صح فق	٢٩٥



رقمه	مطلع الحديث النبوي	الصفحة	درجة الحديث
٣٥٢	... أنت ومالك لأبيك . . . . .	٢٩٩	صح
٣٥٣	يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك ، وسلم على من لقبك	٢٠٤	٢٩٩
٣٥٤	إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم . . . . .	حسن	٢٩٩
٣٥٥	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد . . . . .	صح فق	٣٠٠
٣٥٦	مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت . . . . .	صح فق	٣٠٠
<b>٢٥ - سورة الفرقان</b>			
٣٥٧	إني أعطيت خمساً لم يعطهن من الأنبياء قبلي . . . . .	صح	٣٠٣
٣٥٨	قيل للنبي ﷺ إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض	.	٣٠٥
٣٥٩	من يقل علي ما لم أقل ، أو أدعى لغير والديه . . . . .	.	٣٠٥
٣٦٠	... ليتركهون في النار كما يتركه الوتد في الحائط . . . . .	.	٣٠٦
٣٦١	... يقول الله تعالى إني مبتليكم ومبلي بك . . . . .	صح م	٣٠٨
٣٦٢	إن الله تعالى يطوي السموات بيمينه ويأخذ الأرضين . . . . .	صح	٣١٠
٣٦٣	... يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم	صح	٣١٢
٣٦٤	... قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال . . . . .	صح م	٣١٥
٣٦٥	بعثت إلى الأحمر والأسود وكان النبي يبعث إلى قومه	صح فق	٣١٦
٣٦٦	... وقد سئل عن ماء البحر : أتوضأ به ؟ فقال . . . . .	صح	٣١٦
٣٦٧	كان رسول الله ﷺ يقول سبحانه اللهم ربنا وبمحمدك	صح	٣١٨
٣٦٨	إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ،	صح	٣١٩
٣٦٩	إذا أتيت الصلاة فلا تأتون وأنتم تسمعون . . . . .	صح	٣١٩
٣٧٠	أما إن ملكاً بينكما يذب عنك ، كلما شتمك هذا . . . . .	.	٣٢٠
٣٧١	ما أحسن القصد في الغنى : وما أحسن القصد في الفقر . . . . .	.	٣٢٠
٣٧٢	... أي الذنب أكبر ؟ قال : أن تجعل لله أنداداً وهو	صح فق	٣٢١
٣٧٣	... لا تشرکوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم	.	٣٢١
٣٧٤	... لأن يزني الرجل بعشر نساء أسر عليه من أن يزني	.	٣٢١
٣٧٥	ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة . . . . .	.	٣٢١
٣٧٦	أسباب نزول الآية ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على	.	٣٢١
٣٧٧	إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار . . . . .	صح م	٣٢٢

٣٧٨	إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان : اعطني صحيفةك ..	٣٢٢
٣٧٩	... قال فافعل الخيرات واترك السيئات ، فيجعلها الله لك	٣٢٢
٣٨٠	... فقال رسول الله ﷺ لقد أصبح ابن سعود وأمسى	صح ٣٢٣
٣٨١	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . . . . .	صح م ٣٢٤

٢٦ - سورة الشعراء

٣٨٢	قال النبي ﷺ عند الاحتضار اللهم في الرفيق الأعلى	صح ٣٢٦
٣٨٣	... اللهم أحينا مسلمين ، وأمتنا مسلمين ، وألحقنا . . .	صح ٣٢٦
٣٨٤	... يلقى إبراهيم أباه آذر يوم القيامة وعلى وجه آزر قرره	صح بخ ٣٣٧
٣٨٥	... يا رسول الله : بأبي وأمي ما أنصحتك ، ما رأيت	٣٤٨
٣٨٦	... لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني	صح م ٣٥١
٣٨٧	... أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلاً يفتح الوادي تريد أن	صح فق ٣٥١
٣٨٨	... يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار . . . . .	صح فق ٣٥١
٣٨٩	... لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم	صح م ٣٥١
٣٩٠	... فقال النبي ﷺ تلك الكلمة من الحق بخطفها الجني	صح بخ ٣٥١
٣٩١	... لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن . . .	صح ٣٥٣
٣٩٢	أن رسول الله ﷺ قال لحسان : أمهمم - أو قال . . .	صح ٣٥٤
٣٩٣	إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل . . . . .	صح ٣٥٤
٣٩٤	... إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . . . . .	صح ٣٥٤

٢٧ - سورة النمل

٣٩٥	إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط . . .	صح م ٣٥٧
٣٩٦	نحن معاشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقه . . .	صح ٣٥٩
٣٩٧	سمى النبي عن قتل أربع دواب : النملة والنحلة ،	صح ٣٦١
٣٩٨	... قال : ادعوا إلى الله وحده الذي اذا مسك ضرر	صح ٣٧٠
٣٩٩	من زعم أنه يعلم - يعني النبي ﷺ - ما يكون في غد	صح ٣٧٣
٤٠٠	... لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع	صح ٣٧٥
٤٠١	... إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها . . .	صح ٣٧٥

٤٠٢	بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها ،	٣٧٦
٤٠٣	يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين . . . . .	صح م ٣٧٧
٤٠٤	إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض	صح فق ٣٧٩
٤٠٥	... يا أيها الناس لا يغترون أحدكم بالله ، فإن الله لو	٣٨٠

٢٨ - سورة القصص

٤٠٦	مثل الذي يعمل ويحسب في صنعه الخير كشئ أم موسى	صح ٣٨٤
٤٠٧	مرحباً بقوم شعيب واختان موسى هدمت . . . . .	صح ٣٨٨
٤٠٨	ما أهلك الله قوماً بعداب من السماء ولا من الأرض إلا	٣٩٤
٤٠٩	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن	صح ٣٩٧
٤١٠	لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ . . . . .	صح ٣٩٨
٤١١	بعثت إلى الأحمر والأسود . . . . .	صح فق ٣٩٩
٤١٢	والله ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم	صح ٤٠٠
٤١٣	بينما رجل يمر إزاره إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل	صح يخ ٤٠٥
٤١٤	إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم	٤٠٥
٤١٥	إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد	صح ٤٠٦
٤١٦	لاني أحب أن يكون ردائي حناً ... أفمن الكبر ذلك ؟	صح ٤٠٦

٢٩ - سورة العنكبوت

٤١٧	أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل	صح ٤٠٩
٤١٨	من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من أتبعه	صح ٤١٢
٤١٩	ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل	صح ٤١٢
٤٢٠	قال : يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم . . . . .	حسن ٤١٧
٤٢١	إن فلاناً يصلني بالليل ، فإذا أصبح سرق قال : « سينهاه	صح ٤٢١
٤٢٢	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي	صح ٤٢٢
٤٢٣	ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات . . . . .	صح فق ٤٢٤
٤٢٤	ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من	٤٢٦

## ٣٠ - سورة الروم

٤٢٥	كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم .	صح	٤٣٠
٤٢٦	... فقال : هذا السم . قال : « أتصدق به » . . . . .	حسن	٤٣١
٤٢٧	ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض . . . . .	حسن	٤٣٥
٤٢٨	قل : اللهم غارت النجوم ، وهدأت العيون وأنت حي		٤٣٦
٤٢٩	يقول تعالى كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني	صح بخ	٤٣٧
٤٣٠	إني خلقت عبادي حنفاء فأجابتلتهم الشياطين عن دينهم	صح	٤٣٨
٤٣١	ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو	صح فق	٤٣٨
٤٣٢	... لا إنا خياركم أبناء المشركين - ثم قال - لا	.	٤٣٩
٤٣٣	... من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي . . . . .	صح	٤٣٩
٤٣٤	عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له .	صح	٤٤٠
٤٣٥	ما تصدق أحد بعدل ثمرة من كسب طيب إلا أخذها	صح	٤٤١
٤٣٦	... لا تأسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما . . . . .		٤٤١
٤٣٧	لحدث يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يعطروا	صح	٤٤٢
٤٣٨	ان الفاجر اذا مات يسترىح منه العباد والبلاد والشجر	صح فق	٤٤٢
٤٣٩	يارسول الله ما تخاطب من قوم قد جيفوا . . . . .	صح	٤٤٥

## ٣١ - سورة لقمان

٤٤٠	إنه ليس بذلك ألا تسمع إلى قول لقمان (يا بني لا تشرك	صح فق	٤٥٣
٤٤١	ليس ذلك الكبير ، إنما الكبير أن تصفه الحق وتغضط	صح	٤٥٤
٤٤٢	ليس منا مثل سوء ... العائد في هبته كالكلب . . . . .	صح	٤٥٥
٤٤٣	إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله . . . . .	صح الجماعة	٤٥٥
٤٤٤	ان لقمان الحكيم كان يقول : ان الله اذا استودع شيئاً	صح	٤٥٥
٤٤٥	قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع .	صح	٤٥٥
٤٤٦	رب أشعث ذي طمرين يصفع عن أبواب الناس . . . . .	صح	٤٥٥
٤٤٧	طوبى للأتقياء الأثرياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا . . . . .	.	٤٥٦
٤٤٨	إن اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الأتقياء	.	٤٥٦

٤٤٩	حسب امرئ من الشر إلاّ من عصم الله ان يشير الناس	ض	٤٥٦
٤٥٠	كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس أخلاقاً . . . . .	صح	٤٥٦
٤٥١	قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم	صح	٤٥٦
٤٥٢	إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل ، صائم النهار	صح	٤٥٦
٤٥٣	سئل عن أكبر ما يدخل الناس النار فقال : الأجوفان :		٤٥٧
٤٥٤	ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة . . . . .	صح	٤٥٧
٤٥٥	ان الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما . . .		٤٥٧
٤٥٦	إنكم لا تعلمون الناس بأموالكم ولكن يسهم منكم بسط	صح	٤٥٧
٤٥٧	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . . .	صح	٤٥٧
٤٥٨	من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله . . . . .		٤٥٧
٤٥٩	من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه . . . . .	صح	٤٥٧
٤٦٠	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره و . . . . .	صح	٤٥٧
٤٦١	... لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . . .	صح	٤٥٩
٤٦٢	أسباب نزول آية : ولو أن ما في الأرض من شجرة		٤٥٩
٤٦٣	يا أبا ذ أندرى أين تذهب هذه الشمس . . . . .	صح	٤٦٠
٤٦٤	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلاّ الله . . . . .	صح بخ	٤٦٢
٤٦٥	من حدثك أنه <sup>(١)</sup> يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت	صح	٤٦٣
٤٦٦	إذا أراد الله قبض عبداً بأرض جعل له إليها حاجة . . .	صح	٤٦٣

## ٣٢ - سورة الصعدة

٤٦٧	كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ( ألم تنزيل )	صح فق	٤٦٤
٤٦٨	كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ : ( ألم تنزيل ) السجده		٤٦٤
٤٦٩	عجب ربنا من رجلين رجل ثار من وطائه ولحافه . . .	صح	٤٦٨
٤٧٠	... يا نبيّ الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من		٤٦٨
٤٧١	قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	صح فق	٤٦٩

## ٣٣ - سورة الأحزاب

٤٧٢	... لقد رأيتها وإنما لتعادل سورة البقرة ، ولقد قرأنا	صح	٤٧٤
-----	--	----	-----

(١) أي النبي صل الله عليه وسلم .

رقمه	الحديث النبوي الشريف	الصفحة درجة الحديث
٤٧٣	أسباب نزول الآية : ( ادعوهم لأبائهم ... )	صح فق ٤٧٦
٤٧٤	قال الله عز وجل قد فعلت . . . . .	صح م ٤٧٦
٤٧٥	ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر	٤٧٦ .
٤٧٦	... فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله	صح ٤٧٦
٤٧٧	والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب	صح ٤٧٧
٤٧٨	ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة .	صح بخ ٤٧٧
٤٧٩	نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور . . . . .	صح ٤٨٠
٤٨٠	ألا رجل يأتينا بخير القوم يكون معي يوم القيامة . . . . .	صح ٤٨٠
٤٨١	... أخبر صاحبك ان الله تعالى قد كفاه القوم . . . . .	صح ٤٨٠
٤٨٢	كان رسول الله ﷺ إذا حز به أمر صلى . . . . .	صح ٤٨٠
٤٨٣	... نعم قولوا اللهم امتر عوراتنا وآمن روعتنا قال	صح ٤٨١
٤٨٤	لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الأحزاب . . . . .	صح بخ ٤٨٤
٤٨٥	... أسباب نزول الآية : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا﴾	صح بخ ٤٨٥
٤٨٦	... أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « طلحة ممن	٤٨٥ .
٤٨٧	... لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده وأعز	صح ٤٨٦
٤٨٨	دعار رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم منزل	صح فن ٤٨٦
٤٨٩	لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم	صح ٤٨٦
٤٩٠	... قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ه الآن نفزوهم	صح بخ ٤٨٦
٤٩١	... وقال ﷺ لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني	صح ٤٨٧
٤٩٢	... فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . . . . .	صح بخ ٤٨٨
٤٩٣	ثم استقرأ الحجر ... فقلن ونحن نقول مثلما قالت عائشة	صح ٤٨٩
٤٩٤	لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجنّ وهن ثيابات .	صح ٤٩٠
٤٩٥	صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها . . . . .	صح ٤٩٠
٤٩٦	أيها الناس : فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي	صح ٤٩١
٤٩٧	... إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل	حن ٤٩٢
٤٩٨	اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم	صح ٤٩٢
٤٩٩	... كما جاء في الحديث : ( وأهل بيتي أحق ) . . . . .	صح ٤٩٣

٥٠٠	... ان الله تعالى يقول ( ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين	صح	٤٩٣
٥٠١	اسباب نزول الآية . ( ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين	صح	٤٩٣
٥٠٢	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . . . . .	صح فق	٤٩٣
٥٠٣	عليكم بالصدق . فإن الصدق يهدي إلى البر . . . . .	صح	٤٩٤
٥٠٤	اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . . . . .	صح فق	٤٩٤
٥٠٥	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . . . . .	صح فق	٤٩٤
٥٠٦	كما جاء في الحديث ( ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له	صح	٤٩٤
٥٠٧	... إذا أبقت الرجل امرأته من الليل فصلًا ركعتين .	صح	٤٩٤
٥٠٨	... ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله		٤٩٤
٥٠٩	ان رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة	صح	٤٩٥
٥١٠	لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزبد اذهب	صح	٤٩٧
٥١١	لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم . . . . .	صح	٤٩٩
٥١٢	... إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي	صح غريب	٥٠٠
٥١٣	مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها	صح فق	٥٠٠
٥١٤	فضلت على الانبياء بست : أعطيت جوامع الكلام .	صح م	٥٠٠
٥١٥	إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي	صح فق	٥٠٠
٥١٦	... اللهم اجعلي أعظم شكرك . وأتبع نصيحتك ،		٥٠١
٥١٧	يقول الله تعالى : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي .	صح	٥٠٢
٥١٨	أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبياً	صح بخ	٥٠٢
٥١٩	... انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، وبسرا ولا تعسرا ، . . . . .	صح	٥٠٣
٥٢٠	... لا تلاق لابن آدم فيما لا يملك . . . . .	حسن	٥٠٤
٥٢١	... لا تلاق قبل النكاح . . . . .	-	٥٠٥
٥٢٢	ان رسول الله ﷺ تزوج أميمة بنت شراحيل ، فلما أن	صح	٥٠٥
٥٢٣	ان رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا . . . . .		٥٠٧
٥٢٤	كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول .	صح	٥٠٧
٥٢٥	ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء . . . . .	صح	٥٠٨
٥٢٦	لم يموت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من	صح	٥٠٨

رقمه	مطلع الحديث النبوي الشريف	الصفحة درجة الحديث
٥٢٧	وافقت ربي عز وجل في ثلاث : قلت : يا رسول الله	ص ٥٠٩
٥٢٨	قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ، يدخل عليك البر	ص ٥٠٩
٥٢٩	لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم	ص ٥٠٩
٥٣٠	لهذا قال رسول الله ﷺ « اياكم والدخول على النساء »	ص ٥١٠
٥٣١	لو دعيت إلى ذراع ، ولو أهدي إلي كراع لقبلت . . .	ص ٥١٠
٥٣٢	إن الله يصلي على ميامن الصفوف . . . . .	ص ٥١٢
٥٣٣	اللهم صل على آل أبي أوفى . . . . .	ص ٥١٢
٥٣٤	... صلى الله عليك وعلى زوجك . . . . .	٥١٢
٥٣٥	... قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .	ص ٥١٢
٥٣٦	لما نزلت الآية : ( إن الله وملائكته يصلون على النبي . . .	٥١٢
٥٣٧	... أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلي	ص ٥١٢
٥٣٨	... قالوا : يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه ، فكيف	ص ٥١٢
٥٣٩	سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجّد الله	ص ٥١٣
٥٤٠	... قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت	٥١٣
٥٤١	اللهم ارحمني ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا . . . . .	٥١٣
٥٤٢	أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة . . . . .	حسن ص ٥١٣
٥٤٣	كان رسول الله ﷺ يخرج في جوف الليل فيقول :	ص ٥١٣
٥٤٤	قال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها	ص ٥١٤
٥٤٥	من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا . . . . .	ص ٥١٤
٥٤٦	... قال : أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال : من	ص ٥١٤
٥٤٧	البحيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي . . . . .	حسن ص ٥١٤
٥٤٨	... رغبم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي . . . . .	ص ٥١٤
٥٤٩	ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا علي	ص ٥١٤
٥٥٠	... إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي	ص ٥١٥
٥٥١	كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد	ص ٥١٥
٥٥٢	إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام . . . . .	ص ٥١٥



٥٥٣	اللهم صلّ على محمد وآله وأزواجه وذريته . . . . .	صح	٥١٥
٥٥٤	اللهم صلّ على آل أبي أوفى . . . . .	صح فن	٥١٥
٥٥٥	... يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر	صح فن	٥١٦
٥٥٦	قال رسول الله ﷺ الله الله في أصحابي لا تتخذوهم	صح	٥١٧
٥٥٧	انه قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال ذكرك أخاه بما يكره	صح حسن	٥١٧
٥٥٨	... أي الربا أربى عند الله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ...		٥١٧
٥٥٩	إن موسى عليه السلام كان حبيباً سبياً لا يرى من جلده	صح ينح	٥١٩
٥٦٠	... ثم قال : رحمة الله على موسى لقد أودى بأكثر من	صح فن	٥٢٠
٥٦١	... إن الله تعالى أمرني أن أمركم أن تتقوا الله وتقولوا ..		٥٢٠
٥٦٢	القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها ... إلا الأمانة .		٥٢١
٥٦٣	... حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم	صح فن	٥٢٢
٥٦٤	من حلف بالأمانة فليس منا . . . . .	صح	٥٢٢

### ٣٤ - سورة بآ

٥٦٥	... ثم قال : لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود	صح	٥٢٦
٥٦٦	إن أحب الصلاة إلى الله تعالى : صلاة داود . . . . .	صح فن	٥٢٨
٥٦٧	عجياً للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيراً	صح فن	٥٣٢
٥٦٨	إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة	صح ينح	٥٣٤
٥٦٩	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي . . . . .	صح فن	٥٣٥
٥٧٠	بعثت إلي الأسود والأحمر . . . . .	صح	٥٣٥
٥٧١	إن جهنم لما سبق إليها أهلها نافعهم طيبها ، ثم . . . . .		٥٣٧
٥٧٢	... أشهد أنك رسول الله قال ﷺ : وما علمك بذلك ؟		٥٣٧
٥٧٣	إن الله تعالى لا ينظر إل صوركم وأموالكم ، ولكن إنما	صح م	٥٣٨
٥٧٤	قد أفلح من أسلم ورزق كافئاً وغمه الله بما آناه . . . . .	صح م	٥٣٨
٥٧٥	إن ملكين يصبحان كل يوم يقول أحدهما : اللهم أعط	صح	٥٣٩
٥٧٦	صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال : يا صباحاه ،	صح ينح	٥٤١
٥٧٧	... وجد تلك الاصنام منصوبة حول الكعبة ، جعل	صح فن	٥٤٢

## ٣٥ - سورة فاطر

٥٧٨	ان رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الاسراء	صح	٥٤٤
٥٧٩	... يقول إذا انصرف عن الصلاة : لا إله إلا الله وحده	صح	٥٤٤
٥٨٠	كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب	صح	٥٤٧
٥٨١	... يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في	صح	٥٤٧
٥٨٢	من سره أن ييسر له في رزقه وينأله في أثره . . . . .	صح فق	٥٤٨
٥٨٣	... ان الله تعالى لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها ، وإنما	صح	٥٤٨
٥٨٤	... قال رسول الله ﷺ : « كلهم من هذه الأمة » . . .		٥٥٥
٥٨٥	قال الله تعالى ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا		٥٥٥
٥٨٦	... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر		٥٥٥
٥٨٧	تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء . . . . .	صح	٥٥٥
٥٨٨	من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة . . . . .	صح	٥٥٦
٥٨٩	ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت . . . . .		٥٥٦
٥٩٠	« لن يدخل أحدا عمله الجنة » قالوا : ولا أنت . . . . .	صح	٥٥٦
٥٩١	أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون	صح م	٥٥٦
٥٩٢	اعذر الله عز وجل إلى امرئ - آخر عمره حتى يبلغ ستين	صح يخ	٥٥٧
٥٩٣	أعمار أمي ما بين الستين إلى السبعين . . . . .		٥٥٧

## ٣٦ - سورة يس

٥٩٤	من سن في الاسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من	صح م	٥٦٣
٥٩٥	يا بني سلمه دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب	صح م	٥٦٣
٥٩٦	... « هذا مثله كمثل صاحب يس » ( قال يا ليت قومي	صح	٥٦٦
٥٩٧	إذا أقبل الليل من ههنا ، وأدبر النهار من ههنا . . . . .		٥٦٩
٥٩٨	... فقال ﷺ « يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس » ..	صح يخ	٥٦٩
٥٩٩	ألا هل مشمر إلى الجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها . . . . .		٥٧٣
٦٠٠	... أتندرون مما أضحكك ؟ ... قال : من محاولة العبد ربه	صح م	٥٧٤
٦٠١	... أنت القائل : أتجعل نبي ونسب العبيد بين الأقرع	صح	٥٧٥

رقعه	مطلع الحديث النبوي الشريف	الصفحة درجة الحديث
٦٠٢	... جعل يمشي بين القتلى يوم بدر وهو يقول : « ففتق	صح ٥٧٥
٦٠٣	قالت عائشة.. كان - أي الشعر - أبغض الحديث إليه ﷺ	صح ٥٧٦
٦٠٤	أنا النبي لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب . . . . .	صح ٥٧٦
٦٠٥	هل أنت إلا أصعب دميت وفي سبيل الله ما لقيت	صح فق ٥٧٦
٦٠٦	لأن يمتلىء جوف أحدكم فيحاً خيراً له من أن يمتلىء شعراً	صح ٥٧٦
٦٠٧	آمن شعره وكفر قلبه . . . . .	صح ٥٧٦
٦٠٨	إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة . . . . .	صح ٥٧٦
٦٠٩	جاء أبي بن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم	صح ٥٧٨
٦١٠	إن رجلاً حضره الموت فلما آيس من الحياة أوصى أهله	صح ٥٧٩
٦١١	... يا عبادي كللكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني	صح ٥٧٩
٦١٢	... فقرأ سورة البقرة لا يمرّ بآية رحمة إلا وقف وسأل	صح ٥٨٠

انتهى المجلد الثالث ويليه المجلد الرابع